



الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية  
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي  
جامعة جيلالي ليابس - سيدي بلعباس



كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية

قسم العلوم الإنسانية

## العلاقة بين السلطنة المركزية والباياليكات في الجزائر العثمانية (1520-1830م)

أصروحة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه علوم في التاريخ الحديث والمعاصر

إشراف:

د/ لصر الدين لعوج

إعداد الطالب الباحث:

عبد الجليل رحومني

### أعضاء لجنة المناقشة

الاسم واللقب	الرتبة العلمية	الجامعة الأصلية	الصفة
أ.د/ محمد مجاوح	أستاذ التعليم العالي	جامعة سيدي بلعباس	رئيساً
د/ لصر الدين لعوج	أستاذ محاضر-أ-	جامعة سيدي بلعباس	مشرفاً ومقرراً
أ.د/ محمد بوشنافي	أستاذ التعليم العالي	جامعة سيدي بلعباس	مناقشاً
أ.د/ بن عمر حمادو	أستاذ التعليم العالي	جامعة وهران	مناقشاً
د/ محمد بلحاج	أستاذ محاضر-أ-	جامعة وهران	مناقشاً
د/ فاطمة الزهراء سيدهم	أستاذ محاضر-أ-	جامعة معسكر	مناقشاً

الموسم الجامعي (1440-1441هـ / 2019-2020م)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

## الإهداء

أهدي باكورة هذا العمل المتواضع إلى والدي الكريم الذي  
شجعني على هذا البحث، لكن القدر عجل برحيله  
- رحمة الله عليه -

وإلى الوالدة الكريمة لتحملها عناء تربيته ورعايته أكل الله  
في عمرها، وأنعم عليها بالصحة والعافية  
وإلى كل أفراد أسرتي الذين ساندوني وصبروا معي  
في إنجاز هذا العمل  
وإلى كل طلبة العلم والأصدقاء ( الأوفياء - المخلصين ) الذين  
جمعتنا بهم المحبة الخالصة أهدي هذا العمل

# كلمة شكر

نشكر المولى عز وجل الذي وفقنا لإعداد هذا العمل،  
وأسأله الهداية والنجاح والفلاح في الدنيا والآخرة.  
كما أتقدم بخالص الشكر إلى أستاذي المشرف الدكتور  
(العويم لص الدين) الذي لم ينحصر دوره مشرفاً فقط،  
بل كان بمثابة الأب والأخ والصديق فلم يدخل أي جهد  
لمساعدتي ونصحي وتوجيهي وإرشادي، فجزاه الله عني  
خير الجزاء وله مني جزيل التقدير.  
كما أنوه بالمساعدة والدعم الذي تلقينته من لحرف  
الأستاذ: عبد الجليل التميمي - بتونس -  
كما أشكر كل من قدم لي يد العون والمساعدة.  
فلهم مني جميعاً أسماً وأعلى التشكرات والتقدير.



## Abréviations قائمة المختصرات

### 1- باللغة العربية:

ط.خ: طبعة خاصة	م.إ.ع.ت.ل: مطبعة الإتحاد العام التونسي للشغل
مج: مجلد	م.و.ش.د: منشورات وزارة الشؤون الدينية
تح: تحقيق	و.إ.ث.ج: وزارة الإعلام والثقافة الجزائرية
تر: ترجمة	د.م.ج: ديوان المطبوعات الجامعية
م: ميلادي	م.و.ف.م: المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية
هـ: الهجري	الو.م.إ: الولايات المتحدة الأمريكية
ن: نسمة	د.ت: دون تاريخ
الخ: إلى آخره	
ش.و.ن: الشركة الوطنية للنشر	
م.و.ك: المؤسسة الوطنية للكتاب	
ش.و.ن.ت: الشركة الوطنية للنشر والتوزيع	

## 2- باللغة الفرنسية:

**R. Af :** Revue Africaine

**V :** Volume

**T :** Tome

**N° :** Numéro

**Trad:** Traduction

**R. H. M :** Revue d'histoire maghrébine

**S .N .E. D:** Société Nationalè Edition et de Diffusion

**B. N. A :** Bibliothèque Nationale d'Algérie

**B. L. E :** Bastide Libraire Editeur

**O. P. U :** Office des Publications Universitaires

**S. D :** Sans Date

# مقدمة

تمكن العثمانيون مع بداية القرن 16م من الدخول إلى المغرب الأوسط، وكان ذلك نتيجة حتمية للصراعات التي عرفتها منطقة الحوض الغربي للبحر الأبيض المتوسط، فقد شهدت العلاقات الدولية في هذه الأثناء تأزماً حقيقياً واشتد التنافس بين الدولة العثمانية والدول الأوروبية حول مناطق النفوذ، فكانت منطقة شمال إفريقيا وعلى رأسها المغرب الأوسط محل أطماع العديد من الدول الأوروبية، لكن لم يكن بوسعها الدفاع عن نفسها بسبب ضعفها وافتقارها للوحدة السياسية، ورغم هذه الأوضاع المتردية إلا أنها مضطرة للدفاع عن نفسها ومواجهة الظروف الصعبة، وما كان عليها إلا الاستعانة بالدولة العثمانية باعتبارها القوة الإسلامية الوحيدة القادرة على الوقوف أمام المدّ الأوروبي المسيحي.

وحتى تتمكن الدولة العثمانية القيام بدورها على أحسن وجه كان لابد لها من إعداد قوة عسكرية وتأسيس حكم مركزي في الجزائر، ولتحقيق ذلك ينبغي أن تحوز على رصيداً مالياً يؤهلها لذلك مما دفع بالسلطة المركزية بالضغط على البايلاكات لتوفير يد المساعدة، ومن هنا فإن مسألة الدعم والضرائب من الروافد الأساسية لخزينة السلطة المركزية، وإنطلاقاً من هذا الطرح ولفهم تلك العلاقة جيداً يجد الباحث نفسه مضطراً للتركيز على قضية "النظام الضريبي" الذي بسببه قامت تحالفات وصراعات وتمردات، ومن هنا فإن قضية الضرائب من أهم القضايا التي تسمح لنا بالكشف عن طبيعة العلاقة بين السلطة المركزية بالجزائر مع البايلاكات في ظل الصراعات الداخلية من جهة والاحتلال الإسباني للجزائري من جهة ثانية.

إن معالجة الإشكالية المطروحة تتطلب دراسة لطبيعة العلاقات التي ربطت الإدارة المركزية بالإدارات الجهوية، والوقوف على المحددات الرئيسية والعوامل المؤثرة في هذه العلاقات، وكذا دور كل طرف في بناء وحدة الإيالة الجزائرية، ومن هنا فإن دراسة علاقة السلطة بالرعية والتركيز على بعض النقاط التي لم تتل قسطاً وافراً من الدراسة والوقوف على بعض الأحداث أمراً ضرورياً لبعث دراسة أكثر عمقا وتصوراً لتاريخ الجزائر العثمانية،

وعلى الرغم من وجود بعض الدراسات التي تتحدث عن السلطة الحاكمة والبايلك إلا أنها تقتصر إلى إبراز علاقة حقيقية بين السلطة والرعية لذا فإن الكثير من القضايا التاريخية لا زال يكتنفها الغموض أحيانا والتباين في الآراء أحيانا أخرى مما يستدعي البحث أكثر.

## 1- أهمية الموضوع:

تكمن أهمية موضوع هذه الدراسة من خلال ما تُعالجه من جوانب مختلفة حول طبيعة العلاقة التي ربطت مقر الحكم المركزي بالبايلك، وبالتالي فإن هذه الأطروحة تدرس حقبة زمنية هامة من تاريخ الجزائر العثمانية، كما تتجلى أهمية هذا الموضوع من خلال تسليط الضوء على سياسة السلطة المركزية تجاه البايك وردود أفعال هذا الأخير وموقفه من الحكم المركزي، وبالتالي فهو يُعالج فترة مؤثرة وحساسة من تاريخ الحكم العثماني في الجزائر، فضلا على أنه يسمح لنا بالكشف عن أسباب ودوافع الصراعات والتمردات ضد السلطة الحاكمة.

## 2- أسباب إختيار الموضوع:

لم يكن اختيارنا لهذا الموضوع وليد الصدفة أو أمراً بديهياً، بل راجع إلى جملة من العوامل دفعتنا إليه من أهمها:

أسباب ذاتية تمثلت في الفضول والميلول الشخصي قصد تعرّف أكثر على طبيعة العلاقة التي ربطت الحكم المركزي بالبايلكات وإستراتيجية السلطة العثمانية في إخضاع المقاطعات الإدارية، والوقوف على المؤثرات والمحددات الرئيسية لهذه العلاقة، وهناك دوافع موضوعية تمثلت في:

✓ قلة الدراسات التي تتعلق بموضوعاتها بعلاقة السلطة بالبايلك، إلى حد الآن لم تحظ بقسط وافرٍ من التعمق، لذا رأينا أن هذا الموضوع من أهم الموضوعات الجديرة بالبحث والدراسة للمساهمة في كتابة التاريخ الجزائري خاصة الفترة العثمانية

والكشف عن أسرار وخبايا هذه العلاقة التي في اعتقادنا لا تزال تحمل الكثير من الحلقات المفقودة وتطرح العديد من التساؤلات.

✓ إلا أن الدافع الجوهري الذي شدني بشكل جدي لهذا الموضوع هو محاولة الوقوف على أبرز التحولات التي عرفت البايلاكات في ظل الحكم العثماني بالجزائر، وذلك من خلال رصد مختلف الأوضاع الإقتصادية والإجتماعية والثقافية والعسكرية السائدة في كل بايلك وآثار ذلك في رسم علاقة مع الحكم المركزي.

✓ إبراز وكشف إستراتيجية السلطة العثمانية بالجزائر في حكم البايلاك ومدى انعكاسات ذلك على العلاقات الجزائرية الأوروبية.

### 3- الإطار الزمني والمكاني للموضوع:

إن صياغة هذا الموضوع تتطلب تحديدا دقيقا لإطاره الزمني والذي كان بين (1520م-1830م)، فكان إختيارنا لهذا الإطار له دلالاته وإنعكاساته، فيمثل التاريخ الأول قيام الإيالة الجزائرية وتأسيس الحكم المركزي، وتتصيب خير الدين كأول بايلر باي على الإيالة الجزائرية، وبالتالي مرحلة جديدة من تاريخ الجزائر الحديث، أمّا التاريخ الأخير عرفت فيه الإيالة عدة تحولات وتغيّرات كان من نتائجها إنهاء الحكم العثماني والغزو الفرنسي للجزائر، أمّا المكان فهو الجزائر والتي تعتبر من أهم إيالات في الحوض الغربي للبحر الأبيض المتوسط خلال الفترة العثمانية.

### 4- إشكالية الدراسة:

تتمحور إشكالية هذه الدراسة في نقطة مركزية تتمثل في إبراز طبيعة العلاقة التي كانت تربط كل بايلك بالسلطة المركزية، ومن هذا المنطلق يهدف موضوع هذه الدراسة للإجابة على إشكالية رئيسية وهي: إلى أي مدى نجحت السلطة المركزية في بناء ونسج علاقة طيبة ومتينة مع البايلاكات في الجزائر العثمانية ؟

ومن هنا كان لابد من تعزيز هذه الإشكالية بتساؤلات فرعية تمثلت في: كيف تمكن العثمانيون من تأسيس حكم مركزي لهم في الجزائر؟ وفيما تمثلت الخصوصيات الحضارية لمقر الحكم المركزي وكذا البايلاكات؟ ماهي العوامل التي ساعدت السلطة المركزية في إحكام سيطرتها وفرض رقابتها على هذه البايلاكات في ظل محدودية الجيش ونقص الأسلحة؟ بماذا تميزت علاقة السلطة المركزية مع البايلاكات؟ كيف واجهت السلطة العثمانية التمردات والثورات المحلية القائمة ضدها مطلع القرن 19م، وما موقفها من الحملات الفرنسية على البايلاكات ؟

إنّ هذه التساؤلات تشكل في نظرنا أبعادا حقيقية لمعرفة مدى قدرة السلطة العثمانية في نسج علاقة جد متينة مع البايك، وإنطلاقا من هذه الإشكاليات تحدّد موضوع هذه الدراسة والموسوم بـ: "العلاقة بين السلطة المركزية والبايلاكات في الجزائر العثمانية 1520-1830م".

## 5- المنهج المتبع في الدراسة:

إن طبيعة الموضوع وإشكالاته تفرض على الباحث المنهج الذي يمكن أن يتبعه في البحث، وعلى هذا الأساس لجأنا إلى توظيف المنهج التاريخي الذي يُعتبر الأنسب لوصف البعد التاريخي والحضاري لمقر الحكم المركزي وكذا البايلاكات في الجزائر خلال الفترة العثمانية، وإبراز الفوارق الإقتصادية والسياسية والإجتماعية بين البايلاكات ومقارنة علاقة كل باييك وموقفه من الحكم المركزي، لذا كان لابد من الإستعانة بالمنهج المقارن لتوضيح ذلك، وتحليل ودراسة المعطيات التاريخية من مراسيم وقرارات ومواقف وإحصائيات بالتركيز على الأسباب والدوافع والإنعكاسات والنتائج، فمثلا لا يمكن فهم وتحليل واقع العلاقة بين الحاكم والمحكوم بمعزل عن تفسير وتحليل سياسة الحكام العثمانيين وتعدد أساليبها تجاه الرعية، وبالمقابل تعليل وتفسير مواقف الرعية وسبب تغييرها من الحكم المركزي.

## الخطة المتبعة في الدراسة:

قُسمت هذه الدراسة إلى مقدمة، ومدخل، وخمس فصول، بالإضافة إلى خاتمة تستخلص النتائج، تحدثنا في المدخل عن كيفية قيام الحكم المركزي العثماني في الجزائر وكيف إستطاع العثمانيون توحيد البلاد، وذلك من خلال ثلاثة عناصر أساسية وهي على التوالي:

تناولنا في العنصر الأول ظروف تأسيس الأيالة وقيام الحكم المركزي بالجزائر، أما العنصر الثاني فقد تحدثنا فيه عن موقف القوى المحلية من تأسيس الحكم المركزي وأخذنا موقف سالم التومي أنموذجا، أما العنصر الثالث فخصّص لعرض نتائج وانعكاسات قيام الحكم المركزي العثماني في الجزائر.

أما الفصل الأول: بدأنا فيه الحديث عن البعد التاريخي والحضاري لمقر الحكم المركزي بإعتباره الركيزة الأساسية للحكم العثماني، قمنا من خلاله بعرض الإطار التاريخي والجغرافي لمقر الحكم المركزي، مع ذكر الطابع العمراني والبشري، ثم أشرنا إلى الجهاز الإداري والتنظيم السياسي الخاص به دون أن نغفل عن الوضع الإقتصادي والثقافي.

أما الفصل الثاني: فعنوانه بـ "بايلىكات الجزائر العثمانية وخصوصياتها الحضارية" وفي هذا الفصل حاولنا إبراز الخصوصيات الحضارية لكل بايلىك استهلينا حديثا حول بايلىك التيطري بإعتباره أول البايلىكات ظهورا بعد مقر الحكم المركزي مباشرة ثم بايلىك الشرق، وأخير بايلىك الغرب وذلك من خلال الإشارة إلى الإطار التاريخي والجغرافي لكل بايلىك مع الوقوف على الطابع العمراني والبشري لكل بايلىك، ثم حاولنا إبراز الأجهزة الإدارية والنظم السياسية الخاصة لكل بايلىك علاوة على ذلك التطرق للأوضاع الإقتصادية، وختمناه بالحديث عن الوضع الثقافي.



أما الفصل الثالث: والذي عنون به: "علاقة الحكم المركزي بالجزائر مع بايلك التيطري" قسم بدوره إلى عنصرين أساسيين، حاولنا في العنصر الأول الحديث عن العلاقات الإقتصادية والإجتماعية والثقافية التي كانت تربط مقر الحكم المركزي مع بايلك التيطري، وذلك من خلال الإشارة إلى الآداءات الضريبية السنوية المقدمة للسلطة المركزية مع الإشارة إلى أهم الممرات التجارية التي ربطت هذا البايك بمقر الحكم المركزي، ثم إبراز موقف قبائل البايك مع الحكم المركزي وموقف الطبقة المثقفة من السلطة العثمانية، أما العنصر الثاني فخصصناه للحديث عن العلاقات السياسية والعسكرية بإعتبارها ردود أفعال وكنتيجة عن السياسة الضريبية التي سنتها السلطة العثمانية حاولنا الإشارة في هذا العنصر إلى ذكر أهم الإتصالات السياسية بين السلطة المركزية والبايلك مع إبراز سياسة البايات تجاه القبائل والزعامات المحلية، ثم عرضنا أهم الثمرات والثورات التي شهدتها البايك ضد الحكم المركزي، وختمناه بكيفية دخول الفرنسيين وإنهيار الحكم العثماني بالبايلك.

أما الفصل الرابع: فعنوانه ب: علاقة الحكم المركزي بالجزائر مع بايلك الشرق، هذا الفصل هو أيضا قسم إلى عنصرين أساسيين حاولنا من خلال العنصر الأول الحديث عن العلاقات الإقتصادية والإجتماعية والثقافية التي ربطت بايلك الشرق مع السلطة المركزية، تم الحديث فيه عن كيفية إستغلال السلطة المركزية لموارد بايلك الشرق الإقتصادية مع الإشارة إلى أهم الممرات الرابطة بين البايك ومقر الحكم المركزي، ثم تحدثنا عن موقف الرعايا والزعامات المحلية من الحكم المركزي وكذا موقف مثقفي البايك من السلطة المركزية.

أما العنصر الثاني فخصصناه للحديث عن العلاقات السياسية والعسكرية التي ربطت البايك بالحكم المركزي حاولنا من خلاله إلى إبراز علاقة الإدارة الجهوية بإدارة الحكم المركزي ثم تحدثنا عن سياسة البايات تجاه القبائل، أما العلاقات العسكرية فتحدثنا فيها عن موقف الحكم المركزي من حدود البايك مع تونس، وكذا أسباب إحتلال مراد باي

لبايلك الشرق وموقف الحكم المركزي من هذا الإحتلال مع الإشارة إلى الثورات والتمردات ضد الحكم المركزي أمثال ثورة ابن الأحرش، وأخيرا إنهيار الحكم العثماني بالبايلك على يد الفرنسيين وموقف الحكم المركزي.

أما الفصل الخامس: عُنون بـ: علاقة السلطة المركزية بالجزائر مع بايلك الغرب هو أيضا قسم بدوره إلى عنصريين هامين تحدثنا في العنصر الأول حول العلاقات الإقتصادية والإجتماعية والثقافية بين البايلك والسلطة المركزية تم الإشارة في هذا العنصر إلى كيفية الإستغلال الجبائي وإستنزاف ثروات البايلك من طرف الحكم المركزي، كما تعرضنا لرحلة الدنوش من بايلك الغرب إلى مقر الحكم المركزي، مع ذكر أهم الممرات والطرق التجارية بين البايلك والحكم المركزي، مع إبراز مواقف القبائل المحلية من الحكم المركزي، وختمنا هذا العنصر بالحديث عن علاقة مثقفي البايلك بما فيهم الشعراء من الحكم المركزي.

أما العنصر الثاني فخصص للحدث عن العلاقات السياسية والعسكرية بين البايلك والحكم المركزي، وفيه تحدثنا عن جهود السلطة المركزية في تثبيت الحكم العثماني في بايلك الغرب، مع التركيز على سياسة البايات تجاه القبائل المحلية، كما ذكرنا أهم دعائم السلطة العثمانية في مراقبة مجال البايلك، وفي إطار العلاقات العسكرية تحدثنا عن موقف السلطة من حدود بايلك الغرب مع المغرب الأقصى، كما تم عرض بعض النماذج عن ثورات البايلك ضد الحكم المركزي أمثال ثورة ابن الشريف الدرقاوي، وتمرد الباي محمد بن عثمان بوكابوس ضد السلطة، وختمنا هذا الفصل بموقف الحكم المركزي من الحملة الفرنسية على البايلك.

وختمنا هذه الدراسة بخاتمة تحمل جملة من الإستنتاجات ذكرنا فيها أهم النتائج التي توصلنا إليها من خلال تحليلنا لطبيعة علاقة الحكم المركزي مع البايلكات، كما عززت هذه الدراسة بملاحق مختلفة ومتعددة من وثائق أرشيفية وجداول وخرائط تخدم الموضوع وتُكمّله مع وضع قائمة للمصادر والمراجع المعتمدة باللغتين العربية والفرنسية.

## 6- التعريف بأهم المصادر والمراجع المعتمدة في الدراسة:

إعتمدنا في إنجازنا لهذه الدراسة على جملة من الوثائق الأرشيفية وحتى المصادر والمراجع العربية والأجنبية وكثيرا من المقالات المتخصصة سواء العربية أو الفرنسية، ولم نكتفِ بذلك بل إستعنا برسائل وأطروحات جامعية يمكن تقسيم هذه المصادر والمراجع إلى:

### (1)-المصادر العربية والأجنبية:

#### أ- المصادر العربية:

#### - الوثائق الأرشيفية:

تمثل الوثائق الأرشيفية المصدر الأساسي لكتابة التاريخ الجزائري خاصة الفترة العثمانية سواء تعلق الأمر بموضوع البايك أو بموضوعات أخرى يوجد بعض هذه الوثائق في مركز الأرشيف الوطني التونسي كتلك الوثائق التي هي عبارة عن مراسلات صادرة من قبائل بايلك الشرق لباي تونس تحتوي على معلومات جد قيمة فيما يتعلق بالجانب الثقافي، والبعض الآخر في الأرشيف الوطني بالجزائر العاصمة مثل سجلات البايك والتي أفادتنا كثيرا فيما يخص الأعراش والقبائل الموجودة بالبايلك، وكذا سجلات المحاكم الشرعية والبعض الآخر بأرشيف ولاية قسنطينة كتلك الوثيقة التي هي عبارة عن رسالة من السلطة إلى أعراش البايك، والتي أعطتنا صورة عن سياسة السلطة تجاه قبائل البايك حاولنا جمع ما تيسر لنا سواء من الوطن أو من خارجه من أجل إثراء هذه الدراسة.

#### - الكتب المطبوعة:

نذكر منها كتاب طلوع سعد السعود لإبن عودة المزاري، فقد مثل هذه المصدر الركيزة الأساسية للدراسة فهو مصدرا نفيس وقيم لما يحتويه على أدق التفاصيل حول القبائل وسياسية البايات في المقاطعات الإدارية حيث لا يمكن الإستغناء عنه في مثل هذه المواضيع فكانت الإستفادة منه تقريبا في معظم مراحل الدراسة.

وهناك مصدرا آخر "ألبير ديفولكس" ففي كتاب: « خطط مدينة الجزائر من خلال مخطوط ديفولكس والأرشفيف العثماني » ذكر فيه صاحبه معلومات وأوصاف قيمة فيما يتعلق بمقر الحكم المركزي، كما قدّم لنا أوصافا مفيدة عن الجانب الحضاري كالحصون والشوارع والقلاع، وقد عرض فصلا كاملا عن الجانب العسكري، فهو بحق مصدر قيم وهاما جداً.

أما المصدر الثالث هو لأحمد الشريف الزهار فيذكرته بمعلومات مفيدة حول وضعية البيالك، كما يطلعنا المصدر على الأوضاع الإقتصادية للبلاد.

وهناك مصدر آخر له وزنه العلمي وهو كتاب: "مجاعات قسنطينة" للصالح العنثري الذي صوّر لنا حجم المجاعة والقحط الذي ضرب بايلك الشرق زمن العثمانيين، مما يمكننا من رصد صورة واضحة عن دور السلطة العثمانية وموقفها من القضايا والمعانات التي يتعرض لها القبائل، كما قدم معلومات دقيقة فيما يتعلق بسعر الغلات والمنتجات الفلاحية، وبذلك يُعتبر من المصادر المحلية المفيدة.

### ب- المصادر الأجنبية:

وهي متعددة ومتنوعة وفي مقدمتها كتاب هايدوا « Haedo » عنوانه "طوبوغرافية تاريخ الجزائر العام" (Topographie et Histoire Générale d'Alger) الذي يمثل المرجعية في كتابة تاريخ الجزائر العثماني، ويُعد هذا المصدر هام كون أن مؤلفه كان سجيناً بالجزائر خلال 1578م-1581م، وما يزيد من أهمية أن صاحبه كان ملاحظاً للأحداث التي دونها وترك لنا وصفا وإنطبعا حول الإيالة.

أما المصدر الثاني والذي لا يقل أهمية على المصدر السابق هو كتاب "رحلة في ولاية الجزائر" ( Voyage dans La Régence d'Alger ) للرحالة توماس شو Thomas Shaw، ويتفق الجميع على قيمة هذا المصدر، وأهميته العلمية التي أنجزها في الجزائر مدة 12 سنة من 1720 إلى 1732م.

## (2) المراجع العربية والأجنبية:

### أ- المراجع العربية:

ما يمكن أن نسجل حول المراجع التي لها علاقة مباشرة بعلاقة السلطة بالباييك فهي قليلة جدا اللهم إذا إستثنينا بعض الدراسات التي تحتوي على إشارات مفيدة حول هذا الموضوع مثل كتاب: "الدولة الجزائرية الحديثة ومؤسساتها" وهو لصاحبته عائشة غطاس - رحمة الله عليها- ومجموعة من المؤلفين، أفادنا هذا المرجع كثيرا خاصة فيما يتعلق بالجانب الإداري والسياسي لمقر الحكم المركزي والبايلكات، لذا كانت إستفادتنا منه بشكلاً كبيراً.

بالإضافة إلى مرجع آخر عنوانه: "الإدارة العثمانية في الجزائر 1518-1830م للكاتب عبد السلام محمود السامرائي، فهو بحق مرجعا هاما لا يمكن لباحث في مثل هذه المواضيع أن يستغني عنه، نظرا لما يقدمه من معلومات ممتازة فيما يتعلق بحكومة الداوي، لكن ما يُسجل عليه أن المؤلف كان مختصرا جدا في تفسير الأحداث التاريخية مما يجعلنا أن لا نكتفى به من أجل تغطية موضوع هذه الدراسة.

وهناك مرجع آخر عنوانه "المجتمع الجزائري وفعالياته في العهد العثماني(1519-1830)" لأرزقي شويتام، ويعتبر مرجعا نفيسا لما يعرضه من مختلف نواحي الحياة الإجتماعية لقبايل الباييك خلال الفترة العثمانية، كما يحتوي على تقارير مفصلة حول وضعية الرعية وتفاعلهم مع السلطة المركزية.

### ب- المراجع الأجنبية:

نذكر منها كتاب دي غرامون « H.-D. de Grammont » عنوانه: (Histoire d'Alger 1515-1830) Sous la Domination Turque، حيث تعمق صاحب هذا الكتاب في دراسة تاريخ الجزائر في العهد العثماني، لكن ما يُعاب على دي غرامون « H.-D. de Grammont »

أنه اكتفى برواية هايدوا « Haedo » دون الرجوع والإستعانة بالدراسات المحلية مما يستدعى التدقيق والتحريص والوقوف موقف الحذر من هذا المرجع.

وهناك كتاب آخر لمولاي بالحميسي عنوانه: "Marine et Marins d'Alger 1518-1830" (1830)، البحر والبحرية الجزائرية 1518-1830م"، والذي يشتمل على ثلاثة أجزاء فيعد مرجعا مهما، لأنه يؤرخ لحقبة زمنية هامة، كما يحتوي على أدق التفاصيل، وفي هذا الكتاب صورة كاملة لحياة الإيالة.

### 3) المقالات العربية والأجنبية:

#### أ- المقالات العربية:

وعلى رأسها مقال بعنوان: "العلاقات الاجتماعية بين الرعية والسلطة في بايلك التيطري أواخر العهد العثماني من خلال الوثائق"، للأستاذة خديجة دوالي، يحتوي هذا المقال على معلومات دقيقة ومهمة استفدنا منها كثيرا فيما يتعلق بالعلاقة الاجتماعية بين الحكم المركزي والرعية في بايلك التيطري، وهناك مقال آخر بعنوان "من خصائص النظام الإداري في بايلك التيطري خلال العهد العثماني للأستاذ محمد سي يوسف، ويعد هذا المقال من المقالات المهمة في هذا الموضوع خاصة وأنه يُقدم لنا وصف ومعطيات تاريخية حول النظام الإداري في بايلك التيطري.

كما اعتمدنا على مقال لا يقل أهمية على المقالين السابقين للذكر وهو للأستاذ خروبي فتحة، عنوانه: بايلك الغرب الجزائري خلال العهد العثماني وتطوره فيما بين 1563-1792"، والذي استفدنا منه في الفصل الأخير، كما يوجد مقال بعنوان ملكية الأرض والمكوس ونمط التحصيل الضريبي في الجزائر خلال القرنين 17-18م"، للأستاذ محفوظ رموم، حيث أن هذا المقال استفدنا منه كثيرا في العلاقات الاقتصادية ذلك أنه يعطي إحصائيات ومعطيات خاصة فيما يتعلق بالضرائب ونمط تحصيلها.

## ب- المقالات الأجنبية:

وهي كثيرة وعديدة ومتنوعة ذلك أن المجلة الإفريقية ( La Revue Africaine ) نشرت الكثير عن تاريخ الجزائر خاصة الفترة العثمانية في جوانبها المختلفة، لذا فالقائمة تطول لعرض جميع المقالات التي تم الإعتماد عليها في هذه الدراسة، نذكر منها على سبيل المثل مقال بعنوان: "Notices Sur L'histoire et L'administration de Beylik de Titeri" حيث يحتوي هذا المقال على معلومات هامة فيما يتعلق بالمؤسسات والإدارة العثمانية، ويركز على بايلك التيطري لذا كانت الاستفادة منه كبيرة في الفصل الثالث، وهو للكاتب « (H) Federmann » قام بنشره في المجلة الإفريقية.

كما إعتمدنا على مقال: "طوبوغرافية الجزائر وتاريخها العام" "Topographie et Histoire Générale d'Alger"، للكاتب بربروجر « Berbrugger » يحاول هذا المقال تقديم طوبوغرافية مقر الحكم المركزي وتاريخه ومعالمه العمرانية وأوضاعه الإقتصادية، وهو عبارة عن رواية مروية من خلال شهادة الراهب الإسباني هايدوا « Haedo » وهذا ما يزيد من أهميتها وقيمتها العلمية، تم نشرها أيضا في المجلة الإفريقية، كما قدم لنا فيرو LCharles (Féraud) دراسات قيمة وهامة عن الشرق الجزائري وله مقال عنوانه "Notes Historiques Sur La Province de Constantine"، والذي أفادنا بشكل واضح في الفصل الرابع المتعلق بعلاقة السلطة المركزية مع بايلك الشرق، وفي هذا الإطار نذكر دراسة أخرى تحت عنوان "Le Royaume d'Alger Sous le Dernier Dey" للكاتب لويس رين « (L) Rinn » حاول الكاتب من خلال هذا المقال أن يرصد لنا أوضاع مقر الحكم المركزي نهاية الحكم العثماني.

## 4) الأطروحات والرسائل الجامعية:

نذكر منها على سبيل المثل لا الحصر أطروحة دكتوراه لمحمد الحبيب العزيزي، تحت عنوان: "ظاهرة الحكم المتجول في بلاد المغرب العربي الحديث المحلة التونسية

أنموذجاً، والتي تقدم معطيات هامة خاصة فيما يتعلق بأجهزة الحكم المركزي البايك، ومذكرة بعنوان بايك التيطري من خلال الأرشيف العثماني المحلي 1662-1830م، وهي عبارة عن رسالة ماجستير للطلبة فائزة بوشية، تقدم هذه المذكرة معطيات هامة حول علاقة بايك التيطري بالحكم المركزي، خاصة وأنها دراسة أرشيفية، ومذكرة للطلبة إبراهيم بن الزاهد، حول موضوع "العلاقات بين المجتمعات الواحية في الجنوب الغربي التونسي والجنوب الشرقي الجزائري خلال القرن 19م، جامعة منوبة، تونس، تحتوي هذه المذكرة على بعض المعلومات فيما يتعلق بالعلاقة الاقتصادية للأيلة الجزائرية بالجهة الشرقية.

## 7- أهم صعوبات الدراسة:

كأي بحث علمي لا يخلو من صعوبات ومشاكل، فالصعوبات التي واجهتنا أثناء إنجازنا لهذا العمل هي:

✓ صعوبة الحصول والإستفادة بشكل كبير من الوثائق الأرشيفية خاصة من الأرشيف الوطني الجزائري، مع قلة الدراسات التي تتعلق بموضوعاتها بعلاقة السلطة المركزية مع البايك.

✓ إتساع نطاق موضوع هذه الدراسة زمنياً وجغرافياً مما يجعل الإلمام بكل تفاصيل وحيثيات هذه الدراسة بشكل مفصل، أو حصرها في موضوعاً واحداً أمراً صعباً إن لم يكن مستحيلاً.

✓ هيمنة المدرسة الإستعمارية على الدراسات التي تناولت بالخصوص مثل هذه الموضوعات، وهو ما يجعل الباحث في إشكالية التخلص من وجهة نظر تلك الدراسات وتبني نظرة علمية أكاديمية، ومن هنا إعتبرنا أن هذه الأطروحة لا تشكل إلا مقدمات لدراسة علاقات السلطة العثمانية بالرعية، آمليين أن تأتي دراسات أخرى أكثر دقة وتعمقاً وتفصيلاً.



# مدخل

## قيام الحكم المركزي العثماني في الجزائر ودوره في توحيد البلاد

أولاً: ظروف تأسيس الأيالة وقيام الحكم المركزي بالجزائر

ثانياً: موقف القوى المحلية من تأسيس الحكم المركزي "سالم التومي أنموذجاً"

ثالثاً: نتائج وإنعكاسات قيام الحكم المركزي العثماني في الجزائر

تميزت أوضاع مدينة الجزائر قبل قيام الحكم المركزي العثماني بالضعف السياسي والتقهر الاقتصادي والاجتماعي، ذلك أن السلطة الزيانية التي كانت تسيطر نظريا على القسم الغربي من الجزائر لحقتها اضطرابات سياسية أدت إلى ضعفها وتقهر نفوذها، وهو ما سمح بانفصال القبائل عن السلطة، وإقامة كيانات سياسية مستقلة، هذا علاوة على التهديد الخارجي للبلاد، ومن هنا وفي ظل هذه الأوضاع كيف أستطاع العثمانيون تأسيس حكم مركزي لهم في الجزائر؟ وماهي إنعكاساته على المستوى المحلي والإقليمي؟

### أولا: ظروف تأسيس الأيالة وقيام الحكم المركزي بالجزائر

قبل الحديث عن الحكم المركزي العثماني في الجزائر والوضع العام للبايليات<sup>1</sup> وإطارها الجغرافي والتاريخي رأينا من الضروري أن نشير في بداية المرحلة الأولى إلى الأوضاع العامة لمنطقة المغرب العربي قبل مجيء الحكام العثمانيين للمنطقة، ذلك أن المغرب العربي في النصف الثاني من القرن 15م كان منقسما إلى دويلات صغيرة بني زيان بتلمسان، وبني مرين في المغرب الأقصى ونجد الحفصيون بتونس، كانت هذه الدويلات تعيش حالة من الفوضى والضعف<sup>2</sup>، والإضطرابات بسبب ما كان بينها من التطاحن والتخاذل مع تزاخم قاداتها وتنافسهم على الزعامة والرئاسة.

إنَّ هذا التشرذم والانقسامات جعلت المغرب العربي يدخل في مرحلة النزاعات والانقسامات، وتجسد التطاحن الإقليمي في رغبة كل دولة من هذه الدويلات السيطرة على

<sup>(1)</sup> - البايك: في الأساس هو السلطة والإقليم السياسي في نفس الوقت الذي تمارس عليه سلطة الباي، وهو وحدة حكم جهوي تابعة لدار السلطان إذ سلطة الباي هي سلطة إقليمية للأيالة تكون فيها دار الإمارة التي يقطن بها الباي المركزي الجهوي، بينما يقطن البيلاي دار السلطان، وهي مركز الحكم بالنسبة لأيالة الجزائر. ينظر: كمال فيلاي، " البايك نظام حكم في الجزائر العثمانية" مجلة الهجرة والرحلة، عدد خاص، مخبر الأبحاث والدراسات السوسيو تاريخية، جامعة قسنطينة 2، أبريل 2014، ص 18.

<sup>(2)</sup> - أحمد بن محمد بن علي الراشدي، الثغر الجماني في ابتسام الثغر الوهراني، تح: المهدي البوعبدلي، وزارة التعليم الأصلي، الجزائر، 1973، ص 43.

المغرب العربي بأكمله الشيء الذي أدى إلى اصطدام بعضها ببعض، وقد كانت هذه الحروب استنزافا واضح لثروات البلاد وجهودا ضائعة<sup>1</sup>.

فالعائلة الحفصية إستمرت في الحكم إلى غاية القرن 16م، أما في المغرب الأقصى فقد ظهرت فيه إتحادية من القبائل تحت ملوك يسمون بنو مرين الذين انتصروا على حكام الموحدين في منتصف القرن الثالث، أما في تلمسان نجد الأسرة الزيانية التي امتدت من الجهة الشرقية إلى قسنطينة وحدود المملكة الحفصية، غير أن الزيانيون كانوا في وضع غير مستقر ومعرض دائما للخطر، لأن أراضيهم كانت تسيل لعاب جيرانهم الأقوياء من الشرق والغرب، فالمرينيون هاجموا تلمسان، بينما احتل الحفصيون قسنطينة في الجزء الشرقي من المملكة<sup>2</sup>، وقد سنحت هذه الأوضاع أن أشدت تدمر الأسبان والبرتغال وجمهورية البندقية، وجنوة الإيطاليين فحمل كل منهما على بلاد المغرب بالاعتداء عليه وغزوه<sup>3</sup>، وكان من نتائج هذه الحروب المستمرة أن عمت الفوضى، وأصبح عزز ملوك بني عبد الوادي واضحا عن فرض سيطرتهم على المغرب الأوسط بأكمله، بل عجزوا عن فرض وجودهم في الناحية الغربية إلا بعسر.

هكذا يعطينا بلاد المغرب العربي مطلع القرن 16م صورة انحطاط سياسي وعسكري، وتدهور إقتصادي، فالعائلة الحفصية كانت ما تزال حاكمة في الشرق ولكنها كانت ضعيفة غير قادرة على السيطرة، وفي الغرب مازال دول المغرب الأقصى تتمتع ببعض القوى السياسية والعسكرية أهمها تلك التي تمركزت في فاس، أما المغرب الأوسط فكان شبه دون حكومة أو سلطة، كان عبارة عن مستنقع سياسي من مدن صغيرة وقوى مستقلة من قبائل

(1) - عائشة غطاس وأخريات، الدولة الجزائرية الحديثة ومؤسساتها، ط خ، المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954، الجزائر، 2007، ص 11.

(2) - جون ب وولف، الجزائر وأوروبا 1500-1830م، تر: أبو القاسم سعد الله، ط خ، عالم المعرفة، الجزائر، 2009، ص 23.

(3) - عبد الرحمان بن محمد الجيلالي، تاريخ الجزائر العام، ج 3، شركة الأمة، الجزائر، 2010، ص 14.

بدوية<sup>1</sup>، كان هذا الانقسام السياسي جلياً وواضحاً فكانت المدن والقرى تشكل وحدات أو دول مستقلة، كما نجد بعض أمراء وزعماء القبائل يتمتعون باستقلالية خاصة في المدن الساحلية منها مثل وهران وشرشال والجزائر والتنس ودلس وبجاية... إلخ، فنجد على سبيل المثال أن وهران كانت خارجة عن سلطة تلمسان قبل الإحتلال الإسباني، كما تمتعت بجاية بالشراء نتيجة العوائد التجارية<sup>2</sup>.

أما القسم الأوسط من الجزائر فكانت مدنه الساحلية شبه مستقلة، فمنطقة الونشريس سكنتها قبائل غير خاضعة لسلطة مملكة تلمسان الزيانية<sup>3</sup>، وبخصوص منطقة القبائل كانت بها قبائل متنافسة، وعلى العموم يمكن القول أن المنطقة الوسطى كانت تتميز بتمزق سياسي، وهي السمة العامة التي تميزت بها المنطقة<sup>4</sup>.

هذا ما أدى إلى انقسام البلاد إلى مجموعة من الإمارات والمشيكات والقبائل المستقلة، فهناك مشيخة الجزائر التي تنصهرها قبيلة الثعالبة وإمارة كوكو التي تشمل القسم الغربي من جبال القبائل الكبرى، وأما القسم الشرقي من بلاد القبائل وعاصمته قلعة بني عباس فقد كان تابعا للأمير عبد العزيز<sup>5</sup> الحفصي، ومن ثمة فإن حكم ملوك بني زيان قد اقتصر على تلمسان وضواحيها فقط<sup>6</sup>.

<sup>(1)</sup> - جون ب وولف، المرجع السابق، ص ص 23-24.

<sup>(2)</sup> - Fernand(Braudel), " Les Espagnols et L'Afrique de Nord de 1492 a 1877 ", **R.Af**, n°69, Alger, 1928, p213.

<sup>(3)</sup> - ibid, p 215.

<sup>(4)</sup> - عبد القادر فكايير، الغزو الإسباني للسواحل الجزائرية وآثاره 1505 - 1792م، دار هومة، الجزائر، 2012م، ص 45.

<sup>(5)</sup> - أمير بني عباس من المغامرين الطموحين إلى تكوين مملكة تكون بجاية عاصمة لها إلا أنه وجد نفسه مطوقا ما بين الأتراك العثمانيون غربا وأمير كوكو من الناحية الشرقية، فكان طموحه أكبر من قدراته، فخرس نفسه في معاركه ضد العثمانيون، هو وأخوه الفضيل في عهد الصالح رايس وأخذت رأسه إلى الجزائر، ولم يتمكن أخوه من بعده أن يصمد في وجه العثمانيون، فقد استرضوه بمنحه جزء من إقليم الزيبان حفاظا على وحدة التراب الجزائري. ينظر: أسماء ابلالي، "ردود الفعل المحلية الجزائرية على قيام سلطة للأتراك العثمانيين في الجزائر"، **المجلة التاريخية العربية للدراسات العثمانية**، ع 55-56، مؤسسة التميمي للبحث العلمي والمعلومات، تونس، ديسمبر 2017م، ص ص 221-222.

<sup>(6)</sup> - عائشة غطاس وأخريات، الدولة الجزائرية.....، المرجع السابق، ص ص 11-12.

كانت النتيجة الحتمية لهذا الوضع هو احتلال الإسبان لمواقعها ومراكزها الإستراتيجية خاصة بعد توحيد إسبانيا المسيحية، بعد الزواج السياسي الذي تم بين "فرديناند" "Ferdinand" ملك أراغونة، وبين "إيزابيلا" "isabelle" وارثة عرش قشتالة عام 1469م، وهو الأمر الذي سمح للأسبان بتركيز جهودهم في محاربة المسلمين بالأندلس وإخراجهم من آخر معقل وهو غرناطة في 2 جانفي 1492م، فكان من الطبيعي بعد انتهاء حرب الاسترداد أن توجه أسبانيا أنظارها صوب منطقة بلاد المغرب العربي التي تعيش انحطاط وضعف<sup>1</sup>، محتلين بذلك المناطق الحيوية (1505-1512م) كوهان ومرساها الكبير، وبجاية وجيجل ومستغانم وتيس وديس، واستكملوا بذلك الاستيلاء على ساحل أفريقيا الشمالية، وانتهت هذه الحملات بأسر أعداد هائلة من سكان المنطقة منتهكين بذلك حرمة أهالي هذه الثغور الإسلامية غير مبالين بمقدساتهم الدينية مندفعين بسوء نية وراء حروبهم الصليبية وأعمالهم الاستعمارية<sup>2</sup>.

أخذت هذه الحروب والتحرشات صبغة دينية نظرا للدور البالغ والمساهمة العظيمة للكنيسة في ذلك فالبابا "ألكسندر السادس" "Alexandre VI" (1492-1503م) أصدر أمرا يقضي بدفع الضريبة الصليبية لتمويل الحرب ضد المسلمين، أما الملكة "إيزابيلا" "isabelle" التي أدت دورا أساسيا في تحطيم بلاد الأندلس فقد نادى بضرورة مواصلة الحرب ضد المسلمين، حيث تركت قبل وفاتها وصية في هذا الشأن مفادها: "عليكم بفتح إفريقيا وعدم الكف عن القتال في سبيل الدين ضد الكفار"، ومن الذرائع التي ذكرها المؤرخون الغربيون ذريعة محاربة نشاط البحارة المسلمين خاصة بعد التحاق عددا كبيرا من المهاجرين الأندلسيين الذين كانت لديهم دراية ومعرفة جيدة بالشواطئ الأسبانية<sup>3</sup>.

(1) - عائشة غطاس وأخريات، الدولة الجزائرية.....، المرجع السابق، ص 13.

(2) - Ouvrage (Collectif), L'Algérie Histoire Société et Culture, Sous La Coordination de: Hassan Remaoun, Alger, Casbah Editions, 2000, p26.

(3) - عائشة غطاس وأخريات، الدولة الجزائرية.....، المرجع السابق، ص 14.

في خضم هذه الأحداث المؤلمة والظروف السوداء ظهر الأخوان "عروج" و"خير الدين"<sup>1</sup> اللذان كان لهما دورا هاما في إلحاق هذا القطر بالخلافة العثمانية، رغبة منهم في توحيد البلاد والقضاء على الخطر الأسباني، وقد استقبل "عروج" كمنقذ عندما طلب منه السكان المحليين وزعيمهم "سليم التومي" 1516م<sup>2</sup> أن يعمل للقضاء على قلعة الأسبان بالجزائر البينون (Penon)<sup>3</sup> الذين كانوا يهددون السكان المحليين، وقد استغل "عروج" هذه المناسبة ليصبح سيد المنطقة وينادي به سلطان البلاد، فاستولى على مليانة ومدينة تنس وتلمسان، وقد كلف أخاه "خير الدين" بإدارة كل شرق البلاد متخذا دلس مقرا لإقامته وعاصمته للشرق<sup>4</sup>.

أدرك "خير الدين" ضعف موقفه السياسي في البلاد، الشيء الذي دفعه إلى الاستتجاد بالسلطان العثماني خاصة مع محدودية إمكاناته العسكرية مقارنة مع إمكانات العسكرية الهائلة التي يملكها الأسبان، والتي جعلت منهم دولة قادرة على خوض العديد من الحروب في أسبانيا وشمال إفريقيا ضد المسلمين، فضلا عن تقديم مختلف أشكال الدعم من النمسا للتصدي لحملات العثمانيين في شرق أوروبا.

(1) - هما أخوان من إحدى جزر أرخبيل اليونان (مدبلي)، أو ميتيلان ليسبوس، ولد "عروج" حوالي 1473م أو 1464م، وأخوه "خير الدين" بعده من أب يسمى "يعقوب بن يوسف" للمزيد ينظر: عبد الرحمان بن محمد الجيلالي، تاريخ الجزائر ....، المرجع السابق، ص 34.

(2) - ذكر صاحب كتاب "وصف إفريقيا" أن "سالم التومي" يعود إلى قبيلة ثعلبة استولى على الحكم بالجزائر في وقت احتل فيه الأسبان بجاية سنة 1510م واستقر بها عدت سنوات. للمزيد حول هذه الشخصية ينظر: الحسن الوزان، وصف إفريقيا، ج2، ط1، تر: محمد حجي - محمد الأخضر، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1983، ص 39.

(3) - إسم القلعة التي أنشأها "بيدرو دونافار" الأسباني سنة 1510م فوق وسطى الصخور أو أقل الجزر العظيمة الواقعة بثغر مدينة الجزائر، ومعنى "البينون" الصخرة العظيمة، وهي الصخرة المسماة سطفلة وشحنها بالجيوش والسلاح الثقيل، ذلك لفرض رقابة الأسبان على المدينة وتفتيش الصادرات والواردات فكان هذا الحصن شوكة في ظهر الجزائريين. راجع: عبد الرحمان بن محمد الجيلالي، تاريخ الجزائر ....، المرجع السابق، ص ص 50-51.

(4) - عبد الجليل التميمي، "أول رسالة من أهالي مدينة الجزائر إلى السلطان سليم الأول سنة 1519"، المجلة التاريخية المغربية، ع 6، مطبعة الإتحاد العام التونسي للشغل، تونس، جويلية 1979، ص 117.

إن معرفة "خير الدين" لموازن القوى في الصراع الإسلامي-المسيحي جعلته يرجح ضم جهده إلى أقوى دولة إسلامية في ذلك الزمن فهي وحدها التي كانت قادرة لقبول ضم الجزائر إلى ممتلكاتها<sup>1</sup>.

والجدير بالذكر أن "خير الدين" كان يتمتع بسمعة طيبة لدى السكان المحليين، كما أظهر مزيدا من الشجاعة والجدية<sup>2</sup>، ومن الأسباب التي جعلته يسعى للانضمام إلى الدولة العثمانية تخوفه من الزعامات المحلية في الجزائر سواء كانوا أمراء أو شيوخ قبائل أو أعيان، فكان يدرك مدى استعداد هؤلاء الزعماء للثورة والتمرد عند أول فرصة تتاح لهم، كما أدرك مدى قدرتهم على تهيج العامة ضد الأتراك العثمانيون مستعملين سلاح الترغيب تارة والترهيب تارة أخرى، وعلى هذا فإن سعي "خير الدين" لجعل الجزائر إيالة عثمانية إنما كان يرمي للبحث عن صمام أمان في وجه أي حركة تمرد أو غدر يمكن أن تقوم ضده أثناء انشغاله بأعداء الخارج<sup>3</sup>.

لقد حرص "خير الدين" على تعزيز مراكز الدفاع وتنظيم البلاد وتوحيدها، فقام بعض زعماء مدينة الجزائر بالتوسل له بالبقاء في الجزائر خوفا من مجابهة الأعداء<sup>4</sup> وهذا على خلاف ما ذكرته بعض المصادر على أن "خير الدين" قد وجه أربع سفن محملة بالهدايا وعددا من الأسرى، وأربعين شخصا تحت إشراف أربع قواد بحرية<sup>5</sup>.

ومن العوامل التي جعلت "خير الدين" ينضم للدولة العثمانية أيضا هو عدم وجود قوة إقليمية في منطقة المغرب العربي يمكن التحالف معها أو الانضمام إليها لمواجهة الخطر

(1) - محمد دراج، "تأسيس إيالة الجزائر"، مجلة عصور، ع16، مخبر البحث التاريخي مصادر وتراجم، وهران، ديسمبر 2011، ص 47.

(2) - عبد الجليل التميمي، دراسات ووثائق في التاريخ المغاربي في العصر الحديث، مؤسسة التميمي للبحث العلمي، تونس 1999، ص ص 100-101.

(3) - محمد دراج، المرجع السابق، ص ص 47-48.

(4) - عبد الجليل التميمي، "أول رسالة من أهالي....."، المرجع السابق، ص 118.

(5) - \_\_\_\_\_، دراسات ووثائق في.....، المرجع السابق، ص 102.

الأسباني فالمغرب كان يعيش أزمات داخلية، أما تونس ففيها سلطة ضعيفة بحيث باتت عاجزة عن فرض سلطتها على المناطق التابعة لها<sup>1</sup>.

إن اختيار "خير الدين" كان حكيماً، فقد أراد أن يدلل السلطان عن طريق أعيان البلاد أنهم متعلقين بسدة الباب العالي<sup>2</sup> وربط البلاد بالإمبراطورية العثمانية، وليس ذلك رغبة شخصية من "خير الدين" فقط، ونتيجة لجهود هذه السفارة سارع السلطان "سليم الأول"<sup>3</sup> بإرسال رتبة البيلرباي<sup>4</sup> إلى "خير الدين"، وبذلك فإن الهدف الذي خطه "خير الدين" قد تحقق<sup>5</sup>.

تمكن العثمانيون من دخول منطقة دلس بين سنتي 1517-1518م<sup>6</sup>، أما المدينة فقد تمكن "عروج" الدخول لها سنة 1517م حيث بعث بقائده "حماد بن عبيد" وتم فتحها، وإلحاقها بإيالة الجزائر، وترك فيها حامية مكونة من الأتراك العثمانيون وجنود انكشارية وبعض الفرسان الأندلسيون الذين قدموا حديثاً من أسبانيا<sup>7</sup>.

(1) - محمد دراج، المرجع السابق، ص 48.

(2) - مقر رئيس الوزراء أو مقر الحكم في الدولة العثمانية، وقد أنشأه السلطان "محمد الرابع" سنة 1654م، وأطلق فيما بعد إسم المكان على ساكنه وهو يعني الوزير الأعظم، وكان للباب العالي أهمية كبيرة في القرن 19م وعلى وجه الخصوص في عهد السلطان "عبد العزيز" (1861-1876م) والسلطان "عبد الحميد الثاني" (1876-1909م). راجع: سهيل صابان، المعجم الموسوعي للمصطلحات العثمانية التاريخية، مكتبة الملك فهد الوطنية، الرياض، 2000، ص 49.

(3) - سليم الأول (1467 - 1520م): "بن بايزيد الثاني" تاسع سلاطين الدولة العثمانية ولد بإسطنبول، كان والياً على سنجق طرابزون في أواخر عهد أبيه، تنازل له والده عن السلطة مكرهاً سنة 1512م، وطغت شهرته عندما أوقف محاولات الصفويين لضم العراق، وانتصر عليهم في معركة تشالديران 1514م، ودخلت جيوشه على إثرها عاصمتهم تبريز، وقضى على دولة المماليك في الشام ومصر وضم إليه الحجاز. ينظر: أحمد مهدي الشويخات، الموسوعة العربية العالمية، الألكترونية، 2004.

(4) - بايلر باي (بيكركي): وتعني أمير أمراء وهي الرتبة الثانية من رتب الباشوية، وتلفظ "بيلربي" لأن الكاف في الفارسية ياء. ينظر: محمود عامر، المرجع السابق، ص 371.

(5) - عبد الجليل التميمي، دراسات ووثائق في.....، المرجع السابق، ص 102.

(6) - Robin (N), « Note Sur L'organisation Militaire et Administrative des Turcs », **R.Af**, n°17, Alger, 1873, p133.

(7) - Federmann (H), « Notices Sur L'histoire et L'administration de Beylik de Titeri », **R.Af**, n°9, Alger, 1865, p280.



ما بين 1505-1518م أنصبت جهود الأخوان على محاربة الأسبان في المدن التي كانوا يحتلونها، وكان ميناء جيجل هو المنطلق الذي اتخذته الأخوان لتحرير مدينة الجزائر التي كانت تحت قبضة ديقودو فيرا « Diego de Vera » سنة 1516م، دامت محاولة "عروج" لفتح المدينة سنتين، لكن بعد رجوعه تم قتله على الحدود المغربية من قبل الأسبان<sup>1</sup> على يد قائد إسباني يدعى مارتن داقوت « Martn Dakot » في سنة 1518م<sup>2</sup>، ومن هذه القواعد كان الأسبان يهددون بلاد المغرب كله، تلك هي كانت الظروف التي دفعت الأتراك العثمانيون انضمام هذا القطر للخلافة الإسلامية من أجل قيام حكم مركزي بالجزائر الغرض منه توحيد البلاد والدفاع عن الإسلام، ومواجهة التهديدات الإسبانية التي كانت تؤرق السكان المحليين<sup>3</sup>.

<sup>1</sup> - Ernest (Watbled), « Pachas- Pachas-Deys », **R.Af**, n°17, Alger, 1873, p 439.

<sup>2</sup> - Federmann (H), « Notices Sur L’histoire..... », op.cit, p 280.

<sup>3</sup> - Watbled (E), « Pachas... », op.cit, p 439.

## ثانيا: موقف القوى المحلية من تأسيس الحكم المركزي "سالم التومي أنموذجا"

كانت أولى المواقف وردود الفعل على قيام حكم العثمانيون بالجزائر جاءت من أصحاب المصالح السياسية والاقتصادية من الأمراء والقياد الذين شعرو بفقدان لامتيازاتهم، ولم يكن العلماء ورجال الدين والعامّة هم الذين نفروا من الحكم العثماني، بل على العكس فتحالف العثمانيون مع هؤلاء أضر بأصحاب المصالح مما أدى إلى انتفاضة العديد منهم بداية تأسيس الحكم المركزي<sup>1</sup>.

بعد أن حقق "عروج" و"خير الدين" انتصارات باهرة كما ذكرنا سابقا في منطقة جيجل وتحريرها من الجنويين سنة 1514م<sup>2</sup> استتجد به أعيان مدينة الجزائر وعلى رأسهم "سالم التومي" أمير قبيلة الثعالبة، وطلب منه باسم سكان مدينة الجزائر أن يخلصهم من التواجد الأسباني الذين يتحصنون في حصن الصخرة منذ سنة 1510م، و بالفعل فإن "عروج" لبي الدعوة فقدم إلى الجزائر سنة 1516م واستقبل استقبال الأبطال من طرف السكان المحليين وياشر بنفسه سلطة أعمال المدينة فتحوّلت بذلك خزينة المدينة لدفع أجور الأتراك العثمانيين، وكلف رؤساء القبائل والضباط العثمانيين بمهام الجمركة والإشراف على الأسواق<sup>3</sup>.

أمام هذا التحرك والنجاح الباهر للسلطة العثمانية شعر "سالم التومي" بفقدانه لنفوذه وسلطته على المدينة فأصبح يفكر في استعادة نفوذه من جديد خاصة بعد فشل "عروج" في استرجاع قلعة البينون، وبدأت المؤامرات تحاك ضده إذ انسحب "سالم التومي" إلى قبيلته في متيجة أين تحالف مع المعارضين للسلطة العثمانية، إلا أن "عروج" أستطاع أن يجهض هذه المؤامرة في مهدها حيث قام بإرجاع "سالم التومي" إلى الحكم مظهرا له الولاء ثم أمر

(1) - أسماء ابلاي، "ردود الفعل المحلية ....."، المرجع السابق، ص 207.

(2) - علي خنوف، تاريخ منطقة جيجل قديما وحديثا، ط1، منشورات الأونيس، الجزائر، 2011، ص 61.

(3) - وليم سبنسر، الجزائر في عهد رياس البحر، تر: عبد القادر زبادية، الشركة الوطنية للنشر، الجزائر، 1980، ص 26.

بخنقه إذ وجد "سالم التومي" مقتولا داخل الحمام في قصره بالجنينة<sup>1</sup> في سبتمبر سنة 1516م<sup>2</sup>، غير أن "أحمد توفيق المدني" في كتابه: حرب الثلاثمائة سنة بين الجزائر وأسبانيا 1492-1792م ذكر بأن "عروج" قتل "سالم التومي" بنفسه ثم روج له بأنه أختنق في حمامه، ونحن هنا نغلب النزعة الأولى لأنه من المستبعد أن "عروج" بقوته السياسية أن يجراً بنفسه على هذا العمل، وإلا انقلبت نظرة السكان والأعيان ضده، وعندها أعلن نفسه حاكما على مدينة الجزائر رافعا بذلك رايته الحاملة للألوان الثلاث الأصفر والأخضر والأحمر، مع سك النقود التي تحمل شعاره<sup>3</sup>.

في هذه الأثناء أتجه "يحي بن سالم التومي" بعد مقتل أبيه إلى وهران مستجدا بالأسبان الذين أقلقهم بدورهم استقرار "عروج" بمدينة الجزائر فجهزوا له حملة بقيادة "دييغو ديفيرا" في سبتمبر سنة 1516م هدفها الظاهري هو إعادة "يحي ابن سالم التومي" إلى عرش أبيه المقتول، أما هدفها الخفي هو القضاء على الوجود العثماني بالجزائر، وكانت هذه الحملة فرصة سانحة لكل الناقمين على الوجود العثماني إلا أن "عروج" استطاع القضاء على هذه الحملة الأسبانية.

لم يقف الأمر عند هذا الحد بل واجه "عروج" تحديا وتمردا التجار وكبار البورجوازية في مدينة الجزائر الذين اعتبروا بأن العثمانيين غرباء في شوارع مدينتهم يشكلون خطرا على نساءهم وبضائعهم<sup>4</sup>.

(1) - هي عبارة عن بنايات كبيرة تقع في دار السلطان تحتوي على ساحتين إحداها أصغر من الأخرى وتتوسطهما بركة مربعة الشكل وعين كبيرة للماء، كان بايربايات الجزائر يقيمون فيها إلى غاية 1818م. ينظر: شارل أندري جوليان، تاريخ إفريقيا الشمالية - تونس - الجزائر - المغرب الأقصى من الفتح الإسلامي إلى سنة 1830م، ج2، ط3، تر: محمد مزالي - البشير بن سلامة، دار التونسية للنشر، تونس، 1978، ص ص 340-341.

(2) - أسماء ابلالي، "ردود الفعل المحلية...."، المرجع السابق، ص 208.

(3) - أحمد توفيق المدني، حرب الثلاثمائة سنة بين الجزائر وأسبانيا 1492-1792م، ط 1، دار البصائر للنشر، الجزائر، 2007، ص 175.

(4) - وليم سبنسر، الجزائر في عهد رياس...، المصدر السابق، ص 33.

إن هؤلاء التجار لم يهدأ لهم بال حيث أن بعضهم قام بمهاجمة رجال "عروج" المتواجدين داخل المدينة إلا أن "عروج" استطاع أن يقضي على هذه المؤامرة بإغلاق أبواب الجامع على المتآمرين من الأعيان والأشراف في وقت صلاة الجمعة فقتل 22 من أغنيائهم، وخضع له سكان مدينة الجزائر.

والواقع أن "عروج" قام بالقضاء على هذه المؤامرات لأنها كانت تهدف إلى زعزعة حكمه في الوقت الذي كان يعد العدة لمواجهة الأسبان لذا كان عليه أن يجعل الجبهة الداخلية ساكنة للتفرغ للجبهة الخارجية، ولأنه كان يدرك في محاولته لتأسيس حكم مركزي قوي متين الأسس سوف يؤدي إلى شعور أصحاب المصالح من وضع حدا لنفوذهم وبالتالي سيستجدون بالأسبان ضده<sup>1</sup>.

تمكن "عروج" من القضاء على "سالم التومي" وكبار التجار الخارجين عن طاعته بصرف النظر عن كيفية القضاء عليهم، والواقع أن "سالم التومي" من الأمراء المحليين في مدينة الجزائر آنذاك لم يستطيع مجابهة الخطر الأسباني ولا الوقوف بجانب العثمانيين<sup>2</sup>.

(1) - أسماء إبلالي، "ردود الفعل المحلية الجزائرية....."، المرجع السابق، ص 208.

(2) - أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي.....، ج1، ص 134.

### ثالثا: نتائج وانعكاسات قيام الحكم المركزي العثماني في الجزائر

لقد حقق انضمام الجزائر إلى الدولة العثمانية عدة مكاسب سياسية وعسكرية أهمها توسع ممتلكات الدولة العثمانية دون أن تتحمل أيه تبعات عسكرية أو مالية كبيرة، كما جعلت الدولة العثمانية من الجزائر إيالة ذات وضع خاص، ذلك لأن طبيعة موقعها الجغرافي وظروفها حولتها إلى قاعدة للوجود العثماني في غرب البحر المتوسط، فصارت تبعا لذلك مسئولة عن إدارة شؤون الحكم بتونس في المرحلة الأولى من الوجود العثماني<sup>1</sup>. إن هذه الخطوة الجريئة من قبل الدولة العثمانية أقلقّت الأسبان مما ولد لهم رغبة شديدة في الحد من التوسع العثماني خاصة بعد استيلائهم على تلمسان، فبعد مصرع "أبا زيان"<sup>2</sup> أعاد الأسبان دعم الملك المخلوع "أبو حمو الثالث"<sup>3</sup>، وواصل زحفه على تلمسان التي ضرب عليها حصار شديد، وعاد الأسبان إلى وهران بعد أن نصبوا "أبو حمو الثالث" على عرش تلمسان مرة أخرى<sup>4</sup>.

كان من آثار تأسيس الحكم المركزي العثماني في الجزائر أن سادت موجة عامة من الرعب في أوروبا خصوصا في أسبانيا مما يعني بالنسبة لها وصول الخطر العثماني ليس لتهديد قواعدها العسكرية المتناثرة في شمال إفريقيا فحسب، بل يتعدى ذلك إلى تهديد وجودها في الأندلس التي مازال هاجس إعادة فتحها من طرف العثمانيين يلوح لهم في كل

(1) - محمد دراج، المرجع السابق، ص 48.

(2) - أول حكام الدولة الزيانية إسمه الكامل "يغمراسن ابن زيان بن ثابت" أستطاع أن يقيم دولته في تلمسان سنة 1235م، للمزيد ينظر: شوقي عطا الله الجمل، المغرب العربي الكبير في العصر الحديث (ليبيا- تونس- الجزائر- المغرب)، ط1، مكتبة الأنجلوا المصرية، القاهرة، 1977، ص 33.

(3) - كان "أبو حمو الثالث الزياني" (1517-118م) من بين الزعماء المحليين الذين عارضوا التواجد العثماني بالمغرب الأوسط، أشتبك مع "عروج" في معركة، حيث بلغت قواته ثلاثة آلاف رجل وستة آلاف فارس عند سهل إريال ودارت بينهما معركة أنهزم فيها "أبي حمو الثالث" الذي فر إلى فاس وتشتت جنده، في حين تمكن "عروج" من دخول تلمسان عاصمة بني زيان سنة 1517م. للمزيد ينظر: أسماء ابلالي، "ردود الفعل المحلية الجزائرية....."، المرجع السابق، ص 210-211.

(4) - سفيان صغيري، العلاقات الجزائرية العثمانية خلال عهد الدايات في الجزائر 1671-1830م، مذكرة ماجستير، كلية العلوم الانسانية والإجتماعية، جامعة الحاج لخضر، باتنة، 2011-2012م، ص 20-21.

حملة يقوم بها الغزاة، بل وتؤكد هذا الرعب حينما عزم السلطان "سليمان القانوني"<sup>1</sup> على فتح روما بعد استيلائه على مملكة نابولي<sup>2</sup>.

منح "خير الدين" بعد لقائه بالصدر الأعظم<sup>3</sup> "إبراهيم باشا" في حلب لقب بايرباي وهو أرفع المناصب السياسية في الدولة العثمانية والذي كان بمثابة نائب السلطان على تلك المناطق، لقد كان هذا المنصب يخوله مسؤوليات إدارية واسعة وتجعل منه قائدا عاما للجيش وممثلا للسلطان في إقليمه.

إنَّ الأحداث التي كانت تعيشها هذه المنطقة الحساسة من غرب المتوسط تتطلب شخصية قوية ذات صلاحيات كبيرة تمكنه من إصدار القرارات الحاسمة والعاجلة في مجال الصراع المسلح مع أسبانيا، وقد تفهمت الدولة العثمانية هذه الظروف، وتعاملت معها بمرونة كبيرة، كما هي سياستها مع جميع الإيالات التابعة لها.

<sup>(1)</sup> - سليمان القانوني (1492 أو 1494 - 1566م): أعظم سلاطين الدولة العثمانية بلغت الدولة في عهده أوج قوتها خلف والده سنة، 1520م ورفع شأن السلطنة ووضع لها عدة قوانين تتعلق بالإدارة لذلك لقب بالقانوني، قام بعدة فتوحات، وكان من أبرز فتوحاته الحربية الاستيلاء على بلجراد عام 1521م، وتساقطت في يده إثر هذا حصون المجر المهمة، إستولى على جزيرة رودس، سنة 1522م، وانتصر على المجر في 1526م وحاصر فيينا. ينظر يوسف بك آصاف، صفحات من تاريخ مصر تاريخ سلاطين بني عثمان من أول نشأتهم حتى الآن، ط1، تق: محمد زينهم عزب، مكتبة مدبولي، القاهرة، 1995م، ص ص 60-61.

<sup>(2)</sup> - تقع عند سفح سلسلة من التلال المنخفضة على الساحل الغربي من جنوبي إيطاليا، وتعتبر نابولي واحدة من مراكز التصنيع الرئيسية في إيطاليا، وقد جعلها خليج نابولي ميناءً بحرياً مهماً، قبل حوالي ستمائة عام قبل الميلاد، قام المستعمرون اليونانيون من منطقة كوماي، التي تبعد نحو 23 كم إلى الغرب، بتأسيس مدينة بالقرب من الموقع الحالي لنابولي، وقد أطلق اليونانيون على المدينة إسم بارثينوب، وسموها أيضاً نيابوليس، أي المدينة الجديدة، ومازال يطلق على أهل نابولي اسم النيبوليتانيين، وفي خلال أجزاء من الفترة بين القرن الثاني عشر الميلادي و1860م. كانت نابولي عاصمة المملكة التي شملت معظم إيطاليا الجنوبية وجزيرة صقلية، ومنذ سنة 1861م أصبحت المدينة عاصمة لإقليم كامبانيا الإيطالية سياسياً وإدارياً، للإطلاع بشكل موسع حول هذه المدينة ينظر، أحمد مهدي محمد الشويخات، الموسوعة العربية العالمية الإلكترونية، 2004.

<sup>(3)</sup> - الصدر الأعظم: هو الشخص الذي حاز منصب رئيس الوزارة في الدولة العثمانية، وكان وكيلا مطلقا للسلطان، وللتفريق بينه وبين غيره من الوزراء أطلق عليه الوزير الأعظم، كما لقب بالصدر العالي وصاحب الدولة، غير أن لقب الصدر الأعظم إنتشر كثيرا من غيره واستمر إستخدامه إلى غاية نهاية الوجود العثماني، وكانت لديه صلاحيات واسعة في الدولة لديه ختم السلطان، وكان رئيسا للديوان الهامبوني وكافة الأوامر التي تصدر لنصب أو عزل أو قتل كانت تصدر منه، للمزيد حول هذا الموضوع ينظر: سهيل صابان، المرجع السابق، ص ص 143-144.

ولا خلاف في انضمام الجزائر إلى ممتلكات الدولة العثمانية وتأسيس حكم مركزي مثل بداية مرحلة جديدة في تاريخ الجزائر الحديث سوف يشهد ميلاد دولة جزائرية جديدة ممتدة تقريبا على نفس الحدود الجغرافية التي تمتد عليها اليوم كما سوف تشهد هذه المرحلة بروز شخصية سياسية متميزة للجزائر نتيجة لطبيعة الموقع الجغرافي والدور السياسي والعسكري الذي لعبته منذ تاريخ هذا الانضمام<sup>1</sup>.

عمل الأتراك العثمانيون منذ تأسيس الحكم المركزي بالجزائر، على تحديد الرقعة الجغرافية التي تطبق فيها قوانينهم السياسية والإدارية، فإذا كانت الحدود من الجهتين الشمالية والجنوبية قد رسمتها الطبيعة، فإن الجهتين الشرقية والغربية، عرفتا كلاهما حروبا دامية من أجل تحديدها، فمن الناحية الشرقية كان وضع إيالة تونس، والتي كانت تدين بضريبة سنوية للجزائر، هو الدافع الرئيسي لنشوب الحروب بين البلدين وهو الوضع الناتج عن النظام السياسي والإداري السابق، والذي كانت فيه الجزائر، وفي الربع الأخير من القرن 16م قام البايير باي قام بضم "الدفتر دارية"<sup>2</sup> إلى مقر الإدارة المالية في كل من طرابلس الغرب وتونس<sup>3</sup>.

ومن جهة أخرى أدى بروز الجزائر على ساحة الأحداث الدولية في ذلك العصر إلى جعل "شارل كان" "Charles à Caan"<sup>4</sup> يتخبط في سياسته الدولية بين الاستمرار في تثبيت

(1) - محمد دراج، المرجع السابق، ص 50.

(2) - تعني هذه الكلمة ممسك الدفتر، وهي تتكون من كلمتين: دفتر ودار، بمعنى القابض على الدفتر، وهو أكبر منصب للشؤون المالية في الدولة العثمانية، كانت له مزايا عديدة وصلاحيات واسعة، وبعد توسع نطاق الدولة أصبحت هذه الوظيفة تنقسم بين اثنين دفتر دار الروملي، ودفتر دار الأناضول، ثم استحدث دفتر دار العرب والعجم بعد سيطرة السلطان سليم الأول على سوريا، وكان مقره في حلب، وقد كان الدفتر دار يرافق الصدر الأعظم دائما ويحتفظ بسجلات الأراضي. وللمزيد حول هذا الموضوع ينظر: سهيل صابان، المرجع السابق، ص 114.

(3) - عمر حرفوش، المرجع السابق، ص 16.

(4) - كان يلقب "لساج" ومعناه الحكيم دام حكم 16 سنة وعرف عهده إصلاحات واسعة، واشتدت في عهده الاضطرابات. للمزيد ينظر: بن عودة المزارى، طلوع سعد السعود في أخبار وهران والجزائر وأشبانيا وفرنسا إلى أواخر القرن التاسع عشر، ج 2، تح: يحي بوعزيز، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1990، ص ص 58-59.

وجوده في أوربا، كما أن أهالي طرابلس الغرب عندما راو الدعم المادي والمعنوي الذي حظي به سكان الجزائر نتيجة انضمام بلادهم للدولة العثمانية، وذلك بغية تخليصهم من الاحتلال الأسباني فاستجاب لهم السلطان العثماني، وعين لهم واليا يدعى "مراد آغا" لمعرفة اللغة العربية<sup>1</sup>.

هكذا وبعد أن استتب الأمر للنظام العثماني بدار السلطان، وتم إبعاد الخطر الإسباني فكرت السلطة العثمانية في بسط سلطتها على كل مناطق البلاد والعمل على تقسيمها إلى مقاطعات إقليمية، ذلك أن الدولة العثمانية في بداية عهدها بالجزائر كانت عاجزة عن وضع جميع القطر الجزائري في يد حاكم واحد خاصة وأن التمردات كانت غالبية على الجزء الغربي للإيالة الجزائرية<sup>2</sup>.

لم يؤسس البايك كمفهوم جيوسراتيجي برقعته المعروفة في نطاق سيادة الدولة وبحدوده التاريخية بين نهر ملوية غربا ومدينتي القالة شرقا مرة واحدة، بل كان البايك في المرحلة الأولى من تأسيسه ولمدة طالت الأربعين سنة ينحصر في مقر الحكم المركزي وفحوصه فقط، كما لم يكن يتعدى إقليمه السياسي المدية وشرشال غربا التي كانت توفر بمينائها الحماية لدار الجهاد وتعيق ملاحقة سفن الأسبان<sup>3</sup>.

كان أول تقسيم إقليمي للبلاد باقتراح من "حسن باشا"<sup>4</sup> ابن "خير الدين" الذي حكم الفترة الممتدة ما بين 1544-1552م، وإنشاء هذه المقاطعات لم يكن مرة واحدة، بل على مراحل ففي أول الأمر تم تأسيس مقر الحكم المركزي (دار السلطان) ابتداء من سنوات 1520م إلى حوالي 1523م، ثم بقية البايكات الأخرى، وكانت البايكات مقسمة بطريقة

<sup>(1)</sup> - محمد دراج، المرجع السابق، ص ص 49-50.

<sup>(2)</sup> - ناصر الدين سعيدوني-المهدي بوعبدلي، الجزائر في تاريخ العهد العثماني، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984، ص ص 17-18.

<sup>(3)</sup> - كمال فيلاي، "البايك نظام ....."، المرجع السابق، ص 21.

<sup>(4)</sup> - المعروف بإسم "بوجقارجي باشي" كانت ولايته سنة 1007هـ-1598م: ينظر: بن المفتي حسين بن رجب شاوش، تقييدات ابن المفتي في تاريخ باشوات الجزائر وعلمائها، تق: فارس كعوان، بيت الحكمة، الجزائر، 2008، ص 44.



مقننة بحيث أن لكل مقاطعة حدودها الإقليمية المعروفة، وقد فكرت حكومة الداوي بإضافة ولاية جديدة أي تقسيم إداري جديد، حيث كان الحكم المركزي العثماني ينوي إضافة ولايتين بالغرب وأخرى لبابلك التيطري وأربعة بالشرق، وفي هذا الصدد يقول أحد المعاصرين لهذه المرحلة: "...أما وطن قسنطينة فإنه كبيرا جدا حتى أن العارفين بالأرض قالوا أن وطن قسنطينة يلزمه أربع بايات.."، يتضح من هذا كله أن الإدارة العثمانية كانت تنوي إعادة النظر في التقسيم الإقليمي للبلاد وتوسع عدد البايليكات<sup>1</sup>.

فمقر الحكم المركزي الذي كان تحت الحكم المباشر للباشا<sup>2</sup> أشتمل في الواقع على جزء كبير من الساحل يمتد من دلس إلى شرشال وكل الفحوص التي تحيط به على شكل هلال خصيب من البليدة إلى باب الزوار، وينوب الباشا في الفحوص التي هي عموما ملك للأعيان أو البايات وضباط الإنكشارية من ذوي النفوذ كأغا العرب<sup>3</sup>، وكانت فحوص الجزائر مقسمة إلى سبعة مناطق ريفية تحيط بدار السلطان<sup>4</sup>.

قسم مقر الحكم المركزي إلى مقاطعتين مقاطعة غربية وتشمل حجوط والعاصمة ويديرها "بابا عروج" نفسه، ومقاطعة شرقية وتبدأ من مدينة الجزائر إلى دلس ويسيرها "خير

(1) - محمد العربي سعودي، المؤسسات المركزية والمحلية في الجزائر الولاية - البلدية 1516-1962م، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2006، ص 24.

(2) - هو لقب عثماني أطلق على رتب متعددة عسكرية ومدنية منذ النصف الثاني من القرن 19م على الذين يرقون إلى درجة وزير وأمير الأمراء، كما أستخدم للعسكريين الحائزين على رتب أمير اللواء والفريق، كما منح إلى بعض شيوخ القبائل وإلى من كان ذا موقع مرموق، وقد ذكرت بعض المصادر أن مصطلح الباشا مشتقة من كلمة "باش آغا" أي رئيس الأغوات، وقيل أنها كلمة فارسية بادشاه، وقيل أنها من "باش" بمعنى الرأس والرئيس، وهو لقب كان يطلق على رجال الجيش والأعيان المدنيين ووكلاء الوزارات، ومحافظي الأقاليم الكبرى، وقد ورد في المجلة الإفريقية أن منصب الباشا غالبا ما يكون إداريا من مهامه تنفيذ الأوامر التي تأتيه من الباب العالي، كما يسهر على حسن تسيير مصالح المنطقة التي يعين فيها، أما بالنسبة لأجرته حسب ما تورد المجلة الإفريقية تبلغ 500 بيساط شهريا بالإضافة إلى إيوائه في القصر. للمزيد ينظر: سهيل صابان، المرجع السابق، ص 53. وينظر أيضا

Watbled (E), « Pachas... », op.cit, p440.

(3) - مصطلح فارسي الأصل ويعني السيد، اعتمده الأتراك لدلالات متعددة وخاصة في المجال العسكري، ومن هنا نستنتج آغا العرب أي سيد القوم أو سيد العرب. راجع: محمود عامر، المرجع السابق، ص 361.

(4) - كمال فيلالي، " البايك نظام....."، المرجع السابق، ص 21.

الدين"، وهذا نظر للتحصينات والمواقع الإستراتيجية المتواجدة بالساحل، كما تم اختيار حاكما للمدينة يسمى: "شيخ البلد" يكلف بتسيير المرافق العامة<sup>1</sup>، والملاحظ أن نظام البايلك في الجزائر لم يقيم على مبدأ السلالة أو الأسرة الحاكمة مثلما كان الأمر بالنسبة لأسرة البايات الحسينيين في تونس، وإنما يقوم على مبدأ الأسرة التي تتركز المركزية بالاعتماد على الميليشيات التي يرسلها دوريا السلطان من بلاد الأناضول، ومنع اشتراك الأهالي في السلطة لحصر الحكم الرسمي السياسي والعسكري في عنصر الأتراك العثمانيون والأعلاج<sup>2</sup>، وكان هذا من العوامل الفاعلة في تشكيل أيولوجية البايلك كنظام، وإن كان منصب الباي نظريا مخصصا للأتراك العثمانيون والأعلاج الذين اعتنقوا الإسلام<sup>3</sup>.

والجدير بالملاحظة أن الأوضاع السياسية والإدارية والعمرانية في مقر الحكم المركزي بالجزائر قد تغيرت تغيرا جذريا في الاتجاه الإيجابي بعد الهجرة الأندلسية إليها بما حملته من كفاءات وخبرة وفنون وآداب وصناع وحرفيين، بالإضافة إلى تأثيرها السليم على التوازن الديموغرافي للجزائر<sup>4</sup>.

إذن كان "خير الدين" أول بايلر باي ومؤسس لإيالة الجزائر ولما قتل أخاه "عروج" قرب واد المالح في أكتوبر 1518م أثناء غزواته بضواحي تلمسان أرسل بعثة شكلت من خيرة فقهاء المالكية إلى السلطان "سليم الأول" تطلب من جلالته تزكية "خير الدين" لولاية أمرهم والدفاع على دار الجهاد، وكان أول بايلر باي يعين على رأس الجزائر المحمية، وقد

(1) - محمد العربي سعودي، المؤسسات.....، المرجع السابق، ص 25.

(2) - أطلقت هذه الكلمة على الأوروبيين المسيحيين الذين اعتنقوا الإسلام للدلالة على أصلهم المسيحي، وذكر بعض الباحثين أن لقب "العلاج" لم يكن يطلق على كل من كان أصله أوروبي، فمثلا الألبان وغيرهم من مسلمي المناطق الأوروبية كانوا ينتسبون إلى اسم بلدهم الأصلي مثل حسن قورصو نسبة إلى جزيرة كورسيكا، وحسن البندقي فنزيانو نسبة إلى البندقية.... الخ، أما الأوروبيون فقد كانوا يدعونهم بالمرتدين أي "Les Renégats". ينظر: جميلة ثابت، دور الأعلاج في العلاقات بين الجزائر ودول جنوب غرب أوروبا خلال القرنين 16-17م، مذكرة ماجستير، معهد العلوم الانسانية والاجتماعية، المركز الجامعي بغرداية، 2010-2011م، ص ص 34-35.

(3) - كمال فيلاي، " البايلك نظام....."، المرجع السابق، ص 19.

(4) - محمد العربي سعودي، المؤسسات.....، المرجع السابق، ص ص 25-26.

طرح نظام البايلك في الجزائر في شكل ثلاث فرق تناوب عليها رياس البحر وآغاوات الإنكشارية، وكانت هذه الحكومات نتاج الصراع بين مختلف النخب العسكرية التي تجتمع بأوجاق الجزائر، ومن هنا تمكن نظام البايلك المركزي من الارتقاء إلى مستوى الحكومة بنظام اقتصادي<sup>1</sup>.

هكذا أستطاع العثمانيون تخليص الجزائر من محنتها السياسية التي كادت أن تعصف بها للأبد لولا ظهور الأخوان "عروج" و"خير الدين" و"حسن ابن خير الدين" و"العلي علي" الذين وضعوا اللبنة الأساسية للحكم المركزي العثماني في الجزائر، وتمكنوا من توحيد البلاد وإبعاد الخطر الإسباني، سعيًا منهم إلى تحقيق الاستقرار والأمن داخل الجزائر، وذلك من خلال تحصين الثغور ومواجهة العدو الصليبي مما أربع الأمم المسيحية، وهو انتصارا باهر على القوة البحرية الصليبية، وبذلك كان للعثمانيين الدور البارز في استرجاع هيبة الجزائر أمام الأمم في الحوض الغربي للبحر الأبيض المتوسط.

<sup>(1)</sup> - كمال فيلاي، " البايلك نظام....."، المرجع السابق، ص 20.

# الفصل الأول

البعد التاريخي والحضاري لمقر الحكم المركزي  
بالجزائر العثمانية

أولاً: الإحصاء التاريخي والجغرافي لمقر الحكم المركزي

ثانياً: الصابع العمراني والبشري في مقر الحكم المركزي

ثالثاً: الجهاز الإداري والتنظيم السياسي لمقر الحكم المركزي

رابعاً: الأوضاع الاقتصادية في مقر الحكم المركزي

خامساً: الوضع الثقافي في مقر الحكم المركزي

تعتبر مدينة الجزائر خلال الفترة العثمانية من أهم المدن المغاربية من حيث الموقع الجغرافي أو التطور الاقتصادي أو التنوع البشري مما جعلها محل مركز حضاري دون منازع، وهذا ما أهلها أن تكون مركزا للقيادة السياسية والعسكرية العثمانية في البلاد، لذلك خضعت لتنظيم مُحكم ومباشر، فقد أدركت السلطة العثمانية فيما بعد أنه لا يمكن إدارة الباليكات بنفس الطريقة الموجودة في مقر الحكم المركزي لذلك عمدوا في إخضاع المقاطعات الأخرى إلى الحكم الغير المباشر، وبهذه الإستراتيجية تسنى للعثمانيون من بسط نفوذهم وسلطانهم على مختلف أرجاء الأيالة.

### أولاً: الإطار التاريخي والجغرافي لمقر الحكم المركزي (دار السلطان)

ظلت الظاهرة الأساسية لجغرافية مقر الحكم المركزي<sup>1</sup> إلى مجيء العثمانيون هو ذلك التجمع من الجزر الصغيرة، ولعل هذا ما دفع الجغرافيون والعرب يطلقون على موقع المدينة اسم "جزائر" أو "جزر" أو "جزائر بني مزغنة"<sup>2</sup>، وهناك بعض المصادر تربط الجزائر بإسم "ايكوسيوم"<sup>3</sup>.

والجدير بالذكر فإن بعض المؤرخون حاولوا تقديم وصف للمدينة وذلك حينما قالوا: "جزائر بني مزغنة مدينة عليها سور في نهر البحر، وفيها أسواق ولها عيون على البحر الطيبة وشربهم منها، ولها بادية كبيرة، وجبال فيها قبائل من البربر...."<sup>4</sup>، كما قدم لنا

(1) - لمعرفة جغرافية مقر الحكم المركزي (دار السلطان) يرجى الإطلاع على المخطط الموجود في الملحق رقم (16)، ص 401.

(2) - ذكر صاحب كتاب الإستبصار أن مدينة "جزائر بني مزغنة" مدينة على ضفة البحر والبحر يضرب في سورها، وهي قديمة البناء فيها آثار عجيبة تدل على أنها كانت دار مملكة لسابق الأمم، وفيها دار للعب، وقد فرش صحنه بحجارة ملفقة مثل الفسيفساء، فيها صور الخيل والحيوانات، ويتصل بجزائر بني مزغنة فحوص كبير فحوص "متيجة" وهو فحوص عظيم كثير الخصب والقرى والعمائر، وكانت بمدينة بني مزغنة كنيسة عظيمة بقي منها جدار هو قبلة الشريعة. ينظر: عبد الرحمان الجيلالي، تاريخ المدن الثلاث (الجزائر - لمدينة - مليانة)، ط1، دار الأمة، الجزائر، 2007، ص ص 147-148.

(3) - وليم سبنسر، المصدر السابق، ص ص 17-18.

(4) - عبد الرحمان الجيلالي، تاريخ المدن الثلاث.....، المرجع السابق، ص 145.

"الإدريسي"<sup>1</sup> تصورا عاما للمدينة بقوله: "مدينة الجزائر مدينة على ضفة البحر وشرب أهلها من عيون على بحر عذبة، ومن آبار، وهي عامرة أهلة وتجارها مريحة وأسواقها قائمة وصناعتها نافقة، ولها بادية كبيرة وجبال فيها قبائل من البربر وزراعتهم الحنطة والشعير، وأكثر أموالهم المواشي من البقر والغنم، ويتخذون النخيل كثيرا فلذلك العسل والسمن في بلدهم كثيرا، وربما يتجهز بهما إلى سائر البلاد والأقطار المجاورة لهم والمتباعدة عنهم، وأهلها قبائل ولهم حرمة مانعة"<sup>2</sup>.

من خلال هذا الوصف يتضح لنا بأن المدينة لم تكن مقسمة تقسيما متميزا أو متساويا<sup>3</sup>، أما عن أعداد السكان ففي سنة 1518م قد بلغ حوالي 30000، وخلف "عروج" في الحكم السلطان "خير الدين" الذي احتل القلعة الأسبانية سنة 1529م وهدمها عن بكرة أبيها مستعملا حجارتها في بناء ممر يصل الجزائر بالشاطئ، وقد باشر ببناء سدود جديدة ليفتح المجال أمام توسيع مقر الحكم المركزي، بينما أنصرف أتراك مدينة الجزائر إلى أعمال القرصنة<sup>4</sup>، أدرك الأسبان البعد الإستراتيجي والحضاري للمدينة ورغبتهم

(1) - ولد "الإدريسي" بسبته المغربية سنة 1100م، ينتسب إلى بيت الأدارسة، تعلم في الأندلس وتعرف عليها منذ صغره وحتى أوروبا الغربية مثل فرنسا وإنجلترا، وآسيا الصغرى، استقر بصقلية سنة 1137م، وفي هذه الأثناء ألف العديد من الكتب أهمها كتاب: "نزهة المشتاق في اختراق الآفاق"، ويعتبر هذا الكتاب أحد روائع الأدب الجغرافي في العصر الوسيط، توفي الإدريسي سنة 1166م. ينظر: أغناطيوس يوليانيوفتش - كراتشكوفسكي، تاريخ الأدب الجغرافي، تر: صلاح الدين عثمان هاشم، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1987، ص ص 304-305.

(2) - المرجع نفسه، ص 147.

(3) - Boyer(P), L'évolution de L'Algérie Médiane (ancien département d'Alger) de 1830 à 1956, paris, PA, Maisonneuve, 1960, p 11.

(4) - من المفيد أن نفرق بين لصوصية البحر التي يقوم بها مغامرون من أجل السلب والنهب والسبي، كما فعلت إسبانيا في الحوض الغربي للبحر الأبيض المتوسط، ويُطلق عليها بالفرنسية (Piraterie)، وبين القرصنة (Course) التي هي نوع من أنواع الجهاد البحري التي كانت تقع بين الدول المتعادية، وكانت الغاية منها حماية المسلمين من جهة وضرب اقتصاديات العدو بالاستيلاء على البضائع الصادرة منه أو الواردة عليه، وبما أن القرصنة التي كانت تمارس من طرف العثمانيين في الحوض الغربي كانت تخضع لنظم وقوانين ولها تقاليد معروفة فإنه يمكن القول بأنها جهادا بحريا ما دام الغرض منه الدفاع عن أرض الإسلام، فالعثمانيين مسلمين فمن الواجب على المسلم الدفاع عن أرض الإسلام والتخلي عن الواجب عند المقدرة يعتبر خيانة. للإطلاع حول هذا الموضوع بشكل مفصل ينظر: أحمد توفيق المدني، حرب الثلاثمائة .....، المرجع السابق، ص 72.

في إحتلالها لذا سعى "خير الدين" وشقيقه "عروج" لتحريرها من الأسبان يوم استطاع "خير الدين" أن ينتصر في هجومه العنيف على الأسبان سنة 1519م<sup>1</sup>، مما حمل "شارل الخامس" "Charles5" سنة 1541م التخطيط لمشروع عسكري ضد مقر حكم العثمانيين بالجزائر تحزوه بعض الثقة من أن ملك فرنسا لن يتدخل.

والواقع أن "فرانسوا" "François" <sup>2</sup> الذي علم بالمشروع بواسطة البابا، قد أعطى الضمانات بأنه سيبقى محايدا، وكان مشروع الاعتداء على مقر الحكم المركزي قد خطط له ونظم بعناية<sup>3</sup>، مستعينا بأسطولا كبيرا استطاع أن ينقل بواسطته 12330 بحارا، نزلوا بالقرب من وادي الحراش ليضربوا المدينة من وراء<sup>4</sup>، لكن هذه الحملة لم يكتب لها النجاح وهو ما كان فاتحة خير للعثمانيين لتأسيس حكم مركزي بنظام إداري، وبذلك سيطروا على مدينة الجزائر وضواحيها بصفة مطلقة، متخذين من مدينة الجزائر الإدارة المركزية تتبعها بعض المدن ومناطق خاضعة تماما أنشئت فيها دوائر تسمى بالأوطان<sup>5</sup>.

في هذه الفترة عرفت القبائل تفككا وتقهقرا إلى درجة أنها فقدت شخصيتها فأمحييت القبيلة وتركت مكانها مجموعات صغيرة من السكان تخضع مباشرة للشيخ وتعرف في العادة باسم الجماعة التي تعيش بالأحواش ومزارع متيجة والساحل في دائرة مشتركة مع

<sup>(1)</sup> - عمار بوحوش، التاريخ السياسي للجزائر من البداية ولغاية 1962، ط 1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1997، ص ص 54-55.

<sup>(2)</sup> - ذكر المزاراي أن فرانسوا قد تولى الحكم وعمره 21 سنة، كان يحب الفن لكنه يحب الفتن ولا يراعي مصلحته أو مصلحة الناس. ينظر: إبن عودة المزاراي، طلوع سعد السعود....، المصدر السابق، ص 64.

<sup>(3)</sup> - جون ب وولف، المرجع السابق، ص 56.

<sup>(4)</sup> - عبد الرحمان الجيلالي، تاريخ المدن الثلاث.....، المرجع السابق، ص 141.

<sup>(5)</sup> - حسب العديد من المؤرخين فإن الأوطان تتكون من عدة قبائل تحمل إسم القبيلة الأهم أو إسم جبل أو ناحية وتتغير مساحتها وكثافتها السكانية حسب الظروف، فنجد المدينة مثلا لم يتغير نظامها القبلي، وكانت ضمن الأوطان الخاضعة للسلطة العثمانية. ينظر: عائشة غطاس وأخريات، الدولة الجزائرية.....، المرجع السابق، ص 139.

عناصر بعيدة عنها كل البعد تم المزج حتى أن الأوطان لم تعد تسمى بإسم قبيلة إلا أنه المثل الوحيد الذي يمكن ذكره<sup>1</sup>.

أما الحدود الجغرافية لمقر الحكم المركزي خلال الفترة العثمانية فكان يمتد من دلس شرقاً إلى شرشال غرباً، وساحل البحر شمالاً إلى سفوح الأطلسي البلدي جنوباً<sup>2</sup>، كانت مدينة جيجل النواة الأولى لحكم "عروج" و"خير الدين" قبل أن يتخذوا من مدينة الجزائر القاعدة المركزية، وقد شكلت مدينة الجزائر وضواحيها ما يُعرف "بدار السلطان" مقر الحكم المركزي، والذي يعود تأسيسه إلى سنة 1516م عندما استتجد "سالم التومي" حاكم الجزائر آنذاك بالأخوين لتحرير صخرة "البيينون" من الأسبان، لكنّ الأخوان فشلوا في مهمتهما، فأتجه "خير الدين" إلى الجهة الشرقية من مدينة الجزائر إلى دلس، أمّا "عروج" فاتجه غرباً إلى تنس، ونجحت مساعي الرجلين في إخضاع القبائل الواقعة بين هاتين المدينتين، ومنذ هذه اللحظة أصبحت المنطقة تُعرف "بدار السلطان"، وهي المقر الرسمي للإدارة العثمانية في الجزائر<sup>3</sup>، وبذلك وضع "خير الدين" نظام إداري متواضع في دار السلطان وما حولها من الأطراف التي خضعت له ولسلطته فقسمها إلى ثلاثة أقسام وهي:

- قسم الوسط: ويشمل مدينة الجزائر وما حولها ووضعه تحت سلطته.
- قسم الغرب: ومركزه مدينة شرشال، ووضعه تحت سلطة السيد علي أحد أعوانه.
- قسم الشرق: ومركزه مدينة دلس ووضعه تحت سلطة حسين بن القاضي، وبقيت الأمور على هذه الأوضاع حتى تولى ابنه "حسن ابن خير الدين" منصب بايلرباي الجزائر ففكر في وضع نظام إداري محكم يكون أكثر ملائمة للأوضاع والتطورات الجديدة، وقسم

<sup>(1)</sup> - عائشة غطاس وأخريات، الدولة الجزائرية .....، المرجع السابق، ص 139.

<sup>(2)</sup> - حنفي هلايلي، أوراق في تاريخ الجزائر في العهد العثماني، ط1، دار الهدى، الجزائر، 2008، ص146.

<sup>(3)</sup> - Watbled (E), « Etablissement de La domination Turque En Algérie », **R.Af**, n°11, Alger, 1870, P294.



البلاد كلها إلى أربعة أقاليم كل منها يحمل اسم بايلك ولوا أن ظهورها وقيامها تم على مراحل يحكمها بايات ونواب وخلفاء عن الباشوات<sup>1</sup>.

والجدير بالملاحظة أن مقر الحكم المركزي كان يضم خمس مدن وهي: مدينة الجزائر، البليدة، القليعة، شرشال، دلس، والأوطان (El Outane) التي كانت خاضعة للسلطان، والقادة العثمانيون تحت إشراف أغوات العرب، كما كانت هناك قبائل تحت حماية الآغا أو خوجه الخيل، وهو موظف وله سلطة واسعة، ويشرف على الملكيات العقارية<sup>2</sup>، وكانت هذه المناطق لا تخضع لحكم الباي بل للوصاية المباشرة للدايات، وكانت المناطق الخاضعة لهم غالباً ما يطلق عليها بمناطق البايلك، أمّا الأوطان فإنها لم تكن خاضعة لنظام موحد، بل كانت تتضمّن المجموعات الإدارية المقسمة إلى مقاطعات أو أحياء عبارة عن أحواش تتكون من مزارع، خاضعة لنظام إداري دقيق، يرأسها الشيخ أو القايد<sup>3</sup>، بينما كانت هناك مناطق تخضع للمرابطين وهي ذات دخل محدود، وليس لها تأثيرا كبيرا<sup>4</sup>.

<sup>(1)</sup> - يحي بوعزيز، وهران، وزارة الثقافة، الجزائر، 2007، ص ص 74-75.

<sup>(2)</sup> - Rinn (L), « Le Royaume d'Alger Sous le Dernier Dey », **R.Af.** n°41, Alger, 1897, PP134-135.

<sup>(3)</sup> - القايد: جمع قياد وتعني مساعد البايلك، وهي رتبة شرفية، يتمتعون بسلطات متنوعة مدنية وعسكرية، كانوا أتراك أو كراغلة، ويقول البعض أنهم كانوا يختارون من العائلات الكبرى ذات النفوذ، كانوا يجتمعون في الأوطان يمثلون الأوجاق، والبايلك لدى سكان الريف بأمر من آغا العرب، تختلف وضعيتهم حسب أماكن حكمهم في بعض المناطق ويسكنون في مدن مجاورة أو في أبراج محصنة، ولا ينتقلون إلى أماكن تواجدهم إلا تحت حراسة مشددة. ينظر: عائشة غطاس وأخريات، الدولة الجزائرية.....، المرجع السابق، ص ص 168-169.

<sup>(4)</sup> - عبد الجليل رحموني، اهتمامات المجلة الإفريقية بتاريخ الجزائر العثمانية (1520-1830م)، مذكرة ماجستير، كلية العلوم الإنسانية والإجتماعية، جامعة سيدي بلعباس، 2014-2015، ص 76.

## ثانيا: الطابع العمراني والبشري في مقر الحكم المركزي (دار السلطان)

كانت مدينة الجزائر خلال العهد العثماني محاطة بأسوار شامخة، حيث كان السكان المحليون يدخلون المدينة من خمسة أبواب رئيسية وهي: باب عزون الذي يربط المدينة بشرق البلاد والباب الجديد في الجهة الجنوبية الغربية بالإضافة إلى باب الوادي من الجهة الشمالية<sup>1</sup>، هذا فضلا عن باب الجزيرة وسمي بهذا الاسم لأنه كان مخصص لدخول وخروج الرياس، ثم باب السردين أو ما يعرف بالديوانة المخصص للتجارة البحرية، كانت هذه الأبواب ضخمة الحجم تفتح يوميا بعد طلوع الشمس وتغلق قبل الغروب<sup>2</sup>.

أما عن فحوص مقر الحكم المركزي يمكن تقسيمها إلى ثلاث مناطق متميزة حسب الطرق الرئيسية المؤدية إليها والأبواب التي تفتح عليها، فهناك المنطقة الشمالية التي تعرف بإسم فحص باب الوادي، وهي تضم النواحي التالية: السد، أبي النور، الرملة، المنية، واد قريش، أكمان، قامة الفول، بوسكور، بوزريعة، الساخنة، وهناك أيضا المنطقة الجنوبية أو الوسطى التي تعرف بفحص الباب الجديد والتي تشمل على المناطق التالية الأبيار، عيون حيدرة، بير الدروج، عين بن عطية، برج حسن باشا، سيدي يحي الطيار، القادوس، بني مسوس، أما المنطقة الثالثة وهي الجهة الشرقية التي يمر بها الطريق السلطاني الذي يربط المدينة بشرق البلاد عبر قنطرة وادي الحراش، والتي تشير إليها الوثائق بفحص باب عزون<sup>3</sup>، فهي تتكون من تاجرات، عين الربط، عين الأزرق، الحامة، عين الرمان، عين السلطنة، بير مراد رايس، بئر الخادم، القبة، تقصرين....الخ<sup>4</sup>.

(1) - حليمي عبد القادر، مدينة الجزائر نشأتها وتطورها قبل 1830م، د م، 1972، ص 223.

(2) - عقاد سعاد، الفلاحون الجزائريون والسلطة العثمانية في الجزائر 1519-1830م، دار السلطان أنموذجا، مذكرة ماجستير، كلية العلوم الإنسانية والحضارة الإسلامية، جامعة وهران، 2013-2014م، ص 17.

(3) - ناصر الدين سعيدوني، "فحص مدينة الجزائر (نوعية الحياة الاقتصادية والاجتماعية عشية الاحتلال)"، مجلة

الدراسات التاريخية، ع1، معهد التاريخ، جامعة الجزائر، 1986، ص ص 91-92.

(4) - عقاد سعاد، المرجع السابق، ص18.

أما من حيث الوسط الطبيعي يتميز الفحص بمناخ صحي معتدل الرطوبة على أن أهم ميزة له هي ثروته المائية الضخمة التي تسد حاجة المدينة من المياه وتوفير السقي الضروري لحدائق وبساتين فحوص المدينة، وتتوزع هذه المصادر المائية على العديد من العيون الطبيعية وعلى بعض الآبار مثل الأبيار، وبئر مراد رابس بالإضافة إلى الأودية الطبيعية التي تصب في خليج الجزائر مثل وادي المغاسل، وادي الحراش الذي يفصل بساتين الفحص عن أحواش متيجة<sup>1</sup>.

ما يلاحظ أن حدود فحوص مدينة الجزائر لم تكن قارة، كما أن مساحته لم تكن محددة، فقد تمتد في فترات الرخاء، وعند استتباب الأمن وأثناء تزايد السكان إلى جهات أخرى، وقد تتكشف نتيجة الأوبئة الفتاكة والمجاعات المهلكة جراء القحط والجراد والزلازل التي اشتدت وطأتها منذ أوائل القرن 18م، فلا تتجاوز دالي إبراهيم من الجهة الجنوبية الغربية وبئر الخادم من الجهة الجنوبية الشرقية والقبّة وحسين داي من ناحية الشرق<sup>2</sup>.

أما بخصوص التركيبة البشرية فقد مثل سكان المدن بمقر الحكم المركزي نسبة ضئيلة من مجمل السكان فهم يمثلون الأقلية إذا ما قورنت نسبتهم بسكان أرياف دار السلطان، وقد قدر غاليسو "Gallissot" نسبة سكان المدن بـ 6 % تقريبا، وتضم الشبكة العمرانية في مدينة الجزائر بين 50.000 إلى 70.000 نسمة باعتبارها مركز ثقل تحيط به مدن ثانوية متفاوتة الأهمية مثل البليدة 10.000 إلى 15.000 نسمة، والقلعة من 3.000 إلى 6.000 نسمة، شرشال 2.000 إلى 5.000 نسمة ومليانة 5.000 إلى

(1) - عقاد سعاد، المرجع السابق، ص 18.

(2) - ناصر الدين سعيدوني، "فحص مدينة الجزائر..."، المرجع السابق، ص 92.

8.000 نسمة<sup>1</sup>، كانت هذه القبائل موزعة على ثمانية أوطان وفق ما تفيد دراسة قام بها ناصر الدين سعيدوني كما يلي<sup>2</sup>:

الرقم	إسم الوطن	جماعات وقبائل الأوطان	عدد قبائل الاوطان
01	يسر	<p>بني ضدام - بني عزارية - بني شكروح بن سوكار - بني ختير - بني خلفون - بني مناد - بني عقبة - بني راشد - بني تامنت - بوراب باش - شناك - دوار بن سي يوسف - الكيوس - حجيل - ابراهيم بن سعيد - خليفة بن سولة - موعاوية - أولاد بسام - أولاد شمال - أولاد لحك - سالم بن رحمون - زاوية أحمد بن إبراهيم - زاوية سالم بن مخلوف - زاوية سيدي عبد العزيز - أحمد بن ضيف الله - علي بن بونوة - علي بن خاليفة - عيسى بن أمبارك - عيسى بن زاير - بن جفال - بن عقبة الشرفة - بني ربيعة - بن وزروال - بويرق الكبير - رويرق الصغير - الجبان - الطعانة - أولاد موسى - أولاد رباب - أولاد سمير - زاوية سي سليمان بن عروس.</p>	حوالي 43 قبيلة
02		<p>عبد الرحمان الشريف - عبد الرحمان بن مريم - أحمد بن سعيد - أحمد بن سايمان وعلي - بن جنان - بن</p>	حوالي 38

<sup>(1)</sup> - ناصر الدين سعيدوني، الحياة الريفية بإقليم مدينة الجزائر دار السلطان أواخر العهد العثماني (1791-1830م)، ط خ، البصائر للنشر والتوزيع، الجزائر، 2013، ص ص 461-462.

<sup>(2)</sup> - عائشة غطاس وأخريات، الدولة الجزائرية.....، المرجع السابق، ص ص 145-163.

قبيلة	<p>خرس- بن عائشة - بن فودة - بن مستنة- بن صبيح- بوخنفرة - شرفات كرومة - الجواب العقبة - الجواب راسوة - الجبايل - غريب بن عزوز- حراوة - حرسن - إبراهيم بن دهاب - خليفة بن عمار- محلة مليكشن - مالك يوسف بيك - منصور بن لهول - مصاورة- أولاد عدي- أولاد أيوب - أولاد بسام- أولاد غانم- أولاد حداج- أولاد ابراهيم- عثمان بن خليفة- رغبة- سالم بن زهية- سليمان بن أحمد تكبات- ثلواقصان- طالب علي أماليورش بن عائدة طالب- زروالة.</p>	الخشنة	
حوالي 38 قبيلة	<p>عبد الله بن عائد الصمات- عيسى بن زيان بن مزوز- أحمد بن يوسف بنبي جليد- علي بن عمار بن تشفين- علي بن رمضان- علي بن ثابت- بلقاسم بن علي بن تشفين- بلقاسم بن بو جماعة بني ملال- بني عطية- بن دياب- بن جدى- بن البحري- بن فتيص- بني مالك- بني محمد- بني راشد- بني سرحان- بني عوير- الشيخ والي داد- الشرايعية- الخشاشنة- المربعة- حمدوش- خليفة بن سليمان- محلة مليكشن- محمد بن عبد الله عرويتي- محمد بن مسعود بني ملال- أواخرس- أولاد اعميرة- أولاد ابراهيم بن جليد- أولاد جراد- أولاد فليت- أولاد اسلام- أولاد تاغب- تافت بن علي</p>	بني موسي	03

	بني ملال- يحيى بن موسى بن جليد- يحيى بن تافت- يوسف بن امبارك.		
04	عبد الله ملك- عبد الله بن خليفة- عزيزة الهيل- أغرو- عاقر اوملال- اقلاي بن خليل- اقلاي بن صالح- عمار اوهة- املة بن خليل- امغار- عمروسة- انكاش- عراوة- عزيزة التوت- عزرونة- بهلي- بن علي اغبير- بن علي قليسي سوسنة- بن عزة- بن بواعري- بن بوانصير- بن بوتامو- بن حمامين- بني مسوس- بني خيدم- بن كاكوش- بن معمار- بن مسعود الشيراقة- بن مسعود الغرابية- بن صبيح- بن صالح سعودة- بني شيان- البليدة- بوعامر- عواس- بوردردون- بوجفنة- بواسماعيل- بومنهاج- بويغلان- شدخني- شفاعة- شلة- دشيوة- دوار الغرابية- الشيراقة- الدعالة- الدكاكنة- الدواودة- الاحباب- البرج الأحمر- الفد- الغرابية- الحبشة- الحاج خليفة- الحفال- الحسم أو اليهم- الخطاعة- الخرابطة- المعالمة- المدواعة- الصفصاف- السايح الفوكي- السايح السوفي- الصومعة- اتأعانة- فروخة- حد أعنان- حد الشريف- عياد- خادم- كتوة- ماسومة- مشكوكة- ملك المحروم خيدر باش- ملوه- مسعود بن معزوز- مسلوغة- مزكة- مزهمر- اولاد عبد	بني خليل	حوالي 99 قبيلة

		الكريم - اولاد اكليل - اولاد عمارة - اولاد شبال - اولاد معاراك - اولاد منديل - اولاد محمد - اولاد عمران - ربيعة - سيدي يخلف - تفاحة - طفشهم - تيجعارين - توببعة - يونسى - زاوية سديعايد - زاوية بن سدي مجبر - زغاية - زروال - زماغه.	
05	السبت حجوط -	سوماتا - بني مناد - بني مناصر - موزايا.	حوالي أربع قبائل
06	بني جعاد	بعاسم - بن عربة - بني قلال - بني يلما - شرفة صنهاجة - دراعة - ديبات - المهدي - فركوة - مرزقلة - مسمولثنة - عمار بن العزايم - عمار بن حشلاف - اوعليان - اولاد ثعالب - سالم بن التومي - سنكوة - تالوكاة - يحي معالاوي.	حوالي 19 قبيلة
07	بني خليفة	بن علي بني زاير - بن بوعادم - بن تادجت غيث - بن بغلال - بن بل العز - بني بوبكر - بني بوخليفة - بني حتوس - بني لهف - بني وثاس - بني سليم - بني سوكة - بني تراتن - بني زرمان - دار الأوش - البدرنا - الهوده - قوواوه - كتارنات - أولاد بني فرحات - خوخذة - ملوان الحلفة - مرهم - معامين - أولاد عباد - أولاد عمارة - أولاد بويحي - أولاد فاطمة - أولاد اوحدة - أولاد سلطان - أولاد زعيم - أولاد زيان - سكلواه - سمامة - سراين الكسيبة - سليمان بن العزيز - تاكمات اولاد بن	حوالي 39 قبيلة

	عبدو-يوسف بن علي.		
08	عيلاشة- بني يخلف- بني جماعة- بني محسن- بني ميمون- بني مويمن- بني زعيم- بوجامعة بن حدو- الهوامي- الصفارة- كبابة- موسى بن زايد- أولاد دتيس- أولاد دياب- أولاد نهدي- أولاد توك- تاغة- زغوة.	بوحلوان	حوالي 18 قبيلة

### جدول يمثل القبائل قبائل وأعراش أوطان مقر الحكم المركزي (دار السلطان)

كما أن مدن مقر الحكم المركزي قد قطنها سكان من أصول مختلفة هم الحضر 45.000، والأتراك العثمانيين 8.000، والكراغلة 6.000، واليهود 5.000، والزنوج 2.000 يمكن عرض هذه الفئات كما يلي<sup>1</sup>:

#### 1- جماعة الحضر أو البلدية:

كانت هذه الفئة تقطن المُدن بصفة دائمة وتحتل مرتبة مرموقة في السُّلم الاجتماعي، وهم السكان الأصليون، سكنوا المدن مُنذ أقدم العصور، فقد احتلوا المرتبة الثالثة في الهرم الاجتماعي<sup>2</sup>، كانت هذه الفئة تضم الأعيان، وشيوخ الزوايا، والعلماء الذين تقلدوا في بعض الأحيان مناصب إدارية، كما أنَّ هذه الفئة كانت معفية من دفع الضرائب ويرجع هذا الامتياز لهؤلاء العلماء والشرفاء إلى زمن "عروج" و"خير الدين"<sup>3</sup>.

<sup>(1)</sup> -ناصر الدين سعيدوني، الحياة الريفية....، المرجع السابق، ص 462.

<sup>(2)</sup> -محمد الزين، الأوضاع الاجتماعية والصحية في الجزائر العثمانية (1518-1830م)، أطروحة دكتوراه، كلية العلوم الإنسانية، جامعة سيدي بلعباس، 2010-2011، ص81.

<sup>(3)</sup> Haedo (F -de Diego), « Topographie et Histoire Générale d'Alger » **R.Af**, n°15, Alger, 1871, p 491.



والجدير بالملاحظة أن هذه الفئة قد حظيت بمكانة مرموقة من قبل العثمانيون، ويرجع هذا الاحترام إلى مكانة هذه الفئة وتأثيرها على المجتمع، لذا نجد العثمانيون قد تحفظوا في تعاملهم معهم خاصة أواخر عهدهم في الجزائر<sup>1</sup>.

## 2- الأتراك العثمانيون والkrağle والأعلاج:

يُعتبر الأتراك العثمانيون من أهم الفئات الاجتماعية في دار السلطان خلال العهد العثماني، كانوا أصحاب سُلطة قدموا من الأناضول والمناطق التابعة للدولة العثمانية مثل أزميز، وبورصة، وديار بكر، وغيرها منذ المراحل الأولى للوجود العثماني<sup>2</sup>، بينما توجد فئة أخرى قَدِمَت من المناطق الأوروبية (رودس، جزر إيجا، ألبانيا، كريت)، وقد عُرفوا بنشاطهم الكبير وحيويتهم، ما ميز هذه الفئة عن غيرها أنها شديدة البياض، أمّا القادمون من آسيا الصغرى فقد امتازوا بالبشرة السمراء والخشونة في الطباع<sup>3</sup>، كانت الدولة العثمانية تقوم بتجنيدهم بواسطة وكلاء لها في الموانئ<sup>4</sup>.

أمّا المجموعة السكانية الثانية التي احتلت مكانة هامة هي الكراغلة، وهم المولدون من آباء أترك وأمّهات جزائريات، فقد أدرك العثمانيون بأن بقاءهم لا يمكن أن يتعزز إلا عن طريق مصاهرة السكان الأصليين خوفاً من وقوع تمرد ضدهم، لذا حاولوا التقرب من السكان عن طريق المصاهرة، خاصة أصحاب المال والجاه، والجدير بالملاحظة أن السكان المحليين أبدوا رغبة كبيرة في بداية الأمر خاصة الأندلسيون منهم ذلك أن هؤلاء كانوا ضعاف بحاجة إلى من يحمي ظهرهم وثروتهم<sup>5</sup>.

<sup>1</sup>-Féraud (L), « Un Vœu d'Hussin Bey Constantine 1807 », **R.Af**, n°7, Alger, 1863, pp 91-92.

<sup>2</sup>-Colombe (M), « Contribution à L'étude du Recrutement de l'odjak d'Alger », **R.Af**, n°87, Alger, 1941, p172.

<sup>3</sup>- Haedo (F .de Diego), Topographie ..., op .cit, pp 55-56.

<sup>4</sup>-de Paradis (V), Tunis et Alger au xvllle Siècle, paris, Sindbad, 1983, p74.

<sup>5</sup>- Lcharles (Féraud), « Notes Historiques Sur La Province de Constantine », **R.Af**, n°24, Alger, 1880, pp 105-106.

يعود تاريخ هذا العنصر التركي كقوة مستقلة ومتميزة نافسوا الأتراك العثمانيون في الإمتيازات، فقد اختلف المؤرخون حول عدد الكراغلة الموجودين في مدينة الجزائر غير أن إحدى الدراسات تشير إلى أن الكراغلة كانوا موجودين في المدينة إلى غاية السنوات الأولى من الاحتلال<sup>1</sup>، فقد سعت هذه الفئة دائما إلى نيل الإمتيازات التي كانت محرومة منها، لذلك كانوا دائما يعمدون إلى خلق الثورات وتبدير الانقلابات<sup>2</sup>، لذا عمد الحُكام العثمانيون على إبعادهم وطردهم من المناصب، فلم يكونوا ليصلوا إلى مراتب عليا في سلك الجندية<sup>3</sup>. أما المجموعة السكانية الثالثة فهم الأعلاج الذين هم مسيحيون الأصل، لكن بعد اعتناقهم للدين الإسلامي فإنهم يلتحقون بالعثمانيين، وتعود أصولهم إلى مختلف المناطق الأوروبية، فقد اتخذوا من مقر الحكم المركزي موطناً لكسب المال، ولتحسين ظروفهم وأوضاعهم المعيشية، وكان أغلب رجال البحرية في القرن 16م أعلاج ويعد العِلاج علي أبرزهم<sup>4</sup>.

### 3- جماعة الأندلسيين:

بعد سقوط غرناطة 1492م آخر معاقل المسلمين بالأندلس ازدادت الهجرات الأندلسية خلال النصف الأول من القرون 15م و16م و17م نتيجة الخلافات والحروب التي عرفتھا الأندلس، فكانت دار السلطان من أهم المناطق التي احتضنت هذه الجالية<sup>5</sup>، فقد حاول ملوك إسبانيا إكساب هذه الهجرة صبغة دينية صليبية لآبد منها، وهذا ما عبر عنه الملك الأسباني فرديناند بقوله: "أن هذا العمل هو من أجل إرضاء الرب"<sup>6</sup>.

<sup>(1)</sup> - حميد آيت حبوش، المجتمع الجزائري خلال العهد العثماني على ضوء المصادر الأوروبية 1519-1830م، مذكرة ماجستير، كلية العلوم الإنسانية، جامعة سيدي بلعباس، 2008-2009، ص ص 57-58.

<sup>(2)</sup> - شويتام أرزقي، المجتمع الجزائري وفعالياته في العهد العثماني (1519-1830م)، ط1، دار الكتاب العربي، الجزائر، 2009، ص 176.

<sup>(3)</sup> - de Paradis (V), Tunis et Alger..., op .cit, p180.

<sup>(4)</sup> - Haedo (F .de Diego), « Topographie ... », op .cit, pp 496-499.

<sup>(5)</sup> - عبد اللطيف بريش، الموريسكيون في المغرب، مطبعة المعارف الجديدة، الرباط، 2001، ص ص 60-63.

<sup>(6)</sup> - Fernand (Braudel), « Les Espagnols et l'Afrique.... », op.cit, p199.

أبدى الأندلسيون رغبة شديدة في العمل البحري، وقد شجع الأتراك العثمانيون هذه الميول للاستفادة منهم في عمل القرصنة البحرية التي كانت تُدرّ عليهم بأموال طائلة بفضل هؤلاء الموريسكيين، فكانوا يتقنون اللغة الأسبانية، ولهم خبرة واسعة في مجال البحر<sup>1</sup>، كما كانت لهم اليد الطولى في بناء السفن<sup>2</sup>.

ونظرا للخبرة الواسعة التي تمتع بها هؤلاء الأندلسيون في المجال العسكري إستعان بهم الحكام العثمانيون في إخماد التمردات، فقام حاكم مليانة حسن علي بتجنيد فرقة أندلسية للقضاء على ثورة الشيخ بوطريق بمقر الحكم المركزي<sup>3</sup>.

هكذا مع مرور الوقت أصبحت هذه الجالية دعامة أساسية للعثمانيين في دار السلطان لا يمكن الإستغناء عنها نظرا لما أظهرته من إخلاص وحب للعمل، كما قاموا بحل مشكلة المياه التي لطال ما عان منها مقر الحكم المركزي، وذلك بقيامهم بحفر عدة عيون في التكنات والشوارع<sup>4</sup>، ولعل هذا ما ساعد على ازدهار مقر الحكم المركزي وفحوصه واستصلاح الأراضي بسهل الحامة، وغرس الأشجار المثمرة حتى أصبحت أغلب الأراضي الزراعية ملكا لأفراد الجالية الأندلسية مما أكسبهم أموالا طائلة، هذا علاوة على استثمارهم في العقارات، ويشير ابن شنب في عقد سجلات المحاكم الشرعية تضمن شراء جنة بفحص طويلة من طرف إمراة أندلسية بثمن قدر بـ 1550 دينار سنة 1648م<sup>5</sup>.

لم ينحصر إهتمام الأندلسيون في المجال الزراعي، والعقاري، بل مارسوا حتى التجارة فكانت لهم محلات تجارية عبر مُختلف أحياء المدينة<sup>6</sup>، هذا فضلا عن وجود بعض

<sup>1</sup> -Saad Eddine (Ben-Cheneb), « Un Acte de Vente dresse à Alger en 1648 », **R.Af**, n°89, Alger, 1945, p 287.

<sup>2</sup> -Devoulx (A), « La Marine de la Régence d'Alger », **R.Af**, n°13, Alger, 1869, p391.

<sup>3</sup> - Berbrugger (A), « El-Hadj Pacha », **R.Af**, n°8, Alger, 1864, p296.

<sup>4</sup> Devoulx (A), « Notes Historiques Sur Les Mosquées et Autres Edifices Religieux d'Alger », **R.Af**, n°5, Alger, 1861, p392.

<sup>5</sup> Ben Cheneb, « Un Acte de Vente Dresse a Alger en 1648 », **R.Af**, n°89, Alger, 1945, pp 287-290.

<sup>6</sup> -Haedo (F .de Diego), « Topographie ... », op .cit, p 495.

المباني العامة التي تحمل أسماءهم نذكر على سبيل المثال "طبانة الأندلسيون"<sup>1</sup>، فقد قُدرت الدراسات الفرنسية نسبة أحباس الأندلسيين في الجزء الشمالي من القصبة بمدينة الجزائر بـ 18,75% من مجموع أحباس الأندلسيون<sup>2</sup>.

والجدير بالملاحظة فأنَّ أحباس هؤلاء الأندلسيون لم تنحصر داخل مقر الحكم المركزي، بل حتى خارجها لتقديم العون للفقراء، فقد تمثلت أحباسهم في الأملاك العقارية والأراضي الزراعية<sup>3</sup>، إلى جانب هذه الأنشطة ساهم الأندلسيون في إحياء وتنشيط الثقافة في دار السلطان<sup>4</sup>، أما دورهم في الجانب السياسي فكان قزما، ويرجع ذلك إلى صرامة الحكام العثمانيين وانعزالهم بالحكم، ومن هنا يمكن اعتبار أن مقر الحكم المركزي من أهم الأقطار التي إستهوت واحتضنت الجالية الأندلسية بأعداد كبيرة، ولهذا كان تأثيرهم واضحا في كل المجالات سواء الصناعي، أو الزراعي، أو التجاري<sup>5</sup>.

أمَّا عن أعداد هؤلاء الأندلسيون فمن الصعب تحديد ذلك، لكون هجرتهم لم تكن دفعة واحدة هذا من جهة، ومن جهة أخرى تعدد الأماكن التي استقروا فيها، وعلى الرغم من ذلك فإن هايدوا «Haedo»<sup>6</sup> قدر عددهم أواخر القرن 16م بـ 1000 منزل، ثم تضاعف هذا

<sup>1</sup> Devoulx (A), « La Batterie des Andalous Alger », **R.Af**, n°16, Alger, 1872, p 340-342.

<sup>2</sup> ———, « Les Edifices Religieux de Lancien Alger », **R.Af**, n°14, Alger, 1870, p175.

<sup>3</sup> ———, « Les Edifices ..... », **R.Af**, n°12, Alger, 1868, p279.

<sup>4</sup> ———, « Un médecin Condamne' à Mort Pour Avoir Laisse Mourir Son Malade », **R.Af**, n°16, Alger, 1872, p471.

<sup>5</sup> ———, « Notes Historiques ... », op .cit, pp 391-392.

<sup>6</sup> — رهاب إسباني تعرض للأسر والإختطاف من طرف رياس البحر الجزائريين في شهر أفريل عام 1578م بينما كان يستقل سفينة تابعة لقرصنة مالطا رفقة 289 شخصا، وفي سنة 1581 تم إطلاق سراحه، وقام بنشر أعماله تحت عنوان "طبوغرافية تاريخ الجزائر العام" ويعتبر هذا الكتاب من الوثائق الهامة، وللكتاب أهمية كبيرة كون أن صاحب هذا الكتاب هو من الذين عاشوا ويلات الأسر في الجزائر لذا فشهادة هؤلاء تعد وثائق تاريخية لأنها صادرة عن شخص واع وعن شاهد عيان فقد قام كل من بيربروجر « Berbrugger » مونيروا « Monnerou » بترجمة أجزاء ظهرت تباعا في المجلة الإفريقية ( Revue Africaine ) العدين 14 و15. ينظر: حميد آيت حبوش، "مكانة المصادر الأوروبية في كتابة تاريخ الجزائر في العهد العثماني"، **مجلة الحوار المتوسطي**، ع2، دار الأصول، سيدي بلعباس، 2010، ص ص 72-73.

العدد في مطلع القرن 17م، وبلغ عددهم في شهر واحد سنة 1612م بـ 3804 مُهاجرا حسب ما أفادت به الكتابات الفرنسية.

أنصف شالر « Shaler »<sup>1</sup> هذه الفئة حينما قال: "إنَّ هؤلاء الأندلسيين كانوا أبعد ما يكونوا عن البربرية التي يتصف بها بعض الجزائريين، فإنَّ سلوكهم لياقة ومجاملة، وأنا قد وجدتهم في المعاملات اليومية دائما مهذبين، ومتمدنين، وإنسانيين، ولم أكتشف فيهم أعراض التعصب الديني، أو الكره للأشخاص الذين لا يدينون بدين آخر غير دينهم"<sup>2</sup>.

#### 4- جماعة اليهود:

توجه اليهود إلى إفريقيا الشمالية منذ الاحتلال الأول للقدس، وبدعوا يتوافدون من كل مكان، وكانت أول الموجات اليهودية تلك التي قدمت من أسبانيا، وقد حصلوا على إذن الهجرة من خير الدين باشا وسمح لهم بالإقامة في مدينة الجزائر<sup>3</sup> وتلمسان<sup>4</sup>.  
انقسم اليهود في الجزائر من حيث أصولهم إلى قسمين، فهناك يهود أصليون، تعود أصولهم إلى فترات سابقة للإسلام، أو الذين اعتنقوا اليهودية من أهالي البلاد، ويطلق على هذا الصنف يهود "توشابيم" (Résidents)، والصنف الثاني الذين هاجروا إلى شمال إفريقيا مع المهاجرين الموريسكيين المطرودين هروبا من اضطهاد النصارى عرفوا باليهود الأجانب (Fostareros)، ثم انضم إليهم يهود ليفورن الإيطالية بعد منتصف القرن 17م<sup>5</sup>.

(1) - قنصل إمريكي في الجزائر بين 1816 - 1825م، استطاع خلال هذه الفترة كتابة تقارير مفصلة حول الأيالة، وهذا ما يبرز الدور الذي قام به القنصل أثناء ممارسته لمهامه الرسمية، وهو من رواد الدبلوماسية الإمريكية. ينظر: وليم شالر، مذكرات وليم شالر، تر: إسماعيل العربي، ش. و. ن. و. ت، الجزائر، 1982، ص 5-6.

(2) - حميد آيت حبوش، المرجع السابق، ص 60.

(3) - عزيز سامح ألثر، الأتراك العثمانيون في إفريقيا الشمالية، ط 1، تر: محمود علي عامر، دار النهضة العربية، بيروت، 1989، ص 408.

(4) - للإطلاع أكثر حول الهجرة اليهودية إلى تلمسان والاستقرار بها ينظر:

Darmon, « Origine et Constitution de La Communal Ute Israelite de Tlemcen », **R.Af**, n°14, Alger, 1870, pp376-383.

(5) - أحمد سلطاني، التجارة والتجار في مدينة الجزائر العثمانية على ضوء المصادر المحلية والأجنبية 1792-1830م، مذكرة ماجستير، كلية الأدب والعلوم الإنسانية، جامعة سيدي بلعباس، 2011-2012، ص 17.

كان لليهود شأن في الحياة الجزائرية سرعان ما أخذت تزداد أهميتهم على مر الأيام، وقد سمح لهم "خير الدين" بالإقامة مقابل ذلك دفع ضريبة، أمّا عن أعداد هذه الفئة فيخبرنا هايدوا « Haedo » أن 150 أسرة يهودية كانت تسكن الجزائر نهاية القرن 16م، أما الأب "دان" « Dan »<sup>1</sup> قدر عددهم سنة 1634م بـ 10000 يهودي، في حين نجد "لوجي دوتاسي" « de Tassy »<sup>2</sup> فقد قدرها سنة 1725م بـ 15000 يهودي<sup>3</sup>، في حين قدر عددهم "مولاي بلحميسي" في القرن 18م بأكثر من 8000 يهودي في مقر الحكم المركزي وحده قادمين من إفريقيا، وآسيا، وأوروبا، هذا علاوة على اليهود الأصليين<sup>4</sup>، أما نوع لباس هذه الطائفة فقد فُرض عليهم الأبيض أو الداكن حتى يتمكن الحكام العثمانيون التعرف عليهم بكل سهولة، ومراقبة تحركاتهم لأنهم كانوا مصدر قلق<sup>5</sup>.

من أهم اليهود الأوروبيون الذين كان لهم شأن كبيرا في مقر الحكم المركزي نجد اليهود الليفونيون أمثال عائلتي "بكري" و"بوشناق"، اللذان لعبا دوراً هاماً في الحياة السياسية، والإقتصادية لإيالة الجزائر، والجدير بالذكر فإن هؤلاء اليهود قاموا بعلاقات مع الحكام العثمانيين، فحصلوا على إمتيازات كبيرة إذ لم تفرض عليهم قيود أو ضرائب كبيرة في الموانئ والمدن الساحلية<sup>6</sup>، كما مُنحت لهم أحياء يسكنون فيها، وكانت تلك الأحياء مجهزة

<sup>(1)</sup> - الأب دان "Le père Dan": كان من كبار جماعة الثالوث المقدّس، وفداء الأرقاء عاش في الجزائر خلال جزء من عشية (1630-1640م) أهم ماكتبه تاريخ بلاد البربر وقراصنتها " Histoire de Barbarie Corsairs et de ses ينظر: أبو القاسم سعد الله، مؤرخو وكتاب الحوادث القرن السادس عشر ضمن ترجمته لكتاب جون وولف: الجزائر وأوروبا المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1986م، ص 462.

<sup>(2)</sup> - كان مسئولا في القنصلية الفرنسية بالجزائر عام 1724م، لديه كتاب قيم سماه تاريخ مملكة الجزائر : Histoire du Royaume d'Alger كما تعتبر شهادته حيه لأنه عاصرها بنفسه أثناء إقامته بالجزائر. ينظر: أبو القاسم سعد الله، مؤرخو وكتاب الحوادث.....، المرجع السابق، ص 462.

<sup>(3)</sup> - أحمد السليمان، تاريخ مدينة الجزائر، د. م. ج، الجزائر، 1989م، ص 37.

<sup>(4)</sup> - Moulay (Belhamissi), Alger L'Europe et La guerre Secrète (1518-1830), Alger, Editions Dahl ab, p38.

<sup>(5)</sup> - Berbrugger (A), « Conquête d'Oran », **R.Af**, n°10, Alger, 1866, p47.

<sup>(6)</sup> - Nacereddine (Saidouni), L'algérois Rural à La Fin de L'époque Ottomane (1791-1830), Liban, Dar Al-Gharb Al-Islami, 2001, p413.

بكل المرافق الضرورية للعيش، فكانت مجهزة بالمذابح، والمعابد التي كانوا يجتمعون فيها كل يوم سبت<sup>1</sup>.

لم يكن يسمح لهم بامتلاك الأراضي، ولعل هذا ما يفسر اهتمامهم بالتجارة<sup>2</sup> وممارسة الأنشطة الحرفية، وفي هذا الصدد يقول لوجي دو تاسي « de Tassy »: "فكثير من هؤلاء اليهود قد مارسوا عدة أنشطة ثانوية غير مربحة فنجدهم تجار متجولين، أو حدادين، أو خياطين، وما شابه ذلك"<sup>3</sup>.

وبمرور الزمن أصبحت هذه الجالية تشكل خطراً كبيراً ليس في الجزائر فحسب بل حتى على شمال إفريقيا<sup>4</sup>، لذا مُنعوا من حمل السلاح والتجول به<sup>5</sup>، وهكذا أصبح لهؤلاء اليهود تأثيراً كبيراً لدى الداوي، وأصبحوا يُشكلون منافسة خطيرة على السكان المحليين، وحتى على التجار الفرنسيين، فأصبحوا يمثلون المرجعية الحقيقية للداوي من أجل المساعدة المالية<sup>6</sup>، ويعاملون الرعية بالغش والإحتيال، وقد وجدوا المساعدة من بعض الحكام العثمانيين أمثال مصطفى باشا<sup>7</sup>، وتُشير الدراسات الفرنسية أن "بوشناق" كاد يصبح ملك القصر إن لم توقفه رصاصة مسدس أحد جنود الإنكشارية<sup>8</sup>.

هكذا بالرغم من العناية والرعاية والحرية التي كان اليهود يتمتعون بها في مقر الحكم المركزي منذ وقت مبكر فإنهم لم يكونوا يشعرون في يوم من الأيام بإنتمائهم إلى هذه

<sup>1</sup> - Haedo (F. de Diego), « Topographie ... », op. cit, p 91.

<sup>2</sup> - Lucette (Valensi), Le Maghreb Avant La Prise d'Alger (1790-1830), France, Flammarion, 1969, p27.

<sup>3</sup> - بن عتو بلبروات، "المهاجرون والمهجرون إلى الجزائر العثمانية بين الانعزال والاندماج الاجتماعي"، مجلة المواقف، ع04، الرشاد، معسكر، ديسمبر 2009، ص65.

<sup>4</sup> - Andre (Chouraqui), La Saga Des Juifs en Afrique de Nord, France, Librairie Hachette, 1972, p111.

<sup>5</sup> - Le baron (Henbi), « Notice Sur Bou Saada », R.Af, n°6, Alger, 1862, pp 50-51.

<sup>6</sup> - جون ب وولف، المرجع السابق، ص426.

<sup>7</sup> - يصف هايدوا « Haedo » هذا الباشا بقوله رجل يبلغ من العمر حوالي 35 سنة من عائلة طيبة إذ لم يمكث إلا أربعة أشهر جويلية إلى شهر أكتوبر 1595م، وفي هذه الفترة لم يكن ما يوجب ذكره. ينظر: فراي ديغو هايدو، تاريخ ملوك الجزائر، تر: أبو لؤي عبد العزيز الأعلى، دار الهدى، الجزائر، 2013، ص243.

<sup>8</sup> - Berbrugger (A), « L'affaire Bakri », R.Af, n°13, Alger, 1869, p63.



البلاد، فكانوا دائماً يفضلون مصلحتهم الخاصة على مصلحة الرعية، وأن علاقة الجالية اليهودية بالمجتمع الجزائري خلال العهد العثماني لا تكون علاقة تجارية منفعية أكثر منها روحية وعضوية<sup>1</sup>.

## 5- الأوروبيون:

تُعتبر هذه الفئة دخيلة على المجتمع الجزائري شأنها شأن فئة اليهود، فهي بدورها تنقسم إلى قسمين قسم يشمل الأوروبيين الأحرار أو الطلقاء، فكانوا إما قناصل أو موظفين أو تجار، والقسم الثاني يشمل الأسرى المسيحيين، بالنسبة للمسيحيين الأحرار كان عدد هذه الفئة ضئيل جداً، فقد تمثلوا عموماً في القناصل والتجار الأوروبيين، فالمصادر الأجنبية لم تولي اهتماماً كبيراً لهذه الفئة، فكان تركيزهم منصبا على الأسرى. ارتبط تواجد هؤلاء الأوروبيين بالوضع العام للبحر المتوسط، ذلك أن كلما توترت العلاقة بين الجزائر والدول الأوروبية واشتدت أعمال القرصنة أثر ذلك بشكل مباشر على حركة وقدوم هؤلاء الأوروبيين، شكّل القناصل والوكلاء الأوروبيون مجتمعا خاص بهم، عاش طوال حياته في كنف التسامح الإسلامي<sup>2</sup>.

كان هؤلاء الأسرى عند مجيئهم إلى المدينة تُقيد أسماءهم في سجلات قنصليتهم، ثم يلتحقوا بجالياتهم الموجودة في المدينة لكن استقرارهم لم يكن طويلاً، فكانوا يعودون إلى بلدانهم فور انتهاء مهامهم<sup>3</sup>، خُصص لهؤلاء القناصل<sup>4</sup> الموجودين بمقر الحكم المركزي يوم

(1) - الزين محمد، المرجع السابق، ص104.

(2) - حميد أيت حبوش، المرجع السابق، ص70.

(3) - Devoulx (A), « Relevé des Principe Aux Français qui Ont Résidé à Alger de 1686 à 1830 », **R.Af**, n°16, Alger, 1872, p356.

(4) - حول موضوع القنصلية والقناصل الأجانب بمدينة الجزائر راجع:

Berbrugger (A), « Un Consul Alger au 18 Siècle », **R.Af**, n°6, Alger, 1862, pp 332-348.

Devoulx (A), « Querelle Entre Consul et Négociant », **R.Af**, n°15, Alger, 1871, pp261-270.

\_\_\_\_\_, « Germain Chancelier de Consulat de France à Alger », **R.Af**, n°15, Alger, 1871, pp 415-419.

de Grammont, « Correspondance de Consuls d'Alger », **R.Af**, n°32, Alger, 1888, pp 52-80.



من كل شهر يقومون خلاله بطرح إنشغالاتهم وإهتماماتهم وهذا كنوع من الإمتياز<sup>1</sup>. إلى جانب دورهم الرسمي الدبلوماسي فإن بعض القناصل قاموا بالتجسس لصالح حكوماتهم، وذلك لإعداد مشاريع لغزو الجزائر، وغالبا ما تسببت تلك الأدوار في توتر العلاقات مابين الجزائر والدول الأوروبية<sup>2</sup>، وهذا ما انعكس سلبا على إيالة الجزائر نذكر على سبيل المثال لا الحصر ما قام به القنصل "دوفال" « Deval » الذي تسبب في تأزم العلاقات الجزائرية - الفرنسية والتي انتهت بالإحتلال الفرنسي للجزائر<sup>3</sup>، والشيء نفس قام به القس غرامي « Gramaye » الذي أعد مشروعا حرّض فيه الحكومات الأوروبية على غزو الدول المغربية تونس، والجزائر، وطرابلس الغرب، والقضاء على الأتراك العثمانيين<sup>4</sup>. لكنهم كثيرا ما كانوا يلجئون إلى قنصليتهم لتسوية وضعيتهم عند حدوث أي خلاف أو توتر<sup>5</sup>، وكان الدور الأساسي الذي يقوم به القناصل هو حماية المصالح البحرية، وسلامة أساطيلهم في البحر الأبيض المتوسط، وحماية رعايا دولهم، وحماية المبادلات التجارية بين بلدانهم والجزائر<sup>6</sup>.

أما الفئة الثانية من الأوروبيين فقد شملت الأسرى المسيحيين<sup>7</sup> التي تعود أصولهم إلى أمريكا والدول الأوروبية، فكانت تتقلهم السفن الجزائرية بعد انهزامهم في المعارك<sup>8</sup>، أما عن

<sup>1</sup> - de Paradis (V), Tunis et Alger..., op .cit, p 239.

<sup>2</sup> - الزين محمد، المرجع السابق، ص 108.

<sup>3</sup> - de Paradis (V), Tunis et Alger..., op .cit, p152.

<sup>4</sup> - الزين محمد، المرجع السابق، ص 108.

<sup>5</sup> - Watbled (E), « Aperçu Sur Les Premiers Consulats Français Dans Le Levant », **R.Af**, n°16, Alger, 1872, p23.

<sup>6</sup> - حميد أيت حبوش، المرجع السابق، ص 70.

<sup>7</sup> - للمزيد حول الأسرى المسيحيون في الجزائر. ينظر:

Berbrugger (A), « Captif et Patronne à Alger en 1640 », **R.Af**, n°8, Alger, 1864, pp 302-315.

de Haedo, « de La Captivité à Alger », **R.Af**, n°39, Alger, 1895, pp 54 a 258.

Violle (M), « de La Captivité à Alger par Fraya de Haedo », **R.Af**, n°39, Alger, 1895, pp 94 a 967.

Emerit (M), « Esclaves et Missionnaires en Barbarie 1672-1682 », **R.Af**, n°93, Alger, 1949, pp 38- 64.

<sup>8</sup> - Haedo (F .de Diego), Topographie ... , op .cit, p 490.

أوضاع هؤلاء الأسرى فكانت تختلف من أسيرا إلى آخر فقد مثلوا أغلبية الأوروبيين، فكانت وضعيتهم حسنة إذا ما قورنت بأوضاع الأسرى المسلمين في الدول الأوروبية<sup>1</sup>.

انطلاقاً من هذه الشهادة المذكورة يمكن القول بأن الأسرى المسيحيين في مقر الحكم المركزي كانوا يُعاملون معاملة أقل ما يمكن أن يقال عنها أنها حسنة، بينما نجد الأسرى المسلمين في الدول الأوروبية يُعاملون معاملة قاسية وهمجية، وتجدر الإشارة أن هؤلاء الأسرى المسيحيين سُمح لهم بتقليد بعض المناصب في قصر الداي أو عند المسؤولين<sup>2</sup>.

تشير الكتابات الفرنسية أن هؤلاء الأسرى قد خُصصت لهم مراكز وأماكن، وكان يُكلف من هؤلاء الأسرى من يحسن القراءة والكتابة لتدوين الأحداث يسمى "الكاتب الكبير"، وبعد مدة زمنية بإمكانه شراء ذمته نظيراً للخدمة التي قام بها، فقد كلف الحكام العثمانيون بتعيين شخصية عسكرية لتسيير مراكز هؤلاء الأسرى والذي يدعى "الحارس باشا"، وهو برتبة ضابط عسكري يسهر على حسن تسيير هذه المراكز، كما يقوم بتوزيع المهام على الأسرى، وكان يوجد في مقر الحكم المركز أكبر مركز لهؤلاء الأسرى يسمى: "سجن البايك"، أما المركز الثاني الأقل أهمية منه هو سجن سيدي حمودة نسبة إلى ولي صالح.

وتُخبرنا الوثائق الأجنبية بحقيقة تُثير الدهشة مفادها أن الحكام العثمانيين كانوا يمنعون هؤلاء الأسرى الدخول في الإسلام عكس اليهود، بل وصل الأمر بهم إلى معاقبة من يفكر بالدخول في الإسلام، السؤال الذي يفرض نفسه الآن هو: ما هو غرض الحكام العثمانيين من إبقاء هؤلاء المسيحيين على ديانتهم؟، ويعود السبب حسب ما تذكره المصادر نفسها هو رغبة البايات في الحصول على الأموال من هؤلاء المسيحيين ماداموا أهل الذمة<sup>3</sup>، وهنا

<sup>1</sup> - de Paradis (V), Tunis et Alger..., op .cit, p 152.

<sup>2</sup> - Berbrugger (A), « de l'esclavage Musulman en France », **R.Af**, n°1, Alger, 1856, p41.

<sup>3</sup> - عرف الفقه الإسلامي هذا المصطلح بأنه يطلق على من يجوز الذمة معهم من أهل الكتاب كاليهود والنصارى في ديار الإسلام مع دفع الجزية مقابل حماية الإسلام لهم. ينظر: بليل رحمونة، القناصل والقنصليات الأجنبية بالجزائر من 1564-1830، أطروحة الدكتوراه، كلية العلوم الإنسانية والحضارة الإسلامية، جامعة وهران، 2010-2011، ص 245.

يقول الحق ﴿ قَاتِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَتَّى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَنْ يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ ﴾<sup>1</sup>، لكن إذا إعتنقوا الإسلام تسقط الضرائب عليهم، وهكذا جعل بعض البايات من هؤلاء المسيحيين مصدرا لكسب الرزق والثراء.

أما عن أعداد هؤلاء الأسرى فقد قُدر بين سنتي 1787-1788م بـ 2000 أسيرا، وقد شهدت هذه الفترة ظهور الطاعون الذي لم يستثن حتى الأسرى الأوروبيين<sup>2</sup>، وقد أشار الراهب الأب بيار دان « Dan » أنه كان حوالي 25000 من الأرقاء الذكور، و 1000 من الإناث في مدينة الجزائر خلال الثلاثينيات من القرن 17م، ويخبرنا أحد الملاحظين بأن عدد الرق المسيحيين الذين كانوا يباعون في أسواق مقر الحكم المركزي بين 1520م و 1660م كان يتراوح بين خمسمائة ألف وستمائة ألف نسمة<sup>3</sup>، أما دي غرامون « de Grammont »<sup>4</sup> فقد قدر عددهم أواخر القرن 18م بنسبة لا تتجاوز 3000 أسيرا<sup>5</sup>. إلى جانب الطاعون كان هناك سبب آخر أدى إلى انخفاض أعداد هؤلاء الأسرى هو عقد معاهدة بين الجزائر والو.م.أ والدول الأوروبية، لتشهد أعدادهم ارتفاع في مطلع القرن 19م، ويرجع ذلك إلى ازدهار البحرية الجزائرية، هذا فضلا على إنشغال أوروبا بحروبها

<sup>(1)</sup> - سورة التوبة، الآية 29.

<sup>(2)</sup> - de Paradis (V), « Alger au 18 Siècle », **R.Af**, n°40, Alger, 1896, p 33.

<sup>(3)</sup> - جون ب وولف، المرجع السابق، ص 207.

<sup>(4)</sup> - إسمه الكامل هنري دلماس دي غرامون « Henri Delmas de Grammont » ولد في 5 أوت 1830م أي عشية الاحتلال الفرنسي للجزائر من عائلة أرستقراطية وعسكرية عريقة وهو ابن لضابط عسكري فرنسي، وقد تقلد عدة وظائف منها مهنة حامي للرئيس والتي كان يرافق فيها الملك الكبير شارل السادس، فقد أمضى نصف عمره بالجزائر إنتقل إلى الجزائر سنة 1850م في إطار الخدمة العسكرية، ينظر: عبد الجليل رحموني، إهتمامات المجلة ....، المرجع السابق، ص 56.

<sup>(5)</sup> - de Grammont (H.-D), Histoire d'Alger Sous la Domination Turque (1515-1830), Paris, Ernest le roux, Editeur, 1887, p 20.

القارية خلال 1802-1815م مما سمح للبحارة الجزائريين الاستيلاء على العديد من السفن الأوروبية<sup>1</sup>.

كان البايات عند زيارتهم إلى مقر الحكم المركزي يجلبون معهم الأسرى من 70 إلى 80 أسيرا ويقدمونهم إلى الدايات كهدايا، أما بالنسبة لأوضاع هؤلاء الأسرى كان المحظوظ منهم يعمل في قصر الداوي لأنهم كانوا يعيشون حياة رفاهية<sup>2</sup>، وهناك من أشتغل بالحرف كالحدادة، والبناء، والنجارة، أما أولئك الذين لا يملكون حِرفا فإنهم كانوا يقومون بأعمال أخرى كنقل الحجارة خارج المدينة أو شحن السفن وإفراغها من السلع والبضائع وغيرها من الأعمال الأخرى<sup>3</sup>.

كان قانون صارم يمنع خروج أي أسير أو تنقله خارج أسوار مقر الحكم المركزي دون إذن مسبق، أما بالنسبة لنوع الغذاء الذي كان يُقدم للأسرى فكان عبارة عن 4 قطع خبز، وكان بإمكان الأسير افتداء نفسه إذا أمتلك المبلغ المحدد لذلك<sup>4</sup>، أما إذا كان من الشخصيات المهمة فإن فديته تتضاعف<sup>5</sup>.

كانت تتدخل بعض الدول الأوروبية لإفداء أسراها مثل ما فعلت نابولي التي قامت بدفع أموال طائلة لتحرير ريان السفينتين، بينما تجاهلت بقية البحارة، وقد ساهم رجال الدين أيضا في تحرير الأسرى فكانت المفاوضات تقام بين الإيالة الجزائرية والدول الأوروبية حول تبادل الأسرى<sup>6</sup>.

## 6- فئة البرانية:

هم السكان الوافدين من قراهم إلى المدن الكبرى كمدينة الجزائر بغرض الإقامة أو العمل، ومع ذلك انتسبوا إلى مواطنهم الأصلية التي أتوا منها، فقد ضمت فئة البرانية

<sup>1</sup> - Devoulx (A), « Le Registre de Prises Maritimes », **R.Af**, n°16, Alger, 1872, pp70-77.

<sup>2</sup> - de Paradis (V), « Alger au 18... », op .cit, pp 35 -36.

<sup>3</sup> - \_\_\_\_\_, Tunis et Alger..., op .cit, p 153.

<sup>4</sup> - de Paradis (V), « Alger au 18... », op .cit, p37.

<sup>5</sup> - \_\_\_\_\_, Tunis et Alger..., op .cit, p155.

<sup>6</sup> - \_\_\_\_\_, « Alger au 18... », op .cit, pp 33-34-37.

العديد من العناصر كالميزابيون، والبساكرة، والأغواطيون، بالإضافة إلى العبيد، فقد لعبت هذه الفئة دورا إقتصاديا مميزا نظرا لتقانيها في العمل، ورغم ذلك لم تستطع الاندماج في المجتمع الجزائري نظرا لعاداتها وتقاليدها الدينية<sup>1</sup>.

والجدير بالملاحظة أن فئة البرانية لم تكن محصورة في مقر الحكم المركزي فقط، بل عرفت مدينة قسنطينة هي الأخرى نزوح قبلي، فاستقروا فيها ومارسوا العديد من الأنشطة والحرف كالنسيج، والحدادة، وذكرت الكتابات الفرنسية أن عدد الحرف بقسنطينة لوحدها قُدر بعشرين حرفة، وبإختصار فإن هذه الفئة إشتملت على العناصر الآتية<sup>2</sup>:

أ- الميزابيون<sup>3</sup>: كان الميزابيون من أهم عناصر هذه الفئة عُرِفوا بإخلاصهم للحُكام العثمانيين، لذا تمتعوا بعدة إمتيازات<sup>4</sup>، تعود هذه الإمتيازات إلى زمن حسن آغا<sup>5</sup> عندما قاموا بتقديم مساعدة له في حملته ضد شارل لكان سنة 1541م، واستمرت هذه الإمتيازات إلى غاية 1830م<sup>6</sup>.

كما أسهموا بحوالي 800 فارسا في معركة ضد حملة أورلي الإسبانية سنة 1775م<sup>7</sup>

<sup>(1)</sup> - أحمد سلطاني، المرجع السابق، ص ص 15-16.

<sup>(2)</sup> - Feraud (L), « Les Corporations de Métiers à Constaine Avant La Conquête Française », **R.Af**, n°16, Alger, 1872, p 454.

<sup>(3)</sup> - لمعرفة المزيد حول المجتمع الميزابي ينظر:

de Motylinski (A), « Notes Historiques Sur le Mzab », **R.Af**, n°28, Alger, 1884, pp 401-447.

Colone (A), « le Mzab », **R.Af**, n°23, Alger, 1879, pp 172-210.

<sup>(4)</sup> - de Paradis (V), Tunis et Alger..., op .cit, p 119.

<sup>(5)</sup> - ذكر هايدوا « Haedo » أن حسن آغا كان رقا من أصل سرديني أختطفه خير الدين أثناء حملته على سردينيا وكان لايزال طفلا صغير، ولأنه كان جميل الطلعة والقوام أخذه كخادم له في القصر ونشأ وترعرع على يديه، وولاه على الحكم سنة 1535م. ينظر فراي ديغو هايدو، تاريخ.....، المصدر السابق، ص 73.

<sup>(6)</sup> - Rene (Lespes), « Quelques Documents Sur La Corporation des Mozabites Dans Les Premiers Temps de La Conquête 1830-1838 », **R.Af**, n°66, Alger, 1925, p 199.

<sup>(7)</sup> - تعتبر هذه الحملة من أهم حملات القرن 18م، على مدينة الجزائر أعدها الملك الإسباني شارل الثالث انطلقت من خليج قرطاجنة الأسبانية في 23 جوان 1775م، ووصلت في 30 جوان من نفس السنة، شكلت أسطولا حربيا كبيرا بلغ تعدادة حوالي 400 سفينة حربية، لكن هذه الحملة أنتهت بالفشل الذريع لأسبانيا. للأطلاع بشكل مفصل حول هذه الحملة ينظر: عبد الجليل رحموني، اهتمام المجلة الإفريقية بحملة الضابط أوريلي على مدينة الجزائر 1775م، المجلة المغاربية للدراسات التاريخية والاجتماعية، ع 11، جوان 2015، ص ص 30-31.

للدفاع عن مدينة الجزائر<sup>1</sup>، وتجدر الإشارة إلى أن الميزابيون عملوا في مختلف الأنشطة خاصة النشاط التجاري حيث كانوا يبيعون اللبن لجنود إنكشارية تكثت باب عزون<sup>2</sup>.

**ب- البساكرة:** ينتسبون إلى واحة بسكرة بالجنوب الشرقي الجزائري واستمدوا اسمهم منها، وهم يمثلون القبائل الصحراوية العربية في المدن التي ينتقلون إليها بحثا عن العمل<sup>3</sup>، عرفت هذه الجماعة نشاطاً تجارياً كبيع الخضر والفواكه، إلى جانب التجارة مارسوا أنشطة أخرى كالعمل في الحمامات، والبعض الآخر عمل في الميناء لشحن وتفريغ السفن، بينما التحق آخرون في سلك الجيش، كما اشتهرت هذه الجماعة بنظافتها للشوارع، وحراستها للمحلات التجارية في مدينة الجزائر، أي كانت مسئولة عن حفظ الأمن داخل المدينة<sup>4</sup>.

**ج- الجيجليون:** حظيت الجماعة الجيجلية بمكانة خاصة، ومرد ذلك حسب بعض الروايات أن هذه العناصر رافقت عروج وخير الدين إلى مدينة الجزائر لما استتجدا بهما أعيان المدينة، وقد علق دي بارادي « Venture de Paradis »<sup>5</sup> على هذه العناصر بقوله: "حظوة الجيجليين بمنزلة الحظوة التركية، إذ هم دون سواهم من العناصر البرانية لهم الحق

<sup>1</sup> - Devoulx (A), « Expédition d'Oreilly d'après Un Document Turc », **R.Af**, n°3, Alger, 1858, p 436.

<sup>2</sup> - Rinn (L), « Le Royaume... », op.cit, p 133.

<sup>3</sup> - حميد أيت حبوش، المرجع السابق، ص 63.

<sup>4</sup> - de Paradis (V), Tunis et Alger..., op .cit, p 119.

<sup>5</sup> - إسمه الكامل جون ميشال فونتور دي بارادي « Djoun Metchel Venture de Paradis » وُلد في 08 ماي 1739م بفرنسا أبوه فرنسي الأصل، أمّا أمه يونانية المنشأ، كان والد فونتور دي بارادي « Venture de Paradis » يعمل كمترجم في قنصليات فرنسا بالشرق، فقد تعلم اللغة التركية والعربية في معهد اللغات بباريس، وقد مارس عدة وظائف عبر مختلف المدن العثمانية، وفي سنة 1770م عُيّن مُساعدا لرئيس الترجمة الفرنسيين بمصر فتعرّف بعلي بك الكبير، وتوطدت العلاقة بينهما ثم أرسل ممثلا لفرنسا لدى بلاط المغرب الأقصى، وعُيّن بعدها رئيسا لديوان الترجمة بتونس، وأخيرا صدر أمر الملك لويس السادس عشر برفعه إلى منصب مترجم اللغات الشرقية في وزارة الخارجية، وبين سنتي 1788-1790م أنتت به السلطات الفرنسية إلى الجزائر لتسوية الخلاف الذي نشب بين الجزائر وفرنسا، فقام سنتين بالعاصمة ودرس خلالها نظامها وترتيبها. للمزيد عن هذه الشخصية ينظر: عبد الجليل رحموني، اهتمامات المجلة الافريقية.....، المرجع السابق ص 51.

في حمل السلاح، وارتداء الملابس المطرزة بالذهب على النمط التركي<sup>1</sup>. وهو ما لم يكن يسمح به للجماعة المحلية، أما محاكمتهم فكانت لا تقوم إلا على يد الداي<sup>2</sup>.

**د - الأغواطيون:** ينتسبون إلى مدينة الأغواط، وقبائل الزناجرة، وأولاد نايل، وأغلبهم تولى أعمال متواضعة كالعمل في الأسواق وحمل البضائع<sup>3</sup>، وقد ذكر هايدوا « Haedo » أن أفراد الفئة البرانية في أغلبهم لم يكونوا ميسوري الحال، فكان الكثير منهم يعيش في أكواخ خارج المدينة، بينما وجدت فئة أخرى تستأجر غرفا داخل المدينة<sup>4</sup>.

**هـ - القبائل:** من أهم الجماعات في مقر الحكم المركزي أتوا من المناطق الجبلية كمنطقة جرجرة، إشتغلوا ببيع الزيت، ومارسوا عدة أنشطة كبناء السفن، وقد عُرفوا بتعلقهم الشديد بموطنهم الأصلي، وتفيد إحصائيات أنهم قد بلغوا 40000 ن أوائل القرن 19م.

**ح - السودانيون:** كانت تعيش هذه الفئة ذات الأصول السودانية في المدن والأرياف الجزائرية، وقد جلبهم التجار الجزائريون من المناطق الداخلية بالسودان الغربي، وكان أفراد هذه المجموعة يمارسون عدة أنشطة كالعمل في الحمامات العمومية والمقاهي، ومنهم من مارس التجارة، وانضمَّ بعضهم إلى الفرق العسكرية والتي عرفت بفرقة العبيد<sup>5</sup>.

<sup>(1)</sup> - حميد أيت حبوش، المرجع السابق، ص 64.

<sup>(2)</sup> - de Paradis (V), Tunis et Alger..., op .cit, p 119.

<sup>(3)</sup> - أحمد سلطاني، المرجع السابق، ص 16.

<sup>(4)</sup> - Haedo (F .de Diego), « Topographie ... », op .cit, p 492.

<sup>(5)</sup> - أرزقي شويتام، المرجع السابق، ص ص 151-152.

### ثالثاً: الجهاز الإداري والتنظيم السياسي لمقر الحكم المركزي (دار السلطان)

بعد الحديث عن الإطار التاريخي والجغرافي، وكذا التركيبة البشرية والعمرانية لمقر الحكم المركزي الآن يجدر بنا الحديث عن الجهاز الإداري العثماني الذي كان يخضع لتنظيم وتسيير مركزي محكمين مقره دار السلطان، يقوم هذا الجهاز على مجموعة من الموظفين يمكن تصنيفهم إلى:

#### 1- الداي:

هو رئيس الإيالة والحاكم العام وهو قائد الجيش في البلاد، كان يمارس كل صلاحيات رئيس السلطة السياسية المتمثلة في تطبيق القوانين المدنية والعسكرية وإستقبال السفراء، يتم إنتخاب الداي من طرف أعضاء الديوان العالي، وقد جرت العادة أن يتفرغ الداي للحكم بمجرد تعيينه وتنصيبه في القصر ولا يسمح له بالخروج منه إلا مرة واحدة في الأسبوع<sup>1</sup>، أما عن كيفية تعيينه فقد كان يجتمع الديوان ورجاله الساميين من وزراء وأشرف لتعيين وتنصيب الداي الجديد خلال جلسة استشارية تكون موسعة بحضور ضباط وأوجاق الجزائر<sup>2</sup>.

والجدير بالملاحظة أن منصب الداي كان مفتوحاً أمام أعضاء الديوان، وأكبر دليل على ما نقول هو إعتلاء "محمد عثمان" باشا الخرنجي من 1766-1791م منصب الداي، وذلك بعد توليه عدة مناصب<sup>3</sup>.

أمّا بخصوص عوائد الداي فتعتبر أجرته أكبر أجرة في الإيالة فمثلا نجد "الحاج محمد باشا" الذي حكم مابين 1671-1682م كان أجره السنوي حوالي 106 بتاك شيك<sup>4</sup>،

(1) - عمار بوحوش، المرجع السابق، ص 64.

(2) - de Paradis (V), « Alger au... », op.cit, p 264.

(3) - ibid, p78.

(4) - هي عبارة عن عملة من العملات التي استعملت في الجزائر خلال القرن 18م، والعملة الوحيدة ذات القيمة المستقرة، وهي عملة نظرية كما هو الحال "للفرنك" أو الجنيه الفرنسي "Livre de France"، الذي يعادل دوما عشرين صول "Sols"، وتساوي بدقة شيك دوما 232 أسبر، وهي ثلث قرش عادي "Piastre Courante"، الذي يعادل وزنه تقريبا بيستولين اثنين ونصف "deux Pistoles et demie"، غير أن هذا الوزن قد يزيد أو ينقص حسب إرادة الداي.



أي ما يعادل 17,6 بتاك شيك كل شهرين هذا علاوة على الهدايا<sup>1</sup>، أما "دي بارادي" «de Paradis» فقد قَدَّرَ عوائد الداوي الإجمالية السنوية بـ: 25.000 نقداً سلطاني، وهذا دون إحستاب عائدات الغنائم<sup>2</sup>، فقد ساهم هذا الثراء في كثير من الأحيان في حل الأزمات والتهديدات التي كان يتعرض لها مقر الحكم المركزي، فكانوا هؤلاء الدايات ينفقون مبالغ ضخمة لرد الحملات الأسبانية<sup>3</sup>، أما لباس الداوي فقد كان يرتدي قميصاً مطرزاً بالذهب فوقه عباءة تصل إلى الركبتين<sup>4</sup>.

## 2 - الديوان:

هو المجلس الأعلى للحكومة المكلف بجميع أعمالها، والذي كان يتكون من ضباط، فقد كان الديوان يعقد إجتماعات في حالة الحرب في غرفة تكون خارج القصر<sup>5</sup>، ويذكر "دو فوليكس" «A. Devoulx»<sup>6</sup> عن رواية القسيس "دان" «Dan» حضر ذات مرة لإجتماع الديوان، وكان أثناء حضور القسيس "دان" «Dan» يدور الحوار حول مقترحات لتبادل الأسرى العثمانيين، ويذكر القسيس أن الآغا هو رئيس المجلس الذي يقرر ما يناقش في

ينظر: ناصر الدين سعيدوني، النظام المالي للجزائر أواخر العهد العثماني 1792-1830م، ط3، البصائر للنشر، الجزائر، 2012، ص 310.

<sup>(1)</sup> - حسان كشرود، رواتب الجند وعامة الموظفين وأوضاعهم الاجتماعية والاقتصادية بالجزائر العثمانية من 1659-1830م، مذكرة ماجستير، كلية العلوم الإنسانية، جامعة منتوري قسنطينة، 2007-2008م، ص 149.

<sup>(2)</sup> - de Paradis (V), «Alger au...», op.cit, pp 267-268.

<sup>(3)</sup> - ibid, p 260.

<sup>(4)</sup> - ibid, p 201.

<sup>(5)</sup> - Devoulx (A), Tachrifat Recueil de Notes Historiques sur l'Administration de L'ancienne Régence d'Alger, Alger, Imprimerie du Gouvernement, 1852, pp 34-35.

<sup>(6)</sup> - لم نتمكن من الحصول على تاريخ ميلاد "دو فوليكس" «A. Devoulx» ذلك أن الوثائق التي نتحدث عنه لا تشير إلى تاريخ ميلاده، أما تاريخ وفاته ذكرت الوثائق أنه توفي في 13 نوفمبر 1876م، عرفت هذه الشخصية عدة أعمال باللغة العربية الشيء الذي مكنه من ذلك معرفته للغة العربية بدرجة أفضل من بيربروجر «Berbrugger (A)» لذلك اهتم بالوثائق الإدارية، والدينية والوقفية، ومن خلال ذلك نشر أعمالاً هامة عن المؤسسات، وقد ترك لنا وصفاً حياً للبناءات الدينية التي تهدم معظمها في مدينة الجزائر وضواحيها. لمعرفة أكثر عن هذه الشخصية راجع، عبد الجليل رحموني، اهتمامات المجلة.....، المرجع السابق، ص 55.

الجلسة وهو بذلك يجلس في مكان أكثر تشريفاً، بينما يحضر الباشا ويدلي برأيه مثل باقي الحاضرين، وقد كان هناك كاتب للديوان يسجل ما تنتهي إليه الآراء<sup>1</sup>.

يخبرنا "دان" « Dan » أيضاً أنّ كل ضباط الأوجاق كانوا أعضاء في هذا الاجتماع عددهم لا يقل عن 700 شخصاً...، ويضيف معلقاً عن أعضاء الديوان بقوله: "بأنه في أغلب الأحيان لم تكن هناك قوانين ولا نصوص يحكمون بها، بل كانوا يلتزمون بوقت محدد لإصدار الحكم سواء أكان عادلاً أم جائراً حسبما يرضي به أولئك المستشارين"<sup>2</sup>.

والجدير بالذكر فإن الداي في مقر الحكم المركزي كان يستعين بمجموعة من العناصر تعمل في إطار الديوان تمثلت هذه العناصر في:

#### أ- الخزناجي:

هو بمثابة وزير المالية يشرف على دفع أجور ورواتب الموظفين، وذلك في كل شهر أفريل والنصف الأول من شهر ماي، ويعرف هذا الشهر بشهر الرواتب الكبرى والتي مدتها أربعين يوماً، وتدفع الأجور داخل خيمة كبيرة يُطلق عليها "أوطاق" « Otac »<sup>3</sup>.

#### ب- خوجة الخيل:

يشرف على جمع الضرائب، ويعتبر هذا المنصب هاماً جداً في المنظومة الإدارية العثمانية وفق ما تذكره المصادر الأجنبية، كما أن مهمته تتمثل في مراقبة وتسيير الشؤون الإدارية لمقر الحكم المركزي ومتابعة أملاكه<sup>4</sup>، وإدارة أملاك البايك، وكان بإمكان خوجة الخيل الإرتقاء إلى منصب خوجة خيل الإنكشارية<sup>5</sup>.

<sup>(1)</sup> - ديفولكس ألبير، خطط مدينة الجزائر من خلال مخطوط ديفولكس والأرشيف العثماني، ترجمة وتحقيق: مصطفى بن حموش - بدر الدين بلقاضي، م. و. ف. م، الجزائر، 2004م، ص 57.

<sup>(2)</sup> - Devoulx (A), « Alger », **R.Af**, n°20, Alger, 1876, p155 et 158.

<sup>(3)</sup> - de Paradis (V), « Alger au... », op.cit, pp 47-48.

<sup>(4)</sup> - Federmann (H), « Notices Sur Histoire L'administration du Beylik de Titeri », **R.Af**, n°11, Alger, 1867, p 117.

<sup>(5)</sup> - de Paradis (V), « Alger au... », op.cit, p73.

### ج- وكيل الحرج:

هو المكلف بالعمليات المتعلقة بالأغنام والأنشطة التجارية البحرية، وتحديد الرسوم المفروضة على السلع بالموانئ، وكان هذا المنصب له قيمة كبيرة خاصة في القرنين 16 و17 الميلاديين، وقد وصف "دي بارادي" «de Paradis» وكيل الحرج بالشخصية القوية والخبرة بأمور البحر<sup>1</sup>، كان وكيل الحرج يلقب بوزير البحرية، والذي يساعده في مهامه عدة موظفين من أهمهم قائد المرسى الذي يعتبر بمثابة رئيس المرسى<sup>2</sup>.

### د- بيت المالجي:

هو المسئول عن المسائل المتعلقة بالمواريث، وحسب القانون المعمول به أن صاحب هذا المنصب يمنع من الزواج حتى لا يتهاون في وظيفته أو حتى لا يفكر في إختلاس أموال الخزينة لأغراضه الخاصة، لكن هذا القانون ألغي بعد سنة 1766م فسمح له فيما بعد بالزواج<sup>3</sup>.

هـ-الآغا: مسئول عن الجيش البري وهو قائد الإنكشارية<sup>4</sup>.

### ح- الباش كاتب:

يعتبر الأمين العام للحكومة حيث يتولى تسجيل وجمع القرارات التي يتخذها الديوان في إجتماعاته تحت إشراف الداوي، بالإضافة إلى كبار هؤلاء المسؤولين كان هناك موظفون آخرون يعتمد عليهم الداوي في تنفيذ سياسته في البلاد<sup>5</sup>.

### 3-القضاء:

كان الداوي في مقر الحكم المركزي هو مصدر السلطة المركزية السياسية والقضائية، بإمكانه تفويض هذه السلطات إلى البايات والقضاة، والجدير بالملاحظة أن الأيالة لم تكن

<sup>1</sup> - de Paradis (V), Tunis et Alger..., op .cit, pp 161 et 270.

<sup>2</sup> - Devoulx (A), « Le Registre de.....,Op.Cit, pp 74-75.

<sup>3</sup> - de Paradis (V), Tunis et Alger..., op .cit, p118.

<sup>4</sup> - Watbled (E) , « Pachas... », op.cit, p 441.

<sup>(5)</sup> - عمار بوحوش، المرجع السابق، ص66.

تدفع مرتبات القضاة وإنما يحصلون على رسوم ومبالغ مالية عن كل عقد يسجلونه ويضعون ختما عليه<sup>1</sup>.

كان لهذا النظام القضائي أثرا مباشرا على إدارة المجتمع طيلة ثلاثة قرون من الزمن، فكانت المحاكمة تُقام في المسجد الكبير، وكان يوجد مُفتيان وقاضيان يجتمعان كل يوم خميس لمناقشة القضايا، وهذا إن كان صاحب القضية مسلماً، أما إذا كان المتخاصمان غير مسلمين أو أحدهما غير ذلك فإن المحاكمة تقام خارج المسجد، أما يوم الثلاثاء فكان يوم عطلة بالنسبة للقضاة<sup>2</sup>.

وُجد في مقر الحكم المركزي مسجد يُدعى مسجد دار القاضي، حيث يوجد هذا المسجد الصغير الذي لم تكن له مئذنة في نفس الدرب مع المحكمة، وفي إعتقاد "دو فوليكس" « Devoulx A » أن هذا المركب لا يتجاوز من حيث تاريخ تأسيسه سنة 1761-1762م، وقد آل الموقع كلياً إلى الهدم مثلما حدث لمسجد دار القاضي والشماعين<sup>3</sup>.

أما عن إدارة الجلسة فكان يديرها قاضي يُعيّنه الداي، وكانت الأحكام التي يطلقها القاضي في أغلبها غير قابلة للطعن<sup>4</sup>، وكان الأتراك من موظفين وعسكريين وكراغلة يتوجهون إلى المحكمة الحنفية، بينما يتوجه السكان المحليين من عرب وبربر إلى المحكمة المالكية، ويصف "دي بارادي" « de Paradis (V) » أنشطة الجامع الكبير، بقوله: "إنّ المفتيين والقاضيين كانوا يجتمعون للحكم في القضايا المهمة التي لم يستطيع الحاكم العام الفصل فيها<sup>5</sup>.

<sup>(1)</sup> - عمار بوحوش، المرجع السابق، ص71.

<sup>(2)</sup> - de Paradis (V), « Alger au... », op.cit, p107.

<sup>(3)</sup> - مصطفى بن حموش، مساجد مدينة الجزائر وزواياها وأضرحتها في العهد العثماني من خلال مخطوط ديفوليكس والوثائق العثمانية، دار الأمة، الجزائر، 2010م، ص31.

<sup>(4)</sup> - de Paradis (V), Alger au XVIII Siècle, Alger, typographie Adolphe Jourdan, 1898, p11.

<sup>(5)</sup> - \_\_\_\_\_, « Alger au... », op.cit, pp106-107.

## رابعاً: الأوضاع الاقتصادية في مقر الحكم المركزي (دار السلطان)

### 1- المحاصيل الزراعية والثروة الحيوانية:

كانت الزراعة في مقر الحكم المركزي خلال الفترة العثمانية وعلى غرار بقية المقاطعات الإدارية<sup>1</sup> هي المورد الرئيسي التي يؤمن معيشة غالبية السكان، حيث نجد قسماً هاماً من أراضي الجزائر الشمالية كانت في الفترة العثمانية مغطاة بالغابات لكنها تراجعت نتيجة انتشار الحياة الرعوية، وحتى منطقة الساحل المجاورة لمقر الحكم المركزي قطعت أشجارها سنة 1789م بأمر من الداي لبناء خمسين سفينة وتعرضت لإجتياح قطعان البدو، فلم تعد سوى منطقة أعشاب طفيفة وأشجار غير مثمرة لاسيما بعد التدمير الذي أحدثه الجيش الفرنسي عند إستيلائه عليها<sup>2</sup>.

ساعد تنوع التضاريس والمناخ وخصوبة الأراضي على وفرة أنواع مختلفة من المحاصيل الزراعية، فقد خُصصت كل منطقة بإنتاج نوع معين من المحاصيل الزراعية، وقد ذكرت المصادر أن القمح الجزائري كان من أجود الحبوب ينافس محاصيل الدول الأجنبية في الأسواق العالمية، وقد أكد ذلك القنصل الأمريكي في الجزائر "شالر" « Shaler » بقوله: " وهذا القمح مشهوراً في الأسواق الإيطالية، ويفضلونه على جميع أنواع القمح الأخرى بسبب جودته"<sup>3</sup>، وتُفيد الدراسات الفرنسية في السجل رقم 81 على تفاصيل حول بيع وتصدير القمح الجزائري إلى الخارج<sup>4</sup>.

على الرغم من ضيق المساحة الصالحة للزراعة في المناطق الجبلية إلا أنها استغلت بشكل كبير في زراعة الحبوب كالحمص والعدس والشعير<sup>5</sup>، كما انتشرت زراعة الأرز في

<sup>(1)</sup> - لمعرفة موقع توضع هذه المقاطعات الإدارية ووضعها العام يرجى الإطلاع على الملحقين (14) و(15)، ص ص 399-400.

<sup>(2)</sup> - ناصر الدين سعيدوني، النظام المالي للجزائر .....، المرجع السابق، ص 31.

<sup>(3)</sup> - أرزقي شويتام، المرجع السابق، ص ص 309-310.

<sup>(4)</sup> - Colombe (M), « Contribution a L'étude.... », op.cit, p167.

<sup>(5)</sup> - Valensi (L), Le Maghreb Avant La Prise d'Alger (1790-1830), France, Flammarion, 1969, p 42.

مليانة وغيرها، وعلى ما يبدو أنه كان كافيا للإستهلاك المحلي، كما عرفت البلاد إنتاج الكتان في البليدة المجاورة لدار السلطان، والتبغ في ضواحي عنابة، فكانت تصدر كمية منه إلى تونس، وطرابلس، هذا علاوة على إنتاج القطن في ضواحي مقر الحكم المركزي<sup>1</sup>. كما عرفت دار السلطان أنواعا مختلفة ومتنوعة من الخضر والفواكه حيث كانت تُزرع في المزارع<sup>2</sup>، كما عرفت المنطقة إنتاجا وافرا لزيت الزيتون، ولم ينحصر هذا الإنتاج في مقر الحكم المركزي، بل شمل إنتاجه منطقة شمال إفريقيا<sup>3</sup>، أما القمح فكان يُباع بـريال و ريال ونصف للصاع الواحد، وهذا قبل القحط والمجاعة التي أصابت البلاد، ونظرا لهذه الأسعار الزهيدة فإن السكان لم يهتموا إهتماما بالغا بالحرث، اللهم إذا أסתثينا سكان البادية وقبائل المخزن<sup>4</sup>.

رغم تنوع هذه المحاصيل فإن الفلاحة في مقر الحكم المركزي أواخر العهد العثماني كانت تعاني من عدة صعوبات عاقت تطورها، تعود هذه الصعوبات إلى الأساليب العتيقة والآلات البدائية المستعملة في خدمة الأرض، فأدوات الفلاح الجزائري آنذاك كانت لا تتجاوز المحراث الخشبي والمنجل البدائي، كما أن وسائل الري وتحسين الإنتاج واستصلاح مستنقعات السهول الساحلية حول الجزائر ظلت غريبة عن السكان، يضاف إلى ذلك الظروف الصعبة التي كان يعيشها الفلاح فقد كان معرضا للهجمات العسكرية، ومهددا من القبائل المخزنية المسلحة، كما كان عرضة للأمراض والمجاعات التي كانت تجتاح المنطقة<sup>5</sup>.

<sup>(1)</sup> - أرزقي شويتم، المرجع السابق، ص 311.

<sup>(2)</sup> - Haedo (F .de Diego), « Topographie ... », op .cit, p 491.

<sup>(3)</sup> - للمزيد حول صناعة زيت الزيتون في شمال إفريقيا ينظر:

Joleaud (L), « L'ancienneté de La Fabrication de Lhuile D'olive Dans L'Afrique de Nord », R.Af, n°70, Alger, 1929, pp 19-36.

<sup>(4)</sup> - العنتري صالح، مجاعات قسنطينة، تح: رابح بونار، ش. و. ن. ت، الجزائر، 1974، ص 35.

<sup>(5)</sup> - ناصر الدين سعيدوني، النظام المالي.....، المرجع السابق، ص ص 33-34.

أما عن الثروة الحيوانية فقد إهتم سكان مقر الحكم المركزي عامة بتربية الحيوانات إلا أن أعدادها كان يختلف من منطقة إلى أخرى، فكانت تربية الأبقار مزدهرة<sup>1</sup>، ونظرا لضيق المساحة الصالحة للزراعة في الجبال فقد اضطر الكثير من الفلاحين لتربية المواشي والرعي<sup>2</sup>.

إتسعت تربية الحيوانات في المناطق الجبلية وحتى الأرياف، لكن إنتاجها لم يكن بالشكل الوفير، ومع ذلك كانت هذه الثروة رائجة مما ساهم في وفرة الصوف والجلود، علاوة على الزيوت والشموع<sup>3</sup>، ويُشير الصالح العنتري<sup>4</sup> فيما يخص الثروة الحيوانية بأن سعر البقرة الواحدة كان 4 ريالات و5، أما الكبش فكان يُباع بـ 5 أثمان، والكيلو الواحد منه بتونسية أي بصوردين، أما الزبدة فكانت تُباع برّبع ريال لـ 2 كيلوا<sup>5</sup>.

## 2- الحرف الصناعية:

عرف مقر الحكم المركزي خلال الفترة العثمانية نشاط حرفي هاما جدا، ذلك أن المدينة كان يسكنها جماعات مختلفة الجنسيات يشتغلون في مختلف أنواع الحرف والتجارة لسد حاجاتهم، وكانت هذه الحركة الإقتصادية تجلب القوافل التجارية من داخل المدينة وبخصوص قوافل الحج<sup>6</sup>.

<sup>(1)</sup> - أرزقي شويّتام، المرجع السابق، ص 312.

<sup>(2)</sup> - Rinn (L), « Le Royaume... », op.cit, p131.

<sup>(3)</sup> - de Paradis (V), Tunis et Alger..., op .cit, p123.

<sup>(4)</sup> - صالح بن العنتري: هو ابن محمد بن العنتري كان يعمل لدى الحاج أحمد باي، وأمر بقتله سنة 1837م، أثناء زحف القوات الفرنسية على مدينة قسنطينة خلال الحملة الثانية وذلك بوشاية وتحريض من الباش حاميّه علي بن عيسى، أما عن تاريخ مولده ووفاته فإن المصادر لم تشير إلى ذلك، لكن الظاهر أنه ولد بين عامي 1790م و1800م، توفي بعد سنة 1870م، لأنه في هذه السنة أنجز كتابه الثاني سنين القحط والمسغبة ببلد قسنطينة وذلك بطلب من ضابط أدلير. ينظر: محمد الصالح ابن العنتري، فريدة....، المصدر السابق، ص 4.

<sup>(5)</sup> - صالح العنتري، المصدر السابق، ص 34.

<sup>(6)</sup> - شريفة طيان ساعد، الفنون التطبيقية الجزائرية في العهد العثماني، دار المعرفة، الجزائر، 2011، ص ص 28-29.

في هذا السياق يصف " التيمقراطي"<sup>1</sup> الوضع التجاري بمقر الحكم المركزي سنة 1590م بقوله: "دخلنا مدينة الجزائر يوم السبت ثمانية من ذي القعدة، وهي عامرة كثيرة الأسواق، ويتصف رياسها بالشجاعة وقوة النفوذ والجاه....فبلادهم بذلك أفضل من جميع بلاد إفريقية وأمر وأكثر تجارا وفضلا وأنفذ أسواقا وأجود سلعة ومتاعا حتى أنهم يسمونها إسطنبول الصغرى<sup>2</sup>.

عرفت دار السلطان عدة حِرَف تقليدية، والتي كانت تستمد خامتها الأولية من الإنتاج الزراعي والحيواني، فكانت كل منطقة لها صناعتها الخاصة بها فقد أستهلكت محليا، وصدر الفائض منها إلى الخارج<sup>3</sup>، ومن هذه الحرف المتنوعة نجد الخياطة والنسيج، كما وجدت دكاكين لصنع الأحذية، وقد شكل هؤلاء الحرفيين جماعات على شكل نقابات يرأسهم أمين فكان كل أمين ينتسب لحرفته كأمين البنائين، وأمين الدباغين، وأمين الطرازين، وأمين السراجين، وأمين الحدادين....إلخ<sup>4</sup>.

أدت وفرة الأصواف والحرير وحتى الكتان إلى ازدهار الصنائع النسيجية<sup>5</sup>، وقد تطورت هذه الصنائع على يد الأندلسيين الذين توارثوا الأساليب الفنية لصنع الزرابي، والأقمشة، وحتى الشواشي<sup>6</sup> التي كانت تصنع من الصوف، لكنها كانت أقل جودة من مثيلتها التي صُنعت في تونس ويرجع سبب جودة الشاشية التونسية لإستخدام الصوف

<sup>1</sup> - هو أبو الحسن علي بن محمد بن علي ينتسب إلى قرية تمقروت بوادي درعة بالمغرب الأقصى، ولد حوالي 1560م تعلّم بالمغرب وتقلّد مناصب هامة ورسمية ببلاط مراكش، كلفه السلطان السعدي أحمد المنصور بسفارة إلى إسطنبول سنة 1589م فسلك طريق مراكش، تيطوان، ثم أبحر نازلاً في طريقه بالمدن الجزائرية، أثناء ذهابه، وأثناء عودته؛ ليسجّل في الأخير إنطباعاته، توفي التيمقوتي بمراكش عام 1003هـ الموافق لـ 1594م ، ودُفن بجانب القاضي عياض. ينظر: مولاي بلحميسي، الجزائر من خلال رحلات المغاربة في العهد العثماني، ش.و.ن.ت ، الجزائر، 1981، ص ص 16 - 17.

<sup>2</sup> - أبو الحسن التيمقوطي، النفحة المسكية في السفارة التركية، د ت، د م، ص ص 139-140.

<sup>3</sup> - أرزقي شويتام، المرجع السابق، ص 318.

<sup>4</sup> - Devoulx (A), Tachrifat Recueil de Notes...., op.cit, p33.

<sup>5</sup> - de Paradis (V), Tunis et Alger..., op .cit, p122.

<sup>6</sup> - سعيدوني ناصر الدين، الجزائر في التاريخ العهد العثماني، وزارة الثقافة والسياحة، الجزائر، 1984، ص 68.



المستورد من أسبانيا هذا من جهة<sup>1</sup>، ومن ناحية أخرى إهتمام التونسيين إهتماما بالغاً بهذه الصناعة، أما في الجزائر فقد إستخدموا الصوف المحلية الخشنة في صناعة الشواشي<sup>2</sup>.

والجدير بالملاحظة أن صناعة الأسلحة والذخيرة والأدوات الفلاحية كانت حكراً على سكان المدن والجبال التي كانت تتوفر بها المناجم، أما فيما يخص الصياغة فتؤكد لنا الوثائق أن جل صناع المصاغ كانوا يهود، فقد وُجد سوق لصناعة الجواهر كان خاصاً باليهود، والذي عُرف بصاغة اليهود، وقد عرفت هذه الصناعة إنتشاراً واسعاً من طرف هذه الفئة خاصة بعد توافد العنصر الليفورني إلى مقر الحكم المركزي<sup>3</sup>.

من هنا يمكن القول أن منطقة مقر الحكم المركزي قد ضمت معظم الحرف التي إتسمت بالتنوع والإتقان والتنظيم يفوق فيها عدد المهن أربعين مهنة ووصل عدد الصناع سنة 1623م إلى حوالي 3000 تاجراً، و1200 خياطاً، و200 نساكاً، و80 حداداً، وغيرها من الصناع<sup>4</sup>.

كان لكل حرفة شارع أو سوق مخصص لها موزعة توزيعاً محكماً عبارة عن منظومة أسواق، ومن أهم هذه الأسواق والشوارع هي سوق الحرارين وسوق الخام الموجودين بباب الذيرة الأول يقابل الجامع الكبير، والثاني يقابل الجامع الجديد، وفي أعالي الجامع من الناحية الشمالية يتركز الخياطون والطارزون.

كما وُجد في مقر الحكم المركزي عدت أحياء تجارية مثل زنقة المساسية المخصصة في صناعة الأساور المصنوعة من مادة قرون الثور، وتنتهي هذه الزنقة بزنقة الصباغين والدباغين المعروفين بصناعة الجلود، ويقابل باب البحر سوق الجقماقجية المخصصين في صناعة الأسلحة وإصلاحها، وهناك سوق البلاغجية أي الأحذية، بالإضافة إلى سوق

<sup>1</sup> - de Paradis (V), Alger au....., op .cit, p 16.

<sup>2</sup> - Chantreaux (G), « Le Tissage Sur Métier de Haute Lisse », **R.Af**, n°85, Alger, 1941, pp 78-116.

<sup>3</sup> - غطاس عائشة، الحرف والحرفيون بمدينة الجزائر 1700-1830م مقارنة إجتماعية- إقتصادية أطروحة دكتوراه، كلية العلوم الإنسانية، جامعة الجزائر، 2000-2001، ص302.

<sup>4</sup> -Dapper(O), Description de L'Afrique, Amsterdam, 1685, p175.

الكتان<sup>1</sup>، شارع الرصاصية في الشمال أي النحاسين والرصاصين، وإلى الجنوب يوجد شارع الإسكافيين زنقة الداودة، حيث تصنع الخيوط الذهبية حي باب عزون الذي وجد به أسواقا نشطة جدا مثل السوق الكبير، وسوق الخراطيين وسوق السمارين، وسوق الرحبة....الخ<sup>2</sup>، وفي الجدول الآتي توزيع لأهم أسواق مقر الحكم المركزي خلال العهد العثماني<sup>3</sup>:

#### أسواق منطقة باب عزون:

سوق الحدادين	1579-1650م
سوق الخفارين	1636-1801م
سوق الصفارين	1781-1833م

#### أسواق ما بين باب عزون والسوق الجديد:

سوق الكتان	1559-1821م
سوق الخراطيين	1567-1810م
سوق العطارين	1581-1807م
سوق القبائل	1581-1802م
السوق الكبير	1581-1805م
سوق السراجين	1613-1807م
سوق القنذاقية	1688-1798م
سوق السمن	1625-1839م
سوق الجرابية	1760م

<sup>(1)</sup> - شريفة طيان ساحد، الفنون التطبيقية...، المرجع السابق، ص 32.

<sup>(2)</sup> - عبد الله بن محمد الشويهد، قانون أسواق مدينة الجزائر 1695-1705م، تح: ناصر الدين سعيدوني، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 2006، ص ص 165-166.

<sup>(3)</sup> - حنيفي هلايلي، "حركة الأسواق والجماعات الحرفية في مدينة الجزائر خلال العهد العثماني على ضوء المصادر المحلية"، المجلة التاريخية المغاربية، ع 140، مؤسسة التميمي للبحث العلمي والمعلومات، تونس، جويلية 2010، ص ص 152-153.

سوق القبابية	1680-1880م
أسواق الوسط:	
سوق القيصارية	1570-1828م
سوق الصباغين	1572-1823م
سوق الدخان	1625-1765م
سوق الحواتين	1656م
سوق الخضارين	1675م
سوق البحر	1678م
سوق المقاييسية	1681-1732م
سوق الغزال	1692م
سوق البلاغية	1786م
سوق اللوح	1710-1795م
السوق الجديد	1764-1827م

يدل وجود الأسواق والحرف في مقر الحكم المركزي أنه لم يكن عاصمة سياسية تعتمد على مداخل البحر، بل كان به نشاط صناعي يوفر حاجات مختلف السكان ويكفي المدينة ويصدر إلى المدن المجاورة<sup>1</sup>، ولعل هذا ما جعل المدينة أن تكون محل أنظار وإهتمام التجار الأجانب الذين كانوا يقبلون على المنتجات المحلية بصفة دائمة<sup>2</sup>.

<sup>(1)</sup> - شريفة طيان ساحد، الفنون التطبيقية...، المرجع السابق، ص33.

<sup>(2)</sup> -Pananti(F), Relation d'un séjour a Alger, paris,1820, p361.

يمكن القول أن مقر الحكم المركزي كان من بين المدن الدولية المعروفة آنذاك، وقد كان يوفر حاجات السكان بما يحتويه على عدة حرف ووصل فيها عدد الأحياء إلى خمسين حي وكانت شوارعها منظمة<sup>1</sup>.

### 3- النشاط التجاري:

عرف المجتمع في مدينة الجزائر خلال العهد العثماني نشاطا تجاريا واسعا فقد لوحظ أن القبائل مهما بلغت درجة الإكتفاء الذاتي فإنها كانت دائما بحاجة للتردد على أسواق المدينة لتسويق منتجاتها، وإقتناء إحتياجاتها الضرورية، وهنا تظهر مدى أهمية السوق بالنسبة للمجتمع الجزائري، فكانت الأسواق بمثابة فضاء إقتصادي للتبادل التجاري والتجارب والأخبار<sup>2</sup>، كما إحتلت التجارة مكانة مميزة في هذه الفترة، ويمكن تقسيم التجارة في مقر الحكم المركزي إلى قسمين تجارة داخلية وأخرى خارجية<sup>3</sup>:

فالتجارة الداخلية وهي التي كانت تتم في المدن أو في الأرياف عن طريق الأسواق الأسبوعية والموسمية وعن طريق القوافل التجارية التي عززت التبادل التجاري بين المدن، والتي كانت تربط بين الواحات الصحراوية والرابطة بين عين صالح، وورقلة والنل والصحراء<sup>4</sup>، وقد إعتمدت التجارة الداخلية على السلع المختلفة كتجارة الألبسة وأحذية الرجال والنساء القطنية<sup>5</sup>.

عرفت مدن مقر الحكم المركزي عامة حركة تجارية واسعة خاصة بعد إستقرار العثمانيون، والأندلسيون، فقد وُجدت الحوانيت، والمقاهي، والمخازن، والحمامات، وحتى

<sup>(1)</sup> - شريفة طيان ساعد، الفنون التطبيقية...، المرجع السابق، ص30.

<sup>(2)</sup> - Alain (Mahe), Histoire de La Grande Kabylie xix<sup>e</sup> -xx<sup>e</sup> Siècles, paris, Editions Bouchene, 2001, p 36.

<sup>(3)</sup> - Chenntouf (Tayeb), Etudes d'Histoire de L'Algérie 18<sup>e</sup>-19<sup>e</sup> Siècles, Alger, O. P. U, 2004, p 63.

<sup>(4)</sup> - أحمد سلطاني، المرجع السابق، ص 25.

<sup>(5)</sup> - Feraud (Ch), « Les Corporations.....", op.cit, P 451.

الفنادق<sup>1</sup>، والمراكز التجارية لتسويق منتجاتهم والمتمثلة في الأعشاب والخضر والفواكه وغيرها<sup>2</sup>، وقد قُدرت أعداد هذه الأسواق في نهاية الوجود العثماني قرابة 70 سوقاً<sup>3</sup>.

انتشر في دار السلطان عددا كبيرا من الباعة المتجولين الذين كانوا ينتقلون عبر المناطق والأماكن فاحتوت سلعتهم على مواد التجميل، والمحارم، كما كانت هناك تجارة موسمية كانت تُقام بين القبائل الصحراوية ومدن السلطة المركزية<sup>4</sup>، وكانت أهم هذه الأسواق التي تقام فيها هذه المبادلات هي سوق "السبت" وسوق "علي خوجه" وسوق "واد الدفالي"<sup>5</sup>.

أما التجارة الخارجية فقد شملت المبادلات التجارية بين الإيالة والدول الأوروبية وحتى الشرقية مثل سوريا، وتركيا، التي كان يستورد منها الحرير والشواشي الحمراء، وحتى الأحذية<sup>6</sup>، فكانت التجارة الخارجية تتم بين الإيالة الجزائرية والعالم الخارجي، مثل الأقطار المغاربية والدول الأوروبية وبلاد السودان الغربي كما يلي:

#### مع الأقطار المغاربية:

عرفت التجارة مع الأقطار المغاربية حركة واسعة، فتطلعنا السجلات على أن التجار الطرابلسيون إستحوذوا على نصف النشاط التجاري المغاربي بمقر الحكم المركزي، كما أن نشاطهم بمدينة الجزائر سابق لعام 1688م، والجدير بالذكر أن التجار الطرابلسيون تعاطوا التجارة بوجه خاص مع الموانئ العثمانية في حين لم تستقطبهم الموانئ الأوروبية.

<sup>(1)</sup> - أرزقي شويتام، المرجع السابق، ص 336.

<sup>(2)</sup> - de Paradis (V), Tunis et Alger..., op.cit, p 130

<sup>(3)</sup> - Alain (M), Histoire de La Grande..., op.cit, p 36.

<sup>(4)</sup> - أرزقي شويتام، المرجع السابق، ص ص 342-343.

<sup>(5)</sup> - Robin (N), « Note Sur L'organisation.... », op.cit, p 138.

<sup>(6)</sup> - Feraud (Ch), « Les Corporations..... », op.cit, p 452.

فالتجار التونسيون إحتلوا المرتبة الثانية من حيث العقود المسجلة، حيث تم إحصاء 23 تاجرا تونسيا من بينهم تاجران من جربة، ولعل هذا مرتبط بدور جزيرة جربة في النشاط التجاري خاصة في مجال تصدير الزيت والشمع<sup>1</sup>.

أما الوجود المغربي بمدينة الجزائر فهو الآخر نستشفه من حومتين أي حارتين تدعى حومة السلاوي والثانية حومة سيدي علي الفاسي، ولم تذكر المصادر أي تسمية لفندق على الرغم من أهمية نشاطهم التجاري<sup>2</sup>.

### مع أوروبا:

كانت معظم المبادلات التجارية تتم مع الدول الأوروبية خاصة مع مارسيليا، فكانت المدينة تصدر الشموع والجلود<sup>3</sup>، هذا علاوة على القمح والشعير والأصواف<sup>4</sup>، وقد خول لفرنسا إمتيازات واسعة داخل الإيالة العثمانية، وكانت فرنسا، والأيالة حليفان ضد عدو مشترك وهو أسبانيا مما جعل التجارة الفرنسية مهددة ومعرضة للعديد من الأخطار<sup>5</sup>، وقد أثر هذا الجو الذي ساد التنافس والحروب والتحالفات في العلاقات التجارية بين مختلف الدول في البحر الأبيض المتوسط، وبالرغم من كل ذلك فإن فرنسا كانت من الدول الأوروبية التي ربطتها مع الجزائر علاقات تجارية متينة<sup>6</sup>، وما يثبت مدى أهمية هذه العلاقة مساعدة الإيالة لفرنسا والوقوف إلى جانبها للخروج من محنتها الاقتصادية في العديد من الفترات<sup>7</sup>.

<sup>(1)</sup> - ناصر الدين سعيدي، دراسات وشهادات مهدات إلى الأستاذ الدكتور أبو القاسم سعد الله، ط 1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 2000، ص ص 360-363.

<sup>(2)</sup> - المرجع نفسه، ص 368.

<sup>(3)</sup> - Devoulx (A), Les Archives de Consulat General de Frange à Alger, Alger, B. L. E, 1865, p2.

<sup>(4)</sup> - de Paradis (V), Alger au xviii<sup>E</sup>...., op.cit, p 17.

<sup>(5)</sup> - جون ب وولف، المرجع السابق، ص ص 313-314.

<sup>(6)</sup> - أرزقي شويتام، المرجع السابق، ص 356.

<sup>(7)</sup> - Devoulx (A), Les Archives...., op. cit, p 2.

أما إنجلترا فقد إعتمدت على القوة البحرية والمعاهدات لضمان السلام لسفنها، لكن هذه المعاهدات لم تتضمن دفع الإتوات، وقد توسعت التجارة الإنجليزية الخارجية لتشمل الدول الأوروبية الأخرى فكانت تستورد من مارسيليا، وليفورن الأقمشة، والحرير، والبن، والسكر، والمناديل، والزجاج، أمّا من الدول الأوروبية الشمالية مثل هولندا، والسويد، والدانمارك فكانت تستورد منهم الصواري والحبال والبارود والأخشاب<sup>1</sup>، وكانت العديد من الموانئ في تلك الفترة خاضعة لقانون التبادل التجاري الحر، أي غير المقيد بضرائب مثل ميناء "سكانيا" في إيطاليا وميناء "ليفورن" الذي يعتبر مركزا تجاريا لتبادل السلع والبضائع<sup>2</sup>، وفيما يخص النقود والمعاملات المستعملة في هذه المبادلات التجارية فكانت تتم بالعمولات الأوروبية<sup>3</sup>.

وفي الجدول التالي نقوم بإحصاء لأعداد السفن التجارية المغاربية التي دخلت ميناء ليفورن من 1794م إلى 1830م<sup>4</sup>:

البلد	1794-1798	1816-1820	1821-1825	1826-1830
الجزائر	54	69	91	133
المغرب	17	15	6	11
طرابلس	12	57	79	96
تونس	228	130	97	133

(1) - أرزقي شويتام، المرجع السابق، ص 358.

(2) - Nacereddine (S), L'algérois Rural..., op.cit, p 413.

(3) - ibid, p 241.

(4) - أرزقي شويتام، المرجع السابق، ص 360.

## + مع السودان الغربي:

كان لمقر الحكم المركزي بالجزائر علاقات تجارية مع دول أفريقيا جنوب الصحراء مثل النيجر، ومالي ونيجيريا، فكانت المواد تنتقل من شمال البلاد إلى متلي في الجنوب الجزائري، ثم تحول إلى تمبكتو في مالي، وكانت المواد المصدرة تشمل المصنوعات الأوروبية، والزيت وغيرها، ويستورد من الدول الإفريقية التبر، والعبيد، وريش النعام وغيرها<sup>1</sup>، وقد أكدت الدراسات الفرنسية بأن التجارة الخارجية في مجملها كانت مزدهرة خاصة في المدن الكبرى، وهو ما أدى بغالبية التجار إلى العمل فيها ومشاركة اليهود الذين كانوا يشكلون أغلبية التجار<sup>2</sup>.

<sup>1</sup> - أرزقي شويتام، المرجع السابق، ص 347.

<sup>2</sup> - Feraud (Ch), « Les Corporations..... », op.cit, p 452.



### خامسا: الوضع الثقافي في مقر الحكم المركزي (دار السلطان )

إعتاد المؤرخون والرحالة والقناصل الغربيون على تقزيم الوضع الثقافي في الجزائر خلال العهد العثماني، ويكاد كلامهم ينحصر في جمل تتردد من كتاب لآخر، فإذا وقفوا لحظات عند الحياة العلمية أو الثقافية أشاروا وأجازوا فأخطئوا، فهذا شالر « Shaler » ينفي وجود العلم والتّعليم في مدينة الجزائر، ويدّعي أن السكان كانوا يحتقرون العلوم ويكتفون بتعليم القرآن فقط<sup>1</sup>، ومن هذا المنطلق فقد إرتبط التعليم إرتباطا وثيقا بالجانب الشرعي، فشكّل الدين الإسلامي الركيزة الأساسية التي كان يقوم عليها التعليم والتدريس، محافظين بذلك على ما كان سائدا من قبل، فكانت المساجد والزوايا<sup>2</sup> بالإضافة إلى المؤسسات الدينية والتعليمية التي حافظت على أسسها مؤسسات الأوقاف هي المراكز للتعليم مما يعني أن التعليم في الجزائر العثمانية عرف ركودا مقارنة مع ما شهدته النهضة العلمية والصناعية في أوروبا<sup>3</sup>.

لكن الشواهد التاريخية بينت أن السلطة العثمانية كان لها أثرا في نشر التعليم والأعمال الخيرية بمدينة الجزائر عبر المدارس والجوامع التي ساهمت في تربية الأطفال وتعليمهم رغم إختلاف أصولهم العثمانية والعربية فكانت المدرسة التابعة لجامع البطحاء بمقر الحكم المركزي والمدرسة الملحقة بجامع باب الجزيرة مخصصة لتعليم الشبان العثمانيون، في حين كانت المدرسة القشاشية مركزا تعليميا متطورا<sup>4</sup>، حيث يتلقى فيها الصغار أبجديات الكتابة، والقراءة، وحفظ القرآن الكريم.

<sup>(1)</sup> - مولاي بلحميسي، الجزائر خلال رحلات المغاربة في العهد العثماني، ط2، ش. و. ن. ت، الجزائر، 1981، ص31.

<sup>(2)</sup> - للإطلاع أكثر حول مساجد وزوايا مدينة الجزائر ينظر:

Adulen (Delpech), « La Zaouïa de Sid Ali Ben Mouss ou Ali », **R.Af**, n°18, Alger, 1874, pp 81-88.

Dermengiem (E), « Les Confréries Noires En Algérie Diw ans de Sidi Blal », **R.Af**, n°97, Alger, 1953, pp 314-367.

<sup>(3)</sup> - حسان كشرود، المرجع السابق، ص 22.

<sup>(4)</sup> - المرجع نفسه، ص23.

والجدير بالملاحظة فإن شيوخ الزوايا قد حظوا بمكانة مرموقة بين الرعية كونهم حاملين للعلم، وحافظين لكتاب الله، فكانت دار السلطان خلال الفترة المدروسة تحظ بتعليم أحسن نسبيا من المناطق الجنوبية والريفية<sup>1</sup>.

مما لا شك فيه فإن مقر الحكم المركزي خلال الفترة العثمانية كان من المدن المعروفة آنذاك بنقلها الثقافي حيث حملت في طياتها مختلف الفنون الثقافية التي انعكست على الحياة اليومية للفرد الجزائري<sup>2</sup>، بفضل الزوايا التي كانت قطبا هاما في نشر التعليم، فكانت زاوية سيدي قدورة بمدينة الجزائر مخصصة لإستقبال الفقراء من العلماء، كما تخصصت زاوية أولاد الفكون وزاوية رضوان خوجة في إستقبال أبناء الكراغلة والعثمانيين<sup>3</sup>.

أما التصوف في الجزائر خلال العهد العثماني فقد إنتشر إنتشارا كبيرا وعرف حركة واسعة، فقد ظهر في فترة عبد الرحمان الثعالبي، ومحمد الهواري، وإبراهيم التازي، وغيرهم، واعتمد العثمانيون في تكوينهم النفسي والحربي على الطرق الصوفية، فكانت الطريقة "البكداشية"<sup>4</sup> منذ ظهورهم تقودهم وتؤثر فيهم وتحميمهم، وتدفعهم إلى الجهاد، وتبارك أعمالهم فتعددت الطرق الصوفية وتأثيراتها عليهم فإنتشرت بينهم الطريقة "النقشبندية"<sup>5</sup> و " القادرية" و " الولوية" وغيرها<sup>6</sup>.

<sup>1</sup>) - Nacereddine (S), L'Algérois Rural....., op.cit, p317.

<sup>2</sup>) - درقاوي منصور، الموروث الثقافي العثماني بالجزائر ما بين القرنين 16-19م بين التأثير والتأثر، مذكرة ماجستير، كلية العلوم الإنسانية والإجتماعية، جامعة وهران، 2014-2015، ص 27.

<sup>3</sup>) - حسان كشروود، المرجع السابق، ص23.

<sup>4</sup>) -نسبة إلى مؤسسها الشيخ بكداش، وبكداش لقب تركي معناه الحجر القاسي، أو لفظ فارسي معناه المنقرد بالسودد. ينظر: عبد الرحمان بن محمد الجيلالي، تاريخ الجزائر العام، ج3، المرجع السابق، ص 209.

<sup>5</sup>) - حسب أبو القاسم سعد الله لا يعرف أتباع للنقشبندية ولا البكداشية في الجزائر خلال العهد العثماني، فالأمير عبد القادر قد أخذ النقشبندية عن شيخها في الحجاز أثناء حجه سنة 1863م. ينظر: تاريخ الجزائر الثقافي 1500-1830م، ط1، ج4، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1998، ص 282.

<sup>6</sup>) - سيدهم فاطمة الزهرة، "مكانة التصوف في الحياة الإجتماعية والسياسية في العهد العثماني بالجزائر"، المجلة المغربية للدراسات التاريخية والإجتماعية، ع1، جامعة سيدي بلعباس، الجزائر، سبتمبر 2009، ص 19.

رغم ما يسجل حول الوضع الثقافي بمقر الحكم المركزي خلال العهد العثماني من ركودا علميا وجمودا ثقافيا إلا أن المدينة عرفت العديد من العلماء، والمفتيين وهذا دليل على وجود حركة علمية وإن كانت غير مزدهرة بالشكل المأمول، ومن أهم هؤلاء العلماء بدار السلطان نذكر على سبيل المثل الشيخ محمد بن نيقرو الأندلسي الأصل الجزائري المنشأ والولادة والقبر، درس على أبيه إبراهيم بن النيقرو، كما درس على مشايخ آخرين وصفه تلميذه ابن المفتي<sup>1</sup> بـ: "العالم الفقيه النحوي الأصولي البياني المتكلمي الحيسوبي الفرائضي المحدث"، كان يجمع بين الفتوى والخطابة والتدريس بالجامع الأعظم ورواية الحديث بزاوية الأندلس، كما أن بن نيقرو لم يكن على وفاق مع قاضي بيت المال محمد بن ميمون صاحب كتاب: "التحفة المرضية في الدولة البكداشية .."، وقد تعرض بن نيقرو لمحنة كبيرة توفي سنة 1739م، وخلف عددا من الأولاد منهم سي أحمد، وولده الثاني محمد تولى مكان أبيه بالتدريس بجامع ميز ومورطو بباب عزون<sup>2</sup>.

وخلاصة القول كان لجهود العثمانيون آثار حسنة على مستقبل البلاد بحيث استطاعوا تأسيس حكما مركزيا وقيام جهازا إداريا كبداية لأحكام قبضتهم على بقية المناطق، وبالفعل فقد أمتد نفوذ السلطة المركزية بالجزائر إلى معظم مناطق البلاد في الجهات الثلاث الشرقية والغربية والجنوبية، من أجل ذلك إهتم البايبراي "حسن باشا" ابن خير الدين خلال ولايته الثانية بتنظيم إدارة السلطة المركزية وتأسيس لمشروع حضاري متكامل وتقسيمها إلى ثلاث مقاطعات إدارية، وهذا ما سنورده بالتفصيل في الفصل اللاحق حول البعد التاريخي والحضاري لهذه المقاطعات.

<sup>(1)</sup> - ولد "ابن المفتي" في مدينة الجزائر بجهل تاريخ مولده من عائلة كانت متصلة بالحكم إتصالا مباشرا، وهو من الكراغة المنحدرين من نسل عثماني وجزائري، نشأ في بيئة علمية وتعلم العلوم المعروفة في عصره، كما تعلم السياسة، من مشايخه والده نفسه وأيضا محمد بن نيكرو وعمار المستغامي ومصطفى العنابي الذي كان خطيبا. للمزيد حول ابن المفتي ينظر: أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي.....، ج2، المرجع السابق، ص 368-375.

<sup>(2)</sup> - ابن المفتي حسين بن رجب شاوش، المصدر السابق، ص 14.

# الفصل الثاني

بايلىكات الجزائر العثمانية وخصوصياتها الحضارية

أولاً: بايلىك التيطصرى ( المدينة)

ثانياً: بايلىك الشرق (قسنطينة)

ثالثاً: بايلىك الغرب ( مازونة- معسكر- وهران)

بعد إعطاء لمحة عامة عن الإطار التاريخي والحضاري لمقر الحكم المركزي العثماني في الجزائر خلال الفترة العثمانية الآن يطيب لنا الحديث عن بقية المقاطعات الإدارية الأخرى أو ما يُعرف بالباليك، حيث أن البلاد كانت مقسمة جغرافيا إلى ثلاثة بإليكات، وهي بايلك الوسط أو ما يعرف بباليك التيطري، وهو أصغرها عاصمته المدينة، وباليك الشرق وعاصمته قسنطينة وباليك الغرب وكانت عاصمته مازونة ثم معسكر وأخيرا وهران، وذلك منذ تحريرها من الأسبان سنة 1792م، وسنبدا حديثنا في هذا الفصل حول بايلك التيطري بإعتباره أول الباليكات ظهورا بعد مقر الحكم المركزي (دار السلطان) ثم بايلك الشرق وأخيرا بايلك الغرب.

### أولا: بايلك التيطري (المدينة)

#### 1- الإطار التاريخي والجغرافي للباليك:

اختلف المؤرخون في تسميته عاصمة هذا الباليك، فقد ذكر "ابن خلدون"<sup>1</sup> أن "لمدية" هو إسم بطن من بطون صنهاجة، وقد إستولى "محمد بن عبد القوي" أيام بني عبد الواد على حصن هذا البطن المسمى بأهله ونطق بعضهم "لمدونة" والنسبة إليها لمداني<sup>2</sup>، والجدير بالذكر أنه لا يُعرف بدقة متى أُستحدث بايلك التيطري، حيث يعود تاريخ أقدم وثيقة ذُكر فيها بايلك التيطري بهذا الإسم إلى سنة 1548م، وهي عبارة عن مرسوما يعفي فيه "الباي رجب" جماعة "الشرفة" عن دفع الغرامة والضرائب، كانت المدينة أهم مركز سكاني في الأقليم تلك الفترة<sup>3</sup>.

(1)- مؤرخ وعالم إجتماع، ومؤسس لعلم العمران البشري، ولد بتونس سنة 1332م، وأخذ العلم عن علمائها، تولى عدة وظائف إدارية لدى الحفصيين والمرينيين، كان كثير التنقل بين الأندلس وبلاد المغرب لم يعرف حياته الإستقرار، ومن تونس توجه الى مصر، وتولى القضاء قاضي المالكية وحج بيت الله الحرام وزار دمشق، ثم عاد إلى القاهرة وبقي إلى أن توفي بها سنة 1402م. ينظر:

Janine et Dominique(Sourdel), Dictionnaire historique de l'islam, Paris, P.U.F, 1996, p369.

(2)- عبد الرحمان الجبالي، تاريخ المدن الثلاث.....، المرجع السابق، ص212.

(3)- فائزة بوشيبة، بايلك التيطري من خلال الأرشيف العثماني المحلي 1662-1830م، مذكرة ماجستير، كلية العلوم الإنسانية، جامعة الجزائر، 2005-2006م، ص 14.

وفي مطلع القرن 16م زار المدينة الرحالة الشهير "الحسن ابن محمد الوزاني" الفاسي<sup>1</sup>، فقد أعجب بالمدينة وبموقعها وبأهلها، فالمدينة مبنية في سهل جميل خصب تسقيه أنهارا كثيرة وأهلها أغنياء يسكنون دورا جميلة<sup>2</sup>.

أمّا عن حدود هذا البايك فكان يحده من الشمال مقر الحكم المركزي، ومن الشرق الزاب، ومن الجنوب بلد الجريد، ومن الغرب معسكر<sup>3</sup> ومجرى نهر الشلف عند المقطع المعروف بنهر "وزل" وينعرج داخل التل، ونجد عند هذه الحدود مواطن قبائل أولاد عنتر وأولاد هلال التابعة لباييك الغرب، أما من الجنوب يحد البايك سلسلة الأطلس الصحراوي في الجزء المنحصر بين تازة وبوغار من الجنوب الغربي، ونهاية جبل ديرة من الجنوب الشرقي بالإضافة إلى المناطق الصحراوية التي تسكنها القبائل الرحالة، ويتخلل هذا الجزء الجنوبي كتل جبلية أهمها زكار وسواري<sup>4</sup>.

والجدير بالملاحظة أن هذا البايك لم يكن واضح الحدود من الناحية الجنوبية إذ توجد به من الشمال إلى الجنوب سلسلة من الجبال تحمل الأسماء التالية: زكار، سحاري، زاغوس، تجتمع في الشمال جبال الأطلس التلي، وفي الجنوب جبال الأغواط، كما أن حدوده لم تكن ثابتة بل خضعت لتغيرات خلال فترة الثلاثة قرون<sup>5</sup>، وعلى العموم فإن هذا البايك كان عبارة عن مناطق جبلية تتخلله سهول هي أقرب للهضاب بحكم

(1) - إسمه الكامل "الحسن بن أحمد" الوزان الزياني الفاسي، ولد بغرناطة حوالي 1483م وهو ينتسب إلى قبيلة بني زيات الزيانية الواقع موطنها في أقصى غرب بلاد غمارة من سلسلة جبال الريف المغربية، أهم ما تركه المؤلف المشهور "وصف إفريقيا"، وكتاب في التراجم باللاتينية عرف فيه ثلاثين عالما عربيا في الطب والفلسفة، كما ألف معجم عربي لاتيني. ينظر: الحسن الوزان، وصف إفريقيا، ط2، ج1، تر: محمد حجي، ومحمد الأخضر، الجمعية المغربية للتأليف والترجمة، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1983، ص ص7-13.

(2) - عبد الرحمان الجيلالي، تاريخ المدن الثلاث.....، المرجع السابق، ص217.

(3) - عائشة غطاس وأخريات، الدولة الجزائرية.....، المرجع السابق، ص 177.

(4) - فايزة بوشيبة، المرجع السابق، ص 16.

(5) - عائشة غطاس وأخريات، الدولة الجزائرية.....، المرجع السابق، ص 177.

ارتفاعها عن جغرافية مستوى سطح البحر وإنحصارها بين سلسلتي التلي والصحراوي الإلتوائية<sup>1</sup>.

يعد هذا البايلك أصغر البايكات من حيث المساحة، ويذكر لويس رين « Rinn (L) »<sup>2</sup> أن تاريخ تأسيس هذا البايلك يعود إلى سنة 1540م، عرف ارتباطا كبيرا بمقر الحكم المركزي نظرا لقربه منه<sup>3</sup>، وبذلك فهو أول البايكات ظهورا بعد دار السلطان<sup>4</sup>، والجدير بالملاحظة أنه بمجيئ "حسن باشا" ابن خير الدين إلى الحكم قسم الإيالة إلى ثلاث باييكات، سنة 1565م، ووضع على كل بايلك بايا يحكمه، أما مدينة الجزائر فهي مقر الحكم المركزي كما أوضحنا سلفاً<sup>5</sup>.

ومن هنا يمكن إعتبار أن "حسن" ابن خير الدين المؤسس الفعلي الذي وضع أسس الإدارة العثمانية الحديثة في الجزائر، وبالتالي أول من أستحدث بايلك الجنوب الذي حول

(1) -فايزة بوشيبية، المرجع السابق، ص 16.

(2) - وُلد في باريس بتاريخ 28 مارس 1838م، وكان من عائلة علمية إهتم بالحياة العلمية، كان عمه نحويًا متميزًا لكنه سلطوي، فقد تقلد عمه عدة مناصب منها كان ناظرًا في ثانوية لويس الكبير « Louis-Le-Grand » ومدير لجامعة ستراسبورغ، فقد درس رين « Rinn » في سان سير، مدرسة الفرسان، وجاء الجزائر سنة 1864م بمناسبة ثورة أولا سيدي الشيخ، دخل في سبتمبر 1880م، أصبح رئيس المصلحة المركزية للشؤون الأهلية، التي أنشأت بالجزائر وترك فيها بصمات، عمل بها منذ 13 سبتمبر وكان أقدم رئيس للخدمة المركزية للشؤون الأهلية، ومستشارا شرفيا للحكومة وخلال سبع سنوات كان رئيس المجتمع التاريخي للجزائريين حيث بقي في هذا المنصب كرئيس شرفي يتقن اللغة العربية وله إطلاع بأخلاق وعادات المجتمع الجزائري، كما عمل في سلك التدريس في كل من مليلة وبسكرة وسطيف وغيرها، وأصبح مستشارا لدى الحكومة العامة، ولاشك أن عمله منذ 1864م في المصالح الأهلية قد جعله يتعرف على مشاكل الجزائريين. ينظر عبد الجليل رحموني، إهتمامات المجلة .....، المرجع السابق، ص 58.

<sup>3</sup> - Rinn (L), « Le Royaume.... », op.cit, p137.

<sup>4</sup> -Aucapitaine (H), « Notices Sur l'Histoire de l'Administration de Beylik de Titteri », **R.Af**, n°9, Alger, 1865, p 281.

(5) - أحمد توفيق المدني، حرب الثلاثمائة .....المرجع السابق، ص 331.

إسمه فيما بعد إلى بايلىك التيطري<sup>1</sup>، غير أنه لايعرف بالضبط متى أستحدث هذا الإسم "بايلىك التيطري"<sup>2</sup>.

أمّا حدود هذا البايلك الجغرافية فكان يحده من الشمال جبال بني صالح وبني مسعود وموزاية، وشرقا بني سليمان عريب وأنورة، أمّا في الغرب قاعدة جندل وأولاد خليفة، أمّا عن القبائل التي إستقرت في هذا البايلك هي:

1- منطقة التل: عرفت هذه المنطقة في الكتابات الفرنسية بالأوطان السبع، وذلك لضمها سبع قبائل وهم أولاد دايد، عبيد، دواير، وأولاد هيم، بنو حسان، وأولاد سيد أحمد بن يوسف، وأولاد علان وغيرهم.

2- أما مقاطعة ديره<sup>3</sup>: فإنها شكلت قاعدة خاصة ضمت أولاد إدريس، أولاد بركة، أولاد فريحه وأولاد علوش، مغراوة وغيرهم.

3- أما الجهة الجنوبية فقد ضمت البدو والرحل<sup>4</sup> كانت تحت سلطة قبائل محلية أهمها: قبائل رحمان، الغرابية، وقبائل أولاد سيدي أحمد، وأولاد سيدي عيسى الصحاري وأولاد نايل وغيرهم.

وتجدر الإشارة إلى أن كل قبائل بايلىك التيطري كانت خاضعة للباي، فقد شكلت هذه القبائل مصدر قلق وتهديد للعثمانيين، لذا عمل العثمانيون على تشتيت شملهم، لأن بعضها وقف ضد السلطة العثمانية مثل قبائل الرحامنة والعبادلية وأولا سيدي موسى فأنسحبت هذه

<sup>(1)</sup> - مولاي بلحميسي، "مدينة المدية عبر العصور في الجزائر"، مجلة الأصالة، ع 2، وزارة شؤون الدينية، الجزائر، 1971، ص 135.

<sup>(2)</sup> - ذكر دي بارادي «de Paradis» أن هذا الإسم قد إستنبط من إسم الجبل الذي يقع شمال المدية، ينظر: de Paradis (V), Tunis et Alger....., op.cit, p-p. 117.

<sup>(3)</sup> - حسب ما أفاد به هنري فدرمان (Henri (Federmann) في مقال نشره في المجلة الإفريقية أن مصطلح ديرة هي بربرية الأصل وتعني "الجبال". ينظر:

Henri (Federmann), « Notices Sur histoire..... », op.cit, pp114

<sup>(4)</sup> - Rinn (L), « Le Royaume.... », op.cit, p135.



القبائل من سلطة البايلك وأصبحت تابعة لخوجة الخيل<sup>1</sup> لأنها كانت مصدر خوف وقلق للسلطة المركزية وسنفصل هذا في حينه<sup>2</sup>.

## 2- الطابع العمراني والبشري للبايلك:

تعتبر المدينة عاصمة بايلك التيطري والتي تقع جنوب غرب مقر الحكم المركزي على إحدى هضاب جبال التيطري، كانت خلال العهد العثماني محاطة بسور بُني بالحجارة الصلبة، ولها خمسة أبواب، منها إثنان محروسان، تضم كل واحدة منها أربع مدافع<sup>3</sup>. أما عن التنظيم القبلي للبايلك فقد أكدت أغلب الدراسات التاريخية بأن بايلك التيطري كان ينقسم إلى أربع قبايلات وهي:

### أ- قبايلات تل الظهراوي<sup>4</sup>:

وقد إشتملت هذه المنطقة على حوالي سبعة أوطان<sup>5</sup>، وتضم القبائل المحيطة بالمدينة، حسين بن علي تعتبر هذه القبيلة هي خليط من عدت قبائل هاجرت بشكل متتالي إلى أن شكلت ستة فروع وهي: أولاد فرقان، أولاد ملال، أولاد طريف، أولاد براهيم، أولاد معيزة، العزابة<sup>6</sup> وهوارة، وهي قبيلة تقع على 8 كلم إلى الجنوب من المدينة وتشمل حوض الوطا، أولاد سعود عمران، المناصرة زورة: وتقع إلى الشمال من حسن بن علي، وامري، ريغة، حنانشة، بني يعقوب، غريب.

<sup>(1)</sup> - منصب إداري استحدثته السلطة العثمانية في الجزائر، تمثلت مهمته الأساسية في تسيير الشؤون الادارية وجمع الضرائب. ينظر:

Henri (Federmann), « Notices Sur histoire..... », op.cit, p114.

<sup>(2)</sup> - Henri (Federmann), « Notices Sur histoire..... », op.cit, pp113-117.

<sup>(3)</sup> - درياس لخضر، المدفعية الجزائرية في العهد العثماني، أطروحة دكتوراه، معهد التاريخ، جامعة الجزائر، 1989-1990، ص 175.

<sup>(4)</sup> - سجلات البايلك الخاص بالأعراش، رقم السجل 40، الأرشيف الوطني الجزائري

<sup>(5)</sup> - عائشة غطاس وأخريات، الدولة الجزائرية.....، المرجع السابق، ص 177.

<sup>(6)</sup> - Pharaon(F), "Notice sur les tribus de la subdivision de Medea", **R.Af**, n°2, Alger, 1857-1858, P47,

### ب - قایدات تل القبيلة:

ويشمل قبائل أولاد دايد العبيد والدواير، وأولاد هديم وبني حسن وأولاد سيد أحمد بن يوسف والريبعة، وأولاد علان والتيطري والسواري وأولاد معروف، الدهيمات والمفاتحة وأولاد حمزة.

### ج - قایدات الديرة:

تضم القبائل التي تحيط جبل ديرة شرق البايك ومركزها سور الغزلان<sup>1</sup>، وتضم أولاد دريس، أولاد بركة، أولاد فريحة، أولاد بوعريف، أولاد مريم، عذاورة، بني عقبة، أولاد سليم، أولاد عبد الله، أولاد علوش، مغراوة، أولاد علي بن داود، أولاد سيدي عيسى، أولاد موسى، أولاد سيدي عمر، جواب، أولاد نهار<sup>2</sup>.

### د - قایدات الجنوب:

هي أيضا تسمى بقبائل "العرب"، تضم قبائل الرحل<sup>3</sup>، مثل قبائل رحمان، الزناخرة، عبادلة، ميادت، الشراقة والغرابية، أولاد مختار، عبايز، أولاد سيدي أحمد، رشيغة، أولاد سيدي عيسى، السحاري، أولاد شايب، بني بوعيش، عزيز، أولاد نايل، حرازية، لربعة<sup>4</sup>.

<sup>(1)</sup> - فايضة بوشيبية، المرجع السابق، ص 45.

<sup>(2)</sup> - عائشة غطاس وأخريات، الدولة الجزائرية.....، المرجع السابق، ص 178.

<sup>(3)</sup> - فايضة بوشيبية، المرجع السابق، ص 45.

<sup>(4)</sup> - عائشة غطاس وأخريات، الدولة الجزائرية.....، المرجع السابق، ص 178.

### 3- الجهاز الإداري والتنظيم السياسي للبايلىك:

تعتبر المناصب السياسية في الجهاز الإداري العثماني الأكثر إستقرارا بمقارنتها بالمناصب الأخرى، لهذا فقد إستقطبت العديد من سكان بايلىك التيطري، فقد كانت أبرز هذه المناصب مساعدة لمهام باي التيطري، وهي تنقسم إلى الأعوان الأساسيين الذين لهم صلة مباشرة بالباي، والأعوان الآخرون يساهمون في تسيير الإدارة على مستوى البايلىك أمثال قائد الباب، وقائد السوق، وقائد الزبل، ووكيل بيت المال، والقاضيان والمفتيان....الخ<sup>1</sup>.

ومن أهم الموظفين الذين إعتمدت عليهم السلطة المركزية والذين كان لهم صلة مباشرة بالباي وهم:

أ-الحاكم(الباي):وهو الذي يأتي على رأس البايلىك على غرار بقية البايلىكات يساعده مجموعة من الموظفين المحليين مثل ديوان البايلىك، ويمتاز الباي عادة بإملاك سلطات مطلقة وواسعة ضمن حدود البايلىك الترابية بتفويض من الداي، كما عليه إستشارة أعضاء الديوان المحلي، والقبول بوجود قائد عسكري على رأس الحامية بالبايلىك يتلقى الأوامر من السلطة المركزية، غير أن صلاحيات بايلىك التيطري كانت محدودة، وقد أدى هذا للحد من نفوذه، كان هذا الحاكم يتبع مباشرة ديوان مركز الحكم بالجزائر، وقد يكون هذا التضييق على باي التيطري راجعا لحيوية هذا البايلىك وقربه من مقر الحكم المركزي، وبالتالي أي تمرد يشكل خطرا على السلطة المركزية<sup>2</sup>.

أما عن مهامه فتتمثل في الحفاظ على الأمن وإقرار الهدوء من أجل تقادي عصيان وتمرد القبائل بالأرياف، كما أن من مهامه دفع أجور الحاميات العسكرية الموجودة بالبايلىك<sup>3</sup>، ومراقبة تحركات القبائل وبترأس السوق العام، كما يتولى جمع الضرائب<sup>1</sup>،

(1) - أرزقي شويثام، المجتمع الجزائري.....، المرجع السابق، ص ص 50-55.

(2) - المرجع نفسه، ص ص 183-184.

(3) - أرزقي شويثام، المجتمع الجزائري.....، المرجع السابق، ص 184.

ويسمح له بالتجديد لمدة ثلاث سنوات أخرى حسب الدنوش المدفوع للسلطة المركزية يساعده في مهامه مجموعة من الموظفين يتمثلون في:

**ب- الخليفة:** يساعد باي التيطري في مهامه، يختاره بنفسه، يخول له الإتصال بقيادة البايلىك، من مهامه إقرار الهدوء وفرض الأمن.

**ج- الخزانجي:** يعين من طرف الباي ومهمته حفظ خزينة الباي، ويساعده خوجة يرأس أمانته وثلاثة محاسبين يختارون عادة من اليهود.

**د- شيخ البلد:** يهتم بأمور الرعية ويحافظ على أملاك البايلىك، كما يتصرف في مرتبات الجيش.

**هـ- الباش كاتب:** هو المكلف بكتابة رسائل الباي ويحتفظ بمدخرات البايلىك المالية وسجلاته العقارية<sup>2</sup>.

**و- الباش سيار:** هو المسؤول عن قافلة البريد ويحمل بنفسه رسائل الباي إلى مقر الحكم المركزي<sup>3</sup>، كما يكلف بمراقبة إصطبلات البايلىك وتجهيز حسان الباي.

**ح- الباش مكاحلية:** يتصرف في فرق مكاحلية، أي كوكبة الجند المزودة بالبنادق.

بالإضافة إلى هؤلاء الموظفون فإن هناك موظفون آخرون مثل قيادة البايلىك وجماعة الشواش، قائد المقصورة والصبايحية قائد الجبرية.....الخ.

**ط- الحاكم:** يتمتع باستقلال ذاتي، وقد إستعملته الإدارة العثمانية للحد من صلاحيات باي التيطري، وبهذا الطاقم الإداري تمكنت السلطة المركزية من حكم بايلىك التيطري وتسيير شؤنه الإدارية طيلة الفترة العثمانية في الجزائر<sup>4</sup>.

(1) -فايزة بوشيبية، المرجع السابق، ص 61.

(2) - عائشة غطاس وأخريات، الدولة الجزائرية.....، المرجع السابق، ص ص 184 - 186.

(3) - ناصر الدين سعيدوني، وركات .....، المرجع السابق، ص 244.

(4) - عائشة غطاس وأخريات، الدولة الجزائرية.....، المرجع السابق، ص ص 184 - 186.

إلى جانب هذه المناصب الإدارية نجد القضاء حيث تولى هذا المنصب سنة 1822م الشيخ الحاج "أحمد بن محمد سلامة" في بايلك التيطري، وفي سنة 1825م تولى "محمد بن محمد المحجوب"، أما في سنة 1826م فقد كان "محمد بن الخلفة" هو القاضي، إلى جانب القضاء نجد الإفتاء أيضا قد نال حظه هو الآخر من هذه المناصب، ففي سنة 1724م عين المفتي أبو القاسم الغربي، أما في سنة 1829م فالمفتي حمل إسم الشيخ "محمد البصري"<sup>1</sup>، فمن هذا المنطلق نجد مناصب أخرى قد إعتلاها ووصل إليها سكان هذا البايلىك من خلال الألقاب التي لاتزال موجودة ومنتشرة بكثرة تحملها عائلات عريقة بهذه المنطقة.

#### 4- الأوضاع الإقتصادية للبايلك:

##### أ- النشاط الفلاحي:

لقد مارس سكان بايلك التيطري عدة أنشطة فلاحية سواء زراعية أو تربية الحيوانات وغيرها<sup>2</sup>، فقد تمثلت هذه المزروعات في الأشجار المثمرة كالزيتون، والرمان والبرتقال، والتين بالإضافة إلى الجوز من خلال دنوش الحاكم، وتتخلل هذه المناطق الجبلية أشجار العنب، كما إحتوت على سهول مهمة مثل البرواقية عند قبيلة حسن بن علي، وعمورة عند قبيلة غريب والمدية، وهي تستغل أراضيها في زراعة الحبوب، أو البساتين والحدائق التي تضم الأشجار المثمرة، خاصة في أراضي الفحص المحيطة بالمدية، وهو ما تفيدنا به أيضا الوثائق من خلال ذكر وقف الكثير من البساتين بما فيها من حدائق العنب أشجار التين، التي كانت تسقى عن طريق المجاري المائية المرتبطة بالسواقي أو بالصهاريج<sup>3</sup>.

<sup>(1)</sup> - أبو القاسم سعد الله، " دفتر محكمة المدية، الجزائر أواخر العهد العثماني 1821-1839م، مجلة الثقافة، ع 81، وزارة الثقافة والسياحة، الجزائر، ماي 1984، ص 143.

<sup>(2)</sup> - حبيبة عليش، " الحياة الإدارية والإقتصادية والإجتماعية في بايلك التيطري أثناء العهد العثماني 1519-1830م، ص 186.

<sup>(3)</sup> - فايزة بوشيبية، المرجع السابق، ص 60.

كما أن هناك قبائل سكنت السهول الداخلية فإن الظروف الطبيعية سحنت لها باستغلال الأراضي في زراعة الحبوب خاصة القمح والشعير لتحقيق به إكتفاء قبائل جنوب هذا البايك<sup>1</sup> إذا إعتبرنا أن مدخول زكاة الحبوب التي كانت تمثل عشر المحصول فهو مهما<sup>2</sup>، ويدل على وفرة المنتج خاصة في هاتين المادتين الحيويتين، كما نجد "حمدان ابن عثمان خوجة" أشاد بذلك حينما قال: "إن سكان المدينة شجعان ومتصلبون... أنهم يجنون محصول ممتازا"<sup>3</sup>.

والجدير بالذكر فإن هذه الأراضي كانت تزرع بتقنية علمية فعالة وناجحة إذ أنهم يقومون في شهر فبراير بعناية الكروم ونزع الحشائش عنها، وحينئذ تترك الأغصان المثمرة وحدها حتى شهر أفريل حيث يشتد عودها، ومع العناية بها بعد ذلك أكثر، فإنها تعود للنمو الكبير من جديد وبسرعة مع موسم القطف في شهر جويلية فتزن عناقيد العنب إلى حدود 15 رطلا بشكل شاسع يتراوح قطر العنب بين ثلاث إلى أربع إنشات<sup>4</sup>.

كما كان البايك يلجأ إلى تعيين فلاحين أجراء على أراضي الأيالة، وكذلك أراضي إنكشارية الذين هم في الخدمة وحتى أراضي الخواص وهو ما يظهر لنا في إتفاق بين البلدة والديوان العسكري بموافقة الحاكم في سنة 1809م ينص على تحديد أجرة الأجراء والذين يعرفون ب"خدامين الفاس" بربع ريال بالإضافة إلى إعانات أخرى<sup>5</sup>.

هذا وقد كان سكان هذا البايك يدفعون ضريبة على مادة العسل أيضا إذ أنهم كانوا يدفعون إلى الحاكم بالمدينة عددا كبيرا من قلال العسل، فهذا يعطينا صورة مفادها أن سكان هذا البايك كانوا يربون النحل على نطاق واسع<sup>6</sup>.

(1) - حبيبة عليش، " الحياة الإدارية والإقتصادية....."، المرجع السابق، ص 186.

(2) - فايزة بوشية، المرجع السابق، ص 61.

(3) - حمدان بن عثمان خوجة، المصدر السابق، ص 58.

(4) - وليام سبنسر، المصدر السابق، ص ص 137-139.

(5) - فايزة بوشية، المرجع السابق، ص 61.

(6) - حبيبة عليش، " الحياة الإدارية والإقتصادية....."، المرجع السابق، ص ص 188-189.

أما تربية المواشي فنجد تربية الأبقار كانت مزدهرة ببابليك التيطري، و أن سكانه كانوا يربون المواشي من غنم وخرفان وغيرها<sup>1</sup>، فإلى جانب ذلك أهتموا أيضا بتربية الدواجن التي كانت منتشرة، ويتضح ذلك إنطلاقا من أن دنوش الحاكم كان يحتوي أيضا على البيض، فإن تربية المواشي كما رأينا تشمل الغنم والبقر والإبل والخيول.

كانت القبائل المستقرة تعتمد على المراعي المحلية، أما القبائل الرحل فكانت تنتقل بقطعانها بحثا عن المرعي والكلاء، ولم نعثر على إحصائيات دقيقة لهذه الثروة لأن الوثائق لم تهتم بتسجيل إحصائيات لثروة القبائل من المواشي إلا أننا يمكن أن نستنتج إنتاجها الكبير من خلال ما كانت تدفعه القبائل كضرائب من مواشي متنوعة رغم إفتقارها للتفصيل التسلسل الزمني للوثائق، كما يمكننا أن نستند إلى الإحصاء الذي قدّمه "كاريت وارني" "warni" خلال موسم 1843-1844م تمثل في حوالي 500.24 رأس بقر، وحوالي 500.882 رأس غنم و270.36 جمل فضلا عن الخيول والماعز.

ومن هنا نستنتج أن المجال الفلاحي في البابليك كان يتركز أساسا على زراعة الحبوب خاصة القمح والشعير وتربية المواشي، بينما أنواع الزراعة الأخرى فكانت تتمثل في زراعة الأشجار المثمرة في المناطق الجبلية والفحص، وبالتالي تنحصر في القسم الشمالي من البابليك.

### ب- النشاط الحرفي:

أما فيما يخص النشاط الحرفي الخاص بالبابليك فإن المعلومات التي توفرها لنا الوثائق تخص سكان مدينة المديّة بالدرجة الأولى نظرا للطبيعة الحضرية للمدينة، وبالتالي ميول معظم سكانها إلى الجانب الحرفي بدلا الفلاحي<sup>2</sup>.

ومن أبرز هذه الحرف هي صناعة الحياك ومفرده "الحايك"، وذلك لوفرة الصوف بالمنطقة، وقد برع في ذلك قبائل الزناجرة والعبادلية، وأولاد سي موسى، والشيخ أحمد بن

<sup>1</sup> - de Paradis (V), Tunis et Alger....., op.cit, p123.

<sup>2</sup> -فايزة بوشيبية، المرجع السابق، ص 62.

زيادة الذين كانوا يدفعون ضرائب على منتج هذه الصناعة<sup>1</sup>، وتعد الحرف الأكثر إنتشارا في مدينة المديّة هي حرف السياف والحدادة والخياطة والنجارة والدباغ والسراج، كما تعاطى الكراغلة حرفة البابوجية<sup>2</sup> التي ورثوها عن آبائهم بإعتبار أن الأتراك كانوا ينشطون بها في مقر الحكم المركزي بشكلاً كبيراً لدرجة هيمنتهم على هذه الحرفة<sup>3</sup>.

كما نجد سكان هذا البايك مارسوا صنائع أخرى كالأدوات التي تستعمل في الفلاحة حرفة الكواشين، وهي تتمثل في طهي الخبز، بالإضافة إلى فتح الأفران لطحن الحبوب إلى جانب رحاء أو طاحونة الماء العمومية التي كانت موجودة خارج سور البايك، بالإضافة إلى نشاط البناء الذي شجعت سلطة البايك للتنمية العمرانية، وحاولت إبقائها تحت مراقبتها، وهو ما نستنتج من عملية تحديد سعر القرميد والأجر التي تعتبر موادا أساسية للبناء، وإلى جانب هذا تشير الوثائق إلى وجود أفران للجير الذي تعتبر أيضا من مواد البناء إضافة إلى حرفة النجارة وهي تمول بالأخشاب التي توفرها الغابات الموجودة في المناطق الجبلية بالبايك<sup>4</sup>.

ومن هنا نستنتج بأن سكان باييك التيطري قد مارسوا عدة حرف أخرى مضافة إلى الحرف التي ذكرناها مثل النسيج من خلال ظهور عدة ألقاب مثل دواجي والحدادة بدليل وجود لقب دمرجي والخياطة من خلال لقب خياطين<sup>5</sup>، وقد كان الحرفيون في مدينة المديّة منظمين في جماعات مثل ما هو الحال في مقر الحكم المركزي<sup>6</sup>، من خلال هذه المعطيات

(1) - أرزقي شويتام، المجتمع الجزائري.....المرجع السابق، ص 224.

(2) - البابوج: لفظ فارسي الأصل، ويقصد به الحذاء المريح المصنوع من الحرير المزركش بالذهب والألماس تتزين به النساء للمزيد ينظر: عبد الكريم الخطيب مصطفى، معجم المصطلحات والألقاب التاريخية، ط1، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر، بيروت، 1996، ص 62.

(3) - حبيبة عليش، " الحياة الإدارية والإقتصادية....."، المرجع السابق، ص 190.

(4) - فايزة بوشيبية، المرجع السابق، ص 63.

(5) - حبيبة عليش، " الحياة الإدارية والإقتصادية....."، المرجع السابق، ص 190-191.

(6) - فايزة بوشيبية، المرجع السابق، ص 63.



يتضح لنا بأن سكان البايك كانوا يمارسون هذه الحرف بشكلا واسعا مما جعل السلطة المركزية تفرض ضرائب على هذه الحرف والصنائع<sup>1</sup>.

مما شجع النشاط الحرفي بالبايك هو وفرة المواد الأولية، كما أن هناك حرف أخرى اشتهر بها البايك كصناعة الفخار والصباغة وذلك لوفرة الصوف الضرورية لذلك كما أمتن آخرون مهنة الخياطة، وبذلك يمكننا القول أنّ النشاط الحرفي في مدينة المديّة كان مزدهرا ومتنوعا مرتبطا بالإحتياجات اليومية للرعية معظمها تعتمد على المواد الأولية التي تتوفّر بالبايك غير أنّه وجدت حرف إمتازت بها مدينة لمدينة على وجه الخصوص<sup>2</sup>.

### ج- النشاط التجاري:

تعتبر التجارة من أهمّ النشاطات الإقتصادية في البايك، وبالرغم أنّ الوثائق لم تفيدنا بشكل واضح عن التّعاملات التجارية في هذا البايك إلا أنه يمكننا إستنتاج إنتعاش إقتصادي وإهتمام الرعية بالتجارة، خاصة سكان مدينة المديّة، حيث أن هذه الأخيرة كانت مركزا تجاريا نشيطا.

والجدير بالذكر أن النشاط التجاري قد مثل ضرورة إقتصادية في البايك نظرا لإختلاف الموارد الطبيعية، والمنتجات المختلفة، كانت تتم المبادلات التجارية بين قبائل الشّمال والجنوب، حيث أصبح كلا الجانبين بحاجة إلى الآخر إقتصاديا، ولا يمكن لأي منهما الإستغناء عن الآخر والعيش ضمن تجارة مغلقة بإعتبار أن مواردها غير كافية، لذلك كان لابد من إلتقاء بعضها البعض وتحقيق تبادل إقتصادي<sup>3</sup>.

وبحكم أن مدينة المديّة تقع في طريق تجاري هام يربط بين الشمال والجنوب فقد كثرة بها المرافق والفضاءات التجارية من حوانيت ومقاهي ومخازن وحمامات وفنادق، فكانت هذه المرافق بالرغم من قلة عددها مقارنة مع مثيلتها في مقر الحكم المركزي مثلا، إلا أنها

<sup>(1)</sup> - أبو القاسم سعد الله، " دفتر محكمة المديّة....."، المرجع السابق، ص 162.

<sup>(2)</sup> - فايزة بوشيبة، المرجع السابق، ص 64.

<sup>(3)</sup> - المرجع نفسه، ص 65.

كانت أكثر أناقة وجمالا وصيانة، أما الدكاكين والحوانيت التي كان معظم أصحابها من اليهود فإنها متشابهة لما هو موجود في مقر الحكم المركزي، وقد أثرت هذه الحركة التجارية على مستوى المدينة في ريف البايك<sup>1</sup>.

فقبائل الشمال أو التل التي كانت تزاوّل الزراعة والحرف المختلفة كانت تلجأ إلى داخل البايك سنويا لبيع منتوجاتها المختلفة وعلى رأسها الحبوب، الزيت، الصّابون، الفواكه الجافة مثل التين والمنتوجات الحرفيّة خاصّة الحديدية، أمّا القبائل الجنوبية فكانت تصعد إلى شمال البايك بقطعان المواشي والمنتجات المرتبطة بها من صوف وجلود وغيرها بالإضافة إلى منتوجات أخرى كالتمر<sup>2</sup>.

بهذه الحركة التجاريّة نشأت أسواق موسميّة وطرق تجاريّة في البايك تربط بين مختلف مناطقها، وتلتقي عند المراكز الإستراتيجية في البايك خاصّة المديّة، والبرواقية وسور الغزلان، وما يلفت الإنتباه هو تدخل سلطة البايك في التجارة الداخلية لبعض المنتوجات وذلك بتحديد سعرها مثل الخبز وغيرها من المواد الأساسية، مما يعني وجود مراقبة سلطوية، إلى جانب الأسواق الموسميّة هناك أنواع أخرى من الأسواق وهي السّوق الأسبوعيّة التي تعقدها أهم قبائل البايك وهذه الأسواق كان لها أهمية إقتصادية كبيرة<sup>3</sup>.

من هنا نستنتج بأن منتج باييك التيطري كان وفيما خاصة الأصواف التي حققت الإكتفاء، بل فاق حاجات البايك مما جعلهم يقومون بتصديره إلى خارج الآيالة<sup>4</sup>، فقد أشاد دي بارادي «de Paradis» بهذا المنتج حينما قال: " بالرغم من صغر مساحة باييك التيطري إلا أنه كان ينافس البايكات الأخرى في الكمية الكبيرة للمنتوجات المتنوعة والتي ساهمت في التجارة الداخلية والخارجية للآيالة<sup>5</sup>.

<sup>(1)</sup> - حبيبة عليش، " الحياة الإدارية والاقتصادية ....."، المرجع السابق، ص 191.

<sup>(2)</sup> - فايزة بوشيبة، المرجع السابق، ص 65.

<sup>(3)</sup> - المرجع نفسه، ص 66.

<sup>(4)</sup> - de Paradis (V), Tunis et Alger....., op.cit, pp17-18.

<sup>(5)</sup> -ibid, p22.

ويعتبر سوق مدينة المديّة من أهمّ الأسواق الأسبوعية في البايك بإعتباره أهمّ مركزا للتبادل التجاري، وكان سوق مدينة المديّة يعقد في كلّ يوم جمعة، وتحضره الكثير من أعراش القبائل أهمّها عرش حسن بن علي وبني حسن ووزرة، ووامري ربيعة أولاد دايد، كما كان للأسواق الأخرى أهميّة أيضا في البايك نظرا لنشاطها التجاري الذي يخدم القبائل التي تقصدها كسوق الأثنين الذي تعقده كل من قبيلتي حسن بن علي عبيد في البرواقية وأهمّ زبائنه قبيلة زناخرة، وسوق الأحد بسور الغزلان الذي تحضره جل قبائل قيادة ديرة، وسوق الثلاثاء الذي كانت تعقده قبيلة دواير، وكانت تقصده قبائل قيادة ديرة قبيلة زناجرة، تيطري قبائل رحمان وعبيد وبني حسن<sup>1</sup>.

##### 5- الوضع الثقافي للبايك:

تعتبر الحياة الثقافية في بايك التيطري ذات أهمية كبرى كغيره من المقاطعات الموجودة في الأيالة الجزائرية، كان له علماءه الذين عُرِفوا بعلمهم وتقواهم، فقد لعبوا دورا تعليميا وثقافيا، فكانوا ينشطون ويتحركون عندما تحلّ الأزمات بالبلاد، خاصة الطبيعية كالمجاعة والأوبئة والفيضانات، حتي المجال السياسي شارك فيه علماء بايك التيطري، فكثيرا ما نجد البايات يستعنون بهم لحل النزاعات القائمة بين القبائل، لأجل هذا كانوا يحظون بمكانة خاصة من طرف السلطة العثمانية<sup>2</sup>.

والجدير بالملاحظة فإن الحياة الثقافية في هذ البايك تعود إلى الفتح الإسلامي، الذي جعل كل ذي قيمة علمية، وقد صرح بذلك الرحالة "الحسن بن محمد الوزاني" الفاسي فقال: "وإذا زارهم أجنبي ذو علم ومعرفة، فإنهم يعظمونه ويبجلونه وبيقونه عندهم ليفصل في قضاياهم، ويعملون بقوله..."<sup>3</sup>.

(1) -فايزة بوشيبة، المرجع السابق، ص 67.

(2) - خديجة دويالي، "العلاقات الاجتماعية بين الرعية والسلطة في بايك التيطري أواخر العهد العثماني من خلال الوثائق"، مجلة الحوار المتوسطي، ع 3-4، مارس 2011-2012، ص ص 12-13.

(3) - عبد الرحمان الجيلالي، تاريخ المدن الثلاث.....، المرجع السابق، ص 344.

وإنطلاقاً من هذه الشهادة يمكن القول أن سكان البايلىك أن إحترامهم للأجانبى لىس إحتراماً لذاته فإنما إحتراماً لعلمه، لذا نجدهم يولونه منصب القضاء، فهذا التعظيم للحق فى ذاته، وهذا المنطق مشهد على مسرح الحياة<sup>1</sup>.

أجمعت الكتابات التاريخية على أن الحياة الثقافية فى بايلىك التيطرى خلال العهد العثمانى كانت مزدهرة نسبياً، فقد قدر عدد المكاتب القرآنية فى القطر الجزائرى ثلاثة آلاف كتاب قرآنى، أما بالنسبة لعاصمة بايلىك التيطرى فقد أسس أربعة مساجد، مسجد مراد للمذهب الحنفى والجامع الأحمر، بقيت صومعته إلى يومنا هذا فى ساحة بولوكين التى دشنت تسميتها الأخ الوزير أثناء الإحتفال بالعيد الألفى للمدية والذكرى العاشرة للإستقلال، ومسجد فى الثكنة العسكرية، ومسجد سيدي سليمان وتهدم وبقيت الزاوية لقراءة القرآن الكريم إلى اليوم، وقد تم ترميم المسجد المالكى فى عهد مصطفى باي، كما بنى مصطفى بك باي تيطرى دار بقرب المسجد، كما كانت توجد مكتبة عامة للمطالعة فى نهج الإخوة بن غربية، وكان القيم عليها الحاج بن رقية<sup>2</sup>.

(1) - عبد الرحمان الجيلالى، تاريخ المدن الثلاث.....، المرجع السابق، ص344.

(2) - المرجع نفسه، ص ص 348-349.

## ثانيا: بايلك الشرق (قسنطينة)

### 1- الإطار التاريخي والجغرافي للبايلك:

قبل الحديث عن الإطار الجغرافي لبايلك قسنطينة<sup>1</sup> رأينا من الضروري الوقوف على أصل تسمية هذا البايلك عبر تاريخه الطويل، فقد ورد للمدينة عدة تسميات في بعض المصادر، وكذا على ألسنة كبار الشيوخ والمؤرخين، ومن أهم وأقدم الأسماء التي عُرِفَتْ بها قسنطينة قديما هو إسم سيرتا (Cirta)، ويقال أن هذا الإسم سامي الأصل من بين أقدم الأسماء التي عُرِفَتْ بها المنطقة، ويقصد به "المدينة" أو "القلعة" تم تحريفه من الإسم الحقيقي كرتن (Crtn)<sup>2</sup>، ويخبرنا "محمد الصغير غانم" أن إسم "سيرتا" يعود بدوره إلى بداية الإحتلال الروماني "لنوميديا" الذي يؤرخ له في سنة 46 ق.م حين أصبحت سيرتا (Cirta) عاصمة للإتحاد السيرتي<sup>3</sup>.

وحسب "أبو الفدا" 1332م فهي بضم القاف وسكون السين وكسر الطاء المهملتين وسكون المثناة من تحت ثم نون وهاء، فقال: "وعن بعض المتأخرين أن بعد السين وقبل الطاء نونا، وحينئذ فتكون بضم السين وسكون النون"<sup>4</sup>.

<sup>(1)</sup> - تقع قسنطينة فلكياً على خط عرض 23°-36° شمالاً، وخط طول 35° و7° شرقاً، أما جغرافياً تقع شمال شرق الجزائر على الحافة الشمالية للأطلس الصحراوي، وهي بذلك تحتل منطقة متميزة بالنسبة لإقليم الشرق الجزائري، بحيث أنها لا تبعد إلا بحوالي 87 كم عن سكيكدة وقريبة أيضاً من عنابة، وهما المدينتين الواقعتين على ساحل البحر الأبيض المتوسط شمالاً. ينظر: خالدية مضوي، "أصواء على العلاقات التجارية الجزائرية الأوروبية متوسطة خلال النصف الأول من القرن الثاني قبل الميلاد مدينة قسنطينة وضواحيها أنموذجاً"، مجلة كان، ع13، دار ناشري، الكويت، سبتمبر 2011، ص85.

<sup>(2)</sup> - سعودي يمينة، الحياة الأدبية في قسنطينة (خلال الفترة العثمانية)، مذكرة ماجستير، كلية الأدب واللغات، جامعة منتوري، قسنطينة، 2005-2006، ص 12.

<sup>(3)</sup> - غانم محمد الصغير، "قسنطينة عبر تاريخها القديم"، مجلة العلوم الإنسانية، جامعة منتوري، قسنطينة، 1999، ص140.

<sup>(4)</sup> - عماد الدين إسماعيل بن محمد أبو الفداء، كتاب تقويم البلدان، تح: البارون ماك كزكين ديسلان، السلطانية، باريس، 1840، ص ص 138-139.

ومنهم من زاد إليها أداة التعريف "الـ" فأصبحت تكتب بصيغة "القسنطينة"، ثم أضيفت إليها طاء بعد السين وقبل النون الأولى فصارت القسطنطينة بأداة التعريف ومن دونها، ويبدو أن هذا الاسم الأخير هو الذي عرفت به المدينة منذ عهد الإمبراطور الروماني قسطنطين الذي زارها في سنة 313م، وعاد بناءها وجدد أسوارها بعد أن خربها "غريمه اليكسندر سنة 311م على إثر النزاع الذي دار حول حكم الإمبراطورية، ومن ثم أطلق عليها الإمبراطور قسطنطين إسمه<sup>1</sup>.

عُرفت قسنطينة بإسم آخر وهو "بلد الهواء" أو "بلدة الهوى"، فهواءها الحسي لايزيد ولاينقص في مرآة البصر، وهواءها المعنوي يزيد وينمو حسب الليالي، وسميت كذلك "بالحصن الإفريقي"، ولعل هذا ما جعلها أن تكون مثار إلهام للعديد من الكتاب والشعراء الشعبيين، أمثال "أبو القاسم الرحموني"<sup>2</sup> و"محمد الشاذلي"<sup>3</sup>، وصدور الكثير من الأمثال الشعبية والأقوال المأثورة عنها في وصفها<sup>4</sup>.

(1) - عبد القادر دحدوح، عمران وعمارة مدينة قسنطينة خلال العهد العثماني، أطروحة دكتوراة، معهد الآثار، جامعة الجزائر2، 2009-2010م، ص 16.

(2) - هو محمد الصالح بن سليمان بن محمد بن أبي القاسم الرحموني العيسوي الزواوي نسبة إلى أولاد رحمون من شرفاء العش أديب نحوي شارك في بعض العلوم تعلم بتونس، أصيب الشيخ الرحموني بالعمى مما دفعه إلى التردد على مكان الشعراء فتعلم الشعر عن طريق النقل الشفهي ثم ما لبث أن أصبح شاعرا متميزا، وكان له لسان سليط يهاجم به كل من يقف في طريقه بشعره، أما تاريخ وفاته فتشير المصادر أنه توفي سنة 1826م. للمزيد حول هذا الشاعر ينظر: عبد الجليل رحموني، "الشعر والشعراء الشعبيون في بايلك قسنطينة خلال العهد العثماني"، المجلة الجزائرية للبحوث والدراسات التاريخية المتوسطة، ع 3، منشورت زين الحقوقية والأدبية، جوان 2016، ص 205.

(3) - ولد محمد الشاذلي سنة 1877م ويعتبر من فحول الشعراء الشعبيين في بايلك قسنطينة تربي في بيت محافظ، تلقى علومه في قسنطينة على أيادي مشاهير علمائها عندئذ فتعلم الفقه والحديث واللغة والخطابة والحساب، سافر الشاذلي إلى العديد من المناطق العربية مثل تونس كما قام بثلاث رحلات خلال 1844-1849م إلى فرنسا وأروبا، وقد حملته ثاني رحلة إلى بلجيكا وإنجلترا وتركيا. ينظر: أبو القاسم سعد الله، محمد الشاذلي القسنطيني 1807-1877م دراسة من خلال رسائله وشعره، دط، المؤسسة الوطنية للنشر، الجزائر، 1974، ص ص 17-18-19.

(4) - سعودي يمينه، المرجع السابق، ص 14.

ظهرت بعض الاختلافات فيما يخص هذا الاسم والأرجح أن هذا الاسم هو مركب من كلمتين هما: قصر - طينة فإمتزجت الكلمتان وصارت بحكم النطق المتغير والتطور الزمني، وما أصاب الكلمة من تحريف فتحول الاسم من قصر طينة إلى قسنطينة، وذلك بإبدال الصاد سينا والراء نونا، وقد ورد في كتب المغاربة إسم آخر وهو حصن طينة، وهذا ما نجده عند العلامة "أحمد ابن الخطيب" القسنطيني<sup>1</sup>.

كما ظهرت التسمية نفسها في عصر الشيخ "عبد الكريم الفكون"<sup>2</sup> من خلال رسائله، بقيت هذه التسمية إلى زمن الشيخ "بركات بن عبد الرحمان" بن باديس، ويعتبر هذا الاسم هو الأكثر شيوعا والأكثر إستخدام<sup>3</sup>.

أما عن موقع المدينة فهي تقع فوق صخرة على جانبي وادي الرمال وبومرزوق تحف بها العوائق والمنحدرات الشديدة من كل جهاتها فأهم عامل حدد موضعها هو سهولة الدفاع عنها بالإضافة إلى توفير المياه الضرورية للشرب، وهذه المزايا لاشك أنها تدخل على نفوس السكان الأمن والأمان، وتساعدهم في ممارسة مختلف أوجه نشاطاتهم الحرفية والتجارية، هذه الخصائص جعلت منها منطقة إستقرارا بشريا منذ القدم<sup>4</sup>.

(1) - الصيد سليمان، نفع الأزهار عما في مدينة قسنطينة من الأخبار، المطبعة الجزائرية، الجزائر، 1994، ص10.

(2) - هو عبد الكريم بن محمد بن عبد الكريم الفكون، أدبيا نحويا ومحدثا جمع بين علمي الظاهر والباطن، كان عالم الجزائر في عصره من أهالي قسنطينة، وتوفي بسبب الطاعون أما عن آثاره - رحمه الله - له "شرح على البسط" و"التعريف في علم التصوف للمكودي"، فرغ من تأليفه سنة 1048هـ، وشرح على شواهد الشريف على الأجرومية، و"محدد السنان في نحر إخوان الدخان"، وديوان في مدح الرسول - صلى الله عليه وسلم -، وشرح جمل المجرد ومخارج الحروف من الشاطبية، وتأليف في حوادث فقاء الوقت وهو الكتاب المسمى "بمنشورات الهداية في كشف حال من ادعى العلم والولاية". راجع: عبد الكريم الفكون، منشورات الهداية في كشف حال من ادعى العلم والولاية، ط 1، تح: أبو القاسم سعد الله، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1987، ص 48.

(3) - سعودي يمينة، المرجع السابق، ص14.

(4) - خالدية مضوي، المرجع السابق، ص 86.

والشرق القسنطيني بصفة عامة جبلي في معظمه من حيث المنظر التضاريسي تلتقي في وسطه سلسلتا جبال الأطلس الشمالية التلية والجنوبية الصحراوية عند كتلة جبال الأوراس، وليس فيه من الأحواض والسهول سوى حوض وادي الصومام والسهول العليا الجزائرية، إلى جانب منبسطات تبسة، وحوض وادي سوف ووادي ريغ وسهول عنابة وسكيكدة<sup>1</sup>، وهو بذلك أكبر البايلىكات في الأيالة، وأغناها ثروة وأخصبها أرضا وأوسعها مساحة وتنوعها من حيث التضاريس، ولعل هذا ما أعطاه طابع مميز عن بقية الأقاليم الأخر، نظرا لأهميته الإستراتيجية والإقتصادية والإجتماعية كانت محل إهتمام الجغرافيين والمؤرخين والرحالة<sup>2</sup>.

ومما زاد من أهمية الموضع هو تموقعه وسط منطقة مبادلات واسعة تقع على حافتي الصحراء والتل تمر بها القوافل والمسالك التجارية، وهذا ما أعطى لموضعه ميزة فريدة من نوعها فهي قريبة من الجبال التلية في الشمال والسهول العليا الصالحة لزراعة الحبوب والغنية بحقول الزيتون بالإضافة إلى الثروة الحيوانية، فقد جعلت كل هذه الأبعاد منها مدينة ذات أهمية خاصة في عملية الإتصال بين المدن المختلفة.

وعلى العموم فإن هذا البايلىك كان من أكبر البايلىكات مساحة مما أدى إلى إختلاف وتنوع تضاريسه، فقد ضم الجبال الغنية بالمعادن مثل جبال جرجرة، والسهول الخصبة مثل سهل قسنطينة وعنابة، والمراعي الهامة التي إتسمت بها منطقة الهضاب العليا بالإضافة إلى الواحات المكونة لمنطقة الزاب ووادي ريغ الغنية بنخيلها وثروتها الصحراوية وهو ما جعل بايلىك قسنطينة أغنى وأهم بايلىك بالجزائر العثمانية<sup>3</sup>.

<sup>(1)</sup> - محمد الصالح بن العنتري، فريدة منيسة .....، المصدر السابق، ص 17.

<sup>(2)</sup> - عبد الرزاق قشوان، السلطة المحلية في بايلىك قسنطينة (1592-1837م)، مذكرة ماجستير، كلية العلوم الإجتماعية والإنسانية، الجزائر (2)، 2009-2010، ص 8.

<sup>(3)</sup> - محمد الصالح بن العنتري، فريدة منيسة .....، المصدر السابق، ص 17.



اختلف المؤرخون حول تاريخ دخول العثمانيون إلى مدينة قسنطينة واستقرارهم بها، فالمؤرخ "يحي بوعزيز" إعتبر أن بداية الوجود العثماني في المنطقة كان سنة 1514م، أما الفرنسيون فقد حددوا الوجود العثماني في المنطقة إلى الفترة ما بين 1517 إلى 1522م<sup>1</sup>، وهذا ما أكده الأسير هايدوا « Haedo »<sup>2</sup> بقوله: "أن خير الدين كان أول من دخل مدينة القل، وأخضع سكانها سنة 1522م، وامتد نفوذه في السنة نفسها إلى مدينة قسنطينة<sup>3</sup>.

وأي كان الأمر فإن أغلب الدراسات تتفق على أن بداية الوجود العثماني في بايلك الشرق يعود إلى مطلع القرن 16م، إلا أنه كان محصورا في المدن الساحلية مثل جيجل<sup>4</sup> بعد طرد الإيطاليين الذين كانوا بالمدينة، لكن الأمير الحفصي ضايقهم بتونس فنقلوا قاعدتهم البحرية من حلق الوادي إلى جيجل وهنا إستتجد بهم سكان مدينة الجزائر سنة 1516م، ويذكر "الصالح بن العنتري" أن "خير الدين" دخل القل سنة 1521م، وسيطر عليها وركز بها حامية عسكرية تتكون من 200 جندي إنكشاري، وغزا مدينتي عنابة وقسنطينة في العام الموالي أي سنة 1522م، وركز بالأولى حامية من 1500 جندي، وفي الثانية 600 جندي إنكشاري يرأسها ضباط يحملون لقب قائد العسكر، وكان إسم قائد حامية قسنطينة "يوسف"، وأعطى الحرية لكل قائد في سلوك السياسة التي يراها تجاه

<sup>(1)</sup> - بلخوص الدراجي، جوانب من الحياة الاجتماعية والإقتصادية في بايلك قسنطينة من خلال نوازل ابن الفكون خلال القرنين 16-17م، مذكرة ماجستير، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة الجزائر، 2011-2012، ص9.

<sup>(2)</sup> - راهب إسباني تعرض للأسر والإختطاف من طرف رياس البحر الجزائريين في شهر أفريل عام 1578م بينما كان يستقل سفينة تابعة لقراصنة مالطا رفقة 289 شخصا، وفي سنة 1581م تم إطلاق سراحه، وقام بنشر أعماله تحت عنوان "طبوغرافية تاريخ الجزائر العام" ويعتبر هذا الكتاب من الوثائق الهامة، وللكتاب أهمية كبيرة كون أن صاحب هذا الكتاب هو من الذين عاشو ويلات الأسر في الجزائر لذا فشهادة هؤلاء تعد وثائق تاريخية لأنها صادرة عن شخص واع وعن شاهد عيان فقد قام كل من "بيربروجر" « Berbrugger » مونيروا « Monnerou » بترجمة أجزاء ظهرت تباعا في المجلة الإفريقية (Revue Africaine) العدد 14 و15. ينظر: حميد آيت حبوش، "مكانة المصادر الأوروبية....."، المرجع السابق، ص ص 72-73.

<sup>(3)</sup> - Haedo (F -de Diego), Topographie et Histoire Générale d'Alger Traduit de Le Espagnol, par :M .M.de Monnereau et A. Berbrugger, Paris, Imprime à Valladolid, en1870, p45.

<sup>(4)</sup> - أرزقي شويتام، المرجع السابق، ص43.

السكان وحثهم على تحسين علاقاتهم وتمتينها معهم لضمان تمويل حاميتهم العسكرية بذلك المدن خاصة قسنطينة التي يصعب تموينها من البحر<sup>1</sup>.

وبالعوض إعتبر سنة 1528م هي بداية دخول العثمانيين للمنطقة، لكن ذلك لم يستمر طويلاً<sup>2</sup>، بينما ذهب آخرون إلى أن العثمانيين قد إستقروا بمدينة قسنطينة بعد أن تمكن "خير الدين" من طرد الأسبان سنة 1525م من مقر الحكم المركزي، وإسترجاع الحصن من "إبن القاضي" سنة 1529م<sup>3</sup>، وألحق هزيمة "أندري دوريا" "Andre Doria"<sup>4</sup> بشرشال عام 1531م، ثم توجه "خير الدين" نحوى تونس وتمكن من الدخول إليها 1534م إلا أن التواجد العثماني بها لم يدم طويلا بسبب إستتجاد السلطان الحفصي "بشارل العاشر" "Charles- Quint"<sup>5</sup> واحتلاله لحلق الوادي إضطر "خير الدين" مغادرة تونس في 20 جويلية سنة 1534م إذ عاد إلى أرض الجزائر<sup>6</sup>.

مطلع الخمسينيات من القرن 16م كان إقليم قسنطينة تحت سلطة العثمانيون سواء مباشرة بواسطة الحاميات العسكرية أوغير مباشرة بواسطة الولاء من بعض القبائل، كما تم في سنة 1555م تقديم سكان مدينة قسنطينة برسالة إلى السلطان العثماني "سليمان

(1) - محمد الصالح العنثري، المصدر السابق، ص ص 26-27.

(2) - Berbrugger (A), « Epoque de L'établissement des Turcs à Constaine », **R.Af**, n°1, Alger, 1856, P401.

(3) - Feraud (L), « Epoque de L'établissement des Turcs à Constaine », **R.Af**, n°10, Alger, 1866, p192.

(4) - بحار جنوبا شهير ذاع صيته في الأقطار الأوروبية والعربية، كان أكبر منافسا "لعروج" و"خير الدين" في البحر الأبيض المتوسط، ولد بجنوة، في 30 نوفمبر سنة 1468م، كان أكبر من عروج بخمس سنوات وعاش 92 سنة، كان صنديدا ويطئ في إتخاذ القرارات، عكس عروج الذي كان سريع العزم لا يتردد الأمر الذي جعله متفوقا على عدوه في الحروب البحرية التي كانت تتطلب السرعة والعزم والإقدام، كان "أندري دوريا" عالما بأمور البحر له عدة تأليف منها: كتاب المناخ الدائم للهاخام إبراهيم بن سموئيل زقوط. ينظر: عبد الحميد إبن زيان ابن أشنهو، دخول الأتراك العثمانيين إلى الجزائر، شارع نورمندي، الجزائر، 1972، ص ص 156-158.

(5) - تولى الحكم بعد موت أخيه في 1824م وتحالف مع إنجلترا، وفي عهده تم إحتلال الجزائر سنة 1830م. ينظر:

إبن عودة المزاري، طلوع سعد السعود ....، المصدر السابق، ج1، ص 79.

(6) - عائشة غطاس وأخريات، الدولة الجزائرية.....، المرجع السابق، ص 203.

القانوني<sup>1</sup> في شأن "الصالح رايس"<sup>2</sup>، وتعتبر هذه السنة سنة تأسيس بايلك قسنطينة بصفة نهائية، وتم تحرير مدينة بجاية من يد الأسبان لتأتي فترة حكم "حسن ابن خير الدين" الذي عمل على مواصلة الجهاد فقام بإخضاع البايك إلى السلطة العثمانية<sup>3</sup>، وفي سنة 1562م أكمل مهامه السابقة وعمل على تنظيم الأيالة الجزائرية وبهذا أصبحت قسنطينة تحيت حكم السلطة المركزية بصفة مطلقة<sup>4</sup>.

والجدير بالملاحظة أن الوجود العثماني في بايلك قسنطينة، لم يُعْن بالاهتمام اللازم من قبل المؤرخين والباحثين الفرنسيون وهو ما أثار انتباه بيربروجر « Berbrugger »<sup>5</sup> الذي طلب من مشاركيه إعطاء عناية خاصة لهذا البايك الذي ظل غائبا في كتاباتهم<sup>6</sup>. وهذا ما أكدته « Eayssettes » في مقال نشره في المجلة الإفريقية بقوله: "إنَّ بايلك قسنطينة لم يعرف إهتماما كبيرا من قبل الكُتّاب"، والسؤال الذي يتبادر إلى أذهاننا: لماذا لم يحظ

(1) - سعيدوني ناصر الدين، ورقات جزائرية دراسات وأبحاث في تاريخ الجزائر في العهد العثماني، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 2000، ص ص 111-112.

(2) - الصالح رايس: تذكر أغلب المصادر أن هذا الشخص ذو أصل عربي نشأ عند الأتراك، فقد ظهر أثناء غزو "سليم" لمصر، ثم سافر إلى تركيا، والمغرب، لعب دورا كبيرا في إتساع رقعة البلاد، فقد بلغت الأيالة أقصى إتساع لها في عهده حتى وصلت توسعته إلى ورقلة. للإطلاع أكثر ينظر:

Moulay (Belhamissi), Marine et Marins d'Alger (1518-1830), Alger, B.N.A, T3, 1996, p142.

(3) - ابن العنتر محمد الصالح، فريدة منيسة .....، المصدر السابق، ص 42.

(4) - بلخوص الدراجي، المرجع السابق، ص 13.

(5) - وُلد أدريان بيربروجر « Berbrugger (A) » في باريس 11 مايو سنة 1801م، فقد إهتم منذ البداية بدراسة علم الآثار القيمة، وقد تميز بالذكاء والخبرة، وبعد ما أكمل دراسته في مدرسة شارلمان الثانوية إلتحق بمدرسة شارل « Ecole des Chartes » العليا، وفي سنة 1832م كُلف بمهمة البحث عن القطع الأثرية التي يرجع عهدها إلى زمن إحتلال فرنسا في القرن 15م، وبعد ذلك بسنتين سافر إلى الجزائر حيث شغل وظيفة كاتب للوالي العام "كلوزيل" « Kelouzil »، قبل أن يوافق "قالي" « Vali » في غزوته لقسنطينة، ومن مدينة قسنطينة عاد بيربروجر « Berbrugger (A) » حاملا معه عددا كبيرا من المخطوطات العربية. لمعرفة المزيد حول هذه الشخصية ينظر: عبد الجليل رحموني، إهتمامات المجلة الإفريقية.....، المرجع السابق، ص 53.

(6) - Feraud (L), « Epoque de L'établissement... », Op.cit, p179.

هذا البايلك بالدراسة اللاتقة به على الرغم أن أحداثه لا تقل أهمية عن أحداث بايلك الغرب؟

للإجابة عن هذا السؤال يتوجب علينا العودة إلى المصادر الموضوعية والمحايدة التي تقول: "إنَّ بايلك الشرق عرف نفس الصراع القبلي الذي عرفه بايلك الغرب ومع ذلك تميز بايلك الغرب بوجود مؤلفات، ويرجع ذلك إلى الإحتلال الإسباني لوهراڤ والمرسى الكبير الذي إستمر من 1505م إلى 1792م كقبلة للمصادر المتعلقة بتاريخ المنطقة<sup>1</sup>.

تُعتبر قسنطينة عاصمة هذا البايلك الذي تأسس في زمن "حسن باشا" 1567م، فقد حكم العثمانيون أغلب نواحيه الجبلية والصحراوية بواسطة الأعيان المحليين<sup>2</sup> وهو أكبر البايليكات من حيث المساحة، والثروة إذ يمتد إلى الحدود التونسية شرقاً، والحد الفاصل بين القطرين هو واد سراط<sup>3</sup>، أما حدود البايلك من الشمال البحر الأبيض المتوسط، وغرباً جبال البيبان حتى قرى بني منصور، أمّا من الجنوب الغربي منطقة سيدي عيسى<sup>4</sup> الحد الفاصل بينه وبين بايلك التيطري<sup>5</sup>، ويُشير "لويس رين" « Rinn (L) » إلى أن السلطة العثمانية في بايلك الشرق قد فشلت في تسييره بسبب قوة أعيان العرب الذين كانوا في هذه المنطقة، لذا لجأ الأتراك العثمانيون إلى أساليب أخرى لإحكام سيطرتهم، ومن بين هذه الأساليب هي القمع ونهب الأراضي في السهول المحيطة بقسنطينة<sup>6</sup>.

<sup>(1)</sup> - مجهول، تاريخ بايات قسنطينة المرحلة الأخيرة، تح: حساني مختار، منشورات دحلب، الجزائر، 1999، ص 6.  
<sup>(2)</sup> - Rinn (L), « Le Royaume.... », op.cit, p41.

<sup>(3)</sup> - أرزقي شويتام، المرجع السابق، ص45.

<sup>(4)</sup> - تقع منطقة سيدي عيسى في ولاية المسيلة وهي منطقة تتوسط عدة مناطق متباعدة من حيث الطبوغرافيا والمناخ إذ أنها تقع شمال منطقة الحضنة السهبية، وإلى الجنوب الشرقي من منطقة التيطري التالية وجنوب منطقة متيجة وشمال منطقة بوسعادة وشمال شرق مدينة الجلفة الصحراوية تبعد عن الجزائر العاصمة بحوالي 170 كلم. للإطلاع أكثر حول

هذه المنطقة ينظر: Mnci ... « Sidi Aissa », **R.Af**, n°7, Alger, 1863, pp286-292.

<sup>(5)</sup> - Vyssettes (E), « Histoire des Derniers Beys de Constantine », **R.Af**, n°3, Alger, 1858, p117.

<sup>(6)</sup> - Rinn (L), « Le Royaume.... », op.cit, p40

كانت توجد بهذه المناطق قبائل قوية تُهدد السلطة العثمانية، كان من الممكن لو إتحدت فيما بينها أن تقضي على الوجود العثماني، لذا نجد الأتراك العثمانيون ينتهجون سياسة فرق تسد بين القبائل ووسيلتهم في ذلك شيوخ الزوايا أو المرابطون<sup>1</sup> أما "أحمد الشريف الزهار" فيخبرنا بقوله: "إنّ هذا البايلك كان من أغنى البايلاكات ساهم بشكل كبيراً في زكاة القمح والغنم، والذي يزيد عن نحو ألفين رأساً فضلاً عن التمور والزيتون الذي كان يبعث في صيف كل سنة"<sup>2</sup>.

## 2- الخصوصيات الطبيعية والبشرية للبايلك:

يعتبر هذا البايلك أكثر البايلاكات ثروة وخصوبة وأوسعها مساحة، يحتل التل مساحة الأكبر في الإقليم إذ يمتد على مسافة 290 كلم إنطلاقاً من عنابة التي تعتبر أعلى وأبعد منطقة في الساحل كله إلى غاية حدود الصحراء، معنى هذا أن مساحة التل في الشرق الجزائري أكبر منها في الغرب، وبتعبير آخر أن مساحة التل في الجزائر بشكل عام تبلغ 135900 كلم<sup>2</sup>، إذا قورنت بمساحة الصحراء، نجد مساحة التل في مقاطعة وهران تمثل النصف، أما في قسنطينة فهي تشمل الثلثين<sup>3</sup>.

ومما يلاحظ أن منطقة الهضاب في بايلك الشرق تتألف من إقليمين تفصل بينهما مدينة قسنطينة، إقليم شرقي يمتد حتى حدود تونس وغربي يشتمل على الجهات الغربية حتى جبال الببيان، وتشكل مدينة قسنطينة مركز الثقل لكل الإقليمين، وتعرف الجهات الشمالية بين هاذين الإقليمين بالتل، بينما النواحي الجنوبية فيطلق عليها اسم السباخ التي هي في الواقع حيز، وتتميز المنطقة بقلّة الأمطار وعدم إنتظامها إذا ما قورنت بالمنطقة

<sup>1</sup>– Guin, « Notes Sur le Bey Mohammed Dit El-Bey Derrah », **R.Af**, n°7, Alger, 1863, p294.

<sup>2</sup>– أحمد الشريف الزهار، مذكرات الحاج أحمد الشريف الزهار، تح: أحمد توفيق المدني، ج 7، عالم المعرفة، الجزائر، 2010، ص73.

<sup>3</sup>– لعربي إسمهان، الحياة الإقتصادية في بايلك الشرق خلال العهد العثماني (1713-1792م)، أطروحة دكتوراه، كلية العلوم الإنسانية والإجتماعية، جامعة سيدي بلعباس، 2012-2013م، ص ص 55-56.

الساحلية<sup>1</sup> الشمالية التي تشتهر بوفرة الأمطار وخصوبة أراضيها، وبخصوص الجهة الجنوبية فيكثر فيها نبات الحلفاء وغيرها من النباتات الإستبسية<sup>2</sup>.

أما من حيث التكوين العمراني فقد تشابهت المدن العثمانية عمرانيا في مختلف المناطق التابعة للدولة العثمانية، فقد بني معظمها على شكل مثلث قمته القسبة، مقر الحكم، وهو ما ينطبق على مدينة قسنطينة التي كان العرب يصفونها بقولهم أنها على شكل برنس مفتوح والقسبة رأسه<sup>3</sup>.

والواقع أن بايلك قسنطينة قد مثل النصف الغربي للدولة الحفصية التي كانت تشمل غرب المغرب الأدنى وشرق المغرب الأوسط حتى ميناء دلس أوما أطلق عليه إسم مملكتي قسنطينة وبجاية، ورغم عدم دقة ووضوح وإستقرار معالم حدود البايك فإننا نلاحظ شبه إتفاق لدى الرحالة الأجانب حول الحدود التقريبية لبايك قسنطينة، ولعل وصف الرحالة الإنجليزي توماس شو « Thomas Shaw »<sup>4</sup> للبايك كان من أهم ما حظيت به هذه المنطقة من دراسة في الفترة العثمانية وأكثرها دقة في رسم حدوده<sup>5</sup>.

أما عن الرقعة الجغرافية لهذا البايك، فكان يمتد من البحر شمالا إلى ما وراء بسكرة وواد سوف في حوض ريغ جنوبا، ومن الحدود التونسية شرقا إلى ما وراء إقليم ونوغة وبرج (حمزة البويرة) وسفوح جبال جرجرة غربا، وجنوب هذا الإقليم على جبال البيبان وحوض

(1) - فلة موساوي القشاعي، النظام الضريبي بالريف القسنطيني أواخر العهد العثماني 1771-1837م، مجموعة دراسات تحت إشراف ناصر الدين سعيدوني، القافلة للنشر، وزارة الثقافة، الجزائر، 2016، ص 38.

(2) - أحمد توفيق المدني، كتاب الجزائر، ط2، دار الكتاب، الجزائر، 1963، ص ص 166-167.

(3) - جميلة معاشي، الإنكشارية والمجتمع ببايك قسنطينة في نهاية العهد العثماني، أطروحة الدكتوراه، كلية العلوم الإنسانية والعلوم الإجتماعية، جامعة منتوري، قسنطينة، 2007-2008م، ص 197.

(4) - يعد من أشهر الرحالة الأوروبيين الذين زاروا شمال إفريقيا في بداية القرن 18م، وهو إنجليزي كان هناك بالوكالة الإنجليزية في الجزائر، ويتفق الجميع على قيمة مهمته العلمية التي أنجزها في هذا البلد خلال 12 سنة التي أقامها بالجزائر من 1720 - 1732م. ينظر: حميد أيت حبوش، المجتمع الجزائري خلال العهد .....، المرجع السابق، ص 30.

(5) - جميلة معاشي، الأسر المحلية الحاكمة في بايلك الشرق الجزائري من القرن 10 هـ 16م إلى 13 هـ 19م، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2015، ص 13.

وادي الصومام وجبال البابور وقسنطينة، وعنابة وسوق هراس، وعلى السهول العليا القسنطينية كتلة جبال الأوراس والنامشة وتبسة وجبال الحضنة وحوضها وجبال الزاب والزيبان، ووحدات سوف ووحدات الصحراء الشمالية الشرقية وعلى رأسها بسكرة وتقرت وورقلة<sup>1</sup>، بل حتى وحدات ميزاب بواد الشبكة<sup>2</sup>، ويتوغل في الحدود الشرقية إلى غاية قبائل البابور<sup>3</sup>.

أما عن أراضي البايك حسب ما جاء في رحلة "بيسونال" "Peyssone" الذي زار المنطقة بداية القرن 18م فهي تمتد على مسافة تقارب 100م أي 420 كلم تقريبا من الشرق إلى الغرب، ومن ساحة البحر شمالا إلى الصحراء جنوبا.

فالرحالة الإنجليزي "شو" « Thomas Shaw » الذي زار البايك في نفس القرن فيقول: "أن حدود البايك تمتد في أوسع نقطة من الشرق إلى الغرب على مسافة تقدر: 95 فرسخ أي حوالي 380 كلم، ومن الشمال إلى الجنوب على مسافة 58 فرسخ أي 232 كلم<sup>4</sup>. وبخصوص مناخ هذا البايك فنجد تناله نسبة لابأس بها من الرطوبة في الشتاء لإرتفاعه وقربه من ناحية البحر الشمالية المتوسطية في القسم الشمالي، أما في القسم الجنوبي الصحراوي فالجفاف أهم ما يغلب عليه، ويعتمد على المياه الجوفية أكثر من غيرها ونسبة كثافة السكان فيه عالية عبر التاريخ إذا ما قورنت بوسط البلاد وغربها، وذلك لظروف تاريخية وطبيعية، والحياة الإقتصادية فيه تعتمد على الفلاحة وتربية المواشي أساسا، ثم النشاط التجاري والصناعات التقليدية<sup>5</sup>.

<sup>(1)</sup> - للإطلاع بشكل موسع حول موضوع التواجد العثماني بمنطقة ورقلة. راجع: ناصر الدين سعيدوني، "ورقلة ومنطقتها في العهد العثماني"، مجلة الأصاله، ع41، منشورات وزارة الشؤون الدينية والأوقاف، 2011، ص ص 71-81.

<sup>(2)</sup> - محمد الصالح بن العنتر، المصدر السابق، ص 17.

<sup>(3)</sup> - لعريبي إسمهان، المرجع السابق، ص 53.

<sup>(4)</sup> - جميلة معاشي، المرجع السابق، ص 14.

<sup>(5)</sup> - محمد الصالح بن العنتر، المصدر السابق، ص 17.

أما "شلوصر" Schlusser، الذي يعتبر آخر من عاش بالمدينة من الأوروبيين في الفترة العثمانية 1832 - 1837م يصف المدينة بقوله: "أنها ترتفع في الزاوية الشمالية وتتخفض في الجنوب"، كما وصف أحياء المدينة وأزقتها وأسواقها وأبوابها بشكل دقيق يدل على معرفته الجيدة بالمدينة، قائلًا أن للمدينة أربعة أبواب:

1-باب القنطرة في الشرق يتجه نحو الجنوب الغربي عبر جسر حجري يقوم على ثلاث أقواس.

2-باب الرحبة وهو باب صغير عرف بعد سنة 1836 م بالباب الجديد.

3-باب الجابية أو الباب الشرقي.

4-باب الواد أو باب الوس، وتتجه الأبواب الثلاثة الأخيرة نحو الخارج من الجنوب الغربي للمدينة، يبعد الواحد منها عن الآخر بحوالي 200 خطوة<sup>1</sup>.

ولعل رئيس بلدية قسنطينة، في سنة 1903 م بوصف "شلوصر"، إلى جانب التقارير العسكرية، في وضعه لخريطة بايلك قسنطينة، التي أصبحت مصدرا لجميع دارسي تاريخ قسنطينة في العهد العثماني، وكان البايك، حسب هذه الدراسة التي وضعها سنة 1878 م، مقسمة إلى 4 أحياء رئيسية هي:

1-حي القصبة في الشمال الغربي للمدينة وهو خاص بالحكام والإداريين والقوات العسكرية.

2-حي الطابية بالجنوب الغربي.

3-حي باب القنطرة بالشرق.

4-حي باب الجابية.

وتنقسم هذه الأحياء الرئيسية إلى أحياء صغيرة تعرف بـ "الحومة" أو "الحارة" وأحياء أضيق تعرف بـ "الزقة"، وتنسب عادة إلى أكبر منزل بها مثل "زقة دار بوخبزة"، أو إلى

<sup>(1)</sup> - جميلة معاشي، الانكشارية والمجتمع.....، المرجع السابق، ص 199.



مسجد مثل " زنقة سيدي حوفاني"، أو " كوشة الزيات " وغيرها من المراكز المعروفة بالمدينة، ويفصل بين هذه الأحياء أسواق<sup>1</sup>.

أما عن التركيبة البشرية للبايلك فقد عرفت هي الأخرى خليطا إثنيا مثله مثل باقي البايكات، ومن هنا يمكن تقسيم المجتمع في بايلك قسنطينة خلال العهد العثماني إلى:

**أ- فئة البلدية:**

وهم السكان الأصليون لبايك قسنطينة الذين ولدوا وترعرعوا هناك عبر مراحل التاريخ المختلفة<sup>2</sup> قبل العهد العثماني، فقد ظهرت العديد من الأسر القسنطينية العريقة واعتزازها بمكانتها العلمية ومالها وجاهاها بقسنطينة<sup>3</sup>، ولعل من أبرز هذه العائلات عائلة "ابن عبد المؤمن" التي تنتمي إلى مرابطي المغرب الأقصى إنتقلت إلى بسكرة ثم إستدعاهها عرب أولاد صولة<sup>4</sup> إلى قسنطينة لنشر العلم خلال القرن 9هـ، وقد تدرجت إلى أن أصبحت ذات سلطة دينية كبيرة، ونالت لقب شيخ الإسلام وقيادة ركب الحجاج من السلطات الحفصية، حيث إستطاعت هذه الأسرة أن تحافظ على إمتيازاتها ونفوذها رغم حساسيتها مع الأتراك العثمانيين<sup>5</sup>.

أما القضاء والإمامة فقد تولهما أسر أخرى هي أسرة "آل باديس" العريقة، حيث ترجع شهرتها إلى زمن الحفصيين إذ تولى "حسن بن باديس" قضاء الجماعة بتونس، ثم قسنطينة التي توفي بها، ومن مشاهيرها أيضا "حميدة بن باديس" الذي تولى القضاء والإمامة، "ويحي بن باديس"، و"محمد بن باديس" وغيرهم<sup>6</sup>.

(1) - جميلة معاشي، الإنكشارية والمجتمع.....، المرجع السابق، ص ص 199-200.

(2) - المرجع نفسه، ص 117 .

(3) - المرجع نفسه، ص 191.

(4) - راجع الملحق رقم (6) ص 365.

(5) - حسين بوخلوة، عبد الكريم الفكون القسنطيني حياته وآثاره 1580-1663م، مذكرة ماجستير، كلية العلوم الإنسانية والحضارة الإسلامية، جامعة الساندية وهران، 2008-2009. ص 27.

(6) - عبد الكريم الفكون، منشور الهداية.....، المصدر السابق، ص 57.

تميزة فئة البلدية بحياة راقية كانت مصدر إعجاب الزوار الأجانب أمثال "توماس شو" "Shaw"، ومن مميزات البلدي التكبر على البراني الوافد من الريف، فالبلدية لا يختلطون بالبرانية في السكن ولا في المعاملة اليومية بإعتبار أن البراني لا يرقى إلى النمط المعيشي الذي يتميز به البلدي، وقد إحتكر البلدية العرب عدة وظائف في المدينة، منها المناصب الدينية وعلى رأسها مشيخة الإسلام التي توارثها شيوخ أسرة الفكون<sup>1</sup>.

### ب- فئة الأتراك العثمانيين والأعلاج والكراغلة:

تشكلت هذه الفئة من العثمانيين الذين كانوا يتربعون على قمة الهرم الإجتماعي في البايك، بيدهم الحكم والسلطة والوظائف العليا وقيادة الجيش<sup>2</sup>، ويتكون أترك باييك قسنطينة حسب ما جاء في السجلات الشرعية من العناصر الوافدة من مختلف مدن الولايات العثمانية بأوروبا وآسيا<sup>3</sup>، أما عن أعدادهم في البايك فهو قليل مقارنة بمقر الحكم المركزي إلا أن هذا لم يمنع من إستقطاب كبرى المدن في باييك الشرق قسنطينة وعنابة.

بالنسبة للأعلاج كانوا مثل الأتراك العثمانيون في ذلك، حيث أن الطابع التجاري الحيوي لمدينتي عنابة وقسنطينة، وقد أشار "لوجي دي تاسي" "Laugier (de Tassy)"<sup>4</sup> إلى أحد الأعلاج الذين أستقروا بعنابة وذلك بغرض التجارة<sup>5</sup>، أما الكراغلة فيعتبرون من أهم الفئات في السلم الإجتماعي ببعض المدن الجزائرية بعد فئة الأتراك والأعلاج، أما عن أعدادهم فقد كانت متوقفة على مدى إرتباط الأتراك العثمانيون بالأهالي ومصاهرتهم لهم،

(1) - جميلة معاشي، الإنكشارية والمجتمع.....، المرجع السابق، ص 192.

(2) - سعودي يميني، المرجع السابق، ص 41.

(3) - جميلة معاشي، الإنكشارية والمجتمع.....، المرجع السابق، ص 192.

(4) - هذه الشخصية غير معروفة جيدا، والمعلومات حول هذا الرجل شحيحة جدا إسمه الكامل «Laugier Jacques Philippe» موظف لدى القنصلية الفرنسية بالجزائر كمورث للعقود، أقام بالجزائر نصف سنة تقريبا غادر الجزائر في 1718م، له كتاب مشهور عنوانه: "حكاية مملكة الجزائر" الذي صدر في أمستردام، ويعد من المصادر المهمة، للإطلاع أكثر ينظر:

Brahimi (Denise), Opinions et Regards Dessues Sur Le Maghreb aux xvii<sup>eme</sup> et XVIII<sup>eme</sup> Siècles, Alger, S.N.E.D, 1978, p 121.

(5) - لعربي إسمهان، الحياة الإقتصادية في .....، المرجع السابق، ص 120.

لم يكن هؤلاء المولدون ينتجون عن أفراد عاديين فحسب، بل كان عدد منهم ينحدرون من سلالة البايات الذين تعاقبوا على حكم بايلك قسنطينة والذين كانوا يحرصون على مصاهرة كبار الأسر الحاكمة في البايلىك، حتى يضمنوا السيطرة على المناطق التي يملكون تأثيراً عليها، والأمثلة على ذلك كثيرة نذكر منها أن الداى "علي شاوش" (1710-1713م)<sup>1</sup>، الذي تحالف مع أسرة أولاد مقرران أسياى مجانية عن طرق مصاهرتهم ببناىة الثلاثة، والباى "حسن بن حسين" المدعو بوحناى (1736-1754م)، الذي تحالف مع شيخ الأوراس "بوضياى" عن طريق مصاهرتة له من ابنته وأخت زوجته، و"أحمد باى" المدعو القلى (1756-1771م) الذي تحالف مع كبار الأسرة الحاكمة وصاهرهم، ثم نجح فى التقرب من الذواودة عندما تزوج من "مباركة" أخت زوجة "فرحات" حفيد شيخ العرب بوكاز<sup>2</sup>.

### ج- فئة اليهود:

شهد بايلك الشرق عدد لا يستهان به من اليهود الذين كانوا يخضعون لقائد يعرف بالمقدم فترة حكم البايات، وقد خصص لهم صالح باى منطقة الشارع، وهى تقع ما بين باب القنطرة وحافة الهاوية، فبنوا فيها منازلهم ودكاينهم<sup>3</sup>، حيث كانوا يرتدون اللباس الأسود من رؤوسهم إلى أخمص أقدامهم، من أجل تمييزهم عن الآخرين ويرتدون لباس طويلا حتى منتصف الساقين، وعمامة سوداء، أو يحيطون قبعاتهم السوداء بشريط من لون غامق مخطط<sup>4</sup>، وتشير الكتابات الأجنبية إلى أعداد اليهود فى قسنطينة سنة 1833 م قدر بـ: 9000 ن منهم الأغنياء والفقراء، وإن كان معظمهم يسكن بيوتا متواضعة حتى يظهروا

<sup>(1)</sup> - تقلد الحكم فى سنة 1710م، قام بقمع التمردات ضد الأتراك العثمانيين، عرف حكمه بداية إنفصال الجزائر عن الباب العالى، فأصبح الداى هو الباشا والباشا هو الداى، فأصبحت الأيالة مستقلة عن الدولة العثمانية، توفي سنة 1718م متأثراً بمرض الإسهال. عبد الرحمان بن محمد الجيلالى، تاريخ الجزائر العام، ج3، المرجع السابق، ص ص 220-221.

<sup>(2)</sup> - لعريبي إسمهان، الحياة الإقتصادية فى .....، المرجع السابق، ص ص 121-122.

<sup>(3)</sup> - سعودى يمينه، الحياة الأدبية فى قسنطينة.....، المرجع السابق، ص42.

<sup>(4)</sup> - لعريبي إسمهان، الحياة الإقتصادية فى .....، المرجع السابق، ص 122.

بمظهر الفقراء فلا تفرض عليهم الضرائب، وإن كانت هذه الظاهرة حسب نفس المصدر شائعة بين جميع السكان، عرباً أو أتراكاً، إتقاء لنهب الباى لأموالهم<sup>1</sup>.

#### د - البرانية:

هم السكان القادمون من مناطق مختلفة سواء من داخل الأيالة أو من خارجه، وذلك من أجل العمل أو التجارة، وهؤلاء جنسياتهم مختلفة منهم الزوج، والمغاربة، وغيرهم، والجدير بالملاحظ أن تلك الفئات كانت تتصهر في المجتمع القسنطيني وتصبح جزء منه، تمارس واجباتها وتحصل على حقوقها بنفس القدر الذي هو عليه السكان الأصليون للمدينة<sup>2</sup>، ولا يوجد أدل على ذلك هو وجود مغربيين جاءا للعمل في مدينة عنابة، حيث مُنح لهما حق الشهادة كونهما عدول يوثق في شهادتهم، ويعتد بها لمن طلبها منهما، وهي وثيقة صادرة عن المحكمة الحنفية بمدينة عنابة، شهد عليها وأمضاها عددا من كبار القضاة والعلماء في المدينة، جاء فيها...:"الشهود المذكورة أسماؤهم يعرفون الفاضلين ... السيد محمد الزرهوني ورفيقه الحاج علي بن عبد الله الفاسيين معرفة تامة وصحيحة معتبرة شرعا، ويشهدون بها ومعها وأنهم سمعوا عنهما في مواطن عديدة، وأنهما يعملان بما في أيديهما من المال وتبعاً رضاه فيه ....."

ومن هنا نستنتج أن البايلك قد وجد فيه فئة البرانية الذين جاءوا إلى المدن للعيش والعمل بصفة فردية تعايشوا مع السكان الأصليون لفترة طويلة من الزمن<sup>3</sup>.

(1) - جميلة معاشي، الإنكشارية والمجتمع.....، المرجع السابق، ص 194.

(2) - لعربي إسمهان، الحياة الإقتصادية في .....، المرجع السابق، ص 122.

(3) - Devoulx (A), Tachrifat Recueil de Notes....., op.cit, p45.

### 3- الجهاز الإداري والتنظيم السياسي للبايلك:

تتألف إدارة بايلك قسنطينة من أجهزة إدارية متعددة في المدينة والأطراف يمكن أن نميز منها الأجهزة الآتية:

- **ديوان الأوجاق:** يتألف من رجال المخزن، أو أعضاء الحكومة الذين يحيطون بالباي، ويشاركونه في إدارة البايلك، ويحتفظون بالسلطات العليا إلى جانبه، يتصلون به بصفة مباشرة ويشاركون معه في اتخاذ القرارات وهم:

أ- **الخليفة:** يمثل الرجل الثاني في البايلك هو المسئول عن شؤون الأوطان أو أقاليم البايلك، وبخضع له القواد، ورجال الميليشيا المنظمين، وينظم عملية إستخلاص الضرائب، ويتولى إخضاع السكان لسلطة البايلك يذهب مرتين في السنة إلى مقر الحكم المركزي في فصلي الربيع والخريف، لحمل الدنوش إلى الباشا<sup>1</sup>، ويلاحظ أن منصب الخليفة كان يشغله في معظم الأحيان أقارب الباي، هذا وإن ضعف بايات قسنطينة في الفترة الأخيرة من العهد العثماني قد أدى بالخليفة إلى توسيع نفوذه على حساب مهام الباي وهو الشئ الذي قام به "الحاج أحمد باي" حين كان خليفة في عهد "إبراهيم باي" الغربي<sup>2</sup>.

ب- **قائد الدار:** موظف عثماني مثله مثل القياد المدن، يتميز عنهم بلقب قايد الدار أي قايد عاصمة البايلك يعني "دار الباي"، كما هو واضح من التسمية كان مكلفا بإدارة وأمن المدينة، كما كان يتكفل بتزويد الجيش بمؤنته، كما كان قاضيا يفصل في الجرائم وينفذ العقوبات في حق المتهمين<sup>3</sup> ما عدى في حالة الإعدام فتعود الصلاحيات إلى الباي، كما تمتد صلاحياته إلى توفير المعاش اليومي للقائمين على المساجد وبعض موظفي المدينة<sup>4</sup>.

(1) - العننري محمد الصالح، فريدة منسية .....، المصدر السابق، ص 20.

(2) - عائشة غطاس وأخريات، الدولة الجزائرية....، المرجع السابق، ص 208.

(3) - لعربي إسمهان، الحياة الإقتصادية في .....، المرجع السابق، ص 39.

(4) - عائشة غطاس وأخريات، الدولة الجزائرية....، المرجع السابق، ص 208.

ج- **النقاد أو الخزناجي:** وهو صاحب السلطة على كل المصالح المالية

وجمع الضرائب، وإعداد أموال الدنوش التي ترسل إلى مقر الحكم المركزي<sup>1</sup>.

د- **آغا الدائرة أو قايد الدائرة:** يعتبر آغا الدائرة هو المسئول عن فرق القوم

الغير النظامية، ويشرف على 39 قبيلة وهو أحد رؤساء المخزن<sup>2</sup>.

هـ- **باش كاتب:** هو بمثابة أمين عام مهمته تحرير القرارات والمراسلات

الهامة التي تتعلق بسياسة الباي، كما كان يراقب الرسائل المحررة من طرف الكتاب الآخرين ويختمها بختم الباي<sup>3</sup>.

و- **باش سيار:** وهو المسئول عن البريد، مهمته حمل الرسائل من الباي، ثم

العودة برسائل الباشا الباي، كما يصحب الخليفة إلى مقر الحكم المركزي عند حمل الدنوش إلى الباشا<sup>4</sup>.

ز- **الباش سايس:** هو المكلف بالخيول وجياد البايك.

ح- **شاوش كرسي:** يشغل هذا المنصب موظفان تركيان يتولان مهمة الجلد<sup>5</sup>.

والجدير بالذكر أن هناك موظفون يضافون إلى الموظفين الساميين، يمكن إعتبارهم تابعين للمخزن وهم: قايد العواسي، قايد الزمالة، الباش حمبا، وهناك موظفون أقل درجة لا يحق لهم حضور إجتماعات المجلس وهم: آغا الصبايحية، شاوش محلة الشتاء، باش العلم، باش الطبل، باش المكاحلي، باش خزناجي، باش منقا، قايد موهر باشا أو خوجة الخيل، باش سراج<sup>6</sup>.

<sup>(1)</sup> - العنتري محمد الصالح، فريدة منسية .....، المصدر السابق، ص 21.

<sup>(2)</sup> - Vaysettes, Histoire de Constantine Sous La Domination Turque de 1517-1837, in Recueil des natices et Mémoires de Société Archéologiques de la province de Constantine, t11, 1867,p251.

<sup>(3)</sup> - لعربي إسمهان، الحياة الإقتصادية في .....، المرجع السابق، ص 40.

<sup>(4)</sup> - العنتري محمد الصالح، فريدة منسية .....، المصدر السابق، ص 21.

<sup>(5)</sup> - Vaysettes, Histoire de Constantine....., op.cit, pp251-252.

<sup>(6)</sup> - عائشة غطاس وأخريات، الدولة الجزائرية .....، المرجع السابق، ص ص 209-210.

## 4- الأوضاع الاقتصادية للبايلك:

## أ- المحاصيل الزراعية والثروة الحيوانية:

تحتل الفلاحة مكانة هامة في إقتصاد بايلك الشرق، وقد ظلت طيلة العهد العثماني لاسيما السنوات الأخيرة منه تمثل النشاط الرئيسي بالأرياف والمورد الأساسي لغالبية سكانه، مما ساعد على إزدهار الفلاحة وتنوع منتوجها وكثرة محاصيلها وهذا بفضل ملائمة الظروف المتمثلة خاصة في الأحوال المناخية الملائمة والتربة الخصبة والمياه الوفيرة<sup>1</sup>، أما بالنسبة لملكية الأرض فقد كانت ملكية خاصة ببايلك قسنطينة تمتد على مساحة خمس فراسخ على شكل دائرة مساحتها 11,250 هكتار، كان يملكها الأتراك العثمانيون، أو العائلات العربية من أهمها أملاك صالح باي بجوار قسنطينة<sup>2</sup>.

وتعتبر ثروة الحبوب من أهم المحاصيل الزراعية، التي اشتهرت بها سهول عنابة وسطيف وبجاية وقالمة بحيث تكون حزاما متصلا يركز أساسا في منطقة التل من الحدود التونسية شرقا وحتى برج بوعريرج غربا، حيث تختفي زراعة الحبوب إلى الغرب منه في منطقة مزينة التي تعد أفقر الأراضي وأقلها صلاحية لفلاحة الحبوب<sup>3</sup>، وعلى العموم فإن الأراضي الفلاحية كانت خصبة، وقد أشاد بها "دي بارادي" (V) de Paradis " بقوله: "...لم أكن أتوقع بأن أراضي بايلك الشرق خصبة وجيدة، فالأشجار والحبوب تغطي السهول..."<sup>4</sup>.

والجدير بالذكر فإن قمح البايك كان من أجود القمح خاصة في المناطق المحيطة بقسنطينة، الذي تميز بمقاومته للرطوبة، ويمكن الاحتفاظ به في المطامير لمدة أطول قد تزيد على 4 سنوات<sup>5</sup>، إلى جانب القمح كان إنتاج الشعير التي اشتهرت به المنطقة، كما

<sup>(1)</sup> - فلة موساوي القشاعي، النظام الضريبي.....، المرجع السابق، ص 43.

<sup>(2)</sup> - لعريبي إسمهان، الحياة الاقتصادية في .....، المرجع السابق، ص 155.

<sup>(3)</sup> - فلة موساوي القشاعي، النظام الضريبي.....، المرجع السابق، ص ص 43-44.

<sup>(4)</sup> - de Paradis (V), Alger au xviii<sup>E</sup>...., op.cit, p66

<sup>(5)</sup> - إسماعيل العربي، المقاومة الجزائرية تحت لواء الأمير عبد القادر، الجزائر، د ت، ص 25.

تمارس زراعة بعض الحبوب الجافة مثل الذرة والذرة البيضاء، ونظرا لكون الحبوب تكون المصدر الأساسي لتغذية السكان، وتشكل المادة الأساسية للتصدير في الخارج فإنها أصبحت مادة إستراتيجية يتحكم في زراعتها البايك ويسيطر على الأراضي التي يستغلها موظفو الدولة ورؤساء المخزن أوشيوخ الزوايا<sup>1</sup>.

أما بالنسبة للبقول فتقتصر زراعتها على الفول والعدس والحمص بكميات أقل من القمح والشعير، ويزرعون العرب والقبائل على حد سواء، أما الذرة فتقتصر زراعتها على أراضي المروية<sup>2</sup>، كما تكثر الأشجار المثمرة كالحمضيات، مثل الليمون، والرمان والعنب، أما زراعة الزيتون فتعتبر النشاط الزراعي الرئيسي لديهم، والزيتون بشكل عام ينمو بشكل عشوائي في جميع الغابات، إلا أن القبائل يهتمون بمعالجته من حيث التقليم والسقي، بحيث يصل منتج الشجرة الواحدة إلى 40 أو 50 فرنكا من الزيتون الذي يستخدمونه في إنتاج الزيت الذي يعتبر مصدر دخل مهم بالنسبة لهم<sup>3</sup>.

غير أن هذه المحاصيل الزراعية كانت معرضة للعديد من الأخطار كالجفاف والزلازل، هذا بالإضافة إلى تعرض الفلاح للحملات من طرف موظفي البايك وشيوخ القبائل وفرسان المخزن مما دفع بالكثيرا من الفلاحين التخلي عن زراعة حقولهم والتحول إلى تربية المواشي التي تساعدهم على الانتقال والإفلات من قبضة رجال البايك ومهاجمة فرسان المخزن، وبذلك تقلصت المساحات المزروعة في الكثير من الجهات وكادت تنحصر في السهول الساحلية ونواحي التل، بينما تحولت أراضي قابلة للزراعة إلى مراعي موسمية جنوب قسنطينة وجهات الحضنة والناماشة وتبسة<sup>4</sup>.

(1) - فلة موساوي القشاعي، النظام الضريبي بالريف.....، المرجع السابق، ص 44.

(2) - لعريبي إسمهان، الحياة الإقتصادية في .....، المرجع السابق، ص 164.

(3) - المرجع نفسه، ص 166.

(4) - فلة موساوي القشاعي، النظام الضريبي بالريف.....، المرجع السابق، ص 47.



وعلى الرغم من هذه التحديات والظروف الصعبة التي كانت تواجه الفلاح في بايلك قسنطينة إلا أن الإنتاج كان يغطي حاجيات السكان، خاصة بعد التنظيمات الإقتصادية التي أدخلها "صالح باي"، والتي جعلت من الشرق الجزائري المنطقة الأولى في الإنتاج الفلاحي، كما أستصلح الأراضي، وأنشأ شبكة من القنوات لصرف المياه<sup>1</sup>.

أما بالنسبة للرعي وتربية المواشي كانت ذا أهمية بالغة، وللتعريف بأهمية الثروة الحيوانية نلاحظ أنه في أوائل عهد الإحتلال كان الشرق الجزائري يتوفر على 3210,000 من الأغنام و311,767 من الماعز و346,000 من الأبقار و90,636 من الخيول و76,723 من البغال، و269,086 من الجمال، وقد أشتهرت بعض القبائل بثروتها الحيوانية مثل قبائل النمامشة والحراكتة وزرادة وأولاد عطية وأولاد يحي بن طالب وبني عمار وأولاد عبد النور والتلاغمة وعامر، كما هو موضع في الجدول التالي من أملاك كل قبيلة من أغنام وأبقار<sup>2</sup>:

إسم القبيلة	عدد أملاكها من الأغنام والأبقار
النامامشة	116.000
الحراكتة	93.000
زرادة	12.800
أولاد عطية	16.900
أولاد يحي بن طالب	20.000
أولاد عبد النور والتلاغمة وعمار	66.580
بني عمار	16.320

جدول يمثل أملاك بعض قبائل بايلك الشرق من الأغنام والأبقار

<sup>(1)</sup> - ناصر الدين سعيدوني، دراسات وأبحاث في تاريخ الجزائر العهد العثماني، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984، ص ص 67-68.

<sup>(2)</sup> - فلة موساوي القشاعي، النظام الضريبي بالريف.....، المرجع السابق، ص 49.

ومما يلاحظ أن تربية الحيوانات لم تقتصر على سكان الأرياف، بل إهتم كل قبائل البايك بتربيتها، فكونوا قطعانا لتلبية حاجات الجهاز الإداري والعسكري من اللحم والأصواف، وعلى العموم يمكن القول بأن النشاط الرعوي كان موزعا بشكل متوازن على كافة أرجاء البايك، حيث لا تخلوا قبيلة أو منطقة من مناطق التجمعات السكانية إلا وتملك رؤوس من المواشي مع مراعاة طبيعة المناطق التي تعيش عليها<sup>1</sup>.

### ب- الحرف والصناعات التقليدية بالبايك:

أما الصناعة فرغم أنها لم تصل إلى درجة التطور إلا أننا نلاحظ إنتشارا واسعا لبعض الصناعات، كالصناعة النسيجية التي تميزت بها بعض القبائل مثل قبيلة بني عباس بنواحي مجانة، فقد أشتهرت هذه الأخيرة بصناعة البرانيس، أما قبائل بني ورثيلان، وبني عديل وبني يعلا فقد أشتهروا بصناعة الزرابي والأفرشة الملونة<sup>2</sup>، وبخصوص الصناعة الجلدية فقد إنتشرت هي الأخرى لدى القبائل التي تمارس الرعي وتتوفر على أعداد كبيرة من القطعان مثل النمامشة والحراكتة وأولاد عبد النور.

كانت صناعة الأدوات الجلدية من إختصاص القبائل الجبلية، وتعتبر صناعة الحلي والأسلحة من الصناعات التي أشتهرت بها قبائل بني عباس والصومام وجرجرة التي تمكنت من صنع نوع من أنواع البنادق، كما عرفت صناعة البارود المستخرج من بعض المناجم وصنع نوع مزور من العملة يسهل صرفه في الأسواق الريفية في غفلة عن مراقبة موظفي البايك<sup>3</sup>، ومن أهم الصناعات الجلدية التي عرفها بايك قسنطينة هي:

• **السراجين:** وهم المختصين في صناعة السروج كأكياس النقود، وأكياس السفر،

الأحزمة.... الخ

• **البرادعين:** يصنعون البرادع.

(1) - لعريبي إسمهان، الحياة الإقتصادية في .....، المرجع السابق، ص 185.

(2) - Féraud (L-charles), " Les Corporations de Métiers à ....", op.cit, p 451.

(3) - فلة موساوي القشاعي، النظام الضريبي بالريف.....، المرجع السابق، ص 51.

- الخرازين: صناعة أحذية الرجال، وهناك البشماقية يصنعون الاحذية بألوان عديدة.
- الشبارلية: هم صناع أحذية النساء<sup>1</sup>.

وقد أدت وفرة الأخشاب في هذا البايك إلى الإهتمام بصناعة السفن، حيث أن هذه الأخشاب كانت تأخذ من عدت قبائل مثل قبيلة بني ميمون وبني عمر، وهي قبائل غابية، لكن بعد سنة 1750م أكتشفت أخشاب أخرى أكثر جودة مثل أخشاب البلوط في غابات بني فوغال في جيجل، فأصبح إستغلال الكراسته مقصورا على هذه المنطقة تقريبا<sup>2</sup>. هذا بالإضافة إلى معالجة الزيت وصناعة الصابون شكلت هي الأخرى نشاط تقليديا متميزا بالارياف القسنطينية، وقد اشتهر بها سكان جرجرة ونواجي بجاية الذين تمكنوا من إيجاد نوع من الصابون الأسود المصنوع من زيت الزيتون ورماد نبات الدفلة<sup>3</sup>. وهناك حرف أخرى أشتهر بها البايك مثل النجارة الذين يصنعون الصنادق المستعملة في البيوت والأبواب والنوافذ، وهناك السرارين الذين يصنعون الأغمدة الخشبية، بالإضافة إلى المقاوسية والزواقين<sup>4</sup>.

ونلاحظ أن باييك الشرق مع توفره على العديد من مناجم الحديد والزنك والكوبالت والرصاص والنحاس وتكوينات الرخام والكبريت، إلا أن سكان الأرياف لم يتمكنوا من إستغلالها وتطوير صناعة تحويلية ذات أهمية، وذلك لجهلهم بالطرق الفنية والأساليب التقليدية التي لم يعمل موظفوا البايك على تلقينها لسكان الأرياف حتى يستطيعوا الإنتفاع بالثروات الطبيعية التي يزخر بها الشرق الجزائري<sup>5</sup>.

<sup>1</sup> -Féraud (L-charles), " Les Corporations de Métiers à ....", op.cit, pp 453 -454.

<sup>2</sup> -Ch. Féraud, "Exploitation des forêts de la KA rasta dans la Kabylie orientale sous la domination Turque", R.Af, n°13, Alger, 1869, p 38 .

<sup>3</sup> - فلة موساوي القشاعي، النظام الضريبي بالريف.....، المرجع السابق، ص 52.

<sup>4</sup> -Féraud (Ch), Les corporations de métiers à Constantine ..., op. cit., p 452

<sup>5</sup> - فلة موساوي القشاعي، النظام الضريبي بالريف القسنطيني.....، المرجع السابق، ص ص 52-53.

## ج- النشاط التجاري بالبائيك:

يعتبر بايلك قسنطينة أهم مركز وسوق تجاري مهم تربطه علاقات تجارية مع مختلف أنحاء البايكات، إحتوى على مايزيد عن 28 سوقا، يجتمع فيها صناع النسيج وأربع رحبات ساحات لعرض السلع، نذكر على سبيل المثل سوق العصر، حيث يجتمع فيه البائعون في آخر النهار وينادون على السلع، ويعقد هذا السوق قبل ساعتين أو ثلاث قبل العصر، وينتهي بمجرد أن يرفع آذان العصر، كان للبائيك علاقات تجارية مع بلاد القبائل الذين كانوا يقصدونها محملين بمنتجات بلادهم وأخرى مستوردة مثل الفواكه والزيت والصابون والشمع والجلود والمواشي والأقمشة، وفي المقابل يحضرون من هناك الحبوب والحاك والمنتجات الجلدية<sup>1</sup>.

ونتيجة لهذا النشاط الحيوي لأسواق البائيك تحولت إلى أسواق سنوية تجتمع بها القبائل، ويقصدها سكان المدن مثل سوق العثمانية والخروب والحراكتة وغيرها، وهناك أسواق مجاورة مثل سوق تبسة وميلة وجيجل وبجاية وعنابة، لكن أسواق قسنطينة تتوفر على كل المنتجات الضرورية للسكان<sup>2</sup>، هذا ما أوجد علاقات تجارية دائمة بين مراكز البائيك والمناطق الريفية القريبة منها، ولعل أهم ما كان يتحصل عليه سكان الأرياف من أسواق قسنطينة الأقمشة والأدوات المنزلية وآلات ممارسة الفلاحة والسروج والأثاث وبعض المواد الغذائية الضرورية<sup>3</sup>، وفي المقابل كان سكان الريف يجلبون معهم للأسواق سلع تتكون أساسا من الحيوانات والزيت والملح والفحم وبعض المنتجات النسيجية<sup>4</sup>.

ومما ساعد على نمو التبادل التجاري بالأرياف القسنطينية وعمل على تطوره تكامل الأقاليم الطبيعية التي يتألف منها بايلك قسنطينة، فأصبحت كل منطقة تزود المنطقة

<sup>(1)</sup> - لعربي إسمهان، الحياة الإقتصادية في .....، المرجع السابق، ص 232.

<sup>(2)</sup> - Watbld(E), "Constantine expéditions et prise de Constantine 1836-1837", R.Af, n°14, Alger, 1870, P205.

<sup>(3)</sup> - فلة موساوي القشاعي، النظام الضريبي بالريف.....، المرجع السابق، ص 54.

<sup>(4)</sup> - لعربي إسمهان، الحياة الإقتصادية في .....، المرجع السابق، ص 234.

الأخرى بما تحتاجه، وقد كان يتولى هذا النشاط التجاري موظفوا البايلك والمتحكمون الأجانب من اليهود والأوروبيين ووكلاءهم بقسنطينة<sup>1</sup>.

## 5- الوضع الثقافي للبايلك:

تعتبر مدينة قسنطينة عاصمة الشرق الجزائري ومدينة العلم والعلماء منذ القدم<sup>2</sup>، فأكتسبت شهرة واسعة في مجال الفكر منذ العهد الحفصي، فالأمراء كانوا يقدرّون العائلات العريقة والعلماء ووجهاء القوم ويحترمونهم، وتواصلت أهمية البايلك في العهد العثماني كون بايلك الغرب ظل تحت الحكم الأسباني، وتلمسان ضعفت مكانتها خلال هذه الفترة، وقد إكتسب بايلك الشرق الذي دخل تحت الحكم العثماني في زمن مبكر أهمية علمية كونه مُحصن طبيعياً وبعيد عن غارات الأعداء البحرية التي طبعّت هذه الفترة<sup>3</sup>.

ولعل هذا ما جعل البايلك يشهد حركة علمية طيبة، حيث كانت مساجدها وبيوتاتها الكبيرة تعج بالمكتبات التي تحتوي على كتب المشاركة والأندلسيين بالإضافة إلى التأليف المحلية ناهيك ببلد شهد عصر "صالح باي" (1771-1792م)، الذي وفر الإستقرار وشجع العلماء وجلب الكتب وحبس الأحماس لفائدة الطلبة وإزدهار العلوم، وكان إقليم بايلك قسنطينة عامة يمتاز بالسعة والثراء وكثرة عدد السكان<sup>4</sup>.

أدى الإهتمام بالعلم ونشر المعرفة في بايلك الشرق إلى الإهتمام بالمدارس والمساجد، وقامت هذه المؤسسات بدورا هاما في المجالات العلمية والدينية والإجتماعية والسياسية، وتولت عديدة عائلات مهمة بناء المدارس والمساجد والتدريس بها والإنفاق على

(1) - فلة موساوي القشاعي، النظام الضريبي بالريف .....، المرجع السابق، ص ص 54-55.

(2) - عبد الجليل رحموني، "شخصية الامام عبد الحميد ابن باديس هل الإنغلاق على الذات أم الإنفتاح وتقبل الآخر؟"، أعمال الملتقى الوطني البعد الثوري في نشاط الحركة الوطنية الجزائرية 1919-1954م المنعقد في 1 مارس 2016م، جامعة المسيلة، منشورات مؤسسة الامام الشيخ عبد الحميد بن باديس سلسلة البحوث والدراسات، دار الهدى، 2016م، ص 273.

(3) - حسين بوخلوة، المرجع السابق، ص 45.

(4) - أبو القاسم سعد الله، محمد الشاذلي القسنطيني 1807-1877م دراسة من خلال رسائله وشعره، ش. و.ن. و.ت، الجزائر، 1974، ص ص 14-15.

الطلبة، ومن بينها عائلة "ابن الفكون" و"ابن باديس" و"ابن جلول" و"ابن البشتاري" و"كوتجك علي" وغيرها، وقد تمتعت هذه العائلات بمكانة إجتماعية وعلمية عالية<sup>1</sup>.

كانت هذه المؤسسات الثقافية بالإضافة إلى دورها العلمي والديني كان لها دورا إجتماعيا وسياسيا في مجتمع بايلك الشرق، فهي ذات سلطة روحية ودينية وقضائية ولها الولاء الإجتماعي، وكانت ذات فائدة لقيامها بدور فض النزاعات والحفاظ على التماسك الإجتماعي، ومن جهة أخرى كان بعضها نقمة بنشرها للشعوذة والخرافة<sup>2</sup>.

والجدير بالذكر أن التعليم إرتكز على التعليم الديني دون الإهتمام بالمجالات الأخرى، وظهرت العديد من البيوتات العلمية نذكر منها على سبيل المثل بيت الفكون الذي ظهر به العديد من العلماء مثل الشيخ "أبو زكريا يحي" بن محمد الفكون 1534م، الذي درس على مشايخ منهم الشيخ "العواد التونسي"، والشيخ "قاسم بن يحي بن محمد الفكون" 1557م، الذي تولي وظيفة القضاء، والشيخ "أبو محمد عبد الكريم الفكون" 1580م<sup>3</sup>، والشيخ "أبو محمد عبد الكريم الفكون"<sup>4</sup>، وغيرهم من العلماء الآخرين أمثال "طاهر بن زيان" الزواوي القسنطيني، الذي تتلمذ علي يد الشيخ "أحمد زروق" وولده "أحمد زروق" الصغير، والشيخ "محمد الوزان" وغيرهم<sup>5</sup>.

(1) - رياض بولحبال، أخبار بلد قسنطينة وحكامها لمؤلف مجهول - دراسة وتحقيق -، مذكرة ماجستير، كلية العلوم الإنسانية والإجتماعية، جامعة منتوري قسنطينة، 2009-2010، ص 35.

(2) - أمحمد عميراي، " وثيقة نادرة عن المؤسسات الثقافية بمدينة قسنطينة في بداية الاحتلال الفرنسي"، المجلة التاريخية المغربية، مؤسسة التميمي للبحث، تونس، ماي 1997، ص 626.

(3) - هو عبد الكريم بن محمد بن عبد الكريم الفكون، أدبيا نحويا ومحدثا جمع بين علمي الظاهر والباطن، كان عالم الجزائر في عصره من أهالي قسنطينة، وكان إماما بالجامع الأعظم وخطيبه، وكان ممن لا تأخذه في الله لومة لائم أمتحن زمان الفتنة الواقعة بالبلد، توفي في قسنطينة بسبب الطاعون أما عن آثاره - رحمه الله - له " شرح على البسط" و"التعريف في علم التصوف للمكودي"، ينظر: عبد الجليل رحموني، إهتمامات المجلة الافريقية.....، المرجع السابق، ص 147.

(4) - عبد الكريم الفكون، منشورات الهداية في....، المصدر السابق، ص 41-44.

(5) - محمد بن ميمون، التحفة المرضية في الدولة البكداشية في بلاد الجزائر المحمية، ط1، تح: بن عبد الكريم، ش. و.ن. و.ت، الجزائر، 1972، ص 69.

علاوة على العلماء فقد عرف البايك خلال العهد العثماني مجموعة من الشعراء الشعبيين أمثال "محمد النقاوسي"<sup>1</sup> الذي ولد بمدينة نقاوس غربي قسنطينة سنة 1444م، الذي كان يحسن الشعر فأمتدح صاحب تونس "زكريا بن يحيى بن مسعود"<sup>2</sup>، والشاعر "أبي القاسم الرحموني العيسوي" الزواوي نسبة إلى أولاد رحمون من شرفاء العش أديب نحوي شارك في بعض العلوم تعلم بتونس<sup>3</sup>، والشاعر "محمد الشاذلي" الذي ولد سنة 1807 وتوفي سنة 1877، والذي يعتبر من فحول الشعراء الشعبيين ببايك قسنطينة، تلقى علومه بقسنطينة على أيدي علماء مشاهير، وقد قال عنه "الحفناوي" في ترجمته أنه كان كثير الإطلاع حاد الفكر قوي العارضة<sup>4</sup>.

(1) - هو محمد بن يحيى بن أبي النقاوسي القسنطيني، ولد يوم الأربعاء 18 سنة 1444 م بمدينة نقاوس غربي قسنطينة، وكان والده قاضيا فيها، حفظ القرآن الكريم وإشتغل بالعلم في بلدته ثم دخل قسنطينة طالبا العلم، وسافر إلى تونس وأخذ الفقه من إبراهيم الأخضر، واللغة العربية والمعاني والمنطق وأصول الفقه عن أحمد النخلي ومحمد الواصلي، وسافر إلى مصر سنة 899 هـ فواصل إشتغاله بالعلم فأخذ عن الشنمي في حاشيته والتقى الحصني في المنطق والشرواني في شرح الطوالع، لا زم علماء آخرين كالقصري، يحيى العلمي، السخاوي فاستفاد منه، ونال الفقه والتاريخ والأدب كما أدى فريضة الحج ثم قفل راجعا لكنه لم يلبث أن ارتحل إلى تونس واستقر بها وصار أحد عدولها. ينظر: الطمار محمد، تاريخ الأدب الجزائري، د ط، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2006، ص 286.

(2) - عبد الجليل رحموني، " الشعر والشعراء ....."، المرجع السابق، ص 204.

(3) - \_\_\_\_\_، إهتمامات المجلة الافريقية.....، المرجع السابق، ص 154.

(4) - \_\_\_\_\_، " الشعر والشعراء الشعبيون....."، المرجع السابق، ص 206.

### ثالثا: بايلك الغرب (مازونة - معسكر - وهران)

#### 1- الإطار التاريخي والجغرافي للبايلك:

كانت عاصمته بايلك الغرب في البداية مازونة<sup>1</sup> إلى غاية 1700م<sup>2</sup>، وتعتبر أول مقر لبايلك الغرب قبل معسكر ووهران، وهو ما جعلها منبر إشعاع ثقافي وحضاري، وتذكر بعض المصادر أن المنطقة إستمرت تُشيع بالمعرفة حتى بعد إنتقال مقر البايلك إلى معسكر، كانت مقصد لطلاب النواحي الغربية لاسيما ندرومة ومستغانم وتلمسان ووهران، كما ساهمت في الدفاع عن المنطقة وإعلان الجهاد على الأسبان في المرسى الكبير ووهران في إطار حملة منظمة قادها شيوخ وطلبة الزوايا والمدارس فأنتقل من مازونة الشيخ "أبو طالب" وابنه رفقة عشرون طالب خاضوا معارك ضارية ضد الأسبان كلفتهم فقدان العديد من الطلبة والمشايخ، ومن هنا نستنتج الدور الذي لعبته مازونة في مواجهة الغزو الأسباني<sup>3</sup>.

لتنقل عاصمة بايلك الغرب من مازونة إلى معسكر<sup>4</sup>، بعد إحتلال وهران سنة 1700م<sup>5</sup> لأنها كانت جيدة التحصين كما وصفها "ابن حوقل"<sup>6</sup> بالمدينة المنيعة والمحصنة

(1) - مازونة: تشير إحدى القطع الحجرية والتي عثر عليها بموقع "سيدي محمد بن علي" بمازونة والمحافظة حاليا بمتحف أحمد زبانة بوهران والمنقوش عليها بنقوش أمازيغية تحمل أسماء لعائلات زناتية (قاقو، قايا) على أن المدينة عرفت إستقرار بشري في القرن الثاني ق م. ينظر: بن صديق، "الأبواب المأذونية من بلاد مغراوة"، مازونة، وزارة الثقافة للنشر والتوزيع، وهران، 2000، ص 16.

(2) - Rinn (L), « Le Royaume.... », op.cit, p137.

(3) - ميلود ميسوم، "مدرسة مازونة مسيرة علمية تزيد عن أربعة قرون"، المجلة المغاربية للدراسات التاريخية والاجتماعية، ع6، جامعة سدي بلعباس، جوان 2013، ص ص 32-33.

(4) - ذكر المستشرق ديفونتان دي ريس برك "de Fontaine de Resbarcq" بأن مدينة معسكر كانت تسمى بإسم "فيكتوريا" والتي تأسست في القرن 4 ق م، للإطلاع بشكل موسع راجع:

Defontaine (de Respercq), Alger et Les Cotes d'Afrique, T2, Baris, Bibliothèque instructive et Amusante, 1832, p72.

(5) - Rinn (L), « Le Royaume.... », op.cit, p137.

(6) - إسمه الكامل "أبو القاسم محمد بن علي" الموصلي الحوقلي البغدادي، عاش في القرن 10م، كان مثقفا، تنقل في الأقاليم بغرض التجارة فتعرف على الطبيعة وتقاليد الشعوب، من أهم أعماله ألف كتاب سماه: "المسالك والممالك، والمفارز والمهالك، وذكر الأقاليم والبلدان، تحت هذا العنوان ظهرت الطبعة الأولى، ثم إستبدل العنوان بعد ذلك في =



منذ العهد الفاطمي، لكن ومع كل هذا أن المدينة لم تحظى بإهتمام المؤرخين إلا بعد تشييد الموحدون قلعة لحراسة المناطق المحيطة بها، كما إتخذها بني عبد الواد قاعدة خلفية للإغارة على القبائل إلى غاية 1554م، وهذا ما زاد من أهمية المنطقة<sup>1</sup>، وبقيت تحت حكم الزيانيين إلى غاية مطلع القرن 16م حيث تعرضت المدينة لغزو الأسبان مما عجل بمجئ العثمانيين لها وإتخاذها كعاصمة للبايلىك<sup>2</sup>.

بعد تحرير وهران من الأسبان نهائيا سنة 1792م من طرف "الباي محمد الكبير" أصبحت هي العاصمة الفعلية للبايلىك<sup>3</sup>، لقد كان بايلىك الغرب محل أطماع أجنبية تمثلت في الرغبة التوسعية لسلطين المغرب من جهة والأسبان من جهة أخرى منذ مطلع القرن 16م، فقد شهد البايلك هجمات سلطين المغرب المتتالية خلال القرن 17م ومطلع القرن 18م مما جعل بايات الغرب أمام مواجهة السلطان المغربي<sup>4</sup>، لذا كان هذا البايلك أرض جهاد دائم قرابة ثلاث قرون، فالخطر الأسباني من ناحية وتمرد القبائل المحلية على السلطة العثمانية أو المتحالفة مع الأسبان من ناحية أخرى، لذا كان النظام السياسي ببايلىك الغرب ذا طابع عسكري أكثر منه سياسيا، فما من باي أو داي يُعين على رأس بايلىك الغرب الجزائري إلا ويكون شعاره تحرير الثغر الجماني (وهران والمرسى الكبير)<sup>5</sup>.

=الطبقات اللاحقة سماه: "صورة الأرض"، ويحتوي الكتاب على نقول كثيرة من كتاب: "المسالك والممالك" لأبي إسحاق إبراهيم بن محمد الفارسي" الأصبخري. ينظر: أبو القاسم ابن حوقل، كتاب صورة الأرض، دار الكتاب الإسلامي، مصر، د ت، ص ص 5-11.

(1) - فتحة خروبي، الحمامات ببايلىك الغرب الجزائري خلال العهد العثماني (دراسة أثرية معمارية)، مذكرة ماجستير، كلية العلوم الإنسانية والإجتماعية، جامعة الجزائر 2، 2011-2012، ص 10.

(2) - المهدي بن شهرة، تاريخ وبرهان بمن حل بمدينة وهران، دار الريحانة للنشر والتوزيع، الجزائر، 2000، ص 9.

(3) - فارس العيد، "التركيبة الإجتماعية في الغرب الجزائري قبيل الإحتلال الفرنسي"، مجلة عصور الجديدة، ع 4/3، وهران، 2011، ص 285.

(4) - خروبي فتحة، "بايلىك الغرب الجزائري خلال العهد العثماني وتطوره فيما بين 1563-1792"، مجلة المرأة للدراسات المغاربية، ع 1، جامعة وهران، جانفي 2014، ص 192.

(5) - فتحة خروبي، الحمامات ببايلىك الغرب .....، المرجع السابق، ص 7.

ومن أهم الشخصيات التي ينطبق عليها هذا القول هو القائد "الصالح رايس" الذي أخذ يستعد لتحرير وهران وأعد جيشاً ضخماً برياً وبحرياً في برج الكيفان، لكن وفته المنية فواصل الحملة القائد "يحي" و"حسن قورصو"، قاد تلك القوات إلى وهران، وعند ما عين "حسن" ابن "خير الدين" للمرأة الثانية بايلرباي على الجزائر عام 1557م إهتم بأمر تحرير وهران والمرسى الكبير مرة أخرى، وكانت خطته أكثر نجاحاً ففي سنة 1558م إعترض "حسن" ابن "خير الدين" أسطول الأسبان في خليج آرزيو، وأستولى عليه بما فيه من الرجال والأموال والأسلحة والذخيرة<sup>1</sup>.

أما الشخصية الثانية التي كان لها اليد الطولى في تحرير وهران هو "الباي مصطفى" بوشلاغم<sup>2</sup> في مطلع القرن 18م سنة 1708م مما أجبر القائد الأسباني على الجلاء من المدينة سنة 1708م، وأصبحت مدينة وهران عاصمة للبايلك، واستمر الوضع إلى غاية مجئ "الباي محمد الكبير" الذي وضع حداً للتواجد الأسباني، وتم التحرير الثاني والنهائي لمدينة وهران سنة 1771م، وأخضع البايك للسلطة العثمانية ابتداء من سنة 1792م<sup>3</sup>.

أما بخصوص حدود هذا البايك والذي يعادل بالتقريب القطاع الوهراني حالياً، تمتد رقعته من الحدود المغربية بالضبط من وادي ملوية<sup>4</sup> غرباً إلى مقر الحكم المركزي، وبايلك

(1) - يحي بوعزيز، وهران....، المرجع السابق، ص ص 70-72.

(2) - ينحدر "يوسف ابن محمد" ابن إسحاق من قبيلة المسارتية، وهي قبيلة كان لها نفوذاً وسلطة منذ سنوات مديدة، كما تشير المصادر، وكان للمسارتية رئاسة وعزة كاملة بمسراته والقلعة وانقطعت بموت محمد ابن إسحاق جد أبي الشلاغم، ويبدو أن مؤسسة الأسرة المسارتية إنتقل إلى الجزائر وإنخرط في الجيش، وإثر ذلك عُين خليفة على بايلك قسنطينة وبعد مدة قضاها هناك إنتقل إلى مستغانم، ومنها إلى القلعة حيث عين أيضاً خليفة إلى أن وافته المنية، كان له الفضل في إعادة إحياء نفوذ الأسرة، عاش في قصر "الداي محمد بكداش"، ونال حظوة خاصة لذا وقع عليه الإختيار في خلافة الباي. ينظر: عائشة غطاس وأخريات، الدولة الجزائرية الحديثة....، المرجع السابق، ص ص 221-222.

(3) - خروبي فتيحة، "بايلك الغرب....."، المرجع السابق، ص ص 192-193.

(4) - هذا ما يؤكدّه "ابن خلدون عبد الرحمان" وذلك حينما قال: « ... وأما نهر ملوية آخر المغرب الأقصى فهو نهر عظيم منبعه من فوهة في جبال قبلة تازي، ويصب في البحر الروماني عند غساسة، وعليه كانت ديار مكناسة المعروفة بهم في القديم ». ينظر: ابن خلدون عبد الرحمان، العبر في أخبار العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، ج: 6، منشور دار الكتاب اللبناني، بيروت 1968، ص، 98.

التيطري شرقاً، ومن سواحل البحر الأبيض شمالاً إلى الصحراء جنوباً، وهو يمتد على مسافة 270 كم، ويضم مدن ساحلية مثل مستغانم وهران وآرزيو وبني صاف<sup>1</sup>، وأخرى داخلية هامة أبرزها تلمسان وقلعة بني راشد ومعسكر ومازونة، وقد بلغ أقصى إتساع لها في عهد "الباي محمد الكبير"، ويأتي في المرتبة الثانية من حيث الأهمية بعد بايلك الشرق<sup>2</sup>.

أختلف هذا البايك عن بقية البايلاكات الأخرى فظل يعيش على وقع العدوان الغربي المستمر القادم من المغرب الأقصى، وذلك راجع لأسباب تاريخية كون أن المغرب الأقصى كانت تحكمه أسرة من نسب الرسول -صلى الله عليه وسلم- لذا رأوا أنفسهم أن لهم الأحق في خلافة المسلمين، وإخضاع أراضي البلاد لسلطانهم، وبما أن الإيالة الجزائرية ضمن النفوذ العثماني فإن العدوان ظل قائماً بين الأتراك العثمانيين وأشرف المغرب الأقصى<sup>3</sup>، ويلاحظ ذلك التأثير الذي كان يمارسه شيوخ الزوايا ورؤساء القبائل، كما كانت هناك مصالح متبادلة ومُختلفة تتغير حسب تغيرات الأوضاع سواء مع الأتراك أو أشرف المغرب الأقصى<sup>4</sup>، لذلك غلب على هذا البايك طابع الصراع، إضافة إلى عدااء وتمرد بعض القبائل العربية على حكم العثمانيين ودخولهم في تحالفات مع الأسبان المسيحيين في أغلب الأحيان<sup>5</sup>.

أما بالنسبة للأوضاع الفلاحية لهذا البايك لم تكن ذات أهمية كبيرة، فالأرض المزروعة كانت قليلة، والتي مثلت المنطقة الممتدة من مازونة إلى غاية الشلف حالياً فالأراضي الخصبة معظمها كانت ملكاً لقبائل المخزن، أما سكان البدو فبقوا على حالتهم الأصلية كرعي الأغنام<sup>6</sup>، ورغم محدودية المساحة الصالحة للزراعة لهذا البايك إلا أنه كان

(1) - فتحة خروبي، الحمامات ببايلك.....، المرجع السابق، ص 7.

(2) - خروبي فتحة، "بايلك الغرب....."، المرجع السابق، ص 193.

(3) - Berbrugger (A), « Des Frontières de l'Algérie », **R.Af**, n°4, Alger, 1860, p 413.

(4) - Rinn (L), « Le Royaume.... », op.cit, p138.

(5) - Berbrugger (A), « Des Frontières ..... », op.cit, p 413.

(6) - Rinn (L), « Le Royaume.... », op.cit, p138.

يساهم في دفع عشرة آلاف صاعا قمحا، ومثلها شعيرا، ويوزع على أصحاب الدولة وخدامهم ألفي صاعا قمحا، ومثلها شعيرا، أما من الغنم ستة آلاف رأسا، ويوزع أيضا على أصحاب الدولة وخدامهم مرتين في السنة<sup>1</sup>.

## 2- الخصوصيات الطبيعية والبشرية للبايلك:

إنّ أحد أهم الخصائص التي أنفرد بها بايلك الغرب هي عدم ثبات إستقرار عاصمته، وهو أمراً تحكمت فيه الأوضاع السياسية والعسكرية المرتبطة بالأحتلال الأسباني للموانئ الغربية وتحديدًا وهران والمرسى الكبير، فكانت مازونة عاصمة لهذا البايلىك إبتداء من سنة 1563م نظراً لموقعها الوسطي كما أشرنا، فهي تتوسط القبائل مابين مستغانم وتنس، وقريبة من الشلف، لكن مع مطلع القرن 18م إتخذ "الباي بوشلاغم" مدينة معسكر عاصمة للبايلك، ويعود إختيارها إلى موقعها الإستراتيجي نظرا لتحكمها في المسالك التجارية من ناحية ولتتمركز قبائل بني راشد التي عرفت بتعاونها مع السلطة الحاكمة، وقربها لمدينة وهران<sup>2</sup>.

ذكر صاحب كتاب "التحفة المرضية في الدولة البكداشية في بلاد الجزائر المحمية: "أن مدينة وهران تقع في غرب قارة افريقيا الشمالية عند مدخل مضيق جبل طارق"<sup>3</sup>، وهي تمتد من السفح الشرقي لجبل المايده الذي يعرف بجبل "سيدي هيدور"، وذلك فوق شاطئ خليجي بحري هادئ، وأهم ما يميز المدينة تموقعها على مرفأ طبيعي هاما يجعل السفن بعيدة عن العواصف، ويساعد على رسوها، وما زاد من أهميتها وقوعها بين ميناء أرزيو، وميناء المرسى الكبير، هذا الأخير الذي يقع قريبا من المدينة، فهو يحمي السفن من

(1) - أحمد الشريف الزهار، المصدر السابق، ص ص 72-73.

(2) - عائشة غطاس وأخريات، الدولة الجزائرية الحديثة.....، المرجع السابق، ص

(3) - إين ميمون، التحفة .....، المصدر السابق، ص 307.

الرياح، كما أن قرب وهران من تلمسان زاد من أهميتها من حيث الروابط الحضارية والسياسية<sup>1</sup>.

أما عن التركيبة البشرية للبايلك فكان هناك سكان الأرياف، الذين كانوا ينتمون إلى القبائل التابعين للبايلك، وهم قبائل المخزن وقبائل أخرى خاضعة خضوعا مباشرا للسلطة العثمانية، فقد قدر سكان الريف في بايلك الغرب أواخر الفترة العثمانية حوالي 600000 ن يشكلون 275 قبيلة منها حوالي 202 قبيلة تدار بصفة مباشرة، ومما يلاحظ أن أكثر من 95% من مجموع سكان الجزائر خلال العهد العثماني هم ريفيون، بينما سكان المدن لا يمثلون سوى 3% تقريبا، ثم ارتفعت هذه النسبة إلى 8%، أما العناصر الاجتماعية التي شكلت المدن تمثلت في<sup>2</sup>:

#### أ- الأتراك العثمانيون:

كانت هذه الفئة تتشكل أغلبها من الجنود الأنكشاريين الموزعين في حاميات عسكرية على أهم مدن بايلك الغرب، كوهرة التي كان بها حوالي 1300 عنصر تركي، وتلمسان التي لم يتجاوز تعدادهم بها 200 عنصر<sup>3</sup>، فقد تميزت هذه الفئة بمكانة اجتماعية مرموقة ولم يندمجوا في المجتمع، وقد أشار "وليام شالر" « Shaler » بقوله: "... لا يمكن إجراء أي نوع من المقارنة بين آخر تركي حقير، وبين العنصر غير التركي، فالعنصر التركي له الحق والصدارة في جميع الأماكن...."<sup>4</sup>.

<sup>(1)</sup> - عبد القادر بلغيث، الحياة السياسية والاجتماعية بمدينة وهران خلال العهد العثماني، مذكرة ماجستير، كلية العلوم الإنسانية والحضارة الإسلامية، جامعة وهران، 2013-2014، ص 23.

<sup>(2)</sup> - دباب بومدين، بايلك الغرب الجزائري خلال القرن 18م -دراسة سياسية واقتصادية واجتماعية، أطروحة دكتوراه، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، أطروحة دكتوراه، جامعة سيدي بلعباس، 2016-2017م، ص 135.

<sup>(3)</sup> - فارس العيد، " التركيبة الاجتماعية في الغرب ....."، المرجع السابق، ص 293.

<sup>(4)</sup> - وليم شالر، المصدر السابق، ص 42.

### ب- الكراغلة:

عرفوا في بداية الأمر التهميش والإقصاء من طرف الحكام العثمانيين، لكن تزايد عددهم مع نهاية القرن 16م بدأ يشكل خطرا على السلطة العثمانية في الجزائر، ففي سنة 1629م أعلنوا أول إنتفاضة ضد العثمانيين، فقد ضم باييك الغرب عددا كبيرا من الكراغلة خاصة بمدينة تلمسان، فقد ذكر "دي بارادي" « Venture de Paradis » أن هناك 500 كرغلي في قلعة المشور وحوالي 504 كرغلي في الجيش بمستغانم، و500 كرغلي في مازونة، و80 عائلة كرغلية في قلعة بني راشد<sup>1</sup>.

### ج-الحضر:

هم السكان الذين سكنون المدن بصفة دائمة فمنهم البلديون وهم السكان القاطنين بالمدن، ومنهم الأندلسيون، حيث كانوا يشتغلون بالمهن التجارية والحرفية، إستقروا بباييك الغرب كمعسكر ومازونة ومستغانم ووهران وتلمسان التي كان بها 7000 فردا من الحضر<sup>2</sup>.

### د-البرانية:

وهم الأفراد الذين قدموا إلى حواضر باييك الغرب من مختلف أنحاء البلاد الجزائرية قصد العمل والإقامة بها، لكنهم عرفوا بمواطنهم الأصلية وانتسبوا إلى أصولهم الريفية، بحيث أرتبطت كل طائفة من هذه الجماعة بأعمال معينة وخدمات محددة<sup>3</sup>، وكان على رأس كل مجموعة منهم أمين يختاره البايع للإشراف عليهم يكون من المجموعة نفسها مثل أمين بني ميزاب، وأمين البساكرة،....الخ، والجدير بالملاحظة أن أعداد أفراد الفئة البرانية تتناقص أواخر العهد العثماني في باييك الغرب، فقد ضمت تلمسان مثلا حوالي 3000

<sup>(1)</sup> - دباب بومدين، باييك الغرب الجزائري .....، المرجع السابق، ص 136-137.

<sup>(2)</sup> - فارس العيد، " التركيبة الإجتماعية في الغرب....."، المرجع السابق، ص 295.

<sup>(3)</sup> - دباب بومدين، باييك الغرب الجزائري..... المرجع السابق، ص 137.

فقط، تميزت هذه الفئة بأوضاع إجتماعية صعبة فأغلب أفرادها كانوا يعيشون من دخل مهنتهم المتواضعة والشاقة<sup>1</sup>.

#### هـ- اليهود:

إصطلح عليهم بالدخلاء كانوا يقعون أسفل السلم الإجتماعي إلا أن الملاحظ حول عددهم في بايلك الغرب الجزائري خلال الفترة العثمانية كان متضاربا فيه، وأغلب أفرادهم من أوروبا خاصة ليفورن الإيطالية، لكن ما لبثوا أن أكتسبوا تقاليد وعادات أهالي البلاد واندمجوا إجتماعيا في باقي الجماعات مع إحتفاظهم بملابسهم الخاصة وخضوعهم لمعاملات خاصة نظرا لمعتقدهم<sup>2</sup>.

إستقر اليهود في مدن بايلك الغرب كمعسكر التي كان بها حوالي 450 فردا، وتلمسان التي كان بها 2000 فردا، ووهران التي كان ها حوالي 2800 فردا، فقد عرفت إقامتهم بوهران بالإستقرار منذ تحريرها من الأسبان سنة 1792م، على يد "محمد الكبير" الذي منح لليهود عدة إمتيازات، فقد كان لليهود في كل مدينة مقدم يدفع ضريبة نيابة عن باقي أفراد جماعته لشيخ البلد أو الباي<sup>3</sup>.

### 3- الجهاز الإداري والتنظيم السياسي للبايلك:

إرتبط تنظيم البايلك إرتباط عضويا بولاء القبائل الخاضعة أصلا لسلطة شيوخها، ومن هنا عملت السلطة العثمانية على هيكلة هذه القبائل ضمن تنظيم هرمي يسمح بتسييرها، ومن هنا فإن أهم موظفي بايلك الغرب:

أ- الباي: هو المسؤول الأول عن البايلك يعين من طرف السلطة المركزية بدار السلطان، أو يعين بعد توليه عدة مناصب إدارية، كالباي "محمد الكبير" الذي شغل

<sup>(1)</sup> - فارس العيد، "التركيبة الإجتماعية في الغرب....."، المرجع السابق، ص 295.

<sup>(2)</sup> - دباب بومدين، بايلك الغرب الجزائري.....، المرجع السابق، ص 138.

<sup>(3)</sup> - فارس العيد، "التركيبة الإجتماعية في الغرب....."، المرجع السابق، ص 296-297.

منصب قايد<sup>1</sup>، كانت سلطة الباي مطلقة تتمثل مهمته في تسيير شؤون الاقليم والإشراف على القوات العسكرية وكذا جمع الضرائب، وإصدار العقوبات ضد السكان المحليين، والسهر على حماية الأمن عبر الطرق السلطانية الرابطة بين البايك ومقر الحكم المركزي بالجزائر<sup>2</sup>.

كان للباي عدد من المساعدين الذين يقومون على مستوى محلي بمهام مشابهة لتلك التي يقوم بها أعوان الداي، كما لهم ألقاب ووظائف، ومن بين هؤلاء المساعدين نذكر<sup>3</sup>:

ب- الخليفة: لقد وجد في بايلك الغرب خليفتان "الخليفة الكبير" و"خليفة الكرسي" الأول يخضع له القواد وهو يلي الباي في المرتبة وينوب عنه أثناء غيابه، أما الثاني فيعينه الباي، وينوب عنه في مقر البايك فقط<sup>4</sup>.

ج- الخزندار: هو المسؤول على كل الخدمات المالية<sup>5</sup>، وهو صاحب السلطة على كل المصالح المالية والإنفاق وإعداد أموال دنوش بايلك الغرب<sup>6</sup>.

د- آغا الدائرة وآغا الزمالة: يسمى أيضا قايد الدائرة، وهو المسؤول الأول عن مراقبة الحراس وإدارة أملاك البايك، أما آغا الزمالة الباش سايس كان مسؤول عن حيوانات البايك وحمايتها والإعتناء بها<sup>7</sup>.

<sup>1</sup> -Gorguos, «Notice Sur le Bey d'Oran Mohammed el kebir », **R.Af**, n°1, Alger, 1856, p 405.

<sup>2</sup> -Thomas (Shaw), Voyage dans la Régence d'Alger, Trad Par: J.Mac Carthy, Tunis, Editions Bous lama, 1980, p103.

<sup>3</sup> - الواليش فتيحة، الحياة الحضارية في بايلك الغرب الجزائري خلال القرن الثامن عشر، مذكرة ماجستير، معهد التاريخ، جامعة الجزائر، 1993-1994، ص 18.

<sup>4</sup> - دباب بومدين، بايلك الغرب الجزائري.....، المرجع السابق، ص 44.

<sup>5</sup> - فتيحة الواليش، المرجع السابق، ص 18.

<sup>6</sup> - بن عتو بلبروات، المدينة والريف بالجزائر في أواخر العهد العثماني، أطروحة دكتوراه، كلية العلوم الإنسانية والحضارة الإسلامية، جامعة وهران، 2007-2008، ص 293.

<sup>7</sup> - كمال بن صحراوي، أوضاع الريف في بايلك الغرب الجزائري أواخر العهد العثماني، أطروحة دكتوراه، كلية العلوم الإنسانية والحضارة الإسلامية، جامعة وهران، 2012-2013، ص 44.



- هـ - **قائد المدينة:** كان القائد يختار من طرف الآغا الذي يرشحه، ثم تعيينه من طرف الباي<sup>1</sup>، وهو صاحب مكانة مرموقة خاصة على مستوى المدن الهامة، ويظهر ذلك من أن قائد مدينة تلمسان كان يعينه الداوي ويكون هؤلاء القياد من أصل تركي.
- و - **الباش خزناجي:** هو المسؤول الأول عن مداخل البايك ونفقاته، ويعتمد على كثير من البايات ضمن سجلات يساعده في ضبطها باش كاتب وكاتبان<sup>2</sup>.
- ح - **شيخ القبيلة:** يعد الشخصية الثانية في البايك بعد القائد، ويتم تعيينه من طرف القائد بعد إستشارة رؤساء الدواوير، وغالبا ما يكون من العائلات الكبيرة<sup>3</sup>.
- ط - **باش مكاحلية وياش كاتب وياش سيار:** رئيس حرس الباي الخاص، يحمل أسلحة الباي في الحفلات العامة، وكان للباي 15 مكاحلية يحملون البنادق، أما باش كاتب فكان يشرف على مراسلات الباي من جهة ويحفظ ذخائره المالية وسجلاته العقارية من جهة أخرى، أما باش سيار هو الذي يعتني بخيول الباي ويقوم بتجهيزها حين يريد الباي الخروج من المدينة<sup>4</sup>.
- يضاف إلى هؤلاء الموظفون موظفون آخرون في الأرياف يتمثلوا في: القياد، قائد العشور الذي يحدد مبلغ العشور، وقائد الدين المكلف بقبض الضرائب، والشيوخ وهم رؤساء القبائل، المكاحلية، والشواش، والزبنطوط وهم الرجال الغير متزوجين، القوم وهم رجال القبائل، الشواف أو الشوافين وهم عيونه على القبائل<sup>5</sup>.

(1) - عائشة غطاس وأخريات، الدولة الجزائرية.....، المرجع السابق، ص 227.

(2) - كمال بن صحرابي، أوضاع الريف.....، المرجع السابق، ص ص 44-45.

(3) - عائشة غطاس وأخريات، الدولة الجزائرية.....، المرجع السابق، ص 228.

(4) - كمال بن صحرابي، أوضاع الريف.....، المرجع السابق، ص 45.

(5) - دباب بومدين، بايلك الغرب الجزائري.....، المرجع السابق، ص ص 47-48.

#### 4- الأوضاع الاقتصادية للبايلك:

##### أ- المحاصيل الزراعية والثروة الحيوانية:

إحتوى بايلك الغرب على العديد من السهول الخصبة، مثل سهل غريس<sup>1</sup>، الذي كان يدير إنتاجاً وفيراً من الحبوب التي تعتبر المصدر الأساسي كالقمح في معظم تراب بايلك الغرب، إلى جانب الخضر، والفواكه والمواشي وغيرها<sup>2</sup>، كما عرف سهل تلمسان بجودة أراضيها وخصوبتها، ومنها ما هو قريب من المدينة كالحرطون، وسهل زناتة الواقع في شمالها الغربي، أما سهول وهران لم تكن لتستغل قبل فتح وهران بسبب الإحتلال الأسباني لذا ظلت أراضيها بوراً غير مستغلة إلا قليلاً إلى غاية سنة 1792م، حيث تولت قبائل الدواير والزمالة إستغلال هذه الأرض، بعد أن حصلت عليه كإمتيازاً منحها إياه الداوي "حسن"، بالإضافة إلى سهول مستغانم، ومليانة وتنتس<sup>3</sup>.

كان الإنتاج الزراعي في بايلك الغرب الجزائري يتم في مواسم دون أخرى، وذلك لقلة الوسائل الضرورية وندرة طرق ووسائل الري وإنحصارها في أماكن دون غيرها مثل تلمسان وندرومة ومستغانم وسيق ومليانة، حيث وجدت بعض السدود التي أنشأها السكان أو التي بناها العبيد لصالح الباي أو لفائدة تجار المدن<sup>4</sup>.

<sup>(1)</sup> - سهل غريس يمثل بلاد الحشم، وترجع تسميته إلى غنى زراعته الواسعة وإلى شدة خصوبة أرضه، فغريس مشتقة من كثرة الغريس، وقد كان فيه قرابة 60 قرية تمتد من جبل كرسوت حتى واد الطاغية، وأرض غريس أصلح للزراعة منها للرعي، لذا كانت قبائله تجد صعوبة في رعي مواشيتها فتنتقل إلى سهل سيق مباشرة بعد موسم الحرث ولا تعود إلا بعد الحصاد. ينظر: توفيق دحماني، النظام الضريبي ببيلك الغرب أواخر العهد العثماني 1779-1830م، مذكرة ماجستير، كلية العلوم الإنسانية والإجتماعية، جامعة الجزائر، 2003-2004، ص ص 14-15.

<sup>(2)</sup> - سميرة طالي معمر، القوى المحلية في بايلك الغرب الجزائري في أواخر العهد العثماني 1792-1831م، مذكرة ماجستير، كلية العلوم الإنسانية والإجتماعية، جامعة الجزائر، 2009-2010م، ص 46.

<sup>(3)</sup> - كمال بن صحراوي، أوضاع الريف في بايلك الغرب.....، المرجع السابق، ص 187.

<sup>(4)</sup> - دباب بومدين، بايلك الغرب الجزائري.....، المرجع السابق، ص ص 85-86.

كان الإنتاج الزراعي كثيرا إضافة إلى القمح، والشعير، كانت زراعة الأرز على ضفاف وادي مينا ومليانة، إذ يقدر إنتاج هاتين المنطقتين بحوالي خمسة إلى ستة آلاف قنطار سنويا بالإضافة إلى القطن، والشمع والعسل والعنب وغيرها، كان يتم تخزين المحاصيل في مخازن خاصة تدعى المطامير التي كان عددها كبيرا في سهول وهران<sup>1</sup>، كما تميز بايلىك الغرب الجزائري بالمزروعات ذات الطابع التجاري، حيث نجد القطن والكتان والتبغ، يضاف إلى ذلك إنتاج العسل والشمع التي كانت تشتهر به الأقاليم الجبلية ببايلىك الغرب<sup>2</sup>.

أما عن الثروة الحيوانية هي الأخرى كانت متوفرة ومنتشرة في كل نواحي البايلىك خاصة في الهضاب العليا، وكانت تربية الماشية عموما في السهول الكبرى مثل أحواز وهران لدى قبائل المخزن، وفي سهول معسكر ومقرة، وقد كانت تربية الأبقار تشكل المصدر الرئيسي لرأس مال الرعية، لأنهم لا يستهلكون في الغالب إلا الأغنام، أما الأبقار فتباع في الأسواق إضافة إلى الماعز<sup>3</sup>، وكانت الإبل متوفرة في جنوب البايلىك تستعمل أوبارها لصناعة الملابس كالبرانيس وصناعة الخيام، كما يوجد بالمنطقة الكثير من البغال والحمير والحيوانات المفترسة<sup>4</sup>.

والجدير بالملاحظة فإن الفلاح في الغرب الجزائري قد واصل إهتمامه المتعلق بتربية الحيوانات إلى غاية القرن 19م خصوصا الأغنام والماعز رغم صعوبة الظروف الطبيعية، وفي غياب الإحصائيات الدقيقة للثروة الحيوانية المتعلقة بهذا البايلىك إلا أنه يمكن الإعتماد على إحصائيات أوردها "قوستاف" "Couput Gustave"، ضمن دراسة إقتصادية للتعرف على الثروة الحيوانية في بعض مناطق بايلىك الغرب كما هي ملخصة في الجدول الآتي<sup>5</sup>:

(1) - سميرة طالي معمر، القوى المحلية.....، المرجع السابق، ص 47.

(2) - دباب بومدين، بايلىك الغرب الجزائري.....، المرجع السابق، ص 86.

(3) - توفيق دحماني، النظام الضريبي.....، المرجع السابق، ص 15.

(4) - دباب بومدين، بايلىك الغرب الجزائري.....، المرجع السابق، ص 86.

(5) - كمال بن صحراوي، أوضاع الريف في بايلىك الغرب.....، المرجع السابق، ص 211-212.

المنطقة	عدد رؤوس الأغنام	عدد رؤوس الماعز	المجموع
آفلو	994847	171017	1165864
البيض	366534	141742	508276
عين الصفراء	267190	44250	311440
المنبعة	122305	98663	220968
فرنندة	145769	57441	203210
كاشرو	110117	47806	157923
سعيدة	100712	55614	156326
يلل	95718	56390	152108
عمي موسى	77434	69894	147328
زمورة	85431	41648	127079
تيارت	107822	14255	122077
وهران	70480	50819	121299
معسكر	67739	41420	109159
الرمشي	48440	38765	87205
عين تموشنت	39551	11758	51309
سبدو	22658	25257	47915
مستغانم	28522	18394	46916
سيدي بلعباس	26242	17210	43452
ندرومة	10104	28348	38452
تلمسان	16238	5709	21947

جدول يمثل احصائيات لمناطق بايلك الغرب من الغنم والمعز

## ب- النشاط الحرفي للبايلك:

عمل الباي "محمد الكبير"<sup>1</sup> على تطوير الحياة الإقتصادية، لذا أستدعى سكان الحضر المقيمين في حواضر الغرب الجزائري من أجل النهوض بالنشاط الحرفي والصناعي في البايلك، ومن هؤلاء الحضر القلعيون الذين ترجع أصولهم إلى قلعة بني راشد، كانوا يعملون بالقرب من أبواب المدينة، يمارسون التجارة وصناعة الزرابي والصابون، أما المواد الأولية فيشترونها من منطقة الظهرة<sup>2</sup>.

كانت حواضر بايلك الغرب مثل تلمسان ومعسكر ومازونة مستغانم ندرومة خلال القرن 18م تعج بالأنشطة الحرفية المتعددة الاختصاصات والمتمثلة في الصناعة النسيجية<sup>3</sup> التي كانت الأكثر توسعا وانتشارا في بايلك الغرب فإنتاجها تجاوز السوق المحلية وحققت الإكتفاء الذاتي مثلت محورا هاما في العلاقات التجارية<sup>4</sup>، فقد عرفت هذه الصناعة تنوعا في الإنتاج شمل الأغذية الحمراء والأقمشة والمحارم المتنوعة<sup>5</sup>.

كما ساهمة تلمسان ومازونة في المنتجات القطنية والصوفية، إضافة إلى معسكر التي أشتهرت بصناعة الشواشي الصوفية<sup>6</sup>، بالإضافة إلى وجود بعض الصناعات الأخرى مثل صناعة السفن والقوارب وغيرها<sup>7</sup>.

(1) - "محمد بن عثمان" الكردي كنيته أبو عثمان، كانت أمه جارية اسمها زائدة أهداها لأبيه "مولاي اسماعيل" سلطان المغرب الأقصى، وأما أخوه "محمد الرقيق" (بوكابوس) فأمه حرة أسمها "خديجة"، وأبوها من أشراف المدينة يقال له "محمد بن عيسى المداني"، أما أبوه فيدعى "أبو إسحاق الحاج عثمان بن براهيم" الكردي، كان خليفة على مليانة، ثم ارتقى فأصبح بابا على التيطري، توفي "عثمان" بمدينة معسكر ودفن بها سنة 1170هـ، بعد مكوثه في الحكم 9 سنوات. ينظر: أحمد بن هطال التلمساني، رحلة محمد الكبير باي الغرب الجزائري إلى الجنوب الصحراوي الجزائري، ط1، تح: محمد بن عبد الكريم، عالم الكتب، القاهرة، 1969م، ص 15.

(2) - عبد القادر بلغيث، الحياة السياسية والإجتماعية.....، المرجع السابق، ص 134.

(3) - سميرة طالي معمر، القوى المحلية في بايلك الغرب.....، المرجع السابق، ص 51.

(4) - دباب بومدين، بايلك الغرب الجزائري.....، المرجع السابق، ص 87.

(5) - خوجة حمدان بن عثمان، المرأة، تح: محمد العربي الزبيري، ش. و. ن. ت، الجزائر، 2005، ص 57.

(6) - دباب بومدين، بايلك الغرب الجزائري.....، المرجع السابق، ص 87.

(7) - سميرة طالي معمر، القوى المحلية في بايلك الغرب.....، المرجع السابق، ص 51.

أما الصناعة الفخارية فقد إنتشرت بكثرة في بايلك الغرب نتيجة قدمها وتوارثها من الآباء إلى الأبناء وتوفير موادها الأولية مثل الطين، كما لعبت الصناعة الجلدية دورا هاما في الحياة الحرفية بتلمسان، ويشهد على هذه الصناعة بهذه المدينة إسم الطريق الذي كانت تحمله وهو من أهم الطرقات<sup>1</sup>.

عرفت الصناعة المعدنية في بايلك الغرب رواجا كبيرا حيث وجدت إتحادات صناع الأسلحة بتلمسان ومستغانم ومعسكر، لكن في عاصمة البايك وهران لم تكن توجد أي ورشة أو مصنع للسلاح أو المدافع، حيث كان الأسبان طوال إحتلالهم للمدينة يتزودون بتسليحهم من شبه الجزيرة كان الحصن مزودا بمدافع مصنوعة في أسبانيا تم تفكيكها ونقلها إلى جبل طارق<sup>2</sup>.

أما عن أهم المراكز الصناعية في البايك فنجد تلمسان التي كنت تحتوي على 500 حرفة في قطاع النسيج والجلد والخشب والحديد، ومستغانم التي أشتهرت بنسيج السجاد والبرانس، والزرايبي، وندرومة التي اشتهرت بمنسوجاتها القطنية والأغطية وكانت تحتوي على حوالي 148 حرفة في قطاع النسيج يملكها 267 مالك، كما نجد قلعة بني راشد التي كانت تحتوي على عدة حرف تقوم بتصريفها إلى وهران من الأحذية والسجاد، ومازونة التي لاحظ فيها أن عدد النساج يكاد يصل الآلاف<sup>3</sup>.

(1) - دباب بومدين، بايلك الغرب الجزائري.....، المرجع السابق، ص 88.

(2) - شنوف الطيب، دراسات في تاريخ الجزائر خلال القرنين 18م و19م، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2015، ص 106.

(3) - توفيق دحمان، النظام الضريبي بباليك.....، المرجع السابق، ص 17.

### ج- النشاط التجاري بالبائلك:

كانت التجارة في بايلىك الغرب خلال القرن 18م شأنها شأن جميع البائلكات، نوعان خارجية وداخلىة، فالتجارة الداخلىة كانت تتم داخل المدن بواسطة الأسواق الأسبوعية في الأرياف، وقد عزز التبادل التجاري الداخلى عاملان هما: تشجيع بايات الغرب الجزائري للأسواق التجارية سعيا لفرض نفوذهم على سكان الأرياف عندما يختلفون في هذه الأسواق، إضافة إلى مرور القوافل التجارية عبر أراضي البائلك، وبإختصار فقد تمثلت التجارة الداخلىة في<sup>1</sup>:

#### • التجارة الداخلىة:

بلغت أهمية كبيرة في بايلىك الغرب ذلك أن الإتصال كان قائما بين السكان عن طريق الأسواق الأسبوعية، حيث كان سكان الأرياف ينقلون منتوجاتهم إلى المدن، ومنها يأتون بالمنتوجات المحلية والمستوردة<sup>2</sup>، وفي المقابل كان الباعة الحضر واليهود ينتقلون إلى الدواوير لترويج بضائعهم ويلعبون دور الوساطة بين المدينة والريف لذا كان أصحاب الحرف هم المسيطرين على النشاط التجاري، وكانت أهم المراكز التجارية حيوية ونشاط هي: تلمسان، معسكر، ثم وهران بعد إسترجاعها وإتخاذها عاصمة للبائلك<sup>3</sup>.

غير أن تجارة القوافل في بايلىك الغرب خلال الفترة العثمانية كانت معرضة لعدة أخطار، حيث كان هناك العديد من القبائل في البائلك تمارس اللصوصية وتقطع الطريق على عابر السبيل من التجار والمسافرين، فتنهب أمتعتهم، بل وقد يؤدي بها الحال إلى التخلص منهم.

(1) - دباب بومدين، بايلىك الغرب الجزائري.....، المرجع السابق، ص ص90-91.

(2) - سميرة طالي معمر، القوى المحلية في بايلىك.....، المرجع السابق، ص 52.

(3) - توفيق دحمانى، النظام الضريبي ببائلك الغرب أواخر.....، المرجع السابق، ص 18.

قام "الباي محمد بن عثمان"<sup>1</sup> بمجهودات عسكرية لتوفير الأمن<sup>2</sup>، وبذلك نشطة التجارة الداخلية بين المدن، وكانت توجد على الطرقات فنادق للراحة، بالإضافة إلى الأبراج التي كان يحرسها أهل المخزن، فكانت قبائل الصحراء تأتي إلى الشمال للتبادل التجاري، وكان سكان مدن بايلك الغرب يتقايضون معها بالحبوب وغيرها، مثل قبيلة سيدي العربي التي كانت تسكن قرب مستغانم، حيث تمر عليها تقريبا كل بضائع تلك المنطقة<sup>3</sup>.

أما عن المرافق التجارية التي كانت تسوق مختلف المنتجات الغذائية، والصناعية فكانت هناك محلات تقع حول مسجد الباشا، كما تواجد عددا كبيرا من المحلات التجارية في الطريق المؤدي إلى كناستال<sup>4</sup>، فقد شكلت هذه المراكز التجارية نقاط تبادل والتقاء ليس فقط لسكانها، بل حتى بين سكان الريف والمناطق المجاورة، فنجد مدينة تلمسان مثلا كانت تعج بحركة تجارية مكثفة، أما معسكر فكان يعقد كل يوم خميس سوقا تباع فيه الحبوب والحيوانات والعنب المجفف والعسل والأقمشة إضافة إلى تجهيزات الخيول، أما مدينة ندرومة فكان يعقد سوقها الأسبوعي هي الأخرى كل يوم خميس، حيث يشهد حركة نشيطة، ويقصده أكثر من 4000 شخص يأتون من وجدة ومغنية وتلمسان، وكانت منتجاتها رائجة خاصة منها النسيجية والفخارية، أما مازونة فكانت تعقد سوقها كل يوم سبت تباع فيه المنتجات الصوفية والقطنية، وكانت الأهمية لمستغانم تكمن في نشاط مينائها التجاري<sup>5</sup>.

(1) - "محمد بن عثمان الكبير الكردي"، كنيته أبو عثمان، لقبه الكبير أو الأكل ذلك لسمرته، أبوه "أبو إسحاق" الحاج عثمان بن إبراهيم الكردي كان بايا على بايلك التيطري وأحوازاها، توفي محمد الكبير سنة 1170 هـ - 1799م، بعد ما مكث في الحكم تسعة أعوام. للمزيد من المعلومات حول شخصية الباي ينظر: أحمد ابن هطال التلمساني، رحلة محمد الكبير ....، المصدر السابق، ص 15 وكذا: آغا بن عودة المازري، طلوع سعد .....، المصدر السابق، ج 1، ص 290.

(2) - سميرة طالي معمر، القوى المحلية في بايلك الغرب.....، المرجع السابق، ص 52.

(3) - توفيق دحماني، النظام الضريبي ببيلك.....، المرجع السابق، ص 18-19.

(4) - عبد القادر بلغيث، الحياة السياسية والاجتماعية.....، المرجع السابق، ص 136.

(5) - دباب بومدين، بايلك الغرب الجزائري.....، المرجع السابق، ص 91-92.



### • التجارة الخارجية:

كما عرف البايلك نشاط تجاري خارجي مع السفن الأجنبية خاصة الفرنسية والإنجليزية، وحتى مع الدول المجاورة كالمغرب الأقصى، حيث كان التجار المغاربة يقصدون تلمسان التي ظلت تتحكم في التجارة بكميات معتبرة من القطن والأقمشة الحريرية<sup>1</sup>، وقد أشار "وليام شالر" « Shaler » بقوله: "مدينة وهران كانت مقصدا تجاريا لتجار السودان وتنبتكتوا عبر طريق تافيلالت"<sup>2</sup>.

حصل إتفاق بين كل من فرنسا وأسبانيا مع الداى لإنشاء شركة لهم في وهران، فكانوا يصدرون الحبوب والصوف والأبقار والدواجن إلى بلدانهم ويستوردون الرصاص والمعادن الأخرى، كما إستفادت إنجلترا من ميناء المدينة من أجل إستيراد إحتياجاتها<sup>3</sup>، كانت وهران أواخر الوجود العثماني من بين أهم ثلاث موانئ جزائرية رئيسية إلى جانب الجزائر وعنابة تستقبل السفن الأجنبية في كل الفصول<sup>4</sup>، وبهذا يمكن القول بأن بايلك الغرب كان قطباً تجارياً مهماً لتصدير منتجات القطاع الغربي لإيالة الجزائر العثمانية<sup>5</sup>.

### 5- الوضع الثقافي للبايلك:

يعتبر الجانب الثقافي لأي مجتمع هو المعيار الأساسي والأداة الفعالة لقياس مدى نهضتها ورفيها وتقدمها ومدى مشاركتها في تشييد الحضارة الإنسانية المحلية والعالمية، ومن هذا المنطلق شكلت المؤسسات الثقافية في بايلك الغرب الجزائري خلال الفترة العثمانية نقطة إلتقاء وتبادل الأفكار بين الأفراد والجماعات ومجالاً لتوسيع العلاقات الإجتماعية بين مختلف الفئات<sup>6</sup>.

<sup>(1)</sup> - سميرة طالي معمر، القوى المحلية في بايلك الغرب.....، المرجع السابق، ص 54.

<sup>(2)</sup> - وليام شالر، المصدر السابق، ص 103 .

<sup>(3)</sup> - عبد القادر بلغيث، الحياة السياسية والإجتماعية.....، المرجع السابق، ص ص 137-138.

<sup>(4)</sup> - بلبروات بن عتوا، المدينة والريف.....، المرجع السابق، ص 206.

<sup>(5)</sup> - عبد القادر بلغيث، الحياة السياسية والإجتماعية.....، المرجع السابق، ص 138.

<sup>(6)</sup> - دباب بومدين، بايلك الغرب الجزائري.....، المرجع السابق، ص 149.

ساهمت عوامل مُختلفة في إثراء الحياة الثقافية فبالإضافة إلى كون منطقة بايلىك الغرب منطقة عبور لجماعات ومنتجات وأفكار متعددة في إتجاهات مختلفة، حيث نجم عن هذه الحركات إحتكاك وترسبات إستفادة منها المنطقة، كما أن هذه التيارات لم تعبر أرضا قاحلة، إن الماضي الثقافي لمدينة تلمسان، وتراث مدينة ندرومة، وفيما بعد مازونة ومستغانم ومعسكر يفسر لنا الأدوار التي قامت بها هذه المراكز في التأثير كما إستفادت المنطقة من عوامل وتراث ثقافي غني<sup>1</sup>.

تأثرت مدارس حواضر بايلىك الغرب الجزائري بتواجد المعاهد والمراكز الثقافية على مستوى العالم الإسلامي كجامع الأزهر بمصر والزيتونة بتونس والقرويين بالمغرب الأقصى، وذلك عن طريق إحتكاك نخبتها بخبرجي هذه المعاهد عبر رحلات الحج أو إرسال البعثات العلمية<sup>2</sup>.

وبحكم الموقع إستفادت المنطقة من تراث الأندلس، حيث قصدتها المهاجرين وأستفادت من ثقافتهم وأدبهم، وتكمن أهمية هذا العامل في كونه رافق إبتداء من القرن 16م نشاطات ثقافية عرفت فيها جميع حواضر بايلىك الغرب خاصة مستغانم<sup>3</sup> الشئ الذي أهلها لذلك هو تربيعها على منشآت حضارية كالحمامات والمحلات التجارية والتي كانت جلها عبارة عن أوقاف ذات مداخل معتبرة<sup>4</sup>، ومازونة وتلمسان، بل إن تأثير هذه الجاليات لم ينعكس فقط على المدن وإنما إستفادت منه الأحواز والمناطق الريفية<sup>5</sup>.

كما أن هناك عوامل داخلية ساهمت في إثراء الحياة الثقافية في بايلىك الغرب وهي الإستقرار السياسي الذي عرفه البايلىك خاصة في عهد "الباي مصطفى بوشلاغم" و"الباي محمد الكبير"، حيث أن هذا الأخير إعتنى بالعلم وشجع التأليف والمؤلفين في مختلف

<sup>(1)</sup> - فتحة الواليش، الحياة الحضارية.....، المرجع السابق، ص 156.

<sup>(2)</sup> - أحمد ابن سحنون الراشدي، الثغر الجماني .....، المصدر السابق، ص 69-70.

<sup>(3)</sup> - فتحة الواليش، الحياة الحضارية.....، المرجع السابق، ص 157.

<sup>(4)</sup> - سجلات البايلىك، علية: 217-245، رقم السجل: 328، الأرشيف الوطني الجزائري.

<sup>(5)</sup> - فتحة الواليش، الحياة الحضارية.....، المرجع السابق، ص 157.

العلوم، وجمع الكتب وشيد إنجازات حضارية ساهمت في دفع حركة التعليم والثقافة<sup>1</sup>، وهياً الوسائل التي تساعد على المضي في طلب العلم والمعرفة، وفي هذا الصدد يصف صاحب كتاب- طلوع سعد السعود- هذا الباى بقول: "...وكان يحب الطلبة، لذلك بنى لهم المدرستين الأولى في معسكر، والثانية في وهران..."<sup>2</sup>.

كانت النتيجة الحتمية لهذا الإهتمام أن أصبح هذا الباىك مركزاً علمياً وثقافياً هاماً، مثل حاضرة تلمسان التي بلغت عدد مدارسها 50 مدرسة أغلبها صغيرة، وكان يتردد عليها ما يقارب 2000 تلميذ و 800 طالب بالمدرستين مدرسة المسجد الكبير ووادي الإمام، فاتصفت مدينة تلمسان بنخبته المثقفة من القضاء والعدول والموثقون، حيث ساهمت هذه الفئة في تسيير شؤون المدينة<sup>3</sup>، كما ظهرت البيوتات العلمية مثل بيت المرازقة التي كان لها حضور علمي وسياسي كبيرين بتلمسان، ولهذا وصفهم "ابن مريم" بقوله: "وهم أهل صلاح وعلم ودين .."، وعدد علماءه في صدد ترجمته "لابن مرزوق الخطيب" قائلاً: "وبيته بيت علم وولاية وصلاح كعمه وأبيه وجده وجد أبيه...."<sup>4</sup>.

كما عرفت وهران هي الأخرى مجموعة من الأسر العلمية التي أشتهرت باشتغالها بمختلف العلوم الدينية والأدبية مثل أسرة "ابن خوجة" المستغانية، كما ظهر العديد من الأدباء مثل "حسين بن خوجة" وإبنه "محمد بن حسين" و"الشريف بن خوجة" وغيرهم<sup>5</sup>، ومن الأسر العلمية التي وجدت في وهران هي أسرة المشارفة وهم من أشرف إقليم الراشدية اشتهر بها الكثير من العلماء، ولعل من أهمهم المشارفة الثلاث "الطاهر بن الشيخ"، وابن

(1) - دباب بومدين، بايلك الغرب الجزائري.....، المرجع السابق، ص 150.

(2) - أحمد بن هطال التلمساني، رحلة محمد الكبير ....., المصدر السابق، ص ص 24-25.

(3) - فتحة الواليش، الحياة الحضارية.....، المرجع السابق، ص 160.

(4) - ابن مريم المديوني، البستان في ذكر العلماء والأولياء بتلمسان، ط1، تح: عبد القادر بويابة، مكتبة الرشاد للطلبة، الجزائر، 2011، ص 316.

(5) - ابن عودة المزارى، طلوع سعد.....، المصدر السابق، ج1، ص 98.

أخيه "محمد بن عبد الله"، وتتنسب هذه الأسرة إلى "مشرف بن عبد الرحمن" بن مسعود الذي قدم من بوصمغون وتولى القضاء في العهد الزياني<sup>1</sup>.

والجدير بالذكر فإن أسرة الزياني هي الأخرى من الأسر العلمية التي أنجبت العديد من العلماء منهم "محمد بن يوسف" الزياني صاحب كتاب -دليل الحيران-، وعمه "أحمد بن يوسف" الزياني الذي كان فقيها محدثاً<sup>2</sup>، كما إهتم علماء بايلك الغرب بعلم الكلام والتوحيد وبرع في هذا الإمام "السنوسي" مجدداً للمدرسة الأشعرية، وكذا "مصطفى الرماصي"، ومن هنا يتضح جلياً أن بايلك الغرب أسهم إسهاماً علمياً في علوم شتى وعرف العديد من العلماء كان لهم الفضل حتى خارج الأيالة الجزائرية<sup>3</sup>.

وقبل أن نضع نقطة نهاية لهذا الفصل يمكن القول بالرغم من أسلوب القوة العسكرية الذي طبق من طرف السلطة المركزية على الباييكات، والضغط الكبير الذي مورس في حق سكان المقاطعات إلا أنهم حالوا الإرتقاء به من نظام القبيلة إلى مستوى حضاري يقوم على مؤسسات أمنية دون مؤسسة الإنكشارية، وبذلك إرتقى البايك من نظام القبيلة إلى مستوى الدولة، وذلك يتضح جلياً من خلال الأجهزة الإدارية الخاصة لكل بايلك والنظم السياسية والإقتصادية، مع التنوع الثقافي والبشري الذي ميز هذه المقاطعات، كما أنه لابد من الإشارة إلى أن سياسة بايات البايك لم تقتصر على أسلوب القوة فقط حفاظاً على علاقتهم مع السلطة المركزية، وإنما تعددت الأساليب في ذلك، وهو ما يدفعنا إلى التساؤل عن طبيعة العلاقة القائمة بين السلطة المركزية وبين هذه الباييكات، كما سنرى في الفصول اللاحقة.

(1) - عبد القادر بلغيث، الحياة السياسية والإجتماعية.....، المرجع السابق، ص ص 153-154.

(2) - إين عودة المازري، طلوع سعد .....، المصدر السابق، ص 98.

(3) - حمدادو بن عمر، "مساهمة علماء بايلك الغرب في علم الكلام والتصوف مقارنة تاريخية"، مجلة عصور، ع 18-

19، منشورات مخبر البحث التاريخي مصادر وتراجم، جامعة وهران، ديسمبر 2012، ص 155.

# الفصل الثالث

## علاقة الحكم المركزي بالجزائر مع بايلك التيطري

أولاً: العلاقات الاقتصادية والاجتماعية والثقافية بين البايك والسلطة المركزية

- 1- العلاقة الاقتصادية بين السلطة المركزية وبايلك التيطري
- 2- العلاقة الاجتماعية بين السلطة المركزية وبايلك التيطري
- 3- علاقة علماء وفقهاء البايك بالسلطة المركزية

ثانياً: العلاقات السياسية والعسكرية بين البايك والسلطة المركزية

- 1- الاتصالات الإدارية والسياسية بين البايك والسلطة المركزية
- 2- العلاقة العسكرية بين السلطة المركزية مع بايلك التيطري

بعد الحديث عن الإطار التاريخي والحضاري لمقر الحكم المركزي وكذا البايلاكات في الجزائر العثمانية يجدر بنا الآن الحديث عن طبيعة العلاقة التي كانت تربط مقر الحكم المركزي ببايلك التيطري، خاصة وأن هذا الأخير تربع على موقع إستراتيجي هاما وسط الأيالة الجزائرية، مما جعله يشكل حلقة وصل بين منطقة الساحل والهضاب العليا، زيادة على احتوائه وعلى غرار بقية البايلاكات الأخرى تشكيلة قبلية مميزة كان لازماً على السلطة العثمانية مراعاة هذه الخصوصية للبايلك من أجل ضمان علاقة سلمية وودية بين السلطة والرعية.

**أولاً: العلاقات الاقتصادية والاجتماعية والثقافية بين البايلاك والسلطة المركزية**

**1- العلاقة الاقتصادية بين السلطة المركزية وبايلك التيطري:**

**1-1 الأداء الضريبي السنوي بين الواجب الشرعي والتعسف السلطوي**

إنَّ النظام الضريبي الذي وضعته السلطة المركزية في بداية حكمها ببايلك التيطري وعلى غرار بقية البايلاكات الأخرى، لم يكن عشوائياً، بل كان يخضع لقوانين ومعايير موضوعية، اختلفت درجة احترامها والالتزام بها من باي إلى آخر، ومن منطقة إلى أخرى، كانت السلطة المركزية تراعي أثناء فرضها للضرائب وضعية البايلاك الاقتصادية والاجتماعية، كما أنها كانت تأخذ بعين الاعتبار طبيعة التضاريس والتركيب البشرية لكل منطقة<sup>1</sup>.

كانت هذه الضرائب المفروضة بعضها يخضع لأحكام الشريعة الإسلامية تعود في أساسها إلى التقاليد والنظم الشرعية خاصة ما تعلق بضريبة الزكاة والعشور والمعونة التي كانت محددة ومقننة وفق ضوابط دينية من طرف السلطة العثمانية<sup>2</sup>.

<sup>(1)</sup> - أرزقي شويتام، المجتمع الجزائري.....، المرجع السابق، ص 151.

<sup>(2)</sup> - Henri (Federmann), « Notices Sur histoire..... », op.cit, p118.

غير أن السلطة المركزية ومع مرور الزمن سنت ضرائب جديدة قد لا يكون لها سنداً قانوني أو شرعي مما يدل على وجود قاعدة اقتصادية واضحة ودقيقة، فقد مثلت الضرائب الشرعية من زكاة وعشور مورداً أساسياً يدفع لميزانية الأيالة، لكنها لم تكن قادرة على تغطية نفقاتها خاصة أوقات الحرب هذا من جهة، ومطالب لا تنتهي للبواب العالي من جهة أخرى، فكان اللجوء إلى الغرامات الإضافية كحل لتجاوز الأوضاع<sup>1</sup>.

يعتبر تحصيل الضرائب المهمة الأساسية للإدارة العثمانية في البايكات الثلاثة بما في ذلك بايلك التيطري، فهي مجال حيوي يحدد أهمية البايك من حيث إمكانياته الاقتصادية ومدى خضوع وولاء مختلف قبائله<sup>2</sup>، ودليلاً على تبعيته للسلطة المركزية سياسياً وإدارياً واقتصادياً، ولضمان تحصيل هذه الضرائب كان لابد من وضع تنظيم يسهل استفادة السلطة من موارد البايك<sup>3</sup>، كان يعد قاعدة هذه الضريبة قياد العشور<sup>4</sup> الذين ينظمون جولتين أولهما في الخريف لمعاينة مساحة الأرض المحروثة، والثانية بعد الحصاد لتقييم المحصول<sup>5</sup>.

كان البايات يعتمدون على الفرق العسكرية سواء المحلية التي كانت تحت إمرة الباي أو التي تبعت دورياً إلى البايك في شكل محلات حتى تضمن جمع الضرائب من جميع أنحاء البايك خاصة المتهربين منها من القبائل الجنوبية الممتنعة، وتفيد الوثائق أن كل

<sup>(1)</sup> - محفوظ رموم، " ملكية الأرض والمكوس ونمط التحصيل الضريبي في الجزائر خلال القرنين 17-18م"، المجلة التاريخية العربية للدراسات العثمانية، ع 55-56، منشورات مؤسسة التميمي للبحث العلمي والمعلومات، تونس، ديسمبر 2017م، ص 295.

<sup>(2)</sup> - لمعرفة قبائل هذا البايك وموقع تموضعها راجع الملحق رقم (20)، ص 405.

<sup>(3)</sup> - فايزة بوشيبة، بايلك التيطري....، المرجع السابق، ص 70.

<sup>(4)</sup> - منصب "القايد" من المناصب التي استحدثتها السلطة المركزية أنيطت بهم مهام شتى مثل: قياد العبيد، قياد الشوارع، قياد العشور، قياد الفحص.... الخ. ينظر: عائشة غطاس وأخريات، الدولة الجزائرية ....., المرجع السابق، ص 120.

<sup>(5)</sup> - محفوظ قداش، الجزائر في العهد العثماني، تر: أحمد بن البار، ط1، دار الأمة للطباعة، الجزائر، 2017، ص

قبائل البايك كانت تشارك في عملية دفع الضرائب بما في ذلك شيخ البلد، والأعيان الحرفيين الممثلين بأمنائهم في بايلك التيطري، والجدير بالملاحظة أن اليهود الذين كانوا يسكنون عاصمة التيطري أو ضواحيها كانت تفرض عليهم شرعا دفع الجزية كضريبة عن حماية أرواحهم وأملاكهم ونشاطهم، كانوا يدفعون الضرائب مثل الرعية، فقد وُجدوا في نفس القوائم أو البيانات مع تمييزهم بإسم اليهود أو (أهل الذمة)، ضيف إلى ذلك ورودهم في بيانات تعداد الجابدة أو الزويجة<sup>1</sup> ضرائب زكاة العشور، بالرغم أن هذه الأخيرة ضريبة شرعية إسلامية إلا أن اليهود الذين كانوا يمتلكون أراضي أو يزرعونها يدفعون زكاة العشور مثل بقية الرعية، وقد يعطينا هذا فكرة عن وضعيّة اليهود في البايك باعتبارهم رعايا مثل باقي السكّان ولا فرق بينهم وبين السكان الأصليين خاصة في المجال الضريبي<sup>2</sup>.

وعلى العموم فإن السلطة المركزية قد وضعت نظام ضريبي متنوع كالرسوم، والغرامة، الزمة، المعونة.... الخ، وكان كل نوع من هذه الضرائب يفرض على قبائل البايك حسب موقعها الجغرافي، وطبيعة نشاطها الإقتصادي، ويمكن تقسيم هذه الضرائب إلى صنفين شرعية ومخزنية<sup>3</sup>:

من أهم الضرائب الشرعية "زكاة العشور" التي تمثل عُشر المحصول الزراعي، إلا أن تحديد هذه الضريبة لا يتم في وقت الحصاد، بل يحدده قايد العشور في موسم الزرع وفقا للمساحة المزروعة، وإذا حدث أن الموسم لم يكن جيد المحصول فإن المقدار المحدد

<sup>(1)</sup> - هي المساحة من الأرض التي يمكن للفلاح أن يحرقها بزوج من الثيران أو البغال خلال موسم الحرث، وبهذه الطريقة كان العثمانيون يقدرّون الضريبة في الأيالة، ويطلق عليه أيضا "جفت" الذي يعني باللغة التركية "زوج". ينظر: خليفة حمّاش، العلاقات بين إيالة الجزائر والباب العالي من 1798 - 1830م، مذكرة ماجستير، كلية الآداب قسم التاريخ والأثار، جامعة اسكندرية، مصر، 1988، ص 87.

<sup>(2)</sup> - فايزة بوشيبة، بايلك التيطري....، المرجع السابق، ص 70.

<sup>(3)</sup> - أرزقي شويّتام، المجتمع الجزائري.....، المرجع السابق، ص 151.



سابقا هو الذي يدفع، ولهذا كان الفلاحون دائمي التذمر لأنهم يتحملون كل الخسائر التي تترتب على العوامل الطبيعية كالجراد والجفاف والتصحّر<sup>1</sup>.

كانت الضريبة الشرعية الأكثر شيوعا تؤخذ على رؤوس المواشي كل سنة لفائدة السلطة المركزية باعتبارها تمثل بيت مال المسلمين، وهي رأس على كل مائة من الغنم والماعز ورأس من البقر، إذ بلغ القطيع الثلاثين، وجمل واحد إذا وصل عددها الأربعين، ثم أصبحت تخضع لاستطاعة وإمكانات أصحاب القطيع، فلا يلتزم بالنسبة ولا يؤخذ بالنصاب، فتوسع فيها متولي الجباية بحيث أصبحت تؤخذ على ما يوفره القطيع من صوف وزبدة وجلود، وألحقت بها بعض المنتجات النوعية كالعسل والشمع والتمر... الخ<sup>2</sup>.

كما أن هذه الضريبة كانت تجمع من القبائل المحاربة أو المرابطة التي تمتنع عن دفع الضرائب يتجاوز حدها، ما يفرضه الشرع خصوصا وهي قبائل كانت قادرة على التوغل في أدغال الصحراء والامتناع عن الدفع<sup>3</sup>، فقد وجهت هذه الضريبة لتموين دار المؤونة بالحبوب والماشية، كان يتم بيع العشور المسلم عينا، بينما كانت حبوب المؤونة تخزن في مطامير<sup>4</sup>، تسمى "بديار المؤونة"، وقدرت في مجملها بمكايل ثابتة وهو أربع صاعات<sup>5</sup> من القمح ومثلها شعير<sup>6</sup>، وهذا ما أكدّه "الحاج أحمد الشريف الزهار" بقوله:

(1) - محمد سي يوسف، "من خصائص النظام الإداري في بابلوك التيطري خلال العهد العثماني"، المجلة التاريخية العربية للدراسات العثمانية، ع 5-6، منشورات مركز الدراسات والبحوث العثمانية والموريسكية والتوثيق والمعلومات، زغوان، فيفري 1992، ص 275.

(2) - ناصر الدين سعيدوني، الملكية والجباية في الجزائر أثناء العهد العثماني، البصائر للنشر، الجزائر، 2013م، ص 154.

(3) - Federmann (H), « Notices Sur L'Histoire..... », n9, op. cit, p 293.

(4) - محفوظ قداش، الجزائر في العهد .....، المرجع السابق، ص 166.

(5) - تفيد الكتابات الفرنسية أن الصاع هو من المكايل المعمول بها في الجزائر خلال الفترة العثمانية، فقد قدر الصاع الواحد في البداية بـ 140 لتر، ثم ارتفع إلى 192 لتر، ولعل هذا ما أدى إلى غضب وانتفاضة الفلاحين وأصحاب المزارع. ينظر:

(6) - Henri (Federmann), « Notices Sur Histoire..... », op.cit, p 120.

" وبايلك التيطري كان يبعث زكاة الغنم لبيت المال ويوزع شيئاً على أرباب الدولة، وكذا في عيد الأضحى لا غير، أما العشور فلا يبعث لأن عمالته أغلبها صحراء وسكانها العرب أصحاب غنم ولا حرث لهم، والذي يقبضه من الرعية شيء قليل يكفيه هو ومحلته، أما عشور بلدة المدية عاصمة البايك فيجمعه عولة، وله وكيل عولة، ويدفع تلك العولة لدار الإمارة كل شهر"<sup>1</sup>.

جرت العادة ببايلك التيطري أن يوكل أمر إشراف جمع الضرائب إلى نائب حاكم البايك أو ما يسمى بخليفة الباي الذي يقوم بتسجل العشور ومراقبتها قبل إرسالها إلى مقر الحكم المركزي، بينما يعود ذلك في أوطان دار السلطان إلى آغا العرب "قائد الجيش" مباشرة<sup>2</sup>، وبهذا وفرة السلطة المركزية مداخل معتبرة عينية ونقدية، فبايلك التيطري كان يقدم للإدارة المركزية في شكل ضريبة الزكاة سنوياً ما يقدر بـ: 4050 رأس غنم، و 220 رأس بقر، و 375 جملاً و 12150 جرة.

أما كميات الصوف والعسل والشمع التي تؤخذ في شكل زكاة فتوجه رأساً إلى مخازن السلطة المركزية، ويصدر قسم منها عن طريق الوكلاء الأوروبيين والتجار اليهود إلى الموانئ الأوروبية<sup>3</sup>.

كانت هذه الضريبة على 850 جابدة أي حوالي 8500 هكتار، وهذا ما جعل كمية العشور الإجمالية تقدر بـ: 170000 هكتار من القمح والشعير، وهذا الرقم الذي أعتمده "جانتي دوبروسي" "Du Bossi" لا يختلف كثيراً عما ورد في وثائق أخرى، قدرت ضريبة العشور بالتيطري بـ: 16875 صاعاً حبوب وهذا من مجموع إنتاج الأراضي العشرية البالغ 168750 صاعاً، وللتوضيح أكثر نحاول في الجدول الآتي تلخيص مداخل العشور من

<sup>(1)</sup> - أحمد الشريف الزهار، المصدر السابق، ص 47.

<sup>(2)</sup> - ناصر الدين سعيدوني، الملكية والجباية ....., المرجع السابق، ص 159.

<sup>(3)</sup> - المرجع نفسه، ص ص 155-156.

القمح والشعير لبعض قبائل البايك مثل قبائل حمزة، وبني سليمان، وبني يعقوب،  
لسنتي 1817-1818م<sup>1</sup>:

عشور القمح			عشور الشعير			القبائل
الزويجات الجادات	الكيلات القيسات	القيمة النقدية (بوجو - فرنك) <sup>2</sup>	الزويجات الجادات	الكيلات القيسات	القيمة النقدية (بوجو - فرنك)	
720	4320	12960 بوجو 24105.6 فرنك	720	4320	6480 بوجو 12052.8 فرنك	وطن بني سليمان
164	984	2952 بوجو 5490 فرنك	164	984	1476 بوجو 2745.36 فرنك	وطن حمزة
136	816	2448 بوجو 4553 فرنك	136	816	1224 بوجو 2276.64 فرنك	وطن بني يعقوب
1020	6120	18360 بوجو 34148.6 فرنك	1020	6120	9180 بوجو 107074.8 فرنك	المجموع

<sup>(1)</sup> - ناصر الدين سعيدوني، النظام المالي.....، المرجع السابق، ص ص 322-323.

<sup>(2)</sup> - عملة فضية استعملت بالبايلك، وبقيت في بايلك الشرق إلى غاية 1831م، لكن في سنة 1833م أصبحت المادة الأولية التي هي الفضة نادرة جدا، لأن اليهود كانوا يرسلون كميات معتبرة من هذه النقود الفضية إلى تونس بهدف المضاربة مما جعل عيار هذه العملة من الفضة ينخفض، ومنذ ذلك الحين أصبحت قيمتها في تراجع مستمر حتى الوقت الذي تم فيه الاستيلاء على قسنطينة والذي كانت فيه هذه العملة تقدر بـ: 1,06 فرنك وقد حددت قيمتها اليوم بـ: 0,90 فرنك. ينظر: ناصر الدين سعيدوني، النظام المالي.....، المرجع السابق، ص ص 322-323.

هكذا ظلت زكاة العشور تشكل إحدى المصادر الرئيسية لخزينة الأيالة، فقد شكلت نسبة كبيرة من إجمال الضرائب المفروضة على البايك في شكل ضريبة فصلية تعرف بالدنوش<sup>1</sup> الصغرى، ويتم تقديمها في فصلي الربيع والخريف، وهناك ضريبة سنوية تعرف بالدنوش الكبرى تقدم كل ثلاث سنوات إلى الباي في مقر الحكم المركزي<sup>2</sup>.

ويخصوص الخراج فهو حق على الأرض كان يفرض على غير المسلمين<sup>3</sup>، من اليهود الذين سكنوا البايك وتتراوح ضريبته من قلتين إلى أربع قتل يقدمها أمينهم سنويا إلى الحاكم<sup>4</sup>، وغالبا ما يطلب من قبائل الرعية<sup>5</sup>، وهو يخص أراضي البايك أو الوقف التي تستغل مقابل ضريبة سنوية، وتتدرج هذه الضريبة ضمن بيانات العشور، وكثيرا ما نجد المستفيدين منها عادة تصنف في سجلات الأراضي من موظفي البايك الرسميين مثل خوجة الحاكم وخوجة القصبة وقايد العرب والشاوش<sup>6</sup>، أما بعض القبائل مثل قبيلة ديرا وهي من القبائل الكبرى في بايلك التيطري فإن الغرامة التي فرضت عليها قدرت بـ: 288.000 نقدا صيفا و 216.000 شتاء<sup>7</sup>.

فيما يتعلق بالضرائب الغير الشرعية فقد عرفت بالغرامات، وهي ضرائب متنوعة تكون نقدية أو عينية باستثناء القمح والشعير، وهي مرتبطة بمناسبات أو بمواسم معينة، كما اختلف في شكلها وحجمها من منطقة إلى أخرى، ومن قبيلة إلى أخرى وذلك حسب إمكانياتها الاقتصادية والطبيعة، وقد عرفت هذه الضريبة "بالضيعة" أو "حق التولية" وتمثل

<sup>(1)</sup> - هي ضريبة تركية عثمانية صرفة يقدمها كل باي عن بايلكه سنويا وتقديمها يكون شخصا كل ثلاث سنوات. ينظر: محفوظ رموم، " ملكية الأرض والمكوس...."، المرجع السابق، ص 297.

<sup>(2)</sup> - ناصر الدين سعيدوني، الملكية والجباية في الجزائر.....، المرجع السابق، ص 160.

<sup>(3)</sup> - محفوظ قداش، الجزائر في العهد.....، المرجع السابق، ص 166.

<sup>(4)</sup> - فايزة بوشيبة، بايلك التيطري.....، المرجع السابق، ص 74.

<sup>(5)</sup> - محفوظ قداش، الجزائر في العهد.....، المرجع السابق، ص 166.

<sup>(6)</sup> - فايزة بوشيبة، بايلك التيطري.....، المرجع السابق، ص 71.

<sup>(7)</sup> - Henri (Federmann), « Notices Sur histoire..... », op.cit, p 120.

مجموع الهدايا التي تستفيد منها الدولة والموظفين الرسميين كتعبير عن ولاء القبائل ومبايعتهم لهم عند توليهم أو تجديد عهدهم ضمن "عوائد السمن".

أما عن أنواع الضيفة التي ذكرتها الوثائق التي كان الآغا يستفيد منها سنويا مع الموظفين الرسميين لبايك التيطري هي ضيفة الآغا عاصمته المدية أي الباي الحاكم قايد العرب قايد ديرة البلدية، بالإضافة إلى المرابطين طريق شيخ البلد وأهل الدّمة عن طريق أمينهم، وهي كأقصى حد سجل ألف ريال يستفيد منها الباي هو الآخر سنويا عند تعيينه أو بعد عودته ....، كما توجد ضيفة الحاكم الدنوش ويدفعها له كل من البلدية، من طرف أعيان البلد من الحضر في مقدمتهم شيخ البلد وحددت بأربع قُلل من السمن سنويا حيث بقي هذا العدد ثابتا في الفترة الممتدة بين (1808 - 1821).

كان أهل الدّمة من اليهود الذين يسكنون عاصمة البايك كانت تتراوح ضيفتهم بين قلتين وأربع قُلل يقدمها أمينهم سنويا إلى الحاكم وتدفع الأعراش ضيفتها للحاكم بمعدل ثمانية عشر قُلل كحدّ أقصى، حيث يتجاوز العرش الواحد أربع قُلل إلى جانب هؤلاء يدفع بعض الموظفين حصتهم من الضيفة حيث تشير الوثائق إلى شيخ جماعة السمامنة الدلال راعي الهوير ويتراوح حجم ضيفتهم بين قلة قلتين للفرد الواحد وهم يدفعون هذه الضيفة كونهم كانوا يعملون<sup>1</sup>.

بالإضافة إلى هذه الضرائب توجد ضريبة الحصة يدفعها قبائل الجنوب وسكان الجبال للتمتع بحق مبادلة منتجاتهم المكوس، وهي تفرض فرض على كل السلع المعروضة للبيع وهي تشكل موردا كبيرا للباي<sup>2</sup>، والتي كانت تدفع مقابل السماح للقبائل الصحراوية بالتموين بالحبوب من القبائل الشمالية المكوس والجمرك وهي على التوالي ضريبة على البضائع المباعة وعلى دخولها إلى الأسواق وخروجها منه، كما وجدت ضريبة الخطية التي

(1) -فايزة بوشيبة، بايلك التيطري....، المرجع السابق، ص74.

(2) -محفوظ قداش، الجزائر في العهد العثماني....، المرجع السابق، ص 167.

تدفعها القبائل المتخاصمة أو الخارجة عن الطاعة<sup>1</sup>، فالتجار الميزابيون مثلاً المسيطرون على تجارة البايك كانوا يدفعون عن حمولة جمل واحدا محبوبي أو نصف سلطاني عن حمولة حمار أو واحد بوجو عن حمولة حصان، وكان على مقدم اليهود الذي يحتكر شراء الصوف دفع من 4 إلى 5 آلاف فرنك<sup>2</sup>.

كما وُجد في بايلك التيطري عدت قبائل مثل أولاد علان وأولاد رحمان وأولاد حسان بن علي وأولاد قصاد دايرة يقومون بدفع ضرائب المكوس مما جعل العبء الضريبي يقع على عاتق فئة دون أخرى وعلى منطقة دون سواها<sup>3</sup>.

وسنحاول في الجدول الآتي توضيح مدى التباين والتفاوت الضريبي بين قبيلة وأخرى وحجم تضاعف المكوس بين فصلي الشتاء والصيف<sup>4</sup>:

القبيلة	ضريبة الشتاء	ضريبة الصيف
أولاد علان	3600 فرنك قديم	7200 فرنك قديم
أولاد ريرا	3600 فرنك قديم	5400 فرنك قديم
أولاد حسان بن علي	40 فرنك قديم	75 فرنك قديم
أولاد قصاد دايرة	2160000 فرنك قديم	28800 فرنك قديم

جدول توضيحي حول مقدار الغرامات التي كانت تدفعها بعض قبائل البايك

<sup>(1)</sup> -فايزة بوشيبة، بايلك التيطري....، المرجع السابق، ص 80.

<sup>(2)</sup> - محفوظ رموم، " ملكية الأرض والمكوس ....."، المرجع السابق، ص 298.

<sup>(3)</sup> -Frderman(H), « Notices Sur..... », op.cit, pp 115-120.

<sup>(4)</sup> - محفوظ رموم، " ملكية الأرض والمكوس ....."، المرجع السابق، ص 303.

هذا علاوة على ضريبة الزمة التي يدفعها بايات الأقاليم كل ستة أشهر<sup>1</sup>، كانت عبارة عن مساهمة في الحرب، كانت هذه الضريبة في الأصل تدفع من طرف العاجزين عن المشاركة في الجهاد ثم أصبحت ثابتة وتوجه للإنفاق على الجيش<sup>2</sup>.

أما من حيث الدخل المالي فيعتبر بايلك التيطري من أفقر البايلاكات، وعلى الرغم من ذلك فقد فرضت عليه ضرائب كثيرة ومجحفة أحيانا لا نجدها في البايلاكات الأخرى الشيء الذي أدى بالقبائل للقيام بتمردات على السلطة المركزية خصوصا قبائل الجنوب البعيدة بعض الشيء عن مركز البايلاك، كانت هذه الضرائب التي يقدمها البايات لخزينة مقر الحكم المركزي تسمى بالدنوش، كما سبق وإن أشرنا وتختلف أهميتها باختلاف الأهمية الاقتصادية للبايلك، وعلى هذا الأساس فقد كان المبلغ الذي يقدمه باي التيطري أصغر المبالغ نظرا لفقر المنطقة، وقد قدر هذا المبلغ في إحدى السنوات حوالي 44 ألف ريال بوجو أي ما يعادل 100000 فرنك فرنسي يقدمه باي التيطري للسلطة المركزية، يضاف له مبلغا يكاد يكون مماثلا يوزع للشخصيات العليا في الدولة<sup>3</sup>.

كما يبعث مرتين في السنة خليفة الباي بحوالي 23 ألف بوجو إضافة إلى 24 ألف أخرى على شكل هدايا وأحصنة وزبدة، وبهذه المداخل حققت خزينة الداى انتعاشا حقيقيا ومصدر كسب معتبرا<sup>4</sup>.

(1) - محفوظ رموم، " ملكية الأرض والمكوس....."، المرجع السابق، ص 296.

(2) - محفوظ قداش، الجزائر في العهد العثماني....، المرجع السابق، ص 167.

(3) - وليم سبنسر، الجزائر في عهد رياس البحر.....، المصدر السابق، ص 70.

(4) - محفوظ قداش، الجزائر في العهد العثماني.....، المرجع السابق، ص 168.

## 1-2- أهم الممرات والطرق التجارية بين البايك ومقر الحكم المركزي

تربع بايلك التيطري على شبكة هامة من الطرق والممرات، كانت تعبر من خلالها القوافل التجارية وحتى المحلة التي كانت تعرج عند قريبا بحدود بايلك التيطري بممر داخل مجال هذا البايك مواصلة سيرها حتى تلتقي بفرسان المخزن، فتتكون عندئذ محلة التيطري. والجدير بالملاحظة أن هذه الفرقة كانت تخرج من باب عزون بمقر الحكم المركزي قاصدة بايلك التيطري وتتوقف كما هو معتاد عند محطة عين الربط، ثم تتجه نحو سور الغزلان التي تصلها باجتياز خمس محطات أو مراحل بعد جمعها لضريبة الضيفة و"اللفة" من قبائل التيطري المستقرة في دائرة سور الغزلان، ثم تواصل طريقها ضمن محلة الباي حتى تصل إلى مركز البرواقية<sup>1</sup> الذي تصله بعد قطع سبع مراحل<sup>2</sup>.

وعلى العموم فإن الطريق الذي كان يصل مقر الحكم ببايك التيطري كان يمتد إلى الصحراء، وهذا الطريق يتبع طريق الغرب حتى برج قائد السبت الذي تتوغل عنده في الجبل، بين صماتة وموزاية، ورغم أن سالكي هذا الطريق في أغلب مقاطعه إلا أن الحفر تتخلله في كثير من المواضع وتصل الطريق إلى المدينة عاصمة البايك عبر قمة الثنية الشهيرة<sup>3</sup>.

<sup>(1)</sup> - تزامن تأسيس مركز البرواقية مع بداية عهد الباي الوزناجي (1775 - 1794) وهو عهد تدعت فيه قوة بايلك التيطري وأعيد فيه بناء القوى المخزنية المحلية، وأخضعت فيه القبائل المحاربة مثل قبيلة أولاد نايل المتحكمة في النصف الجنوبي للبايلك، والراجح أن ذلك كان نتيجة لتحسن الظروف المحلية داخل البايك والمرتبطة بدورها بظروف متوسطة، يعتبر مركز البرواقية المركز الأم الذي يتوسط كامل مجال بايلك التيطر، وفيه تجتمع كل القوى المحلية وتقيم وتتجهز بالموثنة والعلف والخيول استعدادا للخروج مع المحلة، فالبرواقية بالإضافة إلى كونها مركزا تموينيا عسكريا، كانت إحدى إقامات الباي، وقت خروجه على رأس المحلة، وإحدى مراكز الحكم المتجول ومنطلق محلة الشتاء التي تذهب نحو جنوب البايك، وتحيط بالبرواقية ضياع البايك وقبائل الزمول ومشاتي فرق العبيد وقبائل القوم، مما يجعلها منطقة مؤمنة وخاضعة لسلطة الباي. ينظر: محمد الحبيب العزيزي، ظاهرة الحكم المتجول في بلاد المغرب العربي الحديث المحلة التونسية أنموذجا، أطروحة دكتوراه، كلية العلوم الإنسانية والإجتماعية، جامعة الجزائر، 2006-2007، ص 90.

<sup>(2)</sup> - Federmann et Aucapitaine « Notice Sur L Histoire et L'administration de Beylik de Titteri » **R.Af**, n°11, Alger, 1867, P 363.

<sup>(3)</sup> - للإطلاع على هذه الطرق والممرات الرابطة بين البايك ومقر الحكم المركزي راجع الملحق رقم (17)، ص 402.



كما يمكن الوصول إلى بايلك التيطري عبر طريقين آخرين يستعملهما رجال البايك وقوات المحلة في فترة تمرد قبيلتي موزاية وصوماتة، وتتطلق الطريق الأولى من برج بوحلوان وتقطع إقليم جندل عبر عين الأدهم، بينما تتطلق الطريق الثانية من البليدة وتمر بجبال ملوان وبني ميسرة، وبني بو يعقوب وبرجاجة وتتبع في بعض مقاطعها وادي الآخرة.

يدوم السفر بين بايلك التيطري ومقر الحكم المركزي أربعة أيام في المتوسط رغم قصره وصعوبته، فيصل المسافر في اليوم الأول إلى وادي الكرمة، وفي اليوم الثاني إلى حوش قائد السبت واليوم الثالث إلى قمة الثنية، واليوم الرابع إلى عاصمة البايك<sup>1</sup>.

يتكون الطريق الشمالي بين مقر الحكم المركزي وبايلك التيطري من الطريق السلطاني الرابط بين مقر السلطة المركزية ومركز بايلك التيطري، وهو في خط سيره يساير طريق الجزائر وهران من عيون الربط إلى وادي الكرمة وحوش قائد السبت كما بينا بعدها ينفصل عن طريق الغرب فيتوجه نحو الجنوب، فيقطع مرتفعات صماته وموزاية عند ممر الثنية ومنها إلى المدية، وقد يسلك هذا الطريق المتوجه إلى المدية وادي الجر فينتهي نحو الشرق عند برج بوحلوان ويمر على عين العظم بوطن الجندل هذا عن الطرق الرئيسية<sup>2</sup>.

أمّا الطرق الثانوية فهي تتفصل عن طريق المدية بالقرب من دالي براهيم، تقطع وادي الكرمة عبر جسر وبعد حوش "حسن باشا" تتجه جنوبا وسط المستنقعات، وتصل إلى مدينة البليدة عبر أراضي تغطيها الأدغال والأشجار ويصبح المسلك رمليا وتتفرع عنه مسالك صغيرة عديدة<sup>3</sup> منها طريق الجبل تربط حصن الحراش بمدينة المدية مروراً بمواطن قبائل الأطلس المتيجي، تتطلق من جسر الحراش باتجاه حوش أولاد سلامة قرب الأربعاء،

<sup>(1)</sup> - ناصر الدين سعيدوني، الحياة الريفية .....، المرجع السابق، ص 289.

<sup>(2)</sup> - \_\_\_\_\_، "شبكة المواصلات بالجزائر أثناء العهد"، أعمال المؤتمر العالمي الثامن للدراسات العثمانية حول البحرية والطرق التجارية العثمانية من 15 إلى 18 أكتوبر 1998م، منشورات مؤسسة التميمي للبحث العلمي والمعلومات، تونس، 2000، ص 72.

<sup>(3)</sup> - ناصر الدين سعيدوني، الحياة الريفية بإقليم .....، المرجع السابق، ص ص 289 - 290.

وتصل سبت البلوط بالقرب من هجيرة، وهناك طريق عاصمة البايك عبر سوق الثلاثاء ببني يعقوب، تستعمل هذه الطريق الإستراتيجية قبائل بني موسى، وبني أحمد وبني عزون ملوان، وبني سيلم وبني بويعقوب ووزرة، وحسن بن علي<sup>1</sup>، غير أن هذه المحلة لم تكن تتوغل في الأوطان الصحراوية وتكتفي بجولاتها في المناطق التلية، وبدل خط الطريق الذي تتبعه في كل موسم بانتظام، على أن وظيفة المحلة لم تكن سوى وظيفة ترفيهية، كما يدل من جهة ثانية على أن مهمة جمع الضرائب وملاحقة القبائل هي من اختصاص المخزن المحلي دون سواه فهو يرسل لمثل هذه المهمات مفارز من الفرسان تحت زعامة قواد الأوطان المعنية، فلا تحتاج عملية جمع الضرائب إلى إقحام جند السلطة المركزية بصفة مباشرة<sup>2</sup>.

هذا ويمكن الوصول إلى بايلك التيطري أيضا بواسطة الطريق الجبلي الشرقي الذي تسلكه في الغالب فرق البايك لقمع المتمردين واستخلاص الضرائب<sup>3</sup>، حتى تبلغ البرواقية حيث تتم مهمة الفرق ويعود الباي إلى المدينة ويلتحق الآغا ببقية فرسانه إلى مقر الحكم المركزي<sup>4</sup>، كان هذا الطريق يتردد عليه رجال قبائل بني موسى وبني أحمد وبني يعقوب.....الخ في نقل منتجاتهم إلى أسواق عاصمة البايك والبلدية، وهذا المسلك الجبلي يربط بين قنطرة الحراش وحوش أولاد سلامة قرب الأربعاء، ومنه إلى وادي ملوان عند سبت البلوط، وبني مصيرة ووادي الآخرة عند سوق الثلاثاء بمواطن بني بويعقوب والبراقية ثم

<sup>(1)</sup> - ناصر الدين سعيدوني، الحياة الريفية بإقليم .....، المرجع السابق، ص 290.

<sup>(2)</sup> - Federmann et Aucapitaine « Notice... », op.cit, P363.

<sup>(3)</sup> - ناصر الدين سعيدوني، "شبكة المواصلات بالجزائر أثناء العهد"، أعمال المؤتمر العالمي.....، المرجع السابق ص ص 72 - 73.

<sup>(4)</sup> - ناصر الدين سعيدوني، النظام المالي.....، المرجع السابق، ص 123.

المدينة، ومن المدينة يتجه الطريق الرئيسي جنوبا الأغواط ووادي ميزاب عبر مواطن الأرباع بنواحي الجلفة ووزاغ<sup>1</sup>.

انقسم هذا الطريق الرابط بين مقر الحكم المركزي وبايلك التيطري إلى 12 مرحلة تستغرق ما بين أربعة إلى خمسة أيام من السير، وفي كل مرحلة كانت محطة الإنكشارية تجمع الضرائب من القبائل التي تمر بها حتى تصل إلى البرواقية، وتدخل في مجال بايلك التيطري، ثم تعود إلى مقر الحكم المركزي، فقد وزعت هذه المحطات من مقر الحكم المركزي وصولا إلى البرواقية كالآتي<sup>2</sup>:

رقم المحطة	اسم المحطة
المحطة الأولى	عين الربط - فندق حميز
المحطة الثانية	قنطرة بني مهني
المحطة الثالثة	ذراع الابل
المحطة الرابعة	كرمة الحائط
المحطة الخامسة	سور الغزلان
المحطة السادسة	وادي فارحة
المحطة السابعة	مرجة أولاد ناجي
المحطة الثامنة	شلالة
المحطة التاسعة	عين المشرف
المحطة العاشرة	الفراش
المحطة الحادي عشر	مرجة أولاد دايد
المحطة الثاني عشر	البرواقية

(1) - ناصر الدين سعيدوني، "شبكة المواصلات بالجزائر....."، المرجع السابق، ص ص 72 - 73.

(2) - محمد الحبيب العزيزي، ظاهرة الحكم المتجول.....، المرجع السابق، ص ص 62-63.

ومن هنا نستنتج أن بايلك التيطري خلال العهد العثماني كان يتوفر على شبكة مواصلات تقي بالحاجة، وتميزت بكثافتها مما سهل تنقل الأفراد والسلع وحتى محلة الباي إلا أن هذه الشبكة لم تكن مستغلة على الوجه الأمثل من حيث وسائل النقل المستخدمة وكميات البضائع المتبادلة<sup>1</sup>.

<sup>(1)</sup> - ناصر الدين سعيدوني، الحياة الريفية بإقليم .....، المرجع السابق، ص 296.

## 2- العلاقة الاجتماعية بين السلطة المركزية وبايلك التيطري:

### 1-2 - موقف القبائل والزعامات المحلية من السلطة العثمانية:

حاول الحكام العثمانيون في بايلك التيطري التقرب أكثر لبعض زعماء القبائل، وهذا بمنحهم امتيازات إضافية، شعوراً منهم واعترافاً بمكانتهم وكلمتهم في الأوساط الاجتماعية، ورغبة في مساندتهم والوقوف إلى جانبهم<sup>1</sup>، لذا سعت السلطة العثمانية كسب ود بعض القبائل لتفادي الصراعات، كما اتسمت بالحذر مع أخذ التدابير الكفيلة لتفادي الدخول معها في مواجهات عسكرية.

اتسمت أحيانا أخرى بالعنف خاصة مع القبائل المتمردة، وانطلاقاً من هذا المبدأ يمكن تقسيم قبائل البايك إلى نوعين نوع كان حليف ومتعاون مع للسلطة العثمانية، بل ساندًا لها بطرق شتى سواء كانت مباشرة أو غير مباشرة، ومعنى ذلك أن هذا النوع من القبائل المخزنية<sup>2</sup> كان بمثابة الوسيط بين السلطة العثمانية والرعية، فيعتبرون عنصراً جديداً تم إدخاله في الجهاز الإداري العثماني على مستوى الأرياف فكان هؤلاء القبائل يقيمون في أبراج، مهمتهم الأساسية جمع الضرائب من الأرياف، ومراقبة تحركات القبائل، خاصة تلك التي كانت تسكن الجبال.

ولضمان التنقلات عبر الطرقات الرئيسة التي تربط بين دار السلطان والبايلك، أنشأت السلطة العثمانية قلاع لتأمين الطرق<sup>3</sup>، لأن تلك المناطق كانت في معظمها تسكنها قبائل

<sup>(1)</sup> - محمد شاطو، نظرة المصادر الجزائرية إلى السلطة العثمانية في الجزائر، مذكرة ماجستير في التاريخ الحديث، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة الجزائر، 2005 - 2006، ص 96.

<sup>(2)</sup> - يرى "فايسيت" Vayssette أن المعنى الحقيقي للمخزن هو "الحكومة"، وأما المخزني فهو "رجل الحكومة"، ينظر: دوالي خديجة، "العلاقات الاجتماعية بين الرعية .....", المرجع السابق، ص 14.

<sup>(3)</sup> - Robin (N), « Note Sur Iorgnais... », op.cit, p196.

ثائرة، لذا اتخذت السلطة العثمانية هذه الوسيلة لأحكام سيطرتها وتأمين الطرق الجبلية<sup>1</sup>، كانت هذه القبائل التي تسكن بمحاذاة هذه الطرق ذات صبغة إقطاعية كان لها تأثيرا واضحا على المارة والتجار<sup>2</sup>.

كانت القبائل الخاضعة للسلطة المركزية تدفع ماعليها من ضرائب مع احتفاظها بامتيازاتها بحيث تمد البايك بكل ما يحتاجه من دعم ومساندة، فقد كانت السلطة العثمانية تتعامل مع هذه القبائل بواسطة شيوخها وزعمائها المحليين الذين أصبحوا بحكم العادة والعرف يتوارثون حكمها معتمدين في ذلك إما على نفوذهم الديني أو كفاءتهم الحربية، وقد غلب على هذه العائلات أحيانا الطابع الحربي، وأحيانا أخرى اعتمدت في فرض زعامتها على أصولها العرقية، لذا تعاملت السلطة العثمانية مع هذه القبائل من خلال زعمائها لأن الزعيم كان يمثل بالنسبة لها الرمز الذي يؤمن به أفراد القبيلة فاحترام هذا الرمز والعمل على كسبه بكل الوسائل يعني ضمان ولاء أفراد القبيلة كلها<sup>3</sup>.

ومن القبائل التي ينطبق عليها هذا القول في بايلك التيطري نذكر قبيلة بني عبيد، ودواير القاطنة في منطقة البرواقية، حيث كانت الأولى مكونة من قداماء العبيد<sup>4</sup> والزواج الذين تم تحريرهم وتتكون الثانية من خيالة بلاد القبائل الذين لم يريدوا البقاء كرعايا فقاموا بتشكيل تجمع حول نواة عثمانية، كانوا يقيمون في شكل عائلات عسكرية، حيث كانت السلطة العثمانية توفر لهم الأسلحة، وكانوا يتلقون البذور لأراضيهم والعلف لخيولهم مع

<sup>1</sup> -Guin, « Notes Sur le Bey... », op.cit, p293.

<sup>2</sup> -Rinn (L), « Le Royaume.... », op.cit, p128.

<sup>3</sup> -دوبالي خديجة، العلاقات الاجتماعية بين الرعية .....، المرجع السابق، ص 13.

<sup>4</sup> -يصف "ابن عودة المزاري" هذه الفئة بقوله: "وأما العبيد الغرابة فإنهم عرش ملنقط كالزماله، ويطلق لفظ العبيد على الشراقة والغرابة والزماله دون الدواير، وكان الغرابة والشراقة في الأصل دوار واحد، فالسماط الغربي يقال له الغرابة والشرقي يقال له الشراقة ورئاسة الغرابة منحصرة في ثمانية وهم الوردية والعلايمية، والخذايمة والوناوية والسمامية والمحاصيد والرفافسة والعوايلية". ينظر: ابن عودة المزاري، طلوع سعد .....، المصدر السابق، ص 337.

إعفائهم من دفع الضرائب<sup>1</sup>، هذا بغض النظر عما كانوا ينتفعون به من غنائم التي يحصلون عليها أثناء مشاركتهم في الحملات العسكرية التي يشنها البايات مرفقين بقواتهم التركية من أجل بسط نفوذها على الرعية سواء كان ذلك من أجل جمع الضرائب أو معاقبة بعض القبائل العاصية والمتمردة، إذ كان العثمانيون يدعمون قواتهم العسكرية بفرسان القبائل المخزنية، والتي كان يطلق عليها اسم "القوم"، في حين أطلق على القوات التركية مصطلح العسكر.

ومن القبائل التي كان لها موقف إيجابي من السلطة المركزية هي قبيلة أولاد سيدي عبد الله، وقبيلة الدواير<sup>2</sup> التي تقع شرق قبيلة عبيد، وتسكن وادي زغوان وقبيلة العبيد التي تقع في الحدود<sup>3</sup> الجنوبية العرش حسن بن علي<sup>4</sup> التي كانت تساهم عند الحاجة بـ: 1200 محاربا، فاعتماد السلطة المركزية على هذه القوات المخزنية كان بسبب معرفتها الجيدة بدروب وممرات البايك خاصة تلك التي كانت موجودة بين الجبال فاستغلت بذلك تلك المعرفة وسخرتها لصالحها.

وعليه يمكن القول بأن موقف قبائل بايلك التيطري من السلطة العثمانية كان قائم على المصلحة المتبادلة، فكل طرف حاول استغلال الآخر بالطريقة التي كان يري فيها دوام وجوده، مما أثر سلبا على نظرة الرعية في الأوطان للحكم المركزي، كما أن هذا النوع من العلاقة جعلت من واقع الصلة بين قبائل المخزن والرعية علاقة دافع المطالب بمستلمها<sup>5</sup>، لهذا كان من الضروري أن يتعامل البايات مع هذه القبائل بكل لين وكرم، وذلك لما كانت تمثله من استتاب للأمن على كل مناطق البايك، غير أن بعض الحكام الذين

(1) - محفوظ قداش، الجزائر في العهد العثماني.....، المرجع السابق، ص 164.

(2) - دوالي خديجة، العلاقات الاجتماعية بين الرعية .....، المرجع السابق، ص 15.

(3) - لمعرفة الحدود الجغرافية التي وضعتها السلطة المركزية لهذا البايك راجع الملحق رقم (19)، ص 404.

(4) - فايزة بوشيبة، بايلك التيطري.....، المرجع السابق، ص 24.

(5) - دوالي خديجة، العلاقات الاجتماعية بين الرعية .....، المرجع السابق، ص 15.

حكموا البايك عملوا عكس ذلك لأنهم لم يستطيعوا تفهم طبيعة البنية الاجتماعية التي كان يتميز بها المجتمع ببايلك التيطري، لذا كان موقفهم عدائي من سلطة البايك، في حين نجد بعض البايات عرفوا كيف يتعاملوا مع ذوي النفوذ والتأثير والمكانة من الأعيان والشيوخ، وبالتالي استمالة وكسب ود الرعية<sup>1</sup>.

<sup>(1)</sup> - دوالي خديجة، العلاقات الاجتماعية بين الرعية .....، المرجع السابق، ص 14.



## 2-2 - انفصال بعض القبائل عن سلطة البايك:

ظلت القبائل الجنوبية في بايلك التيطري تابعة لسلطة البايك منذ تأسيسه سنة 1548م، غير أن السلطة المركزية خشيت من النفوذ الذي يمكن أن يملكه بايات التيطري بهذا العدد الهائل من القبائل الشيء الذي قد يدفعهم أو يشجعهم على التمرد ضد السلطة المركزية، لذا لجأت إلى إستراتيجية تفيد بفصل كثير منها وجعلها قبائل عزل تتبع مباشرة لخوجة الخيل، وهو من الموظفين السامين في مقر الحكم والمسئول المباشر على الأملاك العقارية للأيالة نذكر من هذه القبائل<sup>1</sup>.

## أ - استقلال قيادة أولاد مختار:

يعتبر قايد أولاد مختار رغم مساهمته هو وفرسانه إلى جانب الباي في المحلات إلا أنه عزل وأصبح مستقلا عن سلطة الباي ومرتبطا مباشرة بالحكومة المركزية، وذلك بسبب انتماء القبيلة إلى المرابطية والصالح لذا حرص الحكم المركزي على التقرب لها وذلك بإعطائها نسبة من الاستقلالية والنفوذ حتى تستفيد منها في التأثير على القبائل المحاربة، وجرها للخضوع للسلطة المركزية، ويعتبر قائد أولاد مختار من أبرز قواد البايك إذ هو مثل شيوخ القفطان، يتمتع بسلطة تضاهي سلطة الباي في بعض الأحيان<sup>2</sup>.

(1) - محمد سي يوسف، من خصائص .....، المرجع السابق، ص 273.

(2) - محمد الحبيب العزيمي، ظاهرة الحكم المتجول.....، المرجع السابق، ص 98 - 99.

### ب - استقلال قبيلة بني سليمان:

كانت قبيلة بني سليمان، في قياد الديرة تابعة لآغا العرب، الذي أضاف إلى رعاياه قبائل عديدة من أولاد نايل<sup>1</sup>، بعد تمرد لها استلزم تدخل السلطة العثمانية عسكريا تارة، وسياسيا تارة أخرى، فاقتطعت تلك القبائل من باي التيطري، لتصبح رعية له، ولإحكام السيطرة على تلك القبائل تم تعيين قائد من أفرادها، يقوم بالذهاب لمقر الحكم المركزي مرتين في السنة محملا بالمحصول والضرائب المفروضة على القبيلة<sup>2</sup>، كما كُلف بمراقبة القبائل سياسيا، إلى جانب تلك القبائل كانت هناك أخرى لم يستقر وضعها الإداري، بحيث كانت تتبع تارة لبايك وهران أي الغرب وتارة أخرى لبايك التيطري، حيث أنها كانت تقطن في قصور الأغواط وتاجمونت وغيرها<sup>3</sup>.

### ج - استقلال قبائل الديرة:

كانت منطقة قبائل ديرة تخضع لتسيير خاص أو حكم إداري محلي مستقل، أي تسييرها كان رمزيا وحسب ما جرت عليه العادة أن أحد مقربي الباي هو الذي يتراأس ويتحكم في تسيير هذه القبائل عند خروج الفرق العسكرية، فهي قبيلة مخزنية متمركزة حول جبل الديرة القريب من وطن مقر الحكم المركزي، وبذلك تمكن الحكام العثمانيين من إفتكاك أراضي قبائل أولاد هديم والتي ألحقت ملكيتها لببيت المال التابع لخزينة الداوي.

<sup>(1)</sup> - ينتسب أولاد سيدي نايل إلى محمد بن عبد الله الخرشفي الملقب بنابل، ينتهي نسبه إلى الأشراف الأدارسة، سافر إلى العديد من المناطق وارتحل إلى المغرب الأقصى، ثم استقر بصحراء المسيلة ومنه إنتشر أبناؤه إلى باقي المناطق وأخذ سيدي نايل الخيمة الحمراء رمزا لخيمته، وأسس زاوية لتعليم القرآن، أما عن وفاته فقد ذكرت أغلب الروايات أنه عاش ما يقارب 90 سنة، دفن في مقبرة الصبان بضاية وادي اللحم بمنطقة تحمل اسمه اليوم تعرف ب حمادة سيدي نايل بصحراء سيدي عيسى. للمزيد ينظر: براهيم محمد الشيخ، " نماذج من مقاومات أولاد نايل للتوسع الفرنسي في الهضاب الوسطى (1849-1854م)، مجلة قضايا تاريخية، ع9، جوان 2018، ص ص 148-149.

<sup>(2)</sup> - Federmann (H), « Notices Sur L'histoire..... », op. cit, p284.

<sup>(3)</sup> - عمر حرفوش، الإدارة الجزائرية في العهد العثماني "الإدارة المركزية نموذجا"، مذكرة ماجستير، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة الجزائر، 2008-2009، ص 39.

أصبح كل رؤساء عائلات هذه القبيلة مسجلون في سجلات فرسان المخزن يحصلون من مقر الحكم المركزي على الحصان والسلاح كلما طالبوا ذلك، وبذلك لم تعد لإدارة بايلك التيطري أي سلطة على هذه القبائل سوى علاقة جبائية بسبب التبعية المزدوجة لهذه القبائل إزاء باي التيطري وإزاء ديوان الحكم المركزي، وقد حدث أن هذه القبيلة دخلت في صراع لمدة طويلة ضد قبائل العريب وبني سليمان المجاورة لها من أجل السيطرة على أراضي وادي الجنان فلما وصل الأمر إلى الاحتكام أمام ديوان الحكم المركزي، لم يفصل بينهما بل ترك الصراع يستمر بين الطرفين لإضعاف نفوذهما<sup>1</sup>.

#### هـ - استقلال قبائل أولاد نايل الجنوب:

يعتبر "الباي عثمان"<sup>2</sup> ضحية الحملة التي قادها ضد أولاد سيد أحمد أحد فروع أولاد نايل إذ ألقى عليه القبض وقتل، أما "الباي صوفتا"<sup>3</sup> ففي عهده ثارت قبائل أولاد نايل من جديد، وكانت أراضيها تمتد بين مسيلة وبوسعادة الأغواط والجلفة، وقد تمكنت من إلحاق الهزيمة بالباي وقتله، وقد يكون هذين المثالين المتعلقين بفترة ما قبل 1775م خير دليل على الوضع الداخلي الذي كان يعيشه بايلك التيطري، مما أضطر الحكام على المستوى المركزي لتثبيت عاصمة البايك بصفة نهائية في مدينة المدية بعد أن كان البايات يتنقلون بين برج سباو والمدية فاشتعلت المنطقة بالثورات من جهة قبائل سباو، وقبائل الجنوب مما أضطر الحكومة المركزية التدخل وعملت على إعفاء قبائل سباو التي تضم قبائل يسر الخشنة من سلطة بايلك التيطري وأصبحت قيادتها تابعة فعليا للسلطة المركزية<sup>4</sup>.

<sup>1</sup> - Federmann (H), « Notices Sur L'Histoire..... », op. cit, p 290.

<sup>2</sup> - تولي الباي "عثمان" حكم بايلك التيطري سنة 1734م، أما عن الفترة التي سبقت حكم هذا الباي فتبدوا غامضة جدا ولا يعرف عن البايات إلا أسمائهم. ينظر: عائشة غطاس وأخريات، الدولة الجزائرية الحديثة .....، المرجع السابق، ص 191.

<sup>3</sup> - آخر البايات الذين أقاموا ببرج سباو والمدية. ينظر عائشة غطاس وأخريات، الدولة الجزائرية الحديثة .....، المرجع السابق، ص 191.

<sup>4</sup> - عائشة غطاس وأخريات، الدولة الجزائرية الحديثة .....، المرجع السابق، ص 191.

من هنا فقد شكل بايلك التيطري واحد وعشرين وطنا<sup>1</sup>، بعضها كان تحت سلطة آغوات المخزن، والبعض الآخر تحت سلطة موظفين آخرين، تحصلوا على إدارتها عن طريق الإقطاع، لتكون مصدرا لمعاشهم<sup>2</sup>، هكذا بقي التقسيم الإداري يخضع لنفس القوانين والأعراف إلى أواخر الوجود العثماني بالبايلك، حيث تم اقتطاع الجزء الشمالي والشرقي لبايلك التيطري لتشكيل قيادة "سباو"، ونظرا لحجم تلك القيادة فإنها اعتبرت شبه بايلك أو مقاطعة خامسة، كما اقتطعت منه أيضا منطقة "وطن حمزة" في سنة 1820م لتضم إلى إدارة السلطة المركزية<sup>3</sup>.

(<sup>1</sup>)- أي وحدة إدارية ممثلة في قبيلة أو عدة قبائل. ينظر:

Kaddache(M), L'Algérie durant La Période Ottomane, Alger, pub Office des Publications Universitaires, 2003, p136.

<sup>2</sup>- Kaddache(M), L'Algérie durant....., op. cit, p136.

(<sup>3</sup>)- عمر حرفوش، الإدارة الجزائرية في العهد.....، المرجع السابق، ص ص 39 40.

### 3 - علاقة علماء وفقهاء البايك بالسلطة المركزية:

قبل تعرضنا لطبيعة العلاقة التي كانت قائمة بين الحكام العثمانيون وعلماء بايلك التيطري نود أن نشير إلى أن المعلومات والكتابات التاريخية التي تعرض وتوضح لنا هذه العلاقة هي شحيحة جدا لا تشفي غليل القارئ عكس ما وجود لدى بايلك الشرق أو الغرب، لكن هذا لا يمنعنا بكل تأكيد من المحاولة للإشارة إلى طبيعة هذه العلاقة الثقافية حتى نتمكن من سد ثغرات هذا الموضوع، لذا حاولنا جمع بعض الإشارات حول الإفتاء والقضاء الخاصة بالبايلك أواخر الوجود العثماني، لتمكنا من إعطاء فكرة ولو بسيطة عن علاقة علماء البايك بالسلطة وأين كان الأمر فقد لعب العلماء والمتفقون دورا بارزا طيلة الوجود العثماني بالبايلك لهذا كان على السلطة المركزية انتهاج سياسة خاصة تضمن لها ولاءهم في السيطرة على البايك، لأن الحكام العثمانيون كانوا يدركون جيدا مدى قوة وتأثير العلماء والزوايا على الرعية أمثال زاوية سيدي عنان، وزاوية سيدي حمادة والوازنة.

سعت السلطة المركزية إلى جعل علماء وفقهاء البايك موالين لها أي بمثابة حلقة وصل بينها وبين الرعية خاصة على مستوى الأوطان حيث يصعب على السلطة اختراقه، كانت تتدخل في تعيين الفقهاء والمفتيين، وتمكينهم من بسط سلطتهم في البايك<sup>1</sup>، ومن أهم المفتيين الذين حظوا بمكانة خاصة من طرف السلطة المركزية وتم تعيينه في بايلك التيطري نجد "أبو القاسم الغربي" الذي عين سنة 1759م، كما تم تولية الشيخ "الحاج أحمد بن محمد" سنة 1822م، وبعد ثلاث سنوات قامت السلطة المركزية بتعيين مفتي آخر عوض عنه يدعى "أبو القاسم"<sup>2</sup> أيضا سنة 1825م غير المفتي السابق الذكر، وفي سنة 1829م تم تعيين مفتي لبايك التيطري هو الشيخ "محمد البصري"، أما المفتي الأخير

(1) - دوالي خديجة، "العلاقات الإجتماعية....."، المرجع السابق، ص 11.

(2) - يشير أبو القاسم سعد الله معلقا على هذا المفتي بقوله والغريب أننا لا نجد مع هذا الاسم لقباً أو نسبة. ينظر: أبو القاسم سعد الله، "دفتر محكمة المدينة....."، المرجع السابق، ص 143.

حسب الوثيقة التي أستاذ عليها الدكتور "أبو القاسم سعد الله" كان الشيخ "الهواري بن أحمد" البزاغتي بعد الاحتلال الفرنسي سنة 1836م<sup>1</sup>.

من خلال هذه المعطيات نستنتج أن منصب المفتي في بايلك التيطري كان يعرف تغيرا سريعا من طرف الحكم المركزي فخلال سنوات قليلة يتم تعيين عددا كبيرا من المفتين، وتتم عملية تعيينهم من طرف الحكم المركزي وذلك بإصدار فرمانات التي كان بموجبها يمتلك الصلاحيات على المنطقة التي عين فيها من أجل حل مشاكل الرعية غير أن هذه العلاقة لم تكن دوما على أحسنها بين السلطة والعلماء فقد شهد بايلك التيطري موجة من الغضب والتذمر بين أوساط هذه الفئة مما أدى إلى اتساع الهوة بين الطرفين<sup>2</sup>.

إذا كان الأمر يبدو غامضا وغير دقيق حول تعيين المفتين بالبايلك فقد اختلف الأمر بالنسبة للقضاة، والجدير بالذكر أن أول القضاة تشير إليه الوثائق هو "الحاج أحمد بن محمد ابن الحاج سلامة" والذي تم تعيينه من قبل السلطة سنة 1823م، والجدير بالملاحظة أن هذا القاضي تكررت توليته للقضاء في سنة 1826م وسنة 1832م، مما يعني أنه كان مقرب للسلطة المركزية أو محبب من قبل الرعية<sup>3</sup>.

بعد سقوط مدينة الجزائر سنة 1830م تم تعيين الشيخ "محمد بن أحمد البصري" مفتي على البايك وكان مقربا "من الأمير عبد القادر"، وفي سنة 1831م نلاحظ تم تعيين الشيخ "الصحراوي"، الذي تولي الإفتاء في ظروف حرجة ذلك أن الاحتلال قد وقع لمقر الحكم المركزي، وبدأ الضغط على بايلك التيطري، وهنا يمكن طرح التساؤل التالي هل كان تولية هذا المفتي من طرف الفرنسيين أم من طرف "الأمير عبد القادر"؟<sup>4</sup>.

(1) - أبو القاسم سعد الله، " دفتر محكمة المدية ....."، المرجع السابق، ص ص 143-144.

(2) - دوالي خديجة، " العلاقات الإجتماعية....."، المرجع السابق، ص ص 11-12.

(3) - أبو القاسم سعد الله، " دفتر محكمة المدية....."، المرجع السابق، ص 144.

(4) - أبو القاسم سعد الله، " دفتر محكمة المدية....."، المرجع السابق، ص 145.

وعموما نستطيع القول أن علاقة علماء وفقهاء البايك مع السلطة المركزية كانت مبنية على المصالح المشتركة فنجد بعض الحكام قد حرصوا على تقريبهم من هذه الفئة العلمية بمنحهم امتيازات خاصة وتقدير لكسب ثقتهم وضمان مساندتهم لهم، بينما وجد حكام آخرون قد أساءوا للمتقنين والعلماء مما انعكس سلبا على السلطة العثمانية<sup>1</sup>.

<sup>(1)</sup> - دوالي خديجة، " العلاقات الاجتماعية...."، المرجع السابق، ص 12.

## ثانيا: العلاقة السياسية والعسكرية بين البايك والسلطة المركزية

### 1- الاتصالات الإدارية والسياسية بين السلطة المركزية وبايلك التيطري

#### 1-1 حضور السلطة المركزية ببايك التيطري:

جرى تنظيم بايلك التيطري تحت حكم "حسن باشا" ابن "خير الدين" إلى غاية 1770م، وقد خضعت قبائل وادي سيباو ووادي يسر لسلطة باي التيطري الذي كان ينتقل في إقامته بين المدينة وبرج سيباو، كما كانت قبائل بني عيشة وقبائل يسر تدفع مستحقاتها لباي التيطري، وقد تعاقب على حكم بايلك التيطري بين (1548-1775م) حوالي 18 باي<sup>1</sup>، في حين تذكر بعض المصادر أنه تعاقب على حكمه 33 باي<sup>2</sup>.

ومن هنا نستنتج بأن المصادر لا تتفق حول عدد البايات الذين تداولوا على حكم بايلك التيطري منذ تنظيمه الأول سنة 1548م، حتي تقسيمه وإعادة تنظيمه سنة 1775م، ويبدو أنه لم يُعرف كل البايات، إذ نلاحظ حسب القائمة التي قدمها "أوكابيتان" "Aucapitaine" وفيدرمان "Federman" فجوات تصل إلى ما يقارب القرن، فمثلا بين رجب باي 1548م، والباي شعبان 1633م هناك فجوة تصل إلى 85 سنة، ومن هنا فإن المعلومات عن البايات الذين حكموا خلال هذه الفترة غير متوفرة<sup>3</sup>.

تعتبر الفترة مابين تنظيم البايك 1548م، وإعادة تنظيمه في 1775م غامضة، إذ لا نعرف عن نشاطات وسياسات البايات الذين حكموا خلالها أي شيء ولا تتضح الأمور نسبيا إلا في عهد الباي "عثمان" الذي حكم ابتداء من سنة 1734م، والباي صوفتا

<sup>(1)</sup> - محفوظ قداش، الجزائر في العهد العثماني.....، المرجع السابق، ص 168.

<sup>(2)</sup> - نذكر على سبيل المثل الدراسة التي قام بنشرها "فرعون" "PHaraon(F)"، في المجلة الإفريقية للإطلاع ينظر: PHaraon(F), "Notes sur Les Tribus de La Subdivision de Medea", **R.Af**, n°1, Alger, 1856, PP, 393-397.

<sup>(3)</sup> - عائشة غطاس وأخريات، الدولة الجزائرية الحديثة .....، المرجع السابق، ص 188.



آخر البايات الذين أقاموا في برج سباو والمدينة، وعليه سيقصر حديثنا في هذا الفصل على ذكر أهم بايات التيطري الذين تحدثت عنهم الوثائق<sup>1</sup>.

عينت السلطة المركزية على رأس إدارة بايلك التيطري حاكم برتبة باي، بعد دفعه لثمن وظيفته، والمقدرة بـ: 60000 بوجو بلدي، وهدايا قيمة مماثلة وأخرى للموظفين الساميين، وإذا كان تسييره مرضيا، وكانت علاقته بالداي أو بحاشيته جيدة وحسنة، فإنه يمكنه تجديد عهده، وقد أعتبر أكثر الشخصيات شرفا في البايك، من مهامه الأساسية التكفل بالقضاء كل يوم جمعة في حوشه الذي كان يبعد بعض الكيلومترات عن مقر الحكم<sup>2</sup>، كان للباي المعين من طرف السلطة المركزية خليفة يساعد في مهامه يقوم بنفسه اختياره واقتراحه على السلطة المركزية، ويدفع 24000 بوديو وسبعة أحصنة وثمانين جرة سمن ثمن وظيفته<sup>3</sup>.

كانت سلطة باي التيطري تتوقف عند مدينة المدينة عاصمة البايك التي كان يديرها حاكم خاص يعين مباشرة من مقر الحكم المركزي، وكان في الغالب يكون من الأتراك العثمانيين، والجدير بالملاحظة أنّ حاكم بايلك التيطري كان له وضع خاص نظرا لسلطته المطلقة على المدينة فقط واستقلاله عن الباي<sup>4</sup>.

من هنا فإن سلطة باي التيطري لم تكن مطلقة كما هو الحال بالنسبة للبايلكان الآخرين في وهران وقسنطينة رغم امتلاكه لكافة المظاهر الشكلية التي يملكها غيره من البايكان، وعليه فإن سلطته الفعلية كانت تقل عن سلطة آغا العرب في مقر الحكم

(1) - عائشة غطاس وأخريات، الدولة الجزائرية الحديثة .....، المرجع السابق، ص 191.

(2) - محفوظ قداش، الجزائر في العهد العثماني.....، المرجع السابق، ص 163.

(3) - فايزة بوشيبة، المرجع السابق، ص 49.

(4) - محفوظ قداش، الجزائر في العهد العثماني.....، المرجع السابق، ص 163.

المركزي، كما أن عدم منح حاكمي مدينتي المدية ومليانة لسلطة مطلقة زاد في إضعافهما أمام البايكين الآخرين<sup>1</sup>.

لقرب بايلك التيطري من مقر الحكم المركزي فإنه كان يخضع مباشرة لسلطة الداي، ويتبع آل موزاية مهد الصبايحية مباشرة آغا السلطة المركزية، وفي الغرب يتبع بنو عنتر وبنو غريب خليفة غرق، وفي الشرق ألحق وطن حمزة ابتداء من 1820م بمقر السلطة المركزية<sup>2</sup>.

أصبحت إدارة بايلك التيطري أنموذجا متكاملا عن تفرغ جهاز المحلة تفرغا تاما لحكم أرياف وتلول وصحاري البايك الأوسط، بطريقة متجولة وغير مستقرة، إذ هو المخزن الوحيد الذي لا يعتمد على قاعدة حضرية ثابتة، وتبرز لنا دراسة محلة التيطري أن نظام السلطة العثمانية المتبعة لم تكن متعارضة مع الأوضاع المحلية الموروثة وأن الأتراك لم يسعوا إلى فرض نظمهم المجلوبة من الشرق على بايلك التيطري، بقدر ما هم سعوا إلى تطويع الموروث الإداري والسياسي الموجود على أرض الواقع لصالحهم، وأن تأسيس بايلك التيطري كان قد جاء لاحقا وتباعا لتأسيس الحكم المركزي، أي بعدما كسب الأتراك العثمانيين خبرة وتمرسا في فهم مقتضيات الشأن المحلي، ومن خصوصيات هذا البايك هو توازي وتعدد مراجع النظر داخل مقاطعاته وتجزؤ السلطة فيه.

يعود حضور السلطة المركزية في بايلك التيطري أو بايلك الجنوب، إلى العهد الأول من الوجود العثماني بالجزائر<sup>3</sup>، فهو سابق لحضورها في بايلك الشرق أو بايلك الغرب، ويبدو أن الرغبة في الفصل بين مقاطعات الإيالة، شرقها وغربها، هي التي كانت وراء تأسيس بايلك الوسط، فالأتراك العثمانيون الذين استقروا بدار السلطان قاموا بتنظيم إدارة

<sup>1</sup> - Rinn (L), « Le Royaume d'Alger ..... », op. cit, p133.

<sup>2</sup> - محفوظ قداش، الجزائر في العهد العثماني.....، المرجع السابق، ص 161.

<sup>3</sup> - Federmann (H), « Notices Sur L'Histoire..... », op. cit, pp 280-302.

الفحوص المحيطة بها، وذلك بعد اختبارهم للنظم والإستراتيجيات التي مكنتهم من بناء جبهة أولى حول مقر الحكم المركزي، قادرة على التصدي للقبائل الرحل، وعلى تأمين السبل الموصلة إليها، وقد حفزهم نجاحهم الأول في تأسيس مقر الحكم المركزي على مواصلة توسيع دائرة حكمهم إلى اتجاه الجنوب نحو بايلك التيطري<sup>1</sup>.

إذا عدنا إلى مهام حاكم البايك فهي تركز على تسيير المدينة إداريا، فهو يشرف على مراقبة الرعية ويترأس الأسواق العامة التي تعقد كل يوم جمعة، والتي تمثل أهمية اجتماعية واقتصادية كونها تعتبر جمعية عامة للسكان الوافدين من القبائل الأخرى، وهو يشرف أيضا على دخول الضرائب الشرعية المتمثلة في العشور من القمح والشعير من الأعراس المحيطة بمدينة عاصمة البايك إلى مخزن قسبة المدينة<sup>2</sup>، لذا نجد السلطة المركزية تختار بدقة متناهية حكام المقاطعة الجنوبية لدرجة أن بايلك التيطري لا يعينهم الباي كما هو الحال في الأقاليم الأخرى، وهذا بسبب قرب المنطقة من مركز الحكم، وعليه يختار لهذه المهمة أناس يتمتعون بثقة السلطة المركزية في العاصمة<sup>3</sup>.

قام الحكام عند تأسيسهم لبايك التيطري باستخدام شبكة من التحالفات والولاءات تضمن استقرارهم فيها، والتي تمتد أطرافها في أوطان النل من جهة، وفي واحات الجنوب من جهة أخرى، وعرفوا كيف يسخروها لفائدة بناء جبهة ثانية، متقدمة ومتوغلة في صلب المجالات القبلية وفي وسط الإيالة، بنيت هذه الجبهة الجديدة في البداية بالاعتماد على قبائل التيطري ما بين 1548 و 1551 م، وهي الفترة التي استغرقتها مفاوضات التأسيس بين السلطة المركزية والسلطات المحلية الفاعلة في الإقليم فتكونت عندئذ جبهة ثانية متاخمة لمقر الحكم المركزي، وقادرة على تنظيم المراعي واحتكار توزيع الحبوب، ومراقبة

(1) - محمد الحبيب العزيمي، ظاهرة الحكم المتجول.....، المرجع السابق، ص 80.

(2) - فايزة بوشيبة، المرجع السابق، ص 49.

(3) - محمد سي يوسف، " من خصائص النظام الإداري....."، المرجع السابق، ص 271.

القوافل التجارية التي تخرج سنويا من واحة الأغواط إلى مقر الحكم المركزي، متخذة نفس طريق القبائل المنتجة بين الصحراء والتل الأطلسي<sup>1</sup>.

والجدير بالملاحظة فإن إدارة البايك كانت تستند على نظاما عسكريا صلب يشكل فريق من خمسة عشر إلى عشرين مكاحلي ينحدرون من مخزن بني عبيد يشكلون الحرس الشخصي للباي، وفريق آخر من 120 إلى 130 زينطوط<sup>2</sup>، واحتياطي من 200 إلى 400 رجل يشكلون وحدة عملياتية للاستعلامات الخاصة بالبايلك، وهم خيالة يجندون من بين رجال القبائل للحالات العرضية، وكانوا يتلقون أجرهم على مدة نشاطهم لاغير، كما نجد النوبا الذين كانوا متمركزين في المدينة وسور الغزلان وبوغاري<sup>3</sup>.

ما تجدر الإشارة إليه أن هذا البايك بالرغم من عراقته وإرتباطه بمركز السلطة بدار السلطان، كان من الناحية الجبائية، الأقل وزنا مقارنة مع بايلك وهران أو قسنطينة، ونرجع هذا الوضع إلى الأسباب التالية:

أولا: الشعب الإداري الذي يميز البايك، وتداخل مجاله في جزئه الشمالي مع مقر الحكم المركزي، وفي جزئه الجنوبي مع رعية خوجة الخيل<sup>4</sup>.

ثانيا: انقسام البايك إلى أوطان وقايدات، كان القياد في الغالب يقطنون في المدينة، ولم يكونوا يذهبون إلى القبائل إلا لإحصاء الأراضي وهي أساس القاعدة الضريبية لتحصيل الجباية، كان يشرف على إدارة القبائل الشيوخ المعتادون المنحدرين من عائلات غنية أو محاربة أو متدينة، وكان الشيخ في الوقت ذاته خليفة للقايد العثماني، كانت جماعة القبيلة تستشار دائما خاصة فيما يتعلق بتوزيع المهام والمسؤوليات في الحياة الجماعية.

(1) - محمد الحبيب العيزي، ظاهرة الحكم المتجول.....، المرجع السابق، ص 81.

(2) - وهم الجند العزاب الغير متزوجون كما بينا في الفصل السابق.

(3) - محفوظ قداش، الجزائر في العهد العثماني.....، المرجع السابق، ص 164.

(4) - أحمد الشريف الزهار، مذكرات.....، المصدر السابق، ص 49.

كما سبق وإن أسلفنا فإن إدارة باي التيطري كانت تخضع مباشرة للسلطة المركزية تحت إشراف الداوي والديوان، وتحت مراقبة حاكم المدينة، كان الباوي يستعمل في علاقاته مع السلطة المركزية ثلاث أشخاص مكلفين بالاتصالات المكتوبة والشفوية مع الداوي، وكانوا يختارون من بين رجال المخزن، بعد دفعهم لثمن وظيفتهم مبلغ يقدر بـ: 20000 بوديو، وكان رئيسهم باش سيار، يختار من بين قدماء الأغوات<sup>1</sup>، كان شخصية مهمة، يتلقى بمناسبة تنصيب كل موظف جديد العديد من المكافآت<sup>2</sup>، كما كان على رأس هذا البايلك حاكم عثماني يعين من مقر الحكم المركزي لأن السلطة المركزية كانت دائمة الحذر من سلطة باي التيطري والمدينة، الذي تمتد سلطته إلى ضواحي المدينة، وما بقي قسم إلى تل أعلى وتل أسفل أو تل جنوبي<sup>3</sup>، وتأكد بعض الكتابات أن السلطة المركزية عينت على رأس هذا البايلك بين 1516م و1775م حوالي 18 باي نذكر منهم:

-الباي رجب 1548م

-الباي شعبان 1633م

-الباي فرحات 1663م

-الباي عصمان 1763م

-الباي سفطة 1775م<sup>4</sup>.

<sup>(1)</sup> - كان يطلق هذا اللفظ على آغاوات في الداخل في قسم الحريم من القصر السلطاني وهو جمع آغا، ويمكن جمعه على آغايا وهو يعني في مختلف اللهجات التركية مع اختلاف في النطق كبير الأسرة والأخ الكبير....الخ، ويطلق على العاملين في الإشراف على بعض أقسام القصر، كما يطلق بشكل عام على منسوبي القصر والجيش. ينظر: سهيل صابان، المعجم الموسوعي.....، المرجع السابق، ص 19.

<sup>(2)</sup> - محفوظ قداش، الجزائر في العهد العثماني.....، المرجع السابق، ص 165.

<sup>(3)</sup> - عبد الرحمان الجيلالي، تاريخ المدن الثلاث.....، المرجع السابق، ص 321.

<sup>(4)</sup> - المرجع نفسه، ص 319.

كان هؤلاء البايات بمثابة وكلاء يتلقون مراسلات السلطة المركزية ويسلمونها للداي الذي يطلعونه كذلك على شؤون البايك، ومن جهة أخرى كانوا يطلعون الباي على القضايا المطروحة في البايك والإجراءات المتخذة<sup>1</sup>.

يعتبر الباي "عثمان" من أشهر بايات البايك تعود شهرته إلى سنة 1763م، حيث أنشأ عند بني حسن بن علي مخزنا كبيرا، أصبح يسمى لاحقا حوش عثمان، كانت تودع فيه كل المؤونة الخاصة بالمحلات، ومن هذا المركز كانت تتطلق جميع الحملات ضد قبائل الجنوب المتمردة، وقد هلك "عثمان"، وخليفته صوفتا في إحدى المواجهات مع أولاد نايل الأولى 1766م والثاني 1772م<sup>2</sup>.

بعد إعادة تنظيم بايلك التيطري كان الباي "مصطفى سليمان" الوزناجي أول البايات الذين أقاموا بصفة دائمة في المدينة، وقد أختير بعناية من طرف الداي نظرا للإضطرابات الشائعة وتطاول الرعية على الحكام العثمانيين ورفضهم لدفع الضرائب، حيث تم تعيينه عام 1775م، ودام حكمه 19 سنة تمكن خلالها من فرض سلطة الإدارة المركزية على هذا البايك<sup>3</sup>.

كان الباي "مصطفى سليمان" أول من اتخذ من المدينة قاعدة لحكمه، وأعطى لمحلة التيطري وللفرق المكونة لها تنظيما نهائيا<sup>4</sup>، وكانت الفرق التي هبت مع الباي متكونة من 10.000 محاربا ينتمون كلهم إلى القوى المحلية القارة في البايك، ويبدو أنه منذ هذه السنة كان ديوان الإدارة المركزية قد قبل بإقرار باي التيطري في المدينة والسماح له بتأسيس قاعدة نهائية لحكمه فيها، فالمجال الإداري التابع لبايك التيطري قد أصبح منذ هذا التاريخ

<sup>(1)</sup> - محفوظ قداش، الجزائر في العهد العثماني.....، المرجع السابق، ص 165.

<sup>(2)</sup> - المرجع نفسه، ص 169.

<sup>(3)</sup> - عائشة غطاس وأخريات، الدولة الجزائرية الحديثة.....، المرجع السابق، ص 192.

<sup>(4)</sup> - Federmann (H), « Notices Sur L'Histoire..... », op. cit, p284.

متمركزا ومترابيا ومستقرا، ولا نعلم الأسباب التي جعلت مركز بايلك التيطري قبل عهد "الباي الوزناجي" يتأرجح حسب الظروف بين برج سباو وضواحي المدينة طوال هذه المدة<sup>1</sup>. أدت إخفاقات البايات العسكرية المتعددة بالسلطة المركزية سنة 1775م إلى ضم قبائل سيباو وقبائل الخشنة إلى سلطتها، ونقل مقر بايلك التيطري إلى المدينة التي كانت تتربع على موقعا إستراتيجيا يستطيع الجيش الانطلاق منه والوصول بسهولة إلى المناطق المتمردة<sup>2</sup>.

كما أعاد هذا الباي تنظيم مخزن التيطري باعتبارهما القوة التي يحتاجها لتثبيت سلطته وزاد من عدد جنوده العاديين، واتخذ من البرواقية قاعدة عسكرية لعملياته ضد قبائل الجنوب نظرا لموقعها الإستراتيجي الهام، وذلك عوضا عن حوض عثمان الواقع في الشمال والبعيد عن منطقة العمليات، وقد أعتمد تجاه السكان المحليين سياسة مكنته من إعادة نفوذ السلطة، إذ عمل على كسب ثقة الأجواد والتقرب منهم بمنحهم الهدايا، وفي المقابل مساعدتهم له في حملاته ضد القبائل الثائرة كأولاد سيد أحمد وأولاد عامر، ثم كل فروع أولاد نايل، وصادفت فترة حكمه هجوم أوريلي على الجزائر، فكانت مساهمته بمعية عشرة آلاف جندي معتبرة حيث أبلوا بلاء حسن<sup>3</sup>، ثم عين "الوزناجي" باي على قسنطينة سنة 1794م<sup>4</sup> وقتل صالح باي قسنطينة وتولى مكانه بعد أن حقق استقرار نسبيا في بايلك التيطري فذهب مع وكيل الخرج "علي".

(1) - محمد الحبيب العيزي، ظاهرة الحكم .....، المرجع السابق، ص 83.

(2) - محفوظ قداش، الجزائر في العهد العثماني.....، المرجع السابق، ص 169.

(3) - عائشة غطاس وأخريات، الدولة الجزائرية الحديثة .....، المرجع السابق، ص 192.

(4) - محفوظ قداش، الجزائر في العهد العثماني.....، المرجع السابق، ص 169.

في إطار إستراتيجية السلطة المركزية فقد تم تعيين "محمد فريرة" المدعو بالذباح<sup>1</sup> باي جديدا لبايك التيطري<sup>2</sup>، من 1794 إلى 1799م، وأشتهر بحملاته العقابية للقبائل المجاورة لبلاد القبائل، وضد أولاد نايل وبني موزايا، رغم صعوبة المناطق في الجبال أستطاع القضاء على قبائل بنو موزايا وقطعت رؤوس قادتهم<sup>3</sup>، كما أستطاع بحنكته العسكرية من إخضاع قبائل قشتولة المتمردة والقاطنة في المنطقة الجبلية ومحاصرتها، وبعد تأكيدهم من عدم جدوى محاربة الباي أعلنوا الخضوع والاستسلام للباي المذكور، والشيء نفسه قامت به قبائل بني صدقة وتقديمها لهدايا قيمة للباي.

بعد إخضاع هذه القبائل شن الباي حملة على قبيلة بني بترون إلا أنه في هذه المرة واجه مقاومة شرسة وتشنت قوته العسكرية مما أضطره إلى التراجع بقواته بعد تكبده خسائر كبيرة<sup>4</sup>، من أعمال هذا الباي أنه قام ببناء مسجد الجامع الأحمر في الفترة (1788-1799م)<sup>5</sup>.

بعد مقتل الذباح خلفه الباي "إبراهيم بورصالي" الذي لم يطل بقاؤه في السلطة وعوض بالباي "حسن" في أوضاع مضطربة، حيث أن قبيلة موزاية رفضت دفع الضرائب وقطعها للطريق الرابط بين مقر الحكم المركزي وبايك التيطري، مما استوجب إيقاف هذا التمرد لإعادة اتصال مقر الحكم المركزي بالبايلك.

(1) - ذكرت المجلة الإفريقية أن هذا اللقب أطلق عليه نتيجة المجازر وأعمال القتل الكبيرة التي قام بها في حق قبائل بايلك التيطري، وحسب الروايات الشفوية فإن هذا الباي تمتع بالشجاعة والبسالة فلم يسبق لأي باي أن خاض معارك في أعماق المناطق الجبلية رغم الخسائر الجسيمة التي كانت تلاحقه للمزيد. ينظر:

Guin, « Notes Sur le Bey... », op.cit, pp296-297.

(2) - عائشة غطاس وأخريات، الدولة الجزائرية الحديثة .....، المرجع السابق، ص 192.

(3) - محفوظ قداش، الجزائر في العهد العثماني.....، المرجع السابق، ص 169.

(4) - Guin, « Notes Sur le Bey... », op.cit, p296.

(5) - محفوظ قداش، الجزائر في العهد العثماني.....، المرجع السابق، ص 169.



مع حلول القرن 19م أزداد التوتر بين السلطة المركزية والرعية، ففي عهد الباي "حسن" وقعت ثورة درقاوة بالمنطقة الغربية للجزائر، وقد امتدت قبائل دوي حسين مطماطة جندل وغيرها نحوى المدينة لطرد الأتراك العثمانيين، غير أن الباي تمكن من إجهاضها بمساعدة أهل المخزن، وتم تعيين "محمد المدفعي" الذي لا نملك أي معلومات عن حكمه للأسف، ثم خلفه "إسماعيل باي"<sup>1</sup> ابن أخ "حسن باي"، حيث أن هذا الأخير عمد إلى استئناف القتال ضد أولاد نايل خاصة ضد بني عريب الذين قاموا بقيادة "رابح بن طالب" بمهاجمة قبائل ديرة وبرج سور الغزلان، وبفضل دعم باي وهران "محمد بوكابوس" استطاع "إسماعيل" هزيمة بني عريب وقمع شيوخهم بوحشية<sup>2</sup>، وهذا ما أقلق السلطة المركزية مما جعل الداوي يأمر "الباي بوكابوس" بمعاينة قبائل عريب فصار ضدهم وهزمهم وقتل قائدهم، غير أنه في النهاية انهزم فيها شر هزيمة، كلفه هذا التطاول حياته إذ أرسلت إليه الإدارة المركزية القائد الذي قام بإعدامه<sup>3</sup>.

شن "الباي حسن" سنة 1801م حملة ضد أولاد نايل وساعد الآغا "حاج محمد" في إخماد تمرد قبائل موزايا على الحدود الشمالية للبايلك التي رفضت دفع الضرائب وقطعت الطريق بين مقر الحكم المركزي وبايلك التيطري فحاصرها جيش الآغا من الشمال وجيش البايلك من الجنوب وأجبرت على دفع غرامة الحرب لتمردها<sup>4</sup>.

وفي سنة 1813م عين الباي "جعفر" على رأس بايلك التيطري، وفي عهده استمرت السياسة العثمانية الرامية لتغذية الصراعات القبلية ضمانا لبقاء النفوذ العثماني، ففي قبيلة العمامرة كان صفان يتصارعان حول قيادة الأربعة أحدهما كان يمثل "بن شهرة بن

(1) - عائشة غطاس وأخريات، الدولة الجزائرية الحديثة .....، المرجع السابق، ص ص 192-193.

(2) - محفوظ قداش، الجزائر في العهد العثماني.....، المرجع السابق، ص 170.

(3) - عائشة غطاس وأخريات، الدولة الجزائرية الحديثة .....، المرجع السابق، ص 194.

(4) - فايزة بوشيبية، المرجع السابق، ص 19.

فرحات" الذي كانت له القيادة مع الباي الجديد، و"سليمان بن أحمد صوفا" طائرة<sup>1</sup>، كان للباي "جعفر" 1813م مناوشات عديدة مع الأرباع، وبني الأغواط وأولاد مهدي وبني زناخرة، حيث أرسل حملة ضد أولاد مهدي<sup>2</sup> لكنها كانت فاشلة، وحملة الباي "إبراهيم" سنة 1814م التي وجهت لإخضاع قبائل أولاد نايل والتي لم يكتب لها النجاح هي أيضا<sup>3</sup>.

عين "إبراهيم" صهر "الحاج خليل" مكان الباي المعدم ودام حكمه سنتين قام خلالهما بحملة ضد قبائل أولاد نايل الثائرين بمساعدة قبائل المخزن من عبيد ودواير وحلفائه من أولاد مختار، ثم خلفه في الفترة ما بين 1817-1819م إبراهيم القسنطيني الذي شن حملات متعددة على القبائل الثائرة بالجنوب وقمعها بطريقة دموية، ثم عينت السلطة المركزية الباي "مصطفى" الذي ترك منصبه بعد 6 أشهر من شغله وانعزل في زاوية سيدي محمد بن عيسى<sup>4</sup>، عين مكانه "مصطفى بومرزاق" وهو آخر بايات البايك من 1819 إلى 1830م، وقد أشتهر بحيويته ونشاطه، وكذا خصاله كمسير إداري، فنجح في ذلك رغم بعض إخفاقاته في فرض سلطته على قبائل الجنوب، فهزم أولاد فرج بجنوب بوسعادة، ولم يستطيع الانتصار على أولاد شعيب إلا بمساعدة يحي آغا، وفي سنة 1825م قام "مصطفى بومرزاق" بمهاجمة الأرباع والحرازية، وأعتقل قرابة 120 من رؤسائهم وأرسلهم إلى مقر السلطة المركزية، كما قام بحرق المحاصيل الزراعية بمساعدة 4500 فارس مخزني حيث تمكن من الاستيلاء على 10700 جملا تم بيعها سنة 1826م، كما قام بغزو قبائل أولاد مختار الشراقة<sup>5</sup>، حيث غنم منهم 500 جملا و4000 رأسا<sup>6</sup>.

(1) - عائشة غطاس وأخريات، الدولة الجزائرية الحديثة .....، المرجع السابق، ص 194.

(2) - محفوظ قداش، الجزائر في العهد العثماني.....، المرجع السابق، ص 170.

(3) - فايزة بوشيب، المرجع السابق، ص 19.

(4) - عائشة غطاس وأخريات، الدولة الجزائرية الحديثة .....، المرجع السابق، ص 194.

(5) - محفوظ قداش، الجزائر في العهد العثماني.....، المرجع السابق، ص 170.

(6) - Federmann (H), « Notices Sur L'Histoire..... », op. cit, p 301.

باشر "مصطفى بومزراق" بتوسعة مؤسسات جنان الباي في البرواقية، وقام ببناء مسجد جامع سيدي المزاري، وفي 1830م وصل إلى مقر الحكم المركزي بجيشه وشارك في معركة اسطاوالي<sup>1</sup>، وفي هذا الصدد يذكر "حمدان بن عثمان خوجة" أن مشاركة هذا البايك قد قدرت بحوالي 1000 جندي، وكان ينوي تجنيد 20000 جندي<sup>2</sup>، ولكن سقوط مقر الحكم المركزي بسرعة حال دون وصول الإمدادات فضلا عن معاناة باي التيطري من المشاكل والفوضى التي كان يشهدها خلال سقوط مقر الحكم المركزي تحت الاحتلال الفرنسي<sup>3</sup>.

بهذا الطاقم الإداري الهام تمكنت السلطة المركزية من حكم وإدارة بايلك التيطري بصرامة ما يقارب ثلاث قرون، وتسيير شؤون الإدارة بما يخدم مصالحها، غير أن هذا لم يكن بدون توفر عاملا هاما لعب دورا أساسيا في حياة البايك ألا وهو العامل العسكري، فكانت القوة العسكرية التي يملكها الباي تتشكل من الزينطوط الذين تتراوح أعدادهم بين 120 و 230 فردا، أما الكبار منهم فكانوا يشكلون إحتياط يصل إلى 400 فردا يقيمون في المدينة، أما المخازنية فهناك قبيلتين بالنسبة لبايك التيطري، وهما العبيد والدواير، وهم يشكلون قوة من 600 فارس دائمي الاستعداد لخدمة السلطة التي تستعملهم لضمان أمن الطرقات وجباية الضرائب وقمع القبائل الثائرة، كما يمكن للباي الاعتماد على القوة العسكرية لأولاد مختار الذين كانوا يقيمون كتيبة، وباختصار فإن القوة التي كان يستعملها باي التيطري لضمان الأمن وجباية الضرائب تتمثل في:

50 صبايحي

15 مكاحلي

(1) - محفوظ قداش، الجزائر في العهد العثماني.....، المرجع السابق، ص 170.

(2) - حمدان بن عثمان خوجة، المرأة، المصدر السابق، ص ص 157-158.

(3) - فايزة بوشيبية، المرجع السابق، ص ص 20-21.

120 زينطوط

7 علامة حاملي الاعلام

600 فارس مخزني

150 فارس من أولاد مختار

بالإضافة إلى كتيبة من الرعايا تتجاوز 1000 رجل، يضاف إلى هذه المحلات 270 زينطوط من مقر الحكم المركزي، إضافة إلى زينطوط سابقين لحاكم المدينة عددهم 300 تقريبا، بواسطة 2000 رجل يتمكن الباي من فرض سيطرته على البايك<sup>1</sup>.

استعملت هذه القوات لإخضاع القرى والأرياف لعدت أشهر قد تصل إلى ستة أشهر لجمع الضرائب ومعاينة الممتنعين كانت هذه القوات تتطرق من معسكر أو وهران إلى نواحي غريس<sup>2</sup> ووادي مينا ووجهات السرسو، وقد تصل في بعض الأحيان إلى الجهات اليعقوبية أي الهضاب العليا الوهرانية<sup>3</sup> لذا نجد المدينة لم تصبح عاصمة مستقرة<sup>4</sup> لبايك التيطري إلا بقرار من ديوان الحكومة المركزية عام 1773م بعد مقتل "الباي صوفتا"، بهدف ضبط ومراقبة القبائل المتمردة عن دفع الضرائب<sup>5</sup>.

من أهم المناطق التي لم تتبع إداريا إلى باي التيطري أو أعوانه، رغم وقوعها داخل أراضي البايك، نذكر تلك المناطق التي كانت تقطنها قبائل الرحمان، والزناخرة والبواعيش

(1) - عائشة غطاس وأخريات، الدولة الجزائرية الحديثة .....، المرجع السابق، ص ص 186-187.

(2) - منطقة سهلية واسعة ملاصقة لمدينة معسكر. ينظر: المهدي البوعبدلي، رسائل في التراث والثقافة، ط2، تح: أبو القاسم سعد الله، منشورات المجلس الإسلامي، الجزائر، 2010، ص43.

(3) - Gouvion(m), Ayan Elmaghariba, Territoires de Sud, Alger, Province de Constantine, 1919, pp 19-22.

(4) - Federmann (H), « Notices Sur L'Histoire..... », op. cit, pp 285-287.

(5) - أحمد الشريف الزهار، مذكرات .....، المصدر السابق، ص 49.

الذين كانوا تابعين إداريا لخوجة الخيل الذي كان يفوض أمور إدارتها إلى قائد العرب كما أشرنا إلى ذلك سابقا<sup>1</sup>.

والجدير بالذكر أن باي التيطري قد تقلصت صلاحياته في الفترة الأخيرة من العهد العثماني فاقترنت سلطته على مقاطعة التيطري دون مدينة المدية مركز البايك التي أوكل أمرها إلى مقر الحكم المركزي يخضع مباشرة لآغا العرب المتصرف في دار السلطان، وذلك للحد من نفوذ الباي والتقليل من قوته، نظرا لموقع بالقرب من مقر الحكم المركزي عاصمة الداى، وسهولة اتصاله بدار السلطان وإطلاعه على ما يجري في الديوان، هذا في حين بقي التقسيم الإداري المعمول به قائما على حاله، رغم محاولة بعض الحكام الأوائل إحداث مقاطعات أخرى على شاكلة بايلك قسنطينة ووهران<sup>2</sup>.

(1) - عمر حرفوش، الإدارة الجزائرية ....، المرجع السابق، ص 39.

(2) - أحمد السليمانى، النظام السياسى الجزائرى فى العهد العثمانى، مطبعة دحلب، الجزائر، 1994، ص 38.

## 1-2- سياسة البايات تجاه القبائل والزعامات المحلية في بايلك التيطري

يمكن تمييز سياسة السلطة المركزية تجاه القبائل بببايلك التيطري بوجود سياستين إحداهما كانت ودية سلمية، في حين اتخذت الثانية طابع انتقامي عدائي، ومن هنا يمكن تقسم أساليب حكم البايات إلى مايلي:

### أ- الأساليب الودية:

أتبعت السلطة العثمانية أساليب سلمية قائمة على التعاون، وذلك من أجل إخضاع هذه القبائل واستخلاص الضرائب دون اللجوء إلى المواجهات العسكرية التي كانت تقوم بها السلطة المركزية بغرض التأديب، ولما أدركوا الحكام العثمانيين أنهم لن يستطيعوا مواجهة كل الجبهات بمفردهم جنحوا إلى استغلال ما عُرف عند العرب "بالعصبية"<sup>1</sup>، والتي بها تكون الحماية والمدافعة، والناس بالطبيعة يحتاجون في كل اجتماع إلى وازع وحاكم يزع بعضهم عن بعض، فلا بد أن يكون متغلبا عليهم بتلك العصبية وإلا لم تتم، وإن من فقدها عجز عن الجميع، فهي لا تحصل إلا بالتحام أو ما معناه، ولأن عصبية النسب لا تكفي وحدها لبسط السلطة وفرض الطاعة على كل الرعية عمد البايات إلى اصطناع عصبية حصلت لهم بواسطة "الولاء" و"الحلف".

حاولت السلطة كسب ود ومساندة أكبر عددا من القبائل لأجل ضمان الحد الأكبر من الولاء والطاعة، من جهة ولمواجهة القبائل المناهضة من جهة ثانية<sup>2</sup>، ولا يستبعد أن بايات التيطري قد عمدوا أحيانا إلى مصاهرة بعض القابل تنتمي إلى النسب الشريف، وذلك

<sup>(1)</sup> - عُرّف "ابن منظور" العصبية هي رابطة دموية وتلاحم بين الأرحام وتكاتف وتناصر من ذلك عصبه الرجل بنوه وقرابته لأبيه، ويقال عصب القوم بفلان أي أستكفوا حوله، والتعصب من العصبية والعصبية أن يدعوا الرجل إلى نصره عصبته والتألب معهم على من يناوئهم ظالمين كانوا أو مظلومين، وفي الحديث العصبي من يعين قومه على الظلم العصبي هو الذي يغضب لعصبيته ويحامي عنهم للمزيد. ينظر: أبي الفضل جمال الدين (ابن منظور)، لسان العرب، ج2، دار صادر، بيروت، دت، ص ص 791-792.

<sup>(2)</sup> - دوبالي خديجة، "العلاقات الاجتماعية ....."، المرجع السابق، ص 16.

كأسلوب لكسب الولاء والطاعة، وهذا ما قام به الباي "محمد فريرة" الذي صهر سلطان المغرب "مولاي يزيد" حينما تزوج من أخته "لالا عيشوش"<sup>1</sup>.

### ب- سياسة التمييز وتشجيع الفتن بين القبائل:

لم يكتفى بايات التيطري بإستراتيجية اللين والمصاهرة في السيطرة على البايلىك، بل لجئوا إلى وسيلة أخرى تضمن إستمراريتهم تمثلت في إزكاء الفتن والصراع في إطار سياسة فرق تسد، حيث أن هذه السياسة مكنت السلطة المركزية من القضاء على التحالف القبلي، فقد أدرك السلطة أن أي تكتل قبلي قد يشكل تهديدا حقيقيا ضدهم، لذا عمدوا على تزكية الفتن وخلق النعرات بين مختلف الأعراش والقبائل حتى تعرقل من إمكانية توحيدها، والوقوف ضد أي تمرد محتمل، وهذا ما أكدته "الحاج أحمد باي"<sup>2</sup> بقوله: "الحروب هي سمة الأعراب، ومن يوريد حكمهم عليه التحريض فيما بينهم على المنافسات بين القبائل المختلفة، أما السلم فإنه يقرب بين العرب، وفي هذه الحالة لا تخدم من يوريد السيطرة عليهم، إذ قد تأتي ظروف يتوحد فيها هذه القبائل مثل الإخوة بربروس، ويجدوا أنفسهم منظمين للقيام بثورة...."<sup>3</sup>.

ففي مناطق البايلىك إستطاع شيوخ هذه القبائل ضم مناطق واسعة إلى نفوذهم، ففوية بذلك شوكتهم حتي خاف منهم البايات فاهتدوا إلى خلق روح التنافس بينهم، والدسائس لهم

<sup>(1)</sup> - محمد أوجرتي، الفقهاء والسلطة في الجزائر خلال العهد العثماني، أطروحة دكتوراه، كلية الآداب والحضارة الإسلامية، جامعة الأمير عبد القادر، قسنطينة 2015-2016م، ص 326 .

<sup>(2)</sup> - يعتبر "الحاج أحمد باي" آخر بايات قسنطينة، وتجمع جل الكتابات التاريخية على أنه "ابن محمد الشريف" وحفيد "أحمد باي" التركي أمه تدعى "الحاجة غنية" ابنة بن قانة من العائلات الصحراوية المشهورة، أمّا بالنسبة لمولده فقد تضاربت التواريخ رغم تقارب بعضها، فذكرت البعض أنه ولد سنة 1786م، كما ورد في إحدى الوثائق أن باي قسنطينة كان عمره 54 عام سنة 1834م مما يحدد تاريخ ولادته بسنة 1780م، تولى إدارة بايلىك قسنطينة سنة 1794م. ينظر: بوضرساية بوعزة، الحاج أحمد باي رجل دولة ومقاوم 1826-1848م، رسالة ماجستير، معهد التاريخ، جامعة الجزائر، 1990-1991، ص ص33-34.

<sup>(3)</sup> - Emerit(M),« Memoires d'Ahmed Bey», **R.Af**, n°93, Alger, 1949, p88.

فتناحرت بذلك القبائل على السلطة وقويت نزعة التعصب بينهم حتى تقاتلوا، إذ شجع البايات على وجه الخصوص التنافس القبلي والصراع العشائري المعتمد على مبدأ الصف وروح العصبية في كثير من الجهات<sup>1</sup>، معتمدين في ذلك على المرابطين وشيوخ الزوايا الذين يتمتعون بنفوذ واسع وسلطة روحية في البايك<sup>2</sup>.

والجدير بالملاحظة أن هذا الأسلوب الذي انتهجته السلطة العثمانية في البايك قد أسال حبر الكثير من المهتمين بالتاريخ الجزائري العثماني خاصة الفرنسيين<sup>3</sup> منهم واتخذوا منه وسيلة للتشجيع بالعثمانيين، وقذفهم بكل التهم متجاهلين في ذلك كل الأمور الإيجابية التي ميزت هذا الحكم<sup>4</sup>.

هكذا حاولت السلطة المركزية الاستفادة من الانقسامات الاجتماعية الناتجة عن التنافس بين الأسر والقبائل، فقد عرفوا البايات كيفية إتقان لعبة استغلال التنافس بين الرجال والطبقات، فهو وإن كان يتدخل في تعيين القياد والشيوخ فإنه لا يفرض في أغلب الأحيان الأمن ترتضيهم القبائل من الزعماء، بحيث يتم عادة توارث الوظيفة أبا عن جد إلا في حالة ارتكاب خطأ جسيم أو عصيان، وعرفوا القادة العثمانيون بالأوطان كيف يكون الخلافات بين الزعماء المحليين وكيف يستفيدون من ذلك مع المحافظة على دورهم كأسياد للبلاد دون أن يضطروا إلى استعمال القوة والعنف، وفي ظل هذه الظروف يتمثل دور البايات في إسناد المسؤوليات لزعماء من مجموعات متنافسة بالتناوب، بحيث ينتظر من لم

<sup>(1)</sup> - دوبالي خديجة، "العلاقات الاجتماعية....."، المرجع السابق، ص 16.

<sup>(2)</sup> - Guin(L), « Notes Sur le Bey..... », op. cit, p 294.

<sup>(3)</sup> - سعت الكتابات الفرنسية إلى تشويه صورة العثمانيين وغيرهم من الفاتحين فاعتبرت أنهم مغتصبين الأراضي بالقوة وبغير وجه حق على عكس فرنسا التي كانت تسعى دائما لإقامة الحق والعدل، والسؤال الذي يفرض نفسه هو: لو اعتبرنا أن العثمانيين الفاتحين مغتصبين فكيف يمكن أن نسمي الاحتلال الفرنسي؟

<sup>(4)</sup> - دوبالي خديجة، "العلاقات الاجتماعية بين الرعية....."، المرجع السابق، ص 16.



يضطلع بالمسؤولية دوره وكله أمل في ذلك، وقد اعتادت الأسر الكبيرة التي يدور في فلکها عددا معتبرا من الأتباع على احترام التوازن القائم وسلطة الزعيم المتفق عليه<sup>1</sup>.

### ج- الأساليب القمعية والعسكرية:

كما لجأ البايات إلى الحملات العسكرية في ردع القبائل الممانعة، كانت هذه الحملات لا تتم إلا بعد مراسلة القابل المعنية بالأمر ينذرونهم ويتوعدونهم بالعقاب الشديد إذا لم يستجيبوا لأوامرهم، وهذا ما أوردته إحدى الوثائق جاء فيها: "... أنني لم أغزوا أحدا من هؤلاء وما قبلهم إلا بعد الكتب لهم المرة بعد المرة أن يعطوا ما عليهم ويتوبون ويكفون عن الفساد، ولم نغزوا إلا بعد اليأس منهم وظهور عصيانهم وهذا دائما مع كل أحد..."<sup>2</sup>.

انطلاقا من هذا النص نستنتج بأن شن الحملات العسكرية لا يكون للوهلة الأولى بل إلا بعد تتبع الخطوات منها الإنذار والتهديد ثم في حالة العصيان وعدم الدفع تتم عملية التأديب والتي كانت تتم عن طريق التدخل العسكري، ومن أهم الرسائل التي كان يبعثها البايات للقبائل بهدف إنذارهم بحلول العقاب عليهم إذا لم تتم عملية الدفع ما عليهم من مستحقات مخزنية نذكر على سبيل المثل تلك الرسالة التي كتبها إبراهيم آغا إلى أفراد جماعة أولاد علي فبعد المقدمة كتب يقول: "اعلموا فإن بعثنا لكم خدامنا الإصبايحية لأجل الخلاص وننظر في أمركم فإن خلصتم بالعزم والقوة من غير تأخير في أيام قلائل فذلك المراد، وإن تراخيتم فأنتم أدرى بنفوسكم وإلا خلصتم بالعزم فإنكم خدام وعليكم أمان الله ورسوله لا تخافوا شئ وهذا آخر كتاب بيننا وبينكم، كتب عن إذن المعظم الأسعد إبراهيم آغا أيده الله ونصره بمنه أمين"<sup>3</sup>، وفي حالة عدم نجاح هذه الأساليب والطرق فإن السلطة

<sup>(1)</sup> - ناصر الدين سعيدوني، الحياة الريفية بإقليم مدينة .....، المرجع السابق، ص 475.

<sup>(2)</sup> - ملف الوثائق العثمانية، رقم الملف: 1642، الأرشيف الوطني الجزائري.

<sup>(3)</sup> - كتبت هذه الرسالة في أواخر جمادي الثاني 1243 هـ 1828 م. ينظر: دوالي خديجة، "العلاقات الاجتماعية بين ....."، المرجع السابق، ص 17.

تلجأ إلى التدخل العسكري المباشر ضد القبائل الممانعة بسبب رفضها عن دفع المطالب المخزنية أو لقيامها بأعمال تخريبية<sup>1</sup>.

### 1-3- السلطة المركزية ومراقبة مجال البايك - أجهزة وأنظمة الرقابة

إن الفرق العسكرية التي أعتمدت من طرف السلطة المركزية في تحصيل ضرائب البايك هي المحلة، والتي هي عبارة عن فرقة عسكرية متنقلة تأتي في أوقات معلومة من مقر الحكم المركزي، وبالنسبة لمحلة التيطري فهي حسب ميثاق عهد الأمان<sup>2</sup> فرقة من المشاة يكون الباي هو قائد هذه المحلة في حالة قيامه بتقديم الدنوش، أما إذا كان خليفته هو الذي كلف بذلك فإنه يقود المحلة إلى غاية سوق الغزلان أين يتسلم فيها الباي القيادة مصحوبا بالصبايحية وفرسان المخزن، ومن هنا يمكن تصنيف هذه الأجهزة على النحو الآتي<sup>3</sup>:

#### أ- الجند الإنكشارية وفرقة الزينطوط:

كانت فرقة الجند أهم وأقوى الفرق المكونة لمحلة التيطري سواء من حيث التنظيم أو التجهيز، فهي تستخدم الأسلحة النارية والمدافع المجرورة أو المنقولة، ووظيفتها داخل البايك هي ترهيبية بالدرجة الأولى، نادرا ما يستجد الباي بخدماتها وكان يكتفي باستعراض إمكانياتها القتالية أمام القوى المحلية والقبائل القوية في البايك.

لهذه الفرقة وظيفة رمزية إذ هي تمثل السلطة المركزية والشرعية العثمانية، وترمز إلى النفوذ المباشر الذي يتمتع به الديوان على أوطان البايك، تخرج هذه الفرقة من مقر

<sup>(1)</sup> - دوالي خديجة، "العلاقات الاجتماعية ....."، المرجع السابق، ص 16.

<sup>(2)</sup> - هو عبارة عن ميثاق أو دستور أو قانون أساسي حرره ضباط ديوان الجزائر، وجندھا في مقر الحكم المركزي أول مرة في عهد الباشا إبراهيم سنة 1657م، لكنه لم يطبق ولذلك حرر عهد أمان ثاني في عهد الداوي محمد بن بكير سنة 1748م دخل حيز التنفيذ وظل سائر المفعول إلى نهاية حكم الدايات 1830م. للمزد ينظر: توفيق دحماني، دراسة في عهد الأمان " القانون الأساسي السياسي والعسكري للجزائر في العثماني"، ب ط، الدار العثمانية، الجزائر، 2009، ص 27.

<sup>(3)</sup> - محمد الحبيب العيزي، ظاهرة الحكم ....."، المرجع السابق، ص 80.

الحكم المركزي في فصل الربيع من كل سنة، عندما يأتي باي التيطري أو خليفته لتقديم الدنوش إلى السلطة المركزية<sup>1</sup>، يتكفل باي التيطري بكل متطلبات هذه الفرقة في سفرها إلى أوطان البايك أوفي ما يخص المؤونة والعلف ومستلزمات النقل، ويكلف للقيام بهذه المهمة قائدا تابعا لمخزنه يسمى قائد المستلزمات، يتعهد فرقة الإنكشارية طيلة الطريق من مقر الحكم المركزي حتى مركز النوبة المستقرة في سور الغزلان، وحينما تندمج هذه الفرقة في محلة بايليك التيطري، فإن القبائل التي تمر في مجالاتها هي التي تتكفل بحاجياتها من المؤونة.

أهم هذه القبائل نذكر: العداورة ودايد وأولاد علام، وعند عودتها إلى مقر الحكم فإن قبائل: حسان وبني يعقوب هي التي توفر لهذه الفرقة العسكرية مؤناتها، وعلف خيولها وبغالها وإبلها تتكون فرقة الإنكشارية من قيادة، ومن جند وأتباع تضمهم خمس عشرة خيمة أو سّقرة<sup>2</sup>.

بخصوص فرقة الزينطوط وهم الإنكشارية الغير المتزوجين يتبعون الباي مباشرة، وليس لديهم أي ارتباطات أو التزامات أخرى، كانت إقامتهم في مؤسسة جنان الباي بالبرواقية في بايلك التيطري، يتكونون عادة من الأتراك العثمانيين، كان عددهم يتراوح بين 120 و 140 جنديا أثناء حكم "الباي بومرزاق" آخر بايات التيطري.

كان هؤلاء الجنود يتقاضون مرتباتهم حسب سجل الإنكشارية برتبة يولداس<sup>3</sup>، وعند تقدمهم في السن يسمح لهم الباي بالزواج والانتقال للسكن في بايلك التيطري، ومن خلال السجلات التي تتعرض للضرائب والأوقاف نجد الكثير من الأسماء التي رفقت بالرتب

<sup>(1)</sup> - محمد الحبيب العزيمي، ظاهرة الحكم .....، المرجع السابق، ص 83.

<sup>(2)</sup> - المرجع نفسه، ص 84.

<sup>(3)</sup> - وهي أدنى رتبة عسكرية في سلم الجيش العثماني، وهي لفظ تركي تعني الرفقاء أو الرفاق والجنود الجدد كانوا يشكلون أغلبية الجيش، وتكمن مهمتهم في تقديم ماء الشرب والأكل للضباط وغيرها ويرافق هؤلاء أربعة منهم الباشا في ذهابه إلى الصلاة في المسجد، وبعد أن يكمل اليولداس ثلاث سنوات من الخدمة العسكرية يترقى إلى رتبة أسكي يولداس أي الرفيق القديم. ينظر: توفيق دحماني، دراسة في عهد.....، المرجع السابق، ص 22.

العسكرية مثل الإنكشارية والبولكباشي<sup>1</sup> والأوضاباشي<sup>2</sup> وغيرها<sup>3</sup>.

### ب- قبائل المخزن:

شكلت قبائل المخزن الجيش الاحتياطي في بايلك التيطري، وقد أُسست لخدمة الحكم المركزي، وقد أخذت هذه القبائل عدة تسميات مختلفة كالصحاري والعثمانية والعبيد وغيرها<sup>4</sup>، كانت هذه القبائل بمثابة الوسيط بين السلطة والرعية، فيعتبرون عنصرا جديدا تم إدخاله في المنظومة الإدارية العثمانية على مستوى الأرياف، فكان هؤلاء القبائل يقيمون في أبراج، مهمتهم الأساسية جمع الضرائب من الأرياف، ومراقبة مجال تحركات قبائل البايك، خاصة تلك التي كانت تسكن الجبال.

ولضمان التنقلات عبر الطرقات الرئيسة التي تربط بين مقر الحكم المركزي والبايلك أنشأ القبائل المخزنية أبراج عادة ما تكون في المناطق السهلية أو في سفوح الجبال<sup>5</sup>، لأن تلك المناطق كانت في معظمها ممانعة لدفع الضرائب، وبذلك اتخذت السلطة العثمانية هذه الوسيلة لفرض سيطرتها على تلك المناطق الجبلية<sup>6</sup>، وقد أخذت قبائل المخزن صبغة إقطاعية وعسكرية لعبت دورا هاما في دعم النظام المركزي، وكان لها تأثير واضح على سكان الأرياف، وبذلك يصبح النظام الإقطاعي نابعا من طبيعة علاقة الفارس

(1) - يعتبر بمثابة نقيب، ويسمى برئيس الرفقاء، تعني بالعربية رأس الجماعة كان يعتبر ضابطا ساميا يوليه الأغا مهمة قيادة النوبة أو إحدى محلات الجيش، وكانوا يحظون بنفوذ واسع في صفوف الأوجاق. ينظر: توفيق دحماني، المرجع نفسه، ص 22.

(2) - رئيس الفرقة المتكونة من 10 إلى 20 جنديا، وتعني حرفيا بالعربية رأس الدار. ينظر: توفيق دحماني، المرجع نفسه، ص 22.

(3) - فائزة بوشيبية، بايلك التيطري....، المرجع السابق، ص 23.

(4) - حنفي هلايلي، بنية الجيش الجزائري خلال العهد العثماني، ط 1، دار الهدى، الجزائر، 2007، ص 85.

<sup>5</sup> - Robin (N), « Note Sur Iorgnais ... », op.cit, p196.

<sup>6</sup> - Guin, « Notes Sur le Bey... », op.cit, p293.

بالأرض التي يعيش عليها، فقد تعددت أصناف الإقطاعات منها ما ارتبط بالأشراف وذوي النسب، ومنها أقطاعات المشيخات، ومنها أقطاعات الموظفين والقادة العسكريين<sup>1</sup>.

كان في بايلك التيطري قبيلتان مخزنتان متجاورتان وهما: قبيلة عبيد التي تقع في الحدود الجنوبية لعرش حسن بن علي، وقبيلة دوايرا التي تقع شرق قبيلة عبيد، وتسكن وادي زغوان، ولضمان ولاء هذه القبائل المخزنية للسلطة العثمانية كان لابد من منحها امتيازات مادية ومعنوية والتي تمثلت في تسجيل أفرادها فرسان مخزن، وتقوم السلطة بتوفير الأحصنة والأسلحة مع بقائها ملك للسلطة، ويتلقى كل واحد منهم أثناء الخدمة أجره جندي برتبة يولداش، كما كانوا معفيين من كل الضرائب ماعدا الزكاة والعشور التي تتعلق بالأراضي الزراعية خارج أراضيهم<sup>2</sup>، والحصول على الأراضي الخصبة كإقطاعات، فقبائل الدواوير مثلا كانت تتربع على مساحة 100 ألف هكتار<sup>3</sup>، وقد قدر مجندون قبائل المخزن في بايلك التيطري بحوالي 1200 فارس، بالإضافة إلى 600 فارس في الأوقات العادية لحفظ الأمن وحراسة الطرقات زيادة على مجموعة فرسان القوم الذين تقدمهم قبائل الرعية عند الحاجة، ويكونوا تحت إشراف القائد، وبالتالي كانت قدرة التجنيد في بايلك التيطري مع نهاية القرن 18م حوالي 5000 جندي<sup>4</sup>.

هكذا مع مرور الوقت شكلت قبائل المخزن جيشا قويا ينافس الجيش الإنكشاري ورياس البحر، تركوا أثارا سلبية على الحياة السياسية، فقد مارست هذه القبائل التمردات والثورات ضد السلطة وشاركت في عملية النهب والسرقة، وحتى حرق المحاصيل الزراعية، مثل ما قام به بومرزاق في بايلك التيطري كما أشرنا سابقا.

<sup>1</sup> - Rinn (L), « Le Royaume.... », op.cit, p128.

<sup>2</sup> - فايضة بوشيبية، بايلك التيطري....، المرجع السابق، ص 24.

<sup>3</sup> - Tinthoin (Robert), Colonisation et évolution de genres de vie dans la région ouest d'Oran de 1850-1885, Fouqué, 1947, p 32.

<sup>4</sup> - فايضة بوشيبية، بايلك التيطري....، المرجع السابق، ص 25.

أمّا في بايلك الغرب فقد استطاع الباي "محمد الكبير" بفضل جيش فرسان المخزن والذي بلغ تعدادة 13000 فارسا و 2000 من نهب ما يقرب 15 دوارا، والاستحواذ على 6700 رأسا و 5000 جملا بالإضافة إلى 630 بغلا و 720 بقرة هذا فضلا على أسر 60 شخصا أغلبهم نساء، وعليه فإن القبائل المخزنية قد مثلت بالفعل القوة الضاربة للعثمانيين فكانت قوية ماديا وعسكريا<sup>1</sup>.

### ج- فرسان الأجواد وفرقة الصبايحية:

هم أعيان وشيوخ القبائل المخزنية العريقة المتحصلة على حقوق قديمة تعود إلى عهد "خير الدين" بربروس، فهي القبائل المؤسسة للبايلك ذلك أن النظم العثمانية لم تفرض في بداياتها بالقوة بل جاءت نتيجة تفاوض متواصل مع الأطر القبلية العتيقة التي تمثلها فئة الأجواد، فالتحالف الأصلي الذي تسبب في نشأة بايلك التيطري، كان بين أشرف المدية وأجواد القبائل ممثلي المخزن الموروث من جهة، وبين الجند الإنكشاري ممثلي السلطان العثماني من جهة أخرى<sup>2</sup>.

تعتبر قبيلة أولاد مختار من أهم قبائل الأجواد في البايك التي كان لها نفوذا واسعا في جنوب البايك والمتحكمة في طرق وممرات البايك، إذ أن السلطة المركزية لم تكن تتردد في الاستعانة بشيخ هذه القبيلة<sup>3</sup>، حيث كان يغمرهم بالهدايا ويرعاهم بإحساناته ويساعدهم في نهب وغزو القبائل المحاربة، كما يسمح لهم باستغلال ضياع البايك، وبالإشراف على تجارة التبادل بين التل الجنوبي والصحراء القوافلية<sup>4</sup>، كما أن السلطة العثمانية لم تكن تتردد في دعم هذه الفرقة كلما طلبت ذلك مفرزة مكونة من 50 صبايحي

<sup>1</sup> - Emerit (M), « Les Ventrues de Thedenat es Clave et Minis Tre Dun Bey d'Afrique », **R.Af**, n°92, Alger, 1948, p154.

<sup>2</sup> - محمد الحبيب العزيمي، ظاهرة الحكم .....، المرجع السابق، ص88.

<sup>3</sup> - Rinn (L), « Le royaume .... », op.cit, p 135.

<sup>4</sup> - محمد الحبيب العزيمي، ظاهرة الحكم .....، المرجع السابق، ص88.

تركي و 100 زينطوط و 10 مكاحلي و 7 علامة تدعمهم كلما اقتضى الحال ومدافع محمولة على البغال<sup>1</sup>.

بالإضافة إلى 15 جنديا يحملون بنادق يطلق عليهم "المكاحلية"، كما وجد بالبابلج ثكنة عسكرية صغيرة في البرواقية تضم حوالي 120 جنديا، وعلى العموم فقد ضم بايلك التيطري 250 جنديا تركي و 636 كرغلي<sup>2</sup> وإذا أضفنا لهذه المفزة الفرسان المصاحبين لشيخ أولاد مختار الذين يتراوح عددهم حول 150 فارسا، تصبح هذه المشيخة مؤسسة من مؤسسات الحكم المتجول قائمة بذاتها وقوة عسكرية ومخزنية ضاربة في الطرق تقودها أرستقراطية قبلية ذات نفوذ موروث تعتمد السلطة المركزية على هؤلاء الأجواد في مراقبة الأوطان الصحراوية البعيدة<sup>3</sup>.

أما فرقة الصبايحية فقد كان عددهم حوالي 50 فارس صبايحي من الأتراك العثمانيين<sup>4</sup>، وهم يرافقون الباي في حملاته، كما أنهم كانوا تحت إمارته وهذه الفرقة تابعة نظريا لمقر الحكم المركزي، لكن عائداتهم المادية من جباية الضرائب التي يشاركون الباي في جمعها، وقد أشار الوثائق أن عدد الصبايحية الذين كانوا يدفعون العشور لا يتعدى عددهم الثمانية، بينما يرتفع هذا العدد إلى الثلاثين عند إحصاء الزويجة، ومنه نستنتج أنهم كانوا يستفيدون من أراضي زراعية ويدفعون الضرائب الشرعية دون غيرها<sup>5</sup>.

<sup>1</sup> – Federmann et Aucapitaine « Notice Sur LHistoire .... », op.cit, P363.

<sup>2</sup> – Rinn (L), « Le royaume .... », op.cit, p 135.

<sup>3</sup> – محمد الحبيب العزيزي، ظاهرة الحكم .....، المرجع السابق، ص 88.

<sup>4</sup> – Rinn (L), « Le royaume .... », op.cit, p 135.

<sup>5</sup> – فايزة بوشيبية، بايلك التيطري.....، المرجع السابق، ص 25.

## 2- العلاقة العسكرية بين السلطة المركزية مع بايلك التيطري:

### 2-1- التيجانيون في مواجهة السلطة المركزية- مظاهر الضعف

تميزت الأعوام الأخيرة من حكم العثمانيون في بايلك التيطري بحركة تمرد، والتي قادها أصحاب الطريقة التيجانية<sup>1</sup>، لذا حاولت السلطة المركزية منذ البداية التخلص من التيجانيون نتيجة أعمالهم ضد السلطة في بايلك التيطري والغرب<sup>2</sup>.

شهدت الطريقة التيجانية منذ تأسيسها سنة 1782م مضايقات عديدة من طرف السلطة المركزية لذا اتسمت العلاقة بين الطرفين بالنفور والعداء، ثم المواجهة<sup>3</sup> خاصة بعد أن عرفت المناطق الخاضعة للنفوذ التيجاني ازدهارا كبيرا بعد عودة أبناء "سيدي أحمد بن محمد التيجاني" من المغرب الأقصى إلى واحة عين ماضي<sup>4</sup>، وهما "محمد الكبير" و"محمد الصغير"<sup>5</sup>.

إن التفاف الرعية حول الشيخ "أحمد التيجاني"، وانتشار طريقته بشكل سريع وملفت للانتباه نتج عنه قلق وتخوف من طرف السلطة العثمانية، حيث قاموا بالتضييق والخنق عليه وشن عدة حملات عسكرية، ولعل أول حملة وقعت ضده كانت سنة 1784م من

<sup>(1)</sup> - تتنسب إلى مؤسسها سيدي أحمد التيجاني المولود بناحية عين ماضي القريبة من مدينة الأغواط سنة 1737م، وقد أنطلق "أحمد التيجاني" في رحلات طويلة بين مختلف البلدان والحوضر، فزار تلمسان وتوات والسودان الغربي وتونس والمغرب الأقصى مؤسسا في كل مكان الزوايا، ومعينا المقادير لنشر تعاليم الطريقة التيجانية. ينظر: قيادي قويدر، "الطرق الصوفية والسلطة العثمانية في الجزائر بين 1520 - 1830م"، مجلة المواقف، ع10، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة معسكر، ديسمبر 2015م، ص ص 116-117.

<sup>(2)</sup> - السايح فيلاي، العلاقات السياسية الجزائرية التونسية 1792-1837م، رسالة ماجستير، كلية الآداب، جامعة منتوري قسنطينة، 1998م، ص 54.

<sup>(3)</sup> - Louis (Rinn), Marabouts et Khouans, Alger, Jourdan, p420.

<sup>(4)</sup> - ذكر صاحب كتاب رحلة الأغواط أن هذه البلدة تقع غربي تجمعات، وهي محاطة بأسوار تشبه أسوار طرابلس، ولها بابان عظيمان، ولحاكمها الذي يسمى ولد التجيني. للمزيد ينظر: الحاج ابن الدين، مجموع رحلات، تح: أبو القاسم سعد الله، ط خ، تلمسان 2011، ص 88.

<sup>(5)</sup> - عبد السلام محمود السامرائي، الإدارة العثمانية في الجزائر 1518-1830م، ط1، صفحات للدراسة والنشر، سوريا، 2017، ص 69.



طرف الباي "محمد الكبير"<sup>1</sup>، وقد مست هذه الضائقة التجانيين بعين ماضي حيث بدأ العداء بين الطرفين بقيام محمد الكبير باي الغرب برحلته الشهيرة إلى الجنوب الصحراوي التي جهز لها جيشا ضخما، ونزح به من مدينة معسكر مارا بجبل "عمر" و"البيضاء" وأفلوا إلى أن وصل مدينة الأغواط<sup>2</sup> حيث دخلها بقوة هائلة ونشاط متزايد فأنقاد له جميع القبائل المجاورة<sup>3</sup> بعد إلزامهم بضريبة يؤدونها كل سنة<sup>4</sup> قدرت بـ: 188 ريال<sup>5</sup>.

حاول "ابن هطال" التلمساني أن يصف لنا حالة نزول الباي بعين ماضي، وذلك حينما قال: "قصد الباي عين ماضي فوصلها في بضع ساعات، فلما رأوا أهلها خيله قد طلعت، وبنوده قد أقبلت فزعت قلوبهم وطاشت عقولهم، وغلقوا الديار وعلوا الأسوار وهم مصرحون بالطاعة وطلب الشريعة، فنزلت المحلة بقرب السور بنحو المائة ذراع....، فبينما الناس مترددون في أمرهم شاكون في قدومهم، وإذا بهم خرجوا بنسائهم وعلمائهم مقدمون النساء أمامهم، وتلك كانت عاداتهم .....، مستكبين عن بسطه، وأذن للعلماء في التقدم فتقدموا وسلموا عليه وسألوه أن يرفق بهم ويشفق من حالهم، وأن يعفيهم من القطيعة الأولى التي فرضها عليهم فإنهم لم يقدروا عليها، ولا طاقة لهم بدفعها، فلما سمع كلامهم واستقصى خبرهم أدركته الحنانة والشفقة عليهم وجعل لهم لزمة أقل من الأولى...، وبالغد أصبح أهل عين ماضي يدفعون قطيعتهم من الخيل والخدام والدراهم فدفعوا جزءا وأكملوا

<sup>(1)</sup> - بوجلال قدور، مظاهر التقارب واليقظة بين العلماء والسلطة العثمانية في بايلك الغرب فترة الدايات 1671-1830م، أطروحة الدكتوراه، كلية العلوم الإنسانية والعلوم الإسلامية، جامعة وهران 1، 2016-2017م ص 333.

<sup>(2)</sup> - ورد في رحلة الأغواطي أن الأغواط بلدة كبيرة، وهي محاطة بسور وحولها تحصينات ولها أربع أبواب وأربعة مساجد، ولغة سكانها هي العربية، وهم يرتدون الملابس الصوفية ولا تخرج فيها النساء المحترقات من بيوتهن، وليس في هذه البلدة حمامات، وهي تنتج الفواكه بكثرة، كالتمر والعنب... الخ. راجع: الحاج ابن الدين، المصدر السابق، ص 87.

<sup>(3)</sup> - أحمد بن هطال التلمساني، رحلة محمد الكبير ...، المصدر السابق، ص 18.

<sup>(4)</sup> - أحمد الناصري، الاستقصاء لأخبار دول المغرب الأقصى، ج 8 تخ: جعفر الناصري ومحمد الناصري، دار الكتاب، ص 105.

<sup>(5)</sup> - بوجلال قدور، مظاهر التقارب واليقظة بين العلماء.....، المرجع السابق، ص 333.

الباقى فى اليوم الذى بعده<sup>1</sup>، وأمام هذا الضغط قرر "أحمد التيجانى" سنة 1798م الرحيل إلى مدينة فاس<sup>2</sup>، فرحب به السلطان المغربى وحظى بالتقدير والإحترام<sup>3</sup> إلى أن توفي سنة 1815م<sup>4</sup>.

والجدير بالذكر أن سيدى أحمد التيجانى قد طرد بعض المنشقين من نواحي عين ماضى إلى جبل عمور، حيث قاموا بتجنيد مقاتلين من الجهة الغربية وهاجموا المدينة، ولما فشلت مساعيهم طالبوا المدد من باي وهران الذى لى الدعوة، وحاصر عين ماضى سنة 1820م<sup>5</sup>، وعملت السلطة العثمانية على مراقبة تحركات هذه الطريقة مما زاد من حدة عداة التيجانيين للحكام العثمانيين، وأمام هذا الضغط والمضايقات المستمرة للطريقة أصر "محمد الكبير" التيجانى على مجابهة "الباي حسن" بإعلان الثورة على السلطة العثمانية لأنها الوسيلة الوحيدة المتبقية<sup>6</sup>.

(1) - أحمد بن هطال التلمسانى، رحلة محمد الكبير باي الغرب.....، المصدر السابق، ص ص 72-74.

(2) - مدينة فى المغرب الأقصى قال عنها ياقوت الحموى: مدينة مشهورة كبيرة بالمغرب من بلاد البربر، وهى حاضرة البر وقال عنها ابن حوقل مدينة جليلة يشقها نهر جانبان يليهما أميران مختلفان، وبين أهل الجانبين الفتن الوائمة والقتل الذريع المتصل، ونهرا كبيرا غزير الماء عليه أرحية كثيرة، وهى مدينة خصبة مفروشة بالحجارة أحدثها إدريس ابن إدريس، وقال عنها البكري ومدينة فاس مدينتان مسورتان وبينهما نهر يطرده وأرجاء وقناطير وعدوة القرويين فى غربى عدوة الأندلسيين وعلى باب دار الرجل فيها رحاه وبستانه بأنواع الثمار وجداول الماء تخرق داره، وبالمدينتين أزيد من 300 رحا فيها حوالي 20 حماما، وهى أكثر بلاد المغرب يهودا يختلفون منها إلى جميع الآفاق، كما وصفها أبو الفدا بقوله: فاس مدينتان يشق بينهما نهر وفى فاس عدة عيون تجرى وللمدينة 13 بابا والمياه تجرى بأسواقها وديارها وحماماتها وليس بالمغرب ولا بالشرق مثله فى هذا الشأن، وهى مدينة محدثة إسلامية ونقل ابن سعد عن الحجازي أنهم لما شرعوا فى حفر هذه المدينة وجدوا فأسا فى موضع الحفر فسميت بذلك قال وعلى أنهارها داخل المدينة نحو 600 حجرة أرحى تدور بالماء دائما وأهل فاس مخصوصون برفاهية العيش. ينظر: إسماعيل العربى، المدن المغربية، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، د ت، ص ص 94-100.

(3) - أحمد الناصري، الاستقصاء ....، المصدر السابق، ص 105.

(4) - قيداري قويدر، " الطرق الصوفية والسلطة العثمانية.....، المرجع السابق، ص 117.

(5) - خليفة حماش، " تجنيد المتطوعين للجيش الجزائرى فى أقاليم الدولة العثمانية فى أواخر العهد العثماني"، مجلة

الآداب والعلوم الإنسانية، ع 2، جامعة الأمير عبد القادر، قسنطينة، 2003، ص 37.

(6) - بوجلال قدور، مظاهر التقارب واليقظة بين العلماء.....، المرجع السابق، ص ص 336-337.

نتيجة لاستمرار حملات السلطة العثمانية ضد الزاوية التجانية الأم بعين ماضي ومحاصرتها من طرف بايات التيطري قام أحمد التجاني محمد الكبير وأخوه محمد الصغير بثورة بين سنتي 1826م - 1827م كرد فعل على إستفزاز بايات البايك<sup>1</sup>، مشكلا جيشا قوامه 600 رجل من التجانيين مع جمع من الحشم إنطلق من عين ماضي قاصدا الزحف على بايلك الغرب معسكر<sup>2</sup>.

وصف "المزاري" هذا الحصار بقوله: "....ثم رحل التجاني يوم الاثنين لمدينة معسكر، وهي على سبعة أقسام حومة العرقوب بسورها، وحومة سيدي علي محمد عين البيضاء وحومة الباب الشرقي، وحومة بابا علي وحومة سدي محمد أبي جلال وحومة المدينة الداخلة، وهو الوسطى بسورها ذي أدهام، ونزل على الحومة الغربية وسط النهار، وهي حومة العرقوب يريد الدخول إليها ويظفر بالمطلوب، فتلقاه أهلها بأسرهم بالقتال وصار الحرب بينه وبينهم في السجال، وأعانهم بنوا شقران على ذلك القتال، وقد مات من الفريقين خلق كثر....، ولما رأوا ذلك قادوا له فرسا أشهب ودخلوا تحت حكمه ....، واندرج في ذلك أهل الحومة الشرقية بلا محال، وهي حومة الباب الشرقي، كما أندرج في ذلك أيضا حومة سدي محمد أبي جلال ..، وفي يوم الخميس تهيأ بجيشه لقتال الحومتين المحيط بهما السور، وهما العرقوب والمدينة الداخلية...."<sup>3</sup>.

فألتق الجمعان ودارت الحرب رجاها فأشدت القتال بين الطرفين<sup>4</sup> انتهت بهزيمة التجانيين بعد انسحاب الحشم<sup>5</sup> التي تخلت عنه مع الكثير من الأعراب، ولم يبق معه

(1) - قيداري قويدر، " الطرق الصوفية والسلطة العثمانية...."، المرجع السابق، ص 117.

(2) - مسلم بن عبد القادر الوهراني، أنيس الغريب والمسافر في طريف الحكايات والنوادر، ج1. تح: رابح بونار، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1974، ص 31.

(3) - ابن عودة المزاري، طلوع سعد ..، ج 1، المصدر السابق، ص ص 356 - 357.

(4) - لمعرفة أماكن الصدام المسلح بين السلطة العثمانية والتجانيين راجع الخريطة في الملحق رقم (25)، ص 410.

(5) - وقد أغتاط المزاري من خديعة هؤلاء الحشم مما دفعه للقول: "...يا أيها الفساق أهل المكر والخديعة والوشي والنفاق ألم تحشوا الله.... ألم تنهوا عن هذا الشقاق وتجنبوا أنفسكم من الشيطنة والنفاق، ومع هذا لما قلنا الحق والصواب =

سوى 300 من أعراب قاتلوا قتال شديد إلى أن قتلوا جميعاً<sup>1</sup>، وتم نقل رأس التيجاني إلى مقر الحكم المركزي دار السلطان وعلبت أمام باب الجديد<sup>2</sup>.

والجدير بالذكر فإن تراجع قبيلة الحشم عن هذه المعركة قد أثرا سلبيا على التيجانيون، وسبب هذا الانسحاب هو إقدام باي وهران على إغراء هؤلاء الحشم بالأموال بهدف هزيمة جيش التيجانيون، وقد نجح الباى في حيلته ضد التيجانيون<sup>3</sup>، وفي هذا الصدد يقول الزيانى: ".... أعطى الباى لأعيان الحشم وكافة العرب أموالا كثيرة فأوقعوا الهزيمة وفروا عنه وتركوه منفردا في جيشه الخاص".

فبالرغم من الخديعة التي قام بها الحشم إلا أن محمد الكبير التيجاني حارب وقاتل قتال الأبطال وصمد في هذه المعركة، ولم ينسحب ومن بقي معه من أتباعه إلى أن قضى عليهم جيش الباى، ويصف صاحب كتاب دليل الحيران حال جنود التيجاني بقوله: "... فصار جيش التيجاني يذوبون عن أنفسهم ويسارعون في مشيهم نحو بستان أولاد رح، وهو بستان عظيم من الهندية ليتحصنوا به، فحال بينهم وبينه جيش الباى وأوقفهم بموضع يقال له السمار وأداروا بهم دور مقياس واشتد القتال بين الطرفين إلى أن قتل التيجاني ومن معه، ولم يفلت منهم أحدا، ومات خليفته السيد إبراهيم بن يحيى من أولاد سيدي محمد بين يحيى، ومن جيش الباى عددا كبيرا منهم محمد ولد قدور والبحثاوي، وقايد غمرة وخلق كثيرا..."<sup>4</sup>.

=اتهمتمونا بالارتشاء، وأنتم فعلكم باطل وليس فيكم من يقول الحق والصواب... ينظر: ابن عودة المزارى، طلوع سعد ..... ج 2، المصدر السابق، ص 135.

<sup>(1)</sup> - أحمد الشريف الزهار، المصدر السابق، ص ص 159-160.

<sup>(2)</sup> - عبد الرحمان بن محمد الجيلالي، تاريخ الجزائر العام... ج 3، المرجع السابق، ص 336.

<sup>(3)</sup> - أبو القاسم سعد الله، أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر، ج 2، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1986، ص 243.

<sup>(4)</sup> - محمد يوسف الزيانى، دليل الحيران وأنيس السهران في أخبار مدينة وهران، تح: المهدي البوعبدلي، الجزائر، 1979، ص 247.

لم تكفي السلطة العثمانية بالقضاء على ثورا هذه الطريقة بل فرضت السلطة المركزية على التيجانيون بعين ماضي ضريبة قدرت بـ: 100000 بوجو أي ما يعادل ثلاث بدقة شك موزونة<sup>1</sup>، علاوة على ذلك تقديم أثاث من فضة وملابس وفرش عظيمة، وألزم أتباعهم من الحشم<sup>2</sup>، أما "محمد الصغير" فقد كان في هذه الأثناء ببوسمغون<sup>3</sup>، ثم رجع إلى عين ماضي وأخذ قيادة الطريقة ومال إلى الهدوء<sup>4</sup>.

من هنا يمكن القول بأن السلطة العثمانية قد ضاقت ذرعا من هؤلاء التيجانيون بالرغم ما كانوا يحظون به من تقدير من قبل الرعية، كما أن تمردهم على السلطة قد نتج عنه زيادة اتساع الهوة مع الحكام العثمانيين، خاصة وأنهم قتلوا بأبشع الطرق بعد إقدام الباي حسن على التصفية الجسدية للكثير من علماء وشيوخ هذه الطريقة أمثال الشيخ "بلقندوز" التيجاني و"الحاج محمد" و"الحاج محمد البوشيخي"، وكل هذا أدى في الأخير إلى هجرة الكثير من أتباع الفكر الطرقي إلى الخارج خاصة نحو المغرب الأقصى لإضفاء طابع الشرعية على الثورات الدينية التي قامت ضد الحكم المركزي<sup>5</sup>.

وعلى العموم فإن تزعم علماء الدين الثورة ضد السلطة المركزية لم يؤدي إلى تدمير نفوذ العثمانيين والحد من سلطتهم، ولم ينتج عنه أي تغيير في سياستهم وأسلوب حكمهم،

(1) - من العملات النقدية الفضية القديمة التي استعملت في الأيالة، حيث أن قرش واحد جزائري أو زوج بوجو يتألف من 48 موزونة. ينظر: ناصر الدين سعيدوني، النظام المالي.....، المرجع السابق، ص 315.

(2) - عبد الرحمان بن محمد الجيلالي، تاريخ الجزائر العام... ج 3، المرجع السابق، ص 336.

(3) - تقع هذه المنطقة بالجنوب الغربي الأعلى الذي هو جزءا هاما من الصحراء الجزائرية الكبرى، كما شكلت هذه المنطقة همزة وصل بين الشمال الغربي الجزائري والجنوب الغربي الأوسط والأسفل، فظلت بذلك مركز عبور للقوافل التجارية، فهذه المنطقة تحتل القسم الأوسط من الجنوب الغربي الأعلى، وحسب التقسيم الإداري الحالي فهي تنتمي إلى ولاية البيض يحده من الشمال بلدية الشلالة الظهرانية، ومن الجنوب بلدية البنود ومن الشرق الأبيض سيدي الشيخ ومن الغرب بلدية عسلة ولاية النعامة. ينظر: محمد الكبير فيقيقي، "حاضرة بوسمغون في المصادر المغربية أثناء العصر الحديث"، مجلة المواقف للبحوث والدراسات في المجتمع والتاريخ، ع 9، جامعة معسكر، ديسمبر 2014، ص ص 306-305.

(4) - أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر ....., المرجع السابق، ج 4، ص 194.

(5) - بوجلال قدور، مظاهر التقارب واليقظة بين العلماء.....، المرجع السابق، ص 342.

وذلك لتعدد وتنوع الطرق الدينية التي كانت موالية للعثمانيين، غير أن حركة التيجانيون استطاعت أن تحدث خلل وضطرابا في بايلك التيطري والغرب الذي كان تحت حكم باي طاعن في السن قد مل الحكم، فضلا على أنه لم يخلف أطفالا لكي يتولوا الحكم من بعده<sup>1</sup>.

إذن كانت هذه الثورات المتعددة العوامل سببا في إضعاف القدرات الحربية للسلطة العثمانية، حيث فشلت في التصدي للهجمات الأجنبية المتكررة على الجزائر خاصة الحصار الفرنسي الذي فرض على البلد منذ سنة 1827م، وهذا ما سهل وقوع الجزائر فريسة سهلة بيد الفرنسيين سنة 1830م<sup>2</sup>.

(1) - عبد السلام محمود السامرائي، الإدارة العثمانية ....، المرجع السابق، ص 71.  
(2) - بوجلال قدور، مظاهر التقارب واليقظة.....، المرجع السابق، ص ص 344 - 345.

## 2-2 - نهاية حكم البايك وموقف السلطة المركزية من الحملة الفرنسية

بعد سقوط مدينة الجزائر مقر الحكم المركزي للعثمانيين ووقوعها في قبضة الفرنسيين، حاولوا إخضاع عاصمة بايلك التيطري المدينة، إلا أن ذلك كان صعبا تطلب عدة حملات عسكرية، ففي 17 نوفمبر 1830م خرج الفرنسيون من الجزائر في 10,000 جندي ودخلوا البلدة ونهبوها، وكانت المقاومة شرسة، ثم استولوا على ثنية موزايا، وتمكنوا من دخول عاصمة بايلك التيطري في 22 نوفمبر، وقاموا بعزل "الباي مصطفى بومزراق"<sup>1</sup> آخر بايات التيطري، حيث كان له الفضل في رد هجمات الفرنسيين إلى الساحل، لكنه أستسلم في نهاية الأمر بعدما فقد السلاح والمعين، وتم نفيه إلى الإسكندرية أين توفي بها<sup>2</sup>، وعينوا بايا آخر خلف له وهو "مصطفى بن الحاج عمر" ثم عادوا إلى الجزائر.

والجدير بالملاحظة أن الباي المعين من طرف الاحتلال الفرنسي قد واجه أمور صعبة مما أضطره إلى طلب النجدة فعادت القوات الفرنسية من جديد لتعزيز وجوده في 25 جوان تحت قيادة "برتران" "Bertran"، وفي 24 نوفمبر 1832م بُوع "الأمير عبد القادر"<sup>3</sup> أمير على الجزائر<sup>4</sup>، ولعل هذا ما أجبر الجنرال الفرنسي دي ميشال "De Michel" إلى عقد معاهدة مع الأمير سميت بمعاهدة دي ميشال في 24 جانفي 1834م<sup>5</sup>.

(1) - جيلالي عبد الرحمان، تاريخ المدن الثلاث ...، المرجع السابق، ص 333.

(2) - محمد أوجرتي، الفقهاء والسلطة .....، المرجع السابق، ص 327.

(3) - ولد الأمير "عبد القادر بن محي الدين" في 6 سبتمبر 1808م في قرية القبطنة بمعسكر على ضفة وادي الحمام في منطقة غريس، ينتسب إلى ذرية سيدنا علي بن أبي طالب، هاجرت أسرته من المغرب الأقصى إلى نواحي وهران، وقد أشتهر رجال منها بالورع وكانوا قدوة للناس لإنتمائهم في الأصل إلى أجدادهم الأدارسة الأشراف الذين أسسوا ملكا بالمغرب الأقصى. ينظر: عائشة بن ساعد، البعد الروحي لمقاومة الأمير عبد القادر الجزائري، مذكرة ماجستير، كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية، جامعة الجزائر، 2003-2004م، ص 148.

(4) - محمد بن عبد القادر الجزائري، تحفة الزائر في تاريخ الجزائر والأمير عبد القادر، ط2، تع: ممدوح، دار اليقظة، بيروت، 1964، ص 159.

(5) - مصطفى بن التوهامي، سيرة الأمير عبد القادر وجهاده، تع: يحي بوعزيز، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1995، ص 107.

والجدير بالذكر أن عاصمة بايلك التيطري المدية قد تعرضت إلى أربع مرات للإحتلال في الفترة الممتدة ما بين 1830م إلى 1840م حيث أظهر سكان هذا البايك بطولاتهم وبسالتهم في مقاومة الإستعمار الفرنسي.

ورد في رسالة بعثها المريشال الفرنسي إلى قبائل بايلك التيطري جاء فيها مايلي:

### الحمد لله ولاشريك له

عن إذن سعادة السيد المرشال سلطان الجزائر وعمالتها نصره الله، وأعزه إلى جميع عرب النجوع القاطنين بالتيطري وسائر عمالة الجزائر، وفقهم الله السلام عليكم كثيرا وبعد: نعلمكم واني في مرادي الخير لكم، والربح لكم ونبطل عنكم ضرر الحرب وفساده ولكن الخلفاوات المتولين عليكم ليس لهم حنانة على المساكين ولا يبغوا سوى أنفسهم ومصالحتهم، ولهذا السبب إذا يلحق المساكين ضرر يكن على رقاب الخلفاوات، وليس عليها ذنب وإذا أردتم اصلاحكم وربحكم وتنفوا البأس عنكم تخرجوا من تحت طاعة الخلفاوات وتأتوا إلينا ونحموكم مثل ما سمعتم على عرب الغرب وتكن لكم منا الحرمة والعدل ونحن عبد القادر وخلفاواته على ما فعلوا من الشر والسلام<sup>1</sup>.

### الجزائر 16 مارس 1842م

إن إهتمام الفرنسيون بعاصمة بايلك التيطري نابعا من موقعها الإستراتيجي الهام الرابط بين الشرق والغرب والجنوب، كما أن الأمير عبد القادر هو الآخر قد أدرك إستراتيجية موقعها لذا عسكر بها قبل الحملة الفرنسية، ونصب خليفة عنه وهو المجاهد محمد بن عيسى البركاني ابن صاحب الضريح المشهور لأنه أدرى بأمور عاصمة التيطري ونظامها الداخلي<sup>2</sup>، وأعطى أهمية بالغة لتقوية المدية، حيث تحولت قواعد دولة الأمير الواقعة بمنطقة التل، وهي تلمسان ومعسكر ومليانة والمدية إلى خط دفاعي رئيسي يسد

<sup>(1)</sup> - عبد الحميد زوزو، نصوص ووثائق في تاريخ الجزائر المعاصر 1830-1900م، ط م، 2010، موفم للنشر، ص 51.

<sup>(2)</sup> - جيلالي عبد الرحمان، تاريخ المدن الثلاث ...، المرجع السابق، ص 350.



الطريق أمام أي تقدم محتمل للفرنسيين نحو الداخل في حالة تجدد الحرب وتحولت بذلك مدينة بوغار جنوب المدية إلى مركز حربي<sup>1</sup>.

نستنتج من كل هذا أن بايات التيطري، وحتى السكان المحليين لم يقفوا مكتوفي الأيدي أمام الحملات الفرنسية التي أدت في النهاية إلى إحتلال عاصمة البايك المدية في ماي 1840م، وكان ذلك تحت إشراف "الدوق أورلان" "Orleans"، ووقعت معركة طاحنة، أثبت جيش الأمير من خلالها بسالته حتى سقطت المدينة وعندها دخل الفرنسيون منهين على كل ما تبقى من الإدارة العثمانية في البايك<sup>2</sup>.

نستطيع القول بالرغم من صغر مساحته بايلك التيطري إلا أنه كان نشيطا وثائرا وفقا لإمكانياته الطبيعية والبشرية التي كان يملكها، حيث اختلفت هذه الإمكانيات من الشمال إلى الجنوب، فتتوّع تضاريسه من مرتفعات سهول عليا وصحراء قد إنعكس على طبيعة الإنتاج من الزراعي والحرفي وحتى الرعوي وعلى طبيعة الحياة عند القبائل فمنها من كان مستقرّ أو شبه مستقرّ ومنها من كانت ثابتة.

انطلاقا مما سبق يمكن القول أن علاقة السلطة المركزية بقبائل البايك قد اختلفت من قبيلة إلى أخرى فمنها المساندة للحكم المركزي والتي تمتعت بكل الامتيازات والإعفاءات الضريبية، ومنها المعادية لهذا النظام مما أضطر بالسلطة العثمانية الدخول معها في حروب طاحنة من أجل إخضاعها لسلطتها، وربما يرجع هذا النفور إلى الضرائب المجحفة في حق هذا البايك، ومن هنا يمكن القول بأن علاقة السلطة المركزية بالبايلك قد طغي عليها الجباية وانصب جهود السلطة المركزية على إخضاع القبائل وإرهاقهم بالضرائب مما ولد قطيعة بين السلطة والرعية، أما عن علاقة القبائل الحليفة فلم يرد منها إلا القليل وذلك

<sup>(1)</sup> - ناصر الدين سعيدوني، عصر الأمير عبد القادر، مؤسسة جائزة عبد العزيز سعود البابطين للإبداع الشعري، ص 216-217.

<sup>(2)</sup> - Leynadier et Clausel, Histoire de L'Algérie Française, Paris, imp. Henry(A), 1845, pp98-100.

أن محور الوثائق خاصة الكتابات الفرنسية قد أسهبت في الحديث عن علاقة السلطة بالقبائل المتمردة ببايك التيطري، فكيف يا ترى كانت طبيعة علاقة السلطة المركزية مع بايلك الشرق؟

# الفصل الرابع

## علاقة الحكم المركزي بالجزائر مع بايلك الشرق

أولاً: العلاقات الاقتصادية والاجتماعية والثقافية بين البايك والسلطة المركزية

- 1- العلاقة الاقتصادية بين الحكم المركزي مع بايلك الشرق
- 2- العلاقة الاجتماعية بين السلطة المركزية مع بايلك الشرق
- 3- علاقة مثقفو البايك بالسلطة المركزية

ثانياً: العلاقات السياسية والعسكرية بين البايك والسلطة المركزية

- 1- الاتصالات الإدارية والسياسية بين الحكم المركزي وبايلك الشرق
- 2- العلاقة العسكرية بين السلطة المركزية مع بايلك الشرق

بعد تعرفنا لعلاقة السلطة المركزية مع بايلك التيطري يطيب لنا الحديث في هذا الفصل عن علاقة السلطة المركزية ببائلك الشرق، هذا الأخير الذي يعتبر من أهم وأكبر البايلاكات من حيث الإمتداد الجغرافي وحجم الثروات الطبيعية وحتى عدد السكان، تداول على إدارة شؤونه خلال الفترة العثمانية قرابة 40 باي منهم حكام أقوياء وآخرون ضعاف، كانت قسنطينة هي مقر إدارة هذا البايلاك منذ تأسيس الإدارة العثمانية في بايلك الشرق، كما تميز بخليط قبلي وتنوع إجتماعي وثقافي، لذا سعت السلطة المركزية جاهدة إلى ربط علاقات متينة مع أسر وأعيان هذا البايلاك.

### أولاً: العلاقات الإقتصادية والإجتماعية والثقافية بين البايلاك والسلطة المركزية

#### 1- العلاقة الإقتصادية بين الحكم المركزي مع بايلك الشرق:

##### 1-1- السلطة المركزية وإستغلال موارد البايلاك:

شكلت الموارد الإقتصادية بشكل عام والمستلزمات الضريبية على وجه الخصوص ببائلك الشرق مصدراً إقتصادياً هاماً، وموارد أساسية للسلطة المركزية، وذلك بحصولهم على أجود الأراضي وأخصبها بالبائلك، فأقدم العديد من البايات بشراء هذه الأراضي الخصبة، أمثال الباي "حسن بوحنك"<sup>1</sup> الذي قام سنة 1747م بشراء أراضي عين قجاو من أسرة ابن جلول القسنطينية، ثم في سنة 1751م جعل نفس الأسرة تتخلى عن ممتلكاتها في شعبة الرصاص بقسنطينة كتعويض له عن دين كان على أحد أفرادها، والعمل نفسه قام به

<sup>(1)</sup> - حسن باي (1736-1754م) يدعى بوحنك ترجح الكتابات التاريخية أنه كان طباحاً يتصف بشخصية صعبة وقاسية ذو طبيعة تحريرية وحيوية، تميزت فترة إدارته لبائلك قسنطينة بالإضطرابات والصراعات مع حكام تونس حيث قام حسين بن علي بالتحالف مع الباي بوحنك ضد الباشا علي، لكن هذا الأخير كان مدعوماً من طرف السلطة المركزية بالجزائر، فقامت بإرسال أحمد آغا لتثبيت باشا تونس وحينها خابت مساعي بوحنك في مساعدت حسين بن علي. للإطلاع بشكل مفصل ينظر:

Dournon(A), "Kitab Tarikh Qosantina par El-Hadj Ahmed El Mobarek", **R.Af**, n°57, Alger, 1913, pp289-290.

الباي "أحمد القلي"<sup>1</sup> عندما إشتري أراضي من أسرة ابن باديس بالفحص الأبيض (الحامة)، وتتمثل في جنة ابن عثمان وجنة ابن داود وذلك سنة 1760م، بهذه الإستراتيجية تحولت أخصب الأراضي إلى بايات قسنطينة خاصة القريبة من عاصمة البايك مما جعل هؤلاء يتحولون إلى كبار الإقطاعيين مكونين أسرا أرسنقراطية نافست قوة الأعيان المحليين<sup>2</sup>.

وبخصوص الأراضي التي كانت بحوزت الرعية فقد فرضت السلطة المركزية عليها رسوما مالية تسدد مقابل كراء لأراضي التابعة للبايلك، وقد أحدث هذا النوع من مداخيل "صالح باي"، وبقي مطبقا بالخصوص في الأراضي التي استحوذ عليها الباي عن طريق المصادرة من القبائل المتمردة<sup>3</sup>، الشيء الذي قام به الباي محمد تشاركر<sup>4</sup> عندما وضع يديه على الأراضي الواسعة لعائلة ابن السايح<sup>5</sup>.

وعلى كل فإن الحكور وفرت لخزينة البايك والسلطة المركزية مداخيل مالية معتبرة، وتفيد التقارير الفرنسية أن الحكور كان يعادل بالجملة ثلاث مرات سعر صاع القمح أي ما

(1) - الباي أحمد القلي (1756-1771م): إسمه أحمد بن علي يكنى بالقلي وذلك لعيشه فترة من الزمن بمدينة القل حيث كان آغا عليها، تذكر المصادر أنه كان يتمتع بحكمة وذكاء، ولا أدل على ذلك إسطاعه للتقرب من الأعيان والأسر المحلية وذلك عن طريق المصاهرة بهدف جلب الحلفاء لصفه وتقادي الصراعات التي كثيرا ما كانت تثيرها القبائل الكبرى في بايلك الشرق، فقد نجحت سياسته في تمكينه من الإستقرار في الحكم لمدة 15 سنة إلى غاية وفاته سنة 1771. ينظر: جبور ميلودية، ظاهرة الإغتيال السياسي في نظام الحكم العثماني بالجزائر، مذكرة ماجستير، كلية العلوم الإنسانية والعلوم الإسلامية، جامعة وهران، 2014-2015م، ص 170.

(2) - جميلة معاشي، الأسر المحلية الحاكمة ....، المرجع السابق، ص 182-183.

(3) - فلة موساوي القشاعي، النظام الضريبي ....، المرجع السابق، ص 115.

(4) - أصله تركي ولد بمدينة أزمير، ثم إلتحق بالإنكشارية في الجزائر، وتمكن في الإرتقاء إلى أن تولى حكم بايلك الشرق سنة 1814م، خلف للباي نعمان، ذكرت الكتابات الفرنسية في وصفه أنه معتل القامة ضخم الجسم، وُصف بالنمر المتوحش إلا أنه كان يظهر الوقار والتقوى، عرف بالبطش وله تاريخ دموي في فترة حكمه لم يسلم منها حتى موظفوه، قد عانى من بطشه سكان البايك كما ترك الجيش يعيش في الأرض الفساد والظلم، ونتيجة لذلك أصدرت السلطة المركزية حكم بعزله وتعيين مكانه قرّة مصطفى سنة 1818م. ينظر: جبور ميلودية، ظاهرة الإغتيال السياسي.....، المرجع السابق، ص 182.

(5) - فلة موساوي القشاعي، النظام الضريبي .....، المرجع السابق، ص 115.

يقدر ب: 20.85 فرنك إلى 26.04 للجابدة، وبالرجوع إلى الكتابات الفرنسية فإن مبلغ الحكور لا يقل عن 23.85 ف، وهذا ما يجعل المبلغ الإجمالي للحكور المستخلص من القبائل التي أوكل لها إستغلال أراضي البايك حوالي 247,171 ريال بوجو سنويا، أي ما يعادل 308.245 فرنك، هذا ما يمكن إستخلاصه من الإحصائيات المتوفرة في السنوات الأخيرة لحكم "أحمد باي"<sup>1</sup>.

أما الضرائب ففي مجملها تنقسم إلى ثلاث أصناف حسب طبيعتها القانونية وطريقة إستخلاصها<sup>2</sup>، وقد رأينا في الفصل السابق أنواع هذه الضرائب فهي إما ضرائب إعتيادية أو شرعية كالعشور والزكاة، وضرائب غير إعتيادية مثل اللزمة والغرامة ورسوم الأسواق والهدايا وعوائد وترضيات.... الخ<sup>3</sup>.

والجدير بالذكر أنه من الصعب معرفة النظام الضريبي بشكل دقيق وأنواع الضرائب التي فرضتها السلطة المركزية على بايلك الشرق، كل ما يوجد في هذا الشأن يعود إلى الكتابات الفرنسية التي زودتنا بقائمة عن تلك الضرائب، مما يعني أن هذه القوائم تخص النظام الضريبي الذي طبقه "أحمد باي" آخر بايات قسنطينة أثناء حكمه لذا لا نستبعد أن الباي قد أعاد النظر في كثيرا من القوانين والأنظمة التي وجدت قبل حكمه مما يجعلنا لا نعتمد على هذه القوائم الفرنسية، لأن الأمر يختلف باختلاف النشاطات الإقتصادية، أما طرق جبايتها فتختلف حسب نمط عيش السكان، وبإختصار فإن أهم الضرائب التي فرضت على هذا البايك من طرف الحكم المركزي تمثلت في<sup>4</sup>:

(1) - قلة موساوي القشاعي، النظام الضريبي .....، المرجع السابق، ص 117.

(2) - المرجع نفسه، ص 101.

(3) - لعربي إسمهان، الحياة الإقتصادية في بايلك.....، المرجع السابق، ص 313.

(4) - Devoulx (A), Tachrifat Recueil de....., op.cit, p30.

## أ- العشور:

كانت تستخلص من الإنتاج الفلاحي كالقمح والشعير والتبن وغيره، تعرف هذه الضريبة بضريبة الجبري الذي يحددها عادة قائد العشور الذي كان يعرف أيضا منذ عهد صالح باي "قائد جبري"، وذلك حسب عدد الجابديات وخصوبة التربة وجودة المواسم لهذا تختلف من منطقة إلى أخرى<sup>1</sup>.

كان القايد هو من يشرف على جمع هذه الضريبة، والتي تدفع من طرف قايد القبيلة بعد أن يقوم قايد العشور بتحديد قائمة المطالبين بدفع الضريبة<sup>2</sup>، وقد شكلت هذه الضريبة مدخولا أساسيا للبايلك والسلطة المركزية نظرا لأن ثلثي الأراضي الزراعية الخصبة بالبايلك كانت تعد ملكية خاصة يتوجب عليها دفع ضريبة العشور، وهذا ما جعل من ضريبة العشور الجباية الأساسية في بايلك قسنطينة.

وفرت هذه الضريبة للسلطة المركزية ما لا يقل عن 396.80 فرنك إذا إعتبرنا أن ما يتوجب على الجابدة 12 فرنك، وأخذنا أقل الإحصاءات لعدد الجابديات المفروضة عليها العشور، والتي حددت بـ: 330.40 فرنك، مع العلم أن عدد الجابديات تختلف من تقرير لآخر، وهذا ما يدفعنا إلى القول بأن هذه الإحصائيات هي تقريبية، فهي تدل على أهمية ضريبة العشور وليس على الكمية والمساحة، هذا ما أورده إحدى الدراسات الفرنسية في السنوات الأولى للإحتلال كما هو مبين في الجدول الآتي<sup>3</sup>:

(1) - فلة موساوي القشاعي، النظام الضريبي بالريف.....، المرجع السابق، ص ص 102-103.

(2) - لعريبي إسمهان، الحياة الإقتصادية في بايلك.....، المرجع السابق، ص 316.

(3) - فلة موساوي القشاعي، النظام الضريبي بالريف.....، المرجع السابق، ص ص 102-103.

4.800 جابدة	قبائل غرب البايك
3.500 جابدة	قبائل شرق البايك
2.515 جابدة	أراضي البايك الخاصة بالموظفين وبعض الشخصيات
5.212 جابدة	أراضي العزل التي يؤخذ منها الحكور بالإضافة إلى العشور
1.500 جابدة	الملكيات الخاصة بالموظفين ورجال الدولة بالخصوص

#### ب - الزكاة:

هي ضريبة شرعية فرضت على الرعية بالبايك توجب على المواشي كالأغنام والجمال والأبقار، فتأخذ رأسا عن عشرة من الأغنام وجملا عن خمسة وعشرين جملا وبقرة عن ثلاثين بقرة<sup>1</sup>، وفي هذا الصدد ذكر "أحمد الشريف الزهار": " وباي الشرق مثله في عوائد المواسم... وباي الشرق يزيد نحو ألفي رأس من البقر للبايك وألف رأس عوائد ويفرق القمح للعوائد كذا والتمر والزيتون في كل سنة..."<sup>2</sup>، لكنها أصبحت تخضع لقدرة وإمكانات أصحاب القطيع، فلا يلتزم فيها بالنسبة ولا تؤخذ بالنصاب المحدد لها<sup>3</sup>.

بالرغم أن الزكاة لم تفرض في الشكل المتعارف عليه في بايك الشرق فأستخلصت في شكل مطالب محددة، وهذا ما جعلها تدرج في ماكان يحصل عليه البايك من حيوانات من قبائل الأرياف دون إطلاق تسمية الزكاة عليها، وهذا ما جعل بعض الدارسين الأوروبيين إلى القول بعدم وجود ضريبة زكاة ببايك الشرق دون محاولة التعرف على الأوجه المختلفة التي إتخذتها لطبيعة الجهاز الضريبي في البايك<sup>4</sup>.

<sup>(1)</sup> - جهيدة بوعزيز، الصراعات الداخلية وأثرها على المجتمع الريفي في بايك الشرق الجزائري أواخر العهد العثماني (1771-1837م)، مذكرة الماجستير، كلية العلوم الإنسانية والعلوم الإجتماعية، جامعة قسنطينة (2)، 2011-2012، ص 53.

<sup>(2)</sup> - أحمد الشريف الزهار، مذكرات .....، المصدر السابق، ص 73.

<sup>(3)</sup> - جهيدة بوعزيز، الصراعات الداخلية .....، المرجع السابق، ص 53.

<sup>(4)</sup> - فلة موساوي القشاعي، النظام الضريبي بالريف .....، المرجع السابق، ص 104.



### ج- الحكور:

هي الضرائب العثمانية المعروفة أيضا بباليك الشرق والتي إستحدثها الصالح باي، وهي ضريبة خاصة بباليك الشرق نقدية، كانت تدفع عن أراضي البايك فقط وظلت كذلك إلى أن قام الحاج أحمد باي بتوسيع هذه الضريبة لتشمل أراضي البايك والعرش معا<sup>1</sup>، لم تكتفى السلطة العثمانية بهذه الضرائب بل أنها إستحدثت ضرائب أخرى والتي كان من شأنها إثقال كاهل الرعية والفلاحين نذكر منها:

#### • اللزمة:

كانت تدفعها القبائل المغلوبة على أمرها تتراوح كميتها حسب المناسبات، وذلك بتكليف شيوخ الدواوير في البوادي بجمعها<sup>2</sup>، وقد تلتزم بها بعض القبائل بالمناطق الصحراوية أو الجبلية، وفي هذه الحالة تعوض ضريبة العشور والزكاة التي يتعذر دفعها في تلك المناطق البعيدة، ولهذا أصبحت تشكل مداخل عينية ونقدية وفيرة للسلطة المركزية، يقدر مجموع ما تدفعه كل من قبائل بجاية وساحل البابور وفرجيوة وميلة 122055 ريال بوجو<sup>3</sup> أو 98101.80 فرنك موزعة كما يلي<sup>4</sup>:

قبائل بجاية	21.360 بوجو	384.48 ف
قبائل ساحل البابور	7506 بوجو	13510.80 ف
قبائل فرجيوة وميلة	25635 بوجو	461.43 ف
المجموع	122.055 بوجو	98101.80 ف

(1) - لعربي إسمهان، الحياة الإقتصادية في بايلك.....، المرجع السابق، ص 318.

(2) - ناصر الدين سعيدوني، النظام المالي.....، المرجع السابق، ص 96-97.

(3) - جهيدة بوعزيز، الصراعات الداخلية....، المرجع السابق، ص 54.

(4) - فلة موساوي القشاعي، النظام الضريبي بالريف.....، المرجع السابق، ص 105.

### • الغرامة:

فُرضت على القبائل الممتنعة أو البعيدة والتي يعتمد سكانها على الرعي أساساً، وتأخذ في أغلب الأحيان من المنتجات المحلية وتسدد نقداً عند الضرورة، وتتوزع إنتاج القبائل التي تلتزم بدفعها، أما العشائر التي تعتمد على الرعي مثل الحانشة وأولاد سيدي يحي بن طالب والنمامشة فتفرض عليها الغرامة مرة واحدة، فالنمامشة مثلاً تدفع عادة 3000 خروف سنوياً ومثلها الحراكطة التي تسدد في شكل غرامة 1000 خروف<sup>1</sup>، ومن هنا يمكن القول أن الغرامة من أهم مصادر الدخل لبائلك قسنطينة، حيث حددها السيد "روسو" "Rousseau" عشية الإحتلال الفرنسي بـ: 389.85 فرنك، وهذا مادفع السيد "وارني" "Warnier" في تقريره إلى القول بأن: « ضريبة الغرامة تشكل أهم مصدر دخل لبائ قسنطينة... »<sup>2</sup>.

### • الخطية والضرائب الخاصة:

تفرض أحيانا على بعض القبائل كدليل على خضوعها لسلطة الباي، فتلتزم بها القبائل الثائرة المتمردة عند إخضاعها أو طلبها الأمان من السلطة المركزية عوضاً عما صدر منها من مخالفة وعصيان<sup>3</sup>، بهذا شكلت الخطية إحدى مصادر الدخل المهمة لبائلك الشرق بحيث قدرت بخمس موارد الخزينة في عهد الحاج أحمد باي حسب ما تفيد به التقارير<sup>4</sup>.

كما أن هناك ضرائب ذات طابع إداري وصيغة إقتصادية أوجبتها الإجراءات المتعلقة بتولية المناصب الإدارية بالأرياف بغرض الإعراب عن الروابط والتعاون مع موظفي

(1) - جهيدة بوعزيز، الصراعات الداخلية ....، المرجع السابق، ص 54-55.

(2) - فلة موساوي القشاعي، النظام الضريبي بالريف.....، المرجع السابق، ص 108.

(3) - جهيدة بوعزيز، الصراعات الداخلية ....، المرجع السابق، ص 55.

(4) - فلة موساوي القشاعي، النظام الضريبي بالريف.....، المرجع السابق، ص 108.

البايلك مثل حقوق التولية وهدايا الوسم، ومنها ما أنجر عن الإجراءات الإقتصادية المتعلقة بكراء الأراضي<sup>1</sup>.

هناك العوائد والهدايا والترضيات<sup>2</sup> التي تقدم عادة بمناسبة حدثا هاما قد يطرأ بعائلة الباي أو يمس حاشيته ومعاونيه، مثل الولاية والزواج والترقية ثم توسع في هذه العوائد فيما بعد، فأصبحت المطالب المالية الإعتيادية تتقدم كذلك في المواسم الدينية وفي بعض الفصول الفلاحية<sup>3</sup>، يضاف إلى هذه العوائد ضريبة ضيفة العادة، والتي تختلف عن الضرائب السابقة في كونها أشد خطرا وتأثيرا على الأرياف<sup>4</sup>، وهي مساهمة من الرعية تدل على إعترافها بسلطة البايلك وخضوعها لأوامره، كما وجدت ضريبة الدنوش الهدف منها المساهمة في دنوش الفصلية والسنوية التي ترسل إلى مقر الحكم المركزي، والتي كثيرا ما عجزت خزينة البايلك على توفيرها، ولهذا توجب الإلتجاء إلى الأرياف للمساهمة بها تحت إسم ضيفة الدنوش التي قدرت عشية الإحتلال الفرنسي بـ: 800.000 فرنك كان يقدمها الحاج أحمد باي لمقر الحكم المركزي يضاف إلى ذلك الهدايا المتنوعة<sup>5</sup>.

لم تكن هذه هي الضرائب السابقة الذكر المفروضة على البايلك فحسب، بل وجدت رسوم فرضت حتى على السلع والبضائع منها ما يتعلق برسوم الأسواق والمبادلات بالأرياف، ومنها ما يخص الرسوم المفروضة على النشاطات التجارية في المدن، ومنها ماله علاقة بالرسوم المفروضة على التجارة بين المدينة والريف، وفرضت هذه الرسوم على كل المواد والسلع والبضائع التي يحملها أفراد القبائل إلى الأسواق الأسبوعية أو الموسمية

(1) - فلة موساوي القشاعي، النظام الضريبي بالريف.....، المرجع السابق، ص 110.

(2) - لمعرفة مقادير هذه الهدايا والترضيات التي كان يساهم بها بايلك قسنطينة سنة 1758م راجع الوثيقة الأرشيفية في الملحق رقم (2)، ص 380.

(3) - المرجع نفسه، ص 112.

(4) - ناصر الدين سعيدوني، دراسات تاريخية في الملكية والوقف والجباية-الفترة الحديثة، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 2001، ص 304.

(5) - فلة موساوي القشاعي، النظام الضريبي بالريف.....، المرجع السابق، ص 113.

المنتشرة بالريف القسنطيني وتتمثل هذه الرسوم في دفع اللزمة للدخول إليه بتلك البضائع<sup>1</sup>، وتدفع هذه الرسوم نقدا وفي بعض الأحيان عينا على شكل مقدار من الحبوب وبعض المواشي والجلود<sup>2</sup>.

بهذا أصبحت الأسواق توفر للبايلك جزء هام من المحاصيل الزراعية والإنتاج الحيواني مع كميات كبيرة من السلع الأخرى مثل الملح والخشب وغيره<sup>3</sup>، وعلى العموم فإن كل هذا الإستغلال المجحف، وهذه الرسوم والضرائب كانت رمزا وولاء البايلك للسلطة المركزية من جهة، وتؤكد سلطة الحكم المركزي على البايلك من جهة ثانية، فاستمرار الباي في وظيفته مرتبط بأهمية العوائد، ومن هنا فالدنوش في الحقيقة هو عبارة عن تظاهرة إقتصادية وسياسية تمنح للداي، ومن هنا فإن الدنوش من أهم القنوات المادية المدعمة للسلطة المركزية<sup>4</sup>.

## 1-2- أهم الممرات والطرق التجارية بين البايلك ومقر الحكم المركزي

توفر بايلك الشرق خلال العهد العثماني على شبكة من الطرق والمواصلات كانت تربطه مع مقر الحكم المركزي تضمن الانتقال للأشخاص والقوافل كما تساعد في تصريف المنتجات الفلاحية وتأدية الدنوش للسلطة المركزية، ونظرا لتشعب موضوع الطرق والمواصلات بهذا البايلك سواء مع السلطة المركزية أو مع خارج الأيالة تونس فإننا سوف نكتفى في هذا الفصل بتحديد شبكة المواصلات، وضبط إتجاهاتها والتعرف على خط برها، وذلك بالإعتماد على المعلومات التي توفرها لنا الكتابات المحلية وبعض الكتابات الأجنبية،

<sup>(1)</sup> - فاطمة الزهرة قشي، قسنطينة المدينة والمجتمع في النصف الأول من القرن الثالث عشر الهجرية \_ من أواخر القرن 18م إلى منتصف القرن 19م، أطروحة دكتوراه، كلية العلوم الإنسانية والإجتماعية، جامعة تونس الأولى، 1998، ص 267.

<sup>(2)</sup> - لعريبي إسمهان، الحياة الإقتصادية في بايلك.....، المرجع السابق، ص 320.

<sup>(3)</sup> - فلة موساوي القشاعي، النظام الضريبي بالريف.....، المرجع السابق، ص 114.

<sup>(4)</sup> - كمال فيلالي، " البايلك نظام حكم ...."، المرجع السابق، ص 35.

وباختصار يمكن تحديد شبكة المواصلات الرابطة مقر الحكم المركزي ببابك الشرق فيما يلي<sup>1</sup>:

#### أ- الطريق السلطاني الشمالي<sup>2</sup>:

يربط أهم الطرق الواقعة بإقليم التل، ويصل حواضر بايلك الشرق قسنطينة بمقر الحكم المركزي، وهذا ما جعله يشكل أساس الطريق السلطاني بقسميه الشرقي الرابط بين دار السلطان والبابك، وهذا الطريق السلطاني يساير في اتجاهه العام المسلك القديم (طريق التل) العابر لمقاطعات نوميديا وموريطانيا في العهود القديمة<sup>3</sup>.

ينطلق هذا الطريق السلطاني في قسمه الشرقي من مقر الحكم المركزي إلى قسنطينة ويتحدد خط سيره بالمحطات التالية<sup>4</sup>:

رقم المرحلة (المحطة)	إسم المحطة
الأولى	باب عزون
الثانية	عين الربط
الثالثة	قنطرة الحراش
الرابعة	حوش القايد بوطن الخشنة
الخامسة	حوش باي قسنطينة على واد الحمير
السادسة	مستنقعات أودية الحراش والسمار والحمير بمنخفضات متيجة
السابعة	أولاد محمد بالقرب من مركز قار مصطفى بناحية الفندق (خميس الخشنة)

(1) - ناصر الدين سعيدوني، "شبكة المواصلات بالجزائر أثناء العهد العثماني، المجلة التاريخية العربية للدراسات العثمانية، ع21، منشورات مؤسسة التميمي للبحث العلمي والمعلومات، تونس، سبتمبر 2000، ص 65.

(2) - الطرق السلطانية هي الطرق التجارية الكبرى، وسميت بالسلطانية لأنها مرتبطة بالسلطة أو ما يعتبر عنها اليوم بالطرق الوطنية. ينظر: إبراهيم بن الزاهد، العلاقات بين المجتمعات الواحية في الجنوب الغربي التونسي والجنوب الشرقي الجزائري خلال القرن 19، رسالة ماجستير، كلية الآداب والفنون والإنانيات ببنوينة، تونس، 2006-2007، ص 9.

(3) - ناصر الدين سعيدوني، "شبكة المواصلات بالجزائر ....."، المرجع السابق، ص 68.

(4) - المرجع نفسه، ص ص 68-69.

أولاد سيدي عبيد عند واد قدارة (واد بودواو الأعلى)	الثامنة
الأربعطاش التي يقع فيها الطريق مجرى وادي قدارة	التاسعة
جبال عمال (بوزقة) عند أحواض عين السلطان	العاشرة
وادي الزيتون	الحادي عشر
جسر واد هني ثم واد مهني	الثاني عشر
جبال بني جعاد وبني خلفون	الثالث عشر
مقطع الرخام على واد الزيتون	الرابعة عشر
جسر وادهني ثم مرجة واد مهني	الخامسة عشر
جبال بني جعاد وبني خلفون	السادسة عشر
مقطع الرخام على واد الزيتون (يسر الأعلى) في مكان ذراع البغال	السابعة عشر
بني هارون ثم برج حمزة بني منصور	الثامنة عشر
مرتفعات معالو ثم أبواب الحديد بجبال البيبان	التاسعة عشر
البرج بمجانة ثم محطة سيدي مبارك السماتي	العشرون
محطة سطيف	الواحد والعشرون
تاشودة- الخربة- بئر البقرات- قسنطينة	الثاني والعشرون

والجدير بالملاحظة أن هذا الطريق السلطاني المتجه إلى بايلك قسنطينة عرف تحويرا في جزئه الأوسط العابر لبلاد القبائل في بعض القنوات، فكان خط سير يتحول في أوقات الإضطرابات نحو الجنوب ليتجنب مواطن قبائل فليسة وحلفائها، فيمر عبر سهول بني سليمان وبرج سور الغزلان ومرتفعات ونوغه، ومنها يتصل بمجانة، وقد يتوغل هذا الطريق نحو الشمال فيخترق المناطق الجبلية لبلاد القبائل عندما يستتب الأمن فيمر على ثنية بني عائشة وبرج منايل وبرج ساباو وبرج بوغني، ومنه إلى برج حمزة، حيث يتصل بخط السير العادي نحوى قسنطينة عاصمة البايك<sup>1</sup>.

<sup>(1)</sup> - ناصر الدين سعيدوني، "شبكة المواصلات بالجزائر ....."، المرجع السابق، ص 69.

## ب- الطرق الفرعية:

إضافة للطريق السلطاني فقد عرف بايلك الشرق طرق فرعية كانت تربطه مع مقر الحكم المركزي، تنقسم هذه الطرق الفرعية إلى مجموعتين الأولى تنتشر حول مقر الحكم المركزي، والثانية تختص بايلك الشرق، ومن أهم هذه الطرق الفرعية<sup>1</sup>:

- طريق يربط مقر الحكم المركزي مع شرشال يسائر طريق القليعة، وبعد أن يجتاز مدينة القليعة يسلك المرتفعات الساحلية القريبة من البحر حتى وادي الناظور، ثم سفوح جبل شنوة الجنوبية فوادي الهاشم.<sup>2</sup>

- طريق يربط مقر الحكم المركزي مع دلس يسائر طريق قسنطينة، وبعد قنطرة الحراش يمر على حوش الروبية ثم حوش الرغاية بعدها يجتاز وادي قورصو، ويقطع وادي يسر عند برج أم نائل ويصل دلس.

- طريق يربط مقر الحكم المركز ببجاية يتجه نحو وادي يسر الساحل فالصومام، وقد يأخذ هذا الطريق إتجاها آخر فيمتد من برج ساباو نحو مرتفعات ياكورن وأدكار، ومنها إلى بجاية عبر مواطن قبيلة بني وغيليس، وهذا المسلك الأخير يكاد يقصر إستعماله على رجال القبائل دون بقية المسافرين لصعوبة تضاريسه وخطورته<sup>3</sup>.

كما نجد بايلك الشرق قد ربطته شبكة مواصلات حتي في الجهة الجنوبية مع بسكرة، ومن أهم محطاتها: بئر البقرات، سقان، والمشيرة، مول الضاب، الزمول، باتنة، سهل

<sup>(1)</sup> - ناصر الدين سعيدوني، "شبكة المواصلات بالجزائر ....."، المرجع السابق، ص 74.

<sup>(2)</sup> - للإطلاع على هذه الطرق البرية الرابطة بين بايلك الشرق ومقر الحكم المركزي راجع الملحق رقم (21)، ص 406.

<sup>(3)</sup> - ناصر الدين سعيدوني، "شبكة المواصلات بالجزائر ....."، المرجع السابق، ص ص 75-76.

القصور، الغنية، القنطرة، قلعة الحمام، الوطاية، بسكرة، ومنها إلى توقرت وورقلة، وسوف<sup>1</sup>.

هذا وقد أشتهر هذا البايك بمسالك هامة كانت تربطه مع إيالة تونس، وذلك بوجود طريقين طيلة العهد الإسلامي يتجهان من تونس إلى بايلك الشرق أحدهما شمالي والآخر جنوبي، ينطلق كلاهما من قاعدة تونس (القيروان)<sup>2</sup> ويصلانها بقلعة بني حماد والمسيلة، وتاهرت، وتصل هذين الطريقين مسالك ودروب فرعية أهمها: طريق الأريس مسكيانة، وطريق مجانة- مرمجانة- تيجيس المار على توبوت والذي يسلكه المسافر إلى بايلك قسنطينة، وطريق سطيف-المسيلة والذي يتفرع منه في مدينة الغدير طريق يتوجه إلى طينة<sup>3</sup>.

لعبت قبيلة الحنانشة دورا هاما في هذا التواصل، لأنها المسيطرة على الطريق بين تونس وبايلك قسنطينة، وزاد الموقع الإستراتيجي لهذه القبيلة في أهميتها لدى دايات الجزائر حتى أصبح إرسال قفطان التولية من قبل داي الجزائر إلى شيخ الحنانشة في العهد

(1) - ناصر الدين سعيدوني، "شبكة المواصلات بالجزائر .....", المرجع السابق، ص 72.

(2) - القيروان مدينة تونسية، تعد أولى المدن الإسلامية التي شُيِّدت بالمغرب العربي منذ أكثر من ثلاثة عشر قرناً (50هـ، 670 م)، حين إختارها "عقبة ابن نافع" مكاناً إستراتيجياً بعيداً عن الشواطئ التي يهددها البيزنطيون، وبعيداً عن الجبال التي يترصص بها البربر وبها يتحصنون، وقد أرادها عقبة أن تكون قاعدة أعماله الحربية ومخزناً لمؤنه، وأرادها معسكراً لجند الإسلام إلى آخر الزمان، ومن هنا كانت تسمية القيروان، وهي معربة عن كاروان الفارسية وتعني المعسكر، ويقال إن القيروان شيدت على أنقاض مدينة حمودة أو قمونية الرومانية، ويقال أيضاً إن الذي سبق "عقبة بن نافع" إلى موضع القيروان هو أمير "معاوية ابن حديج"، فهو الذي نزل بعد تقدمه في الفتح بالموضع المعروف بالقرن (يعرف اليوم بباطن القرن أو بالباطن إختصاراً) حيث توجد الثكنة العسكرية الحديثة اليوم، واتخذة قيرواناً. ينظر: أحمد مهدي الشويحات، الموسوعة العربية العالمية الإلكترونية، 2004.

(3) - ناصر الدين سعيدوني، ورفات جزائرية ....., المرجع السابق، ص 390.



العثماني تقليدا سنويا منتظما، وكان الأمر قد يصل أحيانا درجة إستدعاء شيخ الحنانشة للحضور إلى مقر الحكم المركزي فيذهب مع باي قسنطينة عند موسم تقديم الدنوش<sup>1</sup>.

### 1-3- نشاط المحلة في البايك وانعكاساته على علاقة السلطة بالرعية:

كانت المحلة تخرج لقبائل الأرياف في أوقات معلومة بغرض إستخلاص الضرائب ومعاينة الممتنعين عن أداء المطالب المخزنية، وقد جرت العادة أن تنطلق هذه الحملات العسكرية من مقر البايك<sup>2</sup>، وأثناء خروجها كان يفرض على الرعية إستضافة أفرادها وذلك بتقديم اللحم والدجاج والكسكس والشعير لكل فرق المحلة، كانت فرق المحلة تختار أحسن الخيام لتشارك الرعية في الأكل والشرب<sup>3</sup>، فمثلا كان سكان عنابة يحضرون في ثلاثة أيام الأولى خروف لكل مائدة و60 خبزة، ويقدر ثمن كل صفة 17 ريال بوجو، كما كانت تمنح للأغا جرة من الزبدة وجرة من العسل و130 كغ من الصابون وجرتين من الزيت و12 صاعا قمحا، أما بقية الأيام فلكل سفرة نصف خروف كل يوم إثنين وخميس، أما يوم الأربعاء فيأخذون خروفا كاملا<sup>4</sup>.

لم يكن أمام هؤلاء الرعية إلا الخضوع، بل كانوا يتحملون منهم أبشع الإهانات والذل يصل أحيانا إلى حد الضرب، ولم يكن أمامهم إلا الصبر وإنتظار ساعة رحيلهم عن القرية متمنيين عدم عودتهم مرة أخرى<sup>5</sup>.

<sup>(1)</sup> - محمد الحبيب عزيزي، "شبكة العلاقات البينية تونس وقسنطينة في العهد العثماني"، أعمال المؤتمر الرابع عشر للدراسات العثمانية تحت عنوان: الإقتصاد البيئي والتواصل البشري والإجتماعي بين الإيالات العربية خلال القرنين الثامن عشر والتاسع عشر، منشورات مؤسسة التميمي للبحث العلمي والمعلومات، تونس، فيفري 2013، ص 212.

<sup>(2)</sup> - ناصر الدين سعيدوني، الجزائر في التاريخ.....، المرجع السابق، ص 36.

<sup>(3)</sup> - جهيدة بوعزيز، الصراعات الداخلية.....، المرجع السابق، ص 56.

<sup>(4)</sup> - Devoulx (A), Tachrifat Recueil de....., op.cit, pp 60 - 61 .

<sup>(5)</sup> - جميلة معاشي، الإنكشارية.....، المرجع السابق، ص 91.

كانت هذه المحلة تجوب الأرياف لمدة طويلة قد تصل إلى 6 أو 7 أشهر تستخلص الضرائب وتوقع العقاب بالملتزمين، فمحلة قسنطينة كانت تنقسم إلى فيلقين أحدهما بقيادة الباي، يجوب الهضاب العليا والتل الجنوبي، وقد يصل عدد القوة التركية المصاحبة له 1000 رجل، والفيلق الآخر على رأسه خليفة الباي ينتقل من مناطق التل الشمالية المتاخمة لساحل البحر، ويعزز هذا الفيلق في بعض المرات 500 جنديا تركيا<sup>1</sup>.

أما عن الطرق الذي تأخذه هذه المحلة عند سيرها فهي تمر بمعايير صعبة ومعرضة لهجمات قبائل الجبل، لذلك نراها تعتمد في طريقها على مراكز النوبات ومناطق قبائل المخزن التي تحمي طريق المحلة الإنكشارية وتتمر على المراحل التالية<sup>2</sup>:

المرحلة	المحطة
الأولى	من وادي الحراش حتى جنان الباي
الثانية	فندق حمير
الثالثة	قنطرة بني مهني
الرابعة	العكايشنة
الخامسة	بن هارون
السادسة	البويرة
السابعة	بني منصور
الثامنة	البيبان
التاسعة	ماجنة
العاشر	سيدي مبارك
الحادي عشر	تاشودة
الثاني عشر	سطيف
الثالث عشر	كارابت
الرابعة عشر	بئر القراعات ثم قسنطينة

<sup>(1)</sup> - ناصر الدين سعيدوني، الجزائر في التاريخ.....، المرجع السابق، ص 37.

<sup>(2)</sup> - محمد الحبيب العزيزي، ظاهرة الحكم المتجول.....، المرجع السابق، ص 63.

ما يلاحظ أن المحلة قد تأخذ شكل حملة عسكرية واسعة النطاق القصد منها توسيع نفوذ البايك وإخضاع المناطق النائية بالجهات الصحراوية التي عرفت في فترات متعاقبة عدة حملات عسكرية، مثل حملة "الصالح باي" قسنطينة سنة 1788م لإخضاع بني جلاب<sup>1</sup>، غير أن صاحب كتاب تاريخ بايات قسنطينة ينفي حملات الصالح باي بقوله: "...أما صالح باي فإنه لم يتقدم لمضارب تلك القبائل لجبي الضرائب المفروضة عليهم بواسطة المحلات العسكرية، بل كان يخرج بمحلته إلى مكان قريب من البلد بسبع سوابع يرقم به ثم يرسل الشواش والإصبحية كل الأوطان سواء كان جبلا أوروطن ليأتونه بجمع المغارم التي عليهم من خيل وبغال وبقر وغنم ودراهم"<sup>2</sup>.

عند إنتهاء مهمة المحلة فإن القبائل كانوا مطالبين بتوفير الجمال والبغال الضرورية لنقل ما جمعته المحلة من ضرائب إضافة إلى مبالغ مالية قدرت ما بين 800 إلى 2000 ريال، وذلك حسب خيرات كل منطقة<sup>3</sup>، الأمر لم يقف عند هذا الحد بل أشارت الكثير من الدراسات أنه وجد عناصر من الجند الإنكشارية من محلة بايلك الشرق قدر فروا إلى المحلة التونسية باحثين عن الكسب الأوفر وطالبين الانضمام إلى هذه الأخيرة فيسجلهم باي تونس في قوائم الجند بإيالته، ولا تبيّن المصادر أسباب هذا الفرار، والمرجح أن الجندي الإنكشاري يعتبر كل إيالات المغرب العثماني هي تابعة للسلطان مهما إنتقل من إيالة إلى أخرى فهو دائما في خدمة المؤسسة ذاتها<sup>4</sup>.

لأخذ فكرة أشمل وأوضح على مدى التذمر الذي تتركه هذه المحلات في أرياف بايلك الشرق فالباي "أحمد المملوك" مثلا سارع أثناء حملته على أولاد جلاب سنة 1816م إلى قطع 200 نخلة، ولم يتوقف عن تخريب الجهات القريبة من المدينة إلا بعد إسترضائه

(1) - ناصر الدين سعيدوني، الجزائر في التاريخ.....، المرجع السابق، ص 37.

(2) - مؤلف مجهول، تاريخ بايات قسنطينة ....، المصدر السابق، ص 9.

(3) - جهيدة بوعزيز، الصراعات الداخلية.....، المرجع السابق، ص 57.

(4) - محمد الحبيب عزيزي، " شبكة العلاقات البيئية ....."، المرجع السابق، ص 221.

ب: 10.000 ريال، كما أن الباي إبراهيم ابن علي قد تمكن في إحدى حملاته على قبيلة النمامشة من الإستيلاء على 40 ألف رأس غنم، أما "الحاج أحمد باي" آخر بايات قسنطينة فإنه أعطى لفرسان المخزن 30 ريال، أي حوالي 60 فرنك لكل فارس يستظهر رأس من رؤوس قبيلة أولاد عبد النور، و 10 ريالات لكل من يغنم من تلك القبيلة بندقية مع السماح لهؤلاء الفرسان بالإحتفاظ بكل ما تم الإستيلاء عليه<sup>1</sup>، ويعتبر عرش بوغانم ببابلك الشرق مثالا آخر يثبت وحشية هذه المحلة، فقد تعرض لسبعة هجمات من فرق الباي ومخزن الحنانشة عند رفضه لدفع الضرائب كانت خسائرها وفق للجدول التالي<sup>2</sup>:

نوع الضريبة	قيمتها	نوع الضريبة	قيمتها
الغنم	130 رأس	الحمير	100 رأس
البقر	30 ألف رأس	الحبوب	12 ألف مزود
الإبل	10 آلاف رأس	الخيام	ألف خيمة
الخيول	900 رأس	الأموال	36 ألف ريال س ت
البغال	500 رأس	القتلى	300 قتيل

تركت مثل هذه المحلات آثار سلبية وتجاوزات على إقتصاد البابلك، أدت إلى تحول عددا كبيرا من الرعية إلى نمط البداوة والتنقل<sup>3</sup>، فقد نجم عن حاجة السلطة المركزية للأموال توفيراً لما تحتاج إليه الإنكشارية من العطايا والباي من النفقة خاصة مع تزايد النفقات والحاجات والتدرج في عوائد الترف<sup>4</sup>.

(1) - ناصر الدين سعيدوني، الجزائر في التاريخ.....، المرجع السابق، ص 38.

(2) - محفوظ رموم، " ملكية الأرض والمكوس....."، المرجع السابق، ص 303.

(3) - ناصر الدين سعيدوني، الجزائر في التاريخ.....، المرجع السابق، ص 38.

(4) - جهيدة بوعزيز، الصراعات الداخلية.....، المرجع السابق، ص 63.

ما زاد الطين بلة هو إطلاق العنان لهؤلاء الجبابة ليصبحوا بمثابة سوط عذاب على الرعية، وقد إزداد الأمر سوء مع ظهور ما يسمى بنظام الإلتزام<sup>1</sup> الذي يعتبر بمثابة رخصة للجبابة، حيث يأخذون مرتباتهم من الضريبة التي كانوا يقومون بجمعها، وهذا ما أدى إلى إنعكاسات خطيرة على الرعية لأن الجبابة كانوا يعملون على تعويض الأموال التي إشتروا بها مناصبهم، في الوقت نفسه كانوا يجهدون أنفسهم للحصول على المبالغ المالية اللازمة للإحتفاظ بوظائفهم وتأمين مستقبلهم خشية التعرض للعزل<sup>2</sup>، ولا أدل على ذلك من الرسالة<sup>3</sup> التي بعث بها الحكم المركزي إلى البايك لمطالبته بدفع ما عليه من ضرائب وعدم إخراج السلطة المركزية مرة أخرى تحمل تهديدا صريحا في حالة التماطل أو التراخي<sup>4</sup>.

من هنا يمكن القول بأن هذه الضرائب تعدت في تأثيرها الجانب المادي لتبلغ الجانب النفسي، وهو ما يتجلى بوضوح في مشاركة أفراد المحلة لخيام الريفيين، وما يترتب عن ذلك من ضغط وإستغلال، خاصة إذا علمنا أن هؤلاء الجبابة لم تكن لهم ضوابط في جمع الضرائب، بل أينما وجدت المحلة يحل معها الدمار والخراب، كان ذلك واضحا في المراحل الأخيرة للوجود العثماني في البايك، حين أضطر البايات إلى فرض مغارم على الرعية.

وعموما فإن اليد الطولى في فرض الضرائب على الفلاح لم تقتصر على "الصالح باي" الذي قام بتطوير الجهاز الضريبي وتنظيمه فقط، بل كان جل البايات الأواخر باع طويل في هذا الميدان أيضا، حيث أستندوا إلى الفلاحين في تمويلهم بالأموال لدفع رواتب جنودهم وتغطية نفقات صراعاتهم، ومن ذلك ما تذكره المصادر عن وضع الريف الذي

(1) - ويقصد به الإلتزام بضريبة سنوية تتغير تسميتها حسب الجهات، وكانت تدفع نقدا، لكن أحيانا تستخلص من المحاصيل الزراعية يضاف إليها بعض المبالغ من النقود إذا كانت لا تفي بمطالب الحكام. ينظر: بن عتو بلبروات، المدينة والريف .....، المرجع السابق، ص 386.

(2) - ناصر الدين سعيدوني، النظام المالي .....، المرجع السابق، ص 245.

(3) - للإطلاع على نص الرسالة كاملا، راجع الملحق رقم (5)، ص 384.

(4) - الملف 384- المجموعة (الحافظة) 223 - 1758م، الأرشيف الوطني التونسي، الوثيقة 20. تم تصوير هذه الوثيقة من الأرشيف الوطني التونسي - أرشيف ولاية قسنطينة.

أرهقه البايات بالمغارم الكثيرة حتى لم يفلت من النظام الضريبي أي فرع من فروع الإنتاج الفلاحي والصناعي والتجاري، ولا أي مادة قابلة للدفع، ويبدو أن السلطة المركزية قد استعملت أنجع الطرق لجمع كل هذه الضرائب<sup>1</sup>.

كان من نتائج هذه السياسة الضريبية إنعكاساتها الوخيمة على علاقة السلطة بالرعية، حيث قامت عدة مناوشات من قبل الرعية ضد السلطة الحاكمة، وقد أدت هذه الإنتفاضات إلى إنكماش الأرياف وإبتعاد الرعية عن مركز البايك بقسنطينة، في الوقت الذي نتج عنه أيضا إلحاق أضرار بقوة البايك، وبالتالي تراجع هيئته وعلى العموم فإن هذه الإنتفاضات تمثلت في عصيان العديد من الشيوخ والأعيان أمثال سيدي يحيى بن سليمان وإبنه عبد الله أحمد مطلع القرن 17م، حيث استطاع أن يلحق خسائر جسيمة بالبايك، لكن إنتهى هذا التمرد بإستسلامهم في الأخير، ثم إنتفاضة أولاد سعيد وأولاد موسى والأعشاش بالأوراس، لكن الباى مصطفى الوزناجي بعد جهد ومعاونة تمكن من قمع هذه الإنتفاضة، حيث أمر بقطع رؤوس المتمردين الذين وضعوا فوق أبواب مدينة قسنطينة ليكونوا عبرة<sup>2</sup>.

في سنة 1797م تمرد النمامشة والحراكمة، وقد عم هذا التمرد المناطق الواقعة إلى الشمال من الأوراس وإلى الغرب من تبسة عندما تحالفت قبيلة النمامشة والحراكمة للوقوف في وجه البايك مما أضرر الباى "مصطفى الوزناجي" إلى شن حملات إنتقامية متتالية تضرب فيه الأعراش التي داهمتها المحلة<sup>3</sup>.

كما شهد مطلع القرن 19م حركات تمرد واسعة نذكر على سبيل المثل تلك التي قام بها الحنانشة ضد سلطة البايك سنة 1803 - 1805م، حيث تمكنت القبيلة من إلحاق

<sup>1</sup>- de Grammont, Relations Entre la France et la Régence d'Alger au XVII Siècle, Alger, 1880, p 410.

<sup>2</sup>- قلة موساوي القشاعي، النظام الضريبي .....، المرجع السابق، ص 201.

<sup>3</sup>- المرجع نفسه، ص 202.

خسائر بمحلة البايك، غير أن الباي "إنكليز" تمكن من إخمادها<sup>1</sup>، كما قامت قبيلة أولاد عبد النور 1811-1812م بثورة على السلطة، لكن الباي تشاكر استطاع إخمادها سنة 1813م، وقد إستمرت هذه التمردات فترة من الزمن إلى أن تدخل شيخ العرب بالزيبان الحاج محمد بن قانة الذي أقنع الثائرين، ولكن الباي هاجمهم ورغم الخسائر التي تكبدها الثائرون إلا أنهم قرروا مواصلة الحرب ضد السلطة العثمانية<sup>2</sup>.

والجدير بالملاحظة فإن منطقة الهضاب القسنطيني هي الأخرى عرفت حركات تمرد ضد سلطة الباي، وذلك عندما قامت قبيلة مجانة سنة 1813م بثورة بسبب حملات المحلة التأديبية لإستخلاص الضرائب، وقد أدت إلى هلاك العديد من الرعية، وقد تجددت هذه الإنتفاضة إنتقاما لإغتيال شيخ مجانة، ولم يستطيع "الحاج أحمد باي" الحد من خطرها إلا بمساعدة قبائل الصحاري والسلمية المساندة لسلطة البايك<sup>3</sup>.

جاء في إحدى رسائل<sup>4</sup> البايك المبعوثة للسلطة المركزية مايلي: «... ونخبرك أن أهل وطننا كله تحت السمع والطاعة ونصرنا الله على عمل الفساد.... بجنودنا وعساكرنا وقهرناهم وقطعنا رؤسهم كما أن قبائل الصحراء فإنقادت كلها إلينا، وصارت تحت سمعنا وطاعتنا حتي من أهل الجبال الذين كانوا أهلها منافقين على الترك أتوا إلينا سامعين طائعين وكذلك أعراش تونس جاءوا إلينا على طاعتنا والرعية كما لا يخفى عليكم لا يفيد معهم إلا السيف المسلول والمال المبذول والخيل والسلاح وكل ذلك موجود والله الحمد وصار عني نافوة لاتحصى وجنود وعساكر عمت...<sup>5</sup>»، وعليه فإن كل هذه الثورات كانت

<sup>1</sup>– Brahim (D), Opinions et Regards des ....., op.cit, pp 132-133.

<sup>2</sup> –Thomas (Shaw), Voyage dans ....., op.cit, p 384.

<sup>3</sup> – فلة موساوي القشاعي، النظام الضريبي ....، المرجع السابق، ص ص 199-200.

<sup>4</sup> – للإطلاع على نص هذه الرسالة كاملة ينظر الملحق رقم (1)، ص 379.

<sup>5</sup> – الملف 384- المجموعة (الحافظة) 223، 1830م، رقم الوثيقة 120، تم تصوير هذه الرسالة من الأرشيف الوطني التونسي – أرشيف ولاية قسنطينة.

بسبب السياسة الإقتصادية الضريبية التي كان لها الأثر البالغ على الملكية الإقتصادية وطرق الإنتاج الفلاحي نظرا لتحكم النظام الجبائي في ذلك<sup>1</sup>.

<sup>1</sup> - فلة موساوي القشاعي، النظام الضريبي ....، المرجع السابق، ص ص 199-200.



## 2- العلاقة الإجتماعية بين السلطة المركزية مع بايلك الشرق:

### 2-1- موقف الرعايا والزعامات المحلية من السلطة العثمانية

بعد دخول العثمانيون لبابلك الشرق إنقسم زعماء القبائل إلى تيارين متناقضين، وهما تيار مناهض للعثمانيين ويعمل على محاربتهم، وقد مثل هذا التيار الشيخ سيدي "عبد المؤمن"، أما التيار الثاني الداعم للوجود العثماني فقد مثله الشيخ "يحيى بن محمد الفكون"<sup>1</sup> أحد أعيان المدينة، وكانت النتيجة الحتمية لذلك أن أنقسمت المدينة إلى فريقين متخاصمين، وقد نشبت حروب طاحنة بين الفريقين.

بخصوص التيار المناصر للعثمانيين والذي تمثل في أسرة الفكون هذه الأخير التي بدأت علاقتها بالعثمانيين منذ سنة 1522م، وأصبح ولاءها حقيقيا سنة 1534م تاريخ خروج آخر الولاة الحفصيون من قسنطينة إذ تشير الكتابات التاريخية إلى أن شيخ الأسرة "يحيى بن محمد" خرج من قسنطينة في هذه السنة للإلتحاق بالقائد العثماني خير الدين بربروس بتونس وتقديم الولاء له إلا أنه قتل هناك في السنة نفسها من طرف جند شارل الخامس إثر الحملة الإسبانية على تونس فأعتبره العثمانيون شهيدا من شهدائهم، والجدير بالملاحظة أن "عبد الكريم الفكون" لعب دورا كبيرا في سعي دخول العثمانيين للمدينة، وكذا في إخماد العديد من الثورات التي نشبت في عهده ضد العثمانيين سواء كان ذلك داخل المدينة أو خارجها<sup>2</sup>.

<sup>(1)</sup> - والد جد الشيخ "الفكون" الحفيد الذي سافر إلى تونس لوقائع فصاير الشيخ "الزنديوي" الذي كان حيا سنة 940هـ، واستخلفه في إمامة جامعها الأعظم الزيتونة، وقد توفي في الحملة التي قام بها "شارل لكان" ضد خير الدين بتونس وقتل داخل المسجد ومعه الشيخ "الزنديوي" وهو يقرأ صحيح البخاري، غير أن أعيان مدينة قسنطينة فسروا إنتقال "يحيى الفكون" إلى تونس من أجل إعلان الولاء لخير الدين، ولعل هذا ما شكل مكانة خاصة لهذه العائلة في العهد العثماني، لكن هذا التفسير لا أثر له في الكتابات التاريخية المعاصرة، بل إن "الفكون" يشير إلى غير ذلك 'فيحي' إنتقل إلى تونس لأشياء وقعت في قسنطينة، وأنه يريد العيش قرب مركز القرار الذي كان بيد الحفصيين. ينظر: فاطمة الزهراء قشي، قسنطينة في عهد صالح باي، دط، ميديا بلوس للطباعة، قسنطينة، 2005، ص 40.

<sup>(2)</sup> - جميلة معاشي، الأسر المحلية الحاكمة.....، المرجع السابق، ص 118.

لم يكتفي الشيخ بذلك ففي سنة 1568م سافر إلى مقر الحكم العثماني بالجزائر للقاء الباشا وتقديم الولاء له بإسم سكان بايلك قسنطينة إلا أنه وقع في تجربة أخطر من الأولى إذ بمجرد وصول الشيخ والوفد المرافق له إلى مقر الحكم المركزي وصل خبر نشوب معارك دامية بين سكان البايك والحامية العثمانية المرابطة بالقرب من المدينة، الأمر الذي جعل الباشا يشك في نوايا الوفد ويأمر بإلقاء القبض على أعضائه إلا أنهم تمكنوا من الفرار إلى جبال القبائل، وبعد أن تأكد الباشا من وحسن نواياهم، قام بإكرامهم بدل معاقبتهم<sup>1</sup>.

وباختصار فإن إخلاص هذه الأسرة للعثمانيين إستمر تقدير هؤلاء لخدمتها وفضلها في حمل السكان على طاعتهم، وبذلك تبوأ الأسرة المكانة السامية، فكانت كلمة شيوخها نافذة لدى العام والخاص ولا يستثنى في ذلك حتى الباي نفسه خاصة بعد أن أنتقلت مشيخة الإسلام لها، وعلى العموم فإن العثمانيين لم يدخلوا مدينة قسنطينة بسهولة، كما أنهم لم يستعملوا القوة لتحقيق ذلك، بل أستغلوا الزعامات والأعيان لتسهيل هذه المهمة، والأن يحق للقارئ أن يتساءل: إذا كان هذا هو موقف الأعيان في عاصمة البايك قسنطينة، كيف كان موقف شيوخ القبائل والأسر الحاكمة بالريف القسنطيني؟ وللإجابة على هذا السؤال سنقوم بعرض موقف لأهم القبائل والأسر الحاكمة وهي<sup>2</sup>:

(1) - عبد الكريم الفكون، منشور الهداية....، المصدر السابق، ص ص 48-49.

(2) - جميلة معاشي، الأسر المحلية الحاكمة.....، المرجع السابق، ص 121.

## أ- موقف قبيلة أولاد عبد المومن<sup>1</sup>:

كانت قبيلة أولاد عبد المومن من أشد القبائل معارضة للوجود العثماني في البايك، وقد ساندتها في ذلك عرب أولاد صولة، ولهذا وجد العثمانيون صعوبة كبيرة في دخولهم المنطقة إلى غاية النصف الثاني من القرن 16م، كما أشرنا سابقاً، حيث أغلقت أبواب المدينة في وجه القائد العثماني "حسن آغا" بأمر من الشيخ سيدي عبد المؤمن مما دفع بالقائد يتمركز بسطح المنصورة في إنتظار دخول العثمانيين مع مراعات أخف الأضرار لتفادي أي كارثة عظمى.

لكن الشيخ "عبد الكريم الفكون" أصدر نصيحة إلى القائد العثماني تفيد بضرورة التقرب من الشيخ سيدي عبد المؤمن، والتعهد له بعدم مساس كرامته والإبقاء على سلطته الروحية، فقد نجح العثمانيون في إستدراجه إلى سطح المنصورة بدعوى التفاوض حول الصلح وهناك تم إغتياله وباشروا في بناء معسكراتهم<sup>2</sup>.

بعد مقتل الشيخ "عبد المؤمن" سنة 1572م شن العثمانيون هجوم على المدينة وحاصروا أسرته وأتباعه الذين أصروا على المقاومة بحومة باب الجابية، فقد ذكرت بعض المصادر أن القتال إستمر مدة يومين كاملين لينتهي الصراع بعد تدخل أعيان وعلماء المدينة وعلى رأسهم شيخ الإسلام أسرة الفكون الداعمة للسلطة العثمانية، وبذلك فرض الأمن بالمدينة، وسلمت الأسرة أسلحتها لجماعة المدينة بفضل تدخل علماء البايك وعلى رأسهم شيخ أسرة الفكون المناصرة للعثمانيون.

<sup>(1)</sup> - تعتبر هذه الأسرة من الصفوف القوية أصحاب المكانة والخطوة والسلطة، والنفوذ لسنوات طويلة، فقد إستطاعت أن تنافس عائلة إبن الفكون في النفوذ السياسي والمكانة الإجتماعية، فقد أورد صاحب كتاب فريدة منيسة، أن هذه الأسرة حملت السلاح في وجه العثمانيين في 12 أكتوبر 1642م، ودامت هذه المناوشات مدة يومين، وقد خلفت هذه المعركة خسائر راح ضحيتها 24 شخص من أسرة أولاد عبد المومن، مما أضطروهم للإعتصام في الجابية وإغلاق الأبواب. ينظر: محمد الصالح إبن العنثري، المصدر السابق، ص 38.

<sup>(2)</sup> - جميلة معاشي، الأسر المحلية الحاكمة.....، المرجع السابق، ص 114-115.

بالرغم أن قبيلة أولاد عبد المؤمن نائمة على السلطة العثمانية إلا أن هذه الأخيرة إحتزمت شيوخها لمكانتهم الدينية وأبقوا على جميع ممتلكات الأسرة، بل أن هؤلاء تركوا بعض المهام الدينية كإمارة ركب الحج في يد شيوخ هذه الأسرة حتى زمن متأخر من حكمهم<sup>1</sup>، أما ما تبقى من أتباع الأسرة أمثال عرب أولاد صولة فأصروا على معاداة العثمانيين إلى أن هزموا وشردوا بورهم فلقوا إلى الجنوب ليستقروا بمنطقة ليانة شرق مدينة بسكرة<sup>2</sup>.

### ب- موقف أسرة المقراني<sup>3</sup>:

تعتبر هذه الأسرة من أشد الأسر معارضة للسلطة العثمانية بالبايلك، وقد أرجع بعض الباحثين ذلك الموقف العدائي تجاه العثمانيين إلى التحالف المبكر للأخوة ببربروس مع أسرة "ابن القاضي" أمراء كوكو، المنافسين التقليديين لأسرة المقراني، وهذا ما دفع الحكم المركزي جعل "أحمد ابن القاضي" حاكما بإسم العثمانيين على كامل الشرق الجزائري<sup>4</sup>.

(1) - عبد الكريم الفكون، منشور الهداية.....، المصدر السابق، ص102.

(2) - جميلة معاشي، الأسر المحلية الحاكمة.....، المرجع السابق، ص116.

(3) - ذكر "محمد الأشماوي" أن العائلة المقرانية ذات صلة بالعائلة الإدريسية الشريفة بالمغرب الأقصى، حيث كان أجدادهم أسياذ فاس وملوكها منذ عهد "إدريس الأول" بن عبد الله الكامل بن الحسن السبط بن علي بن أبي طالب رضي الله عنه، ويؤكد "الورثياني" أيضا هذا النسب في رحلته الشهيرة قائلا "ومنهم الشيخ الولي الصالح والغيث السائح الشرف نسبا كما هو عند "ابن فرحون" في طبقات الشرفاء "سيدي أحمد بن عبد الرحمن"، كما ذكر فيرو في ذلك قولا مفاده أن "سيدي عبد الرحمن" مغربي الأصل، ومن أصل شريف إختار منطقة القبائل لما رأى فيها من فساد لإصلاح المجتمع، أما "يحي بوعزيز" فقد ذكر نسب العائلة المقرانية بكونهم يتصلون بفاطمة الزهراء بنت الرسول - صلى الله عليه وسلم - وزوجة علي بن أبي طالب رضي الله عنه حيث يذكر في ذلك نقلا عن "ابن خلدون" أن أجدادها من قبائل عياض الذين وطنوا بجلال قلعة بني حماد في المعاضيد وارتبط تاريخهم بالأمراء الحماديين بعدما هاجروا إلى المغرب إثر الزحف الهلالي عليه. للإطلاع بشكل مفصل حول هذه القلعة ينظر: بومولة نبيل، صفحات من تاريخ بجاية في العهد العثماني إمارة المقرانيين في القرن 10هـ/16م، دار هومة للطباعة والنشر، الجزائر، 2013، ص ص 52-54.

(4) - جميلة معاشي، الأسر المحلية الحاكمة.....، المرجع السابق، ص ص 124-125.

كانت النتيجة الحتمية لذلك وهو تفكير أسرة المقراني بإيجاد حليف وهو ما قام به زعيمها عبد العزيز الذي تحالف مع الأسبان في بجاية ضد السلطة العثمانية، وقد نجحت مساعيه في ذلك، فكان يدفع لهم أتاوة سنوية مقابل حصوله على السلاح لمقاومة السلطة العثمانية إلا أن هذه الأخيرة استطاعت إخضاع الشيخ "عبد العزيز" وإرغامه على دفع الأتاوة لها بدل دفعها للإسبان سنة 1516م<sup>1</sup>.

كما ساهم "عبد العزيز" في تموين الإسبان، بموجب الاتفاق عندما قام عروج بمهاجمة بجاية وكاد أن يخضعها لولا مساعدة عبد العزيز في تموين الإسبان بالموءن والذخيرة وزاد بذلك ثباتهم، وكانت هذه المساعدة بحجة الذهب الذي وعد به ملك إسبانيا، إلا أن "الأمير عبد العزيز" سرعان ما تدارك هذا الخطأ، وصار محاربا ضد الإسبان بعدما كان حليفا لهم، وذلك بعد أن تحالف مع "خير الدين" سنة 1515م أو 1516م بعد العداء الذي كان مستحكما بينه وبين "ابن القاضي"، فبرز "عبد العزيز" و"خير الدين" إلى الميدان من جديد، واسترجع هذا الأخير مدينة القل، كما إنضمت مدينة قسنطينة<sup>2</sup>.

هكذا تمكنت السلطة العثمانية من إخضاع الأسرتين الحاكميتين معا لنفوذها إلا أن هذا التقارب بين الأطراف الثلاث لم يدم طويلا، حيث أعلن "أحمد ابن القاضي" سنة 1523م العصيان على "خير الدين" وتمكن من إخراجه من مقر الحكم المركزي وألحق به هزيمة نكراء<sup>3</sup>.

والجدير بالملاحظة أن ما قام به العثمانيون قد زاد من تمتين علاقتهم بأسرة المقراني وأصبحوا خير حليف إلى أن تم القضاء على ابن القاضي سنة 1527م ليعود التعاون من

(1) - أحمد توفيق المدني، حرب الثلاثمائة .....، المرجع السابق، ص ص 211-212.

(2) - بومولة نبيل، صفحات من تاريخ .....، المرجع السابق، ص 119.

(3) - جميلة معاشي، الأسر المحلية الحاكمة.....، المرجع السابق، ص 125.

جديد بين الأسرتين والعثمانيون<sup>1</sup>، ويبدو أن شيخ أسرة المقراني كان قد ثبت على حكم قلعة بني عباس رسمياً من طرف القائد "حسن آغا" سنة 1541م، حيث عمل هذا الأخير على مهاجمة أهم شيوخ الأسر الحاكمة بالمنطقة الشرقية وكذا أسرة المقراني، وقد أكد العديد من المؤرخين الأجانب أن القوات العثمانية لم تكن تستطيع فتح المدينتين لولا مساعدة جيوش السلطان "عبد العزيز"، وقد قدر المؤرخين قوات "عبد العزيز" المشاركة في هذه العملية بـ: 1600 فارس و 180 من المشاة عد الأعداد الضخمة المجندين لجر المدافع<sup>2</sup>.

استمرت الحرب بين "عبد العزيز" و"صالح رابيس" حتى نهاية حكم هذا الأخير، وقد أنهزم العثمانيون في العديد من المعارك أمام قوات "عبد العزيز"، وكانت معركة جبل بوني سنة 1553م، التي قتل فيها أخ "عبد العزيز" من أعنف المعارك التي دارت بين الطرفين، وبعد إنهزام العثمانيون فيها أعادوا الكرة في السنة نفسها وبقوات أكبر لمهاجمة القلعة إلا أنهم هزموا مرة أخرى في المكان نفسه، وهنا قرروا التخلي عن مقاتلة الشيخ لعدة سنوات للتفرغ لتحرير بجاية<sup>3</sup>.

في مطلع سنة 1643م ثار المقرانيون بدورهم كذلك في البليان، ومنطقة سطيف فأتجهت إليهم الكتائب برئاسة الأغا "يحي" من مقر الحكم المركزي، والقائد "يوسف" من بايلك قسنطينة والقائد "مراد" من بايلك التيطري والقائد "شعبان" من زمورة<sup>4</sup>، ونشبت المعارك، ولم تنته إلا بعد أن تعهد الداوي بإلغاء بعض الضرائب المفروضة على الرعية وحرية التجارة في البلاد، لكن مع حلول سنة 1647م توفي الباي "مراد" بسبب مرض

<sup>1</sup> – Haedo (F -de Diego), Topographie et Histoire ....., op.cit, p120.

<sup>2</sup> – جميلة معاشي، الأسر المحلية الحاكمة.....، المرجع السابق، ص 127.

<sup>3</sup> – المرجع نفسه، ص 128.

<sup>4</sup> – أول إسم لمدينة زمورة كان آزمو بالأمازيغية ويعني الزيتون حيث كانت عبارة عن غابة كثيفة تغطيها أشجار الزيتون، تقع منطقة زمورة شرق ولاية غليزان، وهي اليوم إحدى الدوائر التابعة لولاية غليزان، يحدها من الجنوب بلدية دار بن عبدالله ومن الغرب بلدية وادي الجمعة ومن الشمال بلدية أولاد سيدي عيش ومن الشرق بلدية منداس. ينظر: الموسوعة الحرة، <https://ar.wikipedia.org/wiki>، التاريخ 29-12-2018، التوقيت 14:35

الطاعون فاقترح السكان والأعيان على الباشا بمقر الحكم المركزي أن يخلفه ابنه فرحات فوافق على ذلك<sup>1</sup>.

كانت هذه الأسرة متماسكة حتى بداية القرن 18م، إصطدمت مع العثمانيون في عهد "بوزيد بن بتكة"، بسبب رفض العثمانيين دفع الرسوم عند المرور بسلعتهم عبر ممر البيان، في عهد "الحاج بوزيد" المقراني الذي تولى القيادة سنة 1734م، بينما كان "عزيز بن القندوز" محتالف مع العثمانيين<sup>2</sup>، الأمر الذي دفع "بشارل فيروا" "Feraud(Ch)"<sup>3</sup> للقول: بأن هذه الأسرة كانت منقسمة منتصف القرن 18م إلى قسمين قسم على رأسه الشيخ "بوزيد" المعترف بالسلطة العثمانية، وقسم على رأسه "قندوز" المتمرد على السلطة المركزية<sup>4</sup>، فاستغل العثمانيون هذا التشتت وحصنوا منطقة برج بوعريريج، في ظل هذا التشتت تدخل مقدم الطريقة الشاذلية وتمكن من جمع أفراد القبيلة<sup>5</sup>.

(1) - محمد الصالح ابن العنتري، المصدر السابق، ص 39.

(2) - صالح عباد، الجزائر خلال الحكم التركي 1514-1830م، دار هومة، الجزائر، 2012، ص 162.

(3) - "شارل فيروا" "Feraud(Ch)" (1829-1888م): بدأ مساره المهني في الجزائر كمترجم وعمره لم يتجاوز 19 سنة، كانت كفاءته محل اعتبار ضابط سنة 1873م، تولى منصب رئيس الجمعية التاريخية الجزائرية العام 1876م، ثم قنصلا عاما لفرنسا في طرابلس سنة 1877م، وفي سنة 1882م، عين قائد لجوقة الشرف فوزير مفوضا لفرنسا في المغرب سنة 1884م، كرس حياته للتنقيب في تاريخ إفريقيا الشمالية وتدوينه بروح تملأها الإرادة ومعرفة عميقة بالوسط الأهلي خاصة الشرق الجزائري. ينظر الهامش: محمد العربي عقون، "الإثنوغرافيا الإستعمارية شارل فيرو نموذجاً"، مجلة إنسانيات، ع 28، مركز البحث في الأنثروبولوجية الاجتماعية والثقافة، وهران، جوان 2005 ص ص 55-56.

(4) - Feraud(L-Charles), «Ferdjioua et Zou Ara-Notes Historiques sur La province de Constantine», **R.Af**, n°22, Alger, 1878, pp 6-7.

(5) - صالح عباد، الجزائر خلال ....، المرجع السابق، ص 162.

### ج- موقف قبيلة بوعكاز الذواودة<sup>1</sup>:

تتفق أغلب الكتابات التاريخية أن موقف هذه القبيلة كان غير واضح من السلطة العثمانية في البايك، غير أن الكتابات الفرنسية أوردت مواقف هذه القبيلة معتمدة على الروايات الشفهية وذلك بقولها أن شيوخ الذواودة كانوا من بين الزعماء المحليين الأوائل الذين بادروا بمباركة دخول العثمانيين إلى مقاطعة بايلك الشرق، وذلك ابتداء من سنة 1522م، حيث تم الاتفاق بين قائد الحامية العثمانية المرابطة قرب قسنطينة وقبيلة أولاد يعقوب على التعاون فيما بينهم بتمويل القبيلة لأفراد الحامية بالمواد الغذائية مقابل تزويدها بالأسلحة<sup>2</sup>.

إن ما يثبت ولاء هذه القبيلة للحكام العثمانيين هو إرسال شيخها "أحمد الكريوش" هدايا قيمة إلى القائد "خير الدين" ببروس سنة 1527م، ويعتبر أول زعيم للقبيلة في العهد العثماني، ومنذ هذه اللحظة أصبحت هذه القبيلة مساندة للحكم العثماني فأعتمدت عليها السلطة العثمانية في حفظ الأمن بالمناطق الجنوبية.

كانوا يلتجئون إليها كلما دعت الضرورة لذلك، وهذا ما قامت به الحامية المرابطة قرب قسنطينة عندما أقدمت قبيلة الحنانشة على قطع طريق المؤونة التي كانت تصل إلى الحامية العثمانية من أولاد يعقوب، وقد دارت معارك دامية بين الطرفين في سهول سطيف<sup>3</sup>، ولم تتوقف إلا بعد إقدامهما على تقسيم سهول قسنطينة بين الطرفين فأخذ

(1) - ذكر "ابن خلدون" أن هذه القبيلة ذات أصول هلالية من فرع رياح، كان إستقرارها الأول في شرق الجزائر على يد جدّها الأول "مسعود بن سلطان" الملقب بـ "البلط" لقوته وشجاعته، حيث كانت هذه الأسرة في أوج مجدها تحت لواء هذا الزعيم لعب دورا رائدا إلى جانب الموحدين في الأندلس، وبعد عودته من الأندلس إلى قسنطينة تمكن من السيطرة على أراضيها، وهذا ما أكده "ابن خلدون" بقوله: "واعترام رياح بعهدهم بافريقية وملكوا ضواحي قسنطينة ورجع إليهم شيخهم مسعود بن زمام من المغرب فاعتز الذواودة على الأمراء والدول". ينظر: ابن خلدون عبد الرحمان، كتاب العبر.....، ج7، المصدر السابق، ص 49.

(2) - جميلة معاشي، الأسر المحلية الحاكمة.....، المرجع السابق، ص 130.

(3) - المرجع نفسه، ص 131.



الحنانشة الناحية الشرقية لقسنطينة، أما الذواودة فقد أخذوا الناحية الغربية، وبذلك أعلنت كل أسرة ولائها للسلطة العثمانية، اللتان تعتبر من أقوى وأشد القبائل المحلية ببائلك الشرق، وبهذا حصل الإستقرار للعثمانيين في الناحية الشرقية<sup>1</sup>، لكن في الجنوب لا تزال قبيلة أولاد صودة ثائرة ضد السلطة العثمانية مما جعل القائد العثماني يقوم بمطاردتها وإخضاعها للحكم العثماني سنة 1541م، وذلك بتتصيب شيخها "علي بوعكاز" بن "أحمد الكربوش" قائد على القبائل ومنحه لقب شيخ العرب<sup>2</sup>.

إستمر إخلاص هذه القبيلة للعثمانيين طوال عهدهم بالجزائر، ولم يعكر صفوة تلك العلاقة سوى التجاوزات التي كان يقوم بها بعض الحكام العثمانيين تجاه هذه القبيلة ومردّها التخوف من إستقلالها التام عن السلطة المركزية منها قيام مراد باي<sup>3</sup> قسنطينة سنة 1637م بقتل شيخ الأسرة "محمد بن الصخري" لمجرد الشك في إخلاصه مما أدى إلى ثورة عارمة كادت أن تطيح بالحكم المركزي في بداية عهده، أما ما عدا ذلك فإن إحترام الحكام العثمانيين لإستقلال القبيلة الداخلي بالصحراء كان كافيا لتعايش القوتين المحلية والعثمانية في سلام معظم فترات الحكم العثماني بالجزائر<sup>4</sup>.

<sup>1</sup>– Mercier(E), Histoire de Constantine, Constantine (Alger), 1903, pp 194-195.

<sup>2</sup> – ibid, p197.

<sup>3</sup> – حكم بايلك الشرق من سنة 1622م إلى غاية 1647م لمدة 25 سنة، حدثت في عهده ثورة ابن الصخري سنة 1642م وانتشرت الفوضى مما كان سبب في عزله وتعيين "الباي فرحات" سنة 1647م. ينظر: جبور ميلودية، ظاهرة الإغتيال السياسي .....، المرجع السابق، ص 167.

<sup>4</sup> – جميلة معاشي، الأسر المحلية الحاكمة.....، المرجع السابق، ص 132.

## هـ - موقف قبائل أحرار الحنانشة<sup>1</sup>:

ذكرت العقود المسجلة بأن هذه القبيلة إستقرت بقسنطينة في زمن مبكر وخاصة الفرع الموالي للحاج 'أحمد باي'، حيث كان إستقرار هؤلاء بقسنطينة شبه نهائي، وهو ما عبرت عنه رسالة وجهت إلى الشيخ "أحمد بن نصر الرزقي" سنة 1835م<sup>2</sup>، فعند دخول العثمانيون إلى الجزائر كانت هذه القبيلة تحت زعامة الطريقة الشاذلية<sup>3</sup> التي شكلت حلفا قويا ضم معظم قبائل شرق مقاطعة قسنطينة.

كان هدف هذا الحلف هو تكوين دولة محلية قوية تقف أمام التحرشات الإسبانية من ناحية والوقوف في وجه السلطة العثمانية من ناحية أخرى، وقد ضمت هذه المقاطعة جميع الأراضي الواقعة بين وادي سوف وجبال الأوراس جنوبا والقالمة وعنابة شمالا<sup>4</sup>، وعلى ما يبدو أن هذا الحلف إستطاع أن يصمد أمام القوات الحفصية ثم العثمانية فيما بعد وأن يحقق إنتصارات في عدت مرات<sup>5</sup>، لكن هذا الحلف لم يدم طويلا فبدأت بعض القبائل

(1) - إختلفت المصادر حول تحديد أصل هذه الأسرة فقد قال "ابن خلدون" أنها قبيلة بربرية من هواراة التي حكمت طرابلس ثم انتقلت إلى إفريقيا مع الفاتحين المسلمين، واستقرت بالمنطقة الغربية من البلاد، والبعض يذهب إلى أبعد من ذلك بقوله أن من بين الحنانشة أقلية يهودية وهي من سلالة يهودية، بينما ذهب آخرون للقول بأن أسرة الحنانشة تتكون من عدة قبائل مختلفة في أصولها منها ثلاث قبائل رئيسية وهي: الشاوية بالأوراس، هواراة واخوانهم، العرب الهلالية وبني سليم. ينظر: عبد الرزاق قشوان، السلطة المحلية .....، المرجع السابق، ص ص 66-67.

(2) - جميلة معاشي، الإنكشارية والمجتمع.....، المرجع السابق، ص 120.

(3) - نسبة إلى "أحمد ابن مخلوف" الشاذلي جد الشاذلية ومؤسس الطريقة الشاذلية في القرن 9هـ، تمكنوا من تأسيس دولتهم في القيروان، إلى غاية 1557م، لكنهم واصلوا ثورتهم في تونس والجزائر أنهكوا فيها العثمانيين وأعانهم في رقعة كبيرة تمتد من سوف إلى ساحل القالة بالجزائر، ومن جبال ورغة بالشمال الغربي التونسي إلى وسط البلاد وجنوبها الغربي، وهدفهم من ذلك تخلص شمال إفريقية من السيطرة العثمانية لذلك دخلت في حروب طاحنة مع العثمانيين، للأطلاع بشكل مفصل حول هذه الطريقة وحروبها مع العثمانيين راجع: علي الشاذلي، "العلاقات بين الشاذلية والأتراك العثمانيين بتونس بين أواخر القرن 16م، ونهاية القرن 17م، المجلة التاريخية المغربية، ع 17-18، نهج الحبيب ثامر خير الدين، تونس، جانفي 1980، ص 69.

(4) - جميلة معاشي، الأسر المحلية الحاكمة.....، المرجع السابق، ص 133.

(5) - علي الشاذلي، "العلاقات بين الشاذلية والأتراك العثمانيين بتونس بين أواخر القرن 16م ونهاية القرن 17م"، المجلة التاريخية المغربية، ع 18/17 تونس، جانفي 1980، ص 81.

القوية تنفصل عنه محاولة السيطرة على المنطقة، وينطبق هذا الموقف على قبيلة أحرار الحنانشة وأسرة ابن شنوف، فأستقرت القبيلة الأولى بقلعة سنان الحصينة، ومن هنا يمكن القول بأن موقف هذه القبيلة من العثمانيين كان في البداية يتسم بالرفض ثم الحذر والتحفظ، وعليه فإن علاقتها مع العثمانيين كانت تحكمها المصلحة الخاصة القائمة على الإستقلال الداخلي للقبيلة مقابل الإعتراف بالسلطة العثمانية إسمياً فقط على أساس التعاون بين الطرفين لا الخضوع والتبعية<sup>1</sup>.

### ح- موقف قبيلة بني جلاب:

كانت هذه القبيلة تعيش جنوب البايك بتوقت، هذه الأخيرة التي ظلت هي الأخرى طيلة العهد العثماني عبارة عن قصر مقام بالقرب من إلتقاء مياه وادي ميه وإيغار غار الجوفية يحيط به سورا وحوله حفيرا، يؤدي إليه بابان أحدهما يعرف بباب الخضراء والآخر بباب السلام، أما خارج نطاق مدينتي ورقلة وتوقت فكانت القبائل البدوية والعشائر تجوب المنطقة بحثا عن الكلاء والمراعي<sup>2</sup>.

نظرا لموقع المنطقة فقد ظل حكام توقرت بعيدين عن أي إحتكاك بالسلطة العثمانية وذلك لبعد منطقة حكمهم عن مقر البايك، ويذكر "دوفليكس" (Devoulx(A) أن "حسن آغا" تمكن من الدخول إلى المنطقة سنة 1534م وأخضع سكانها ومن بينهم قبيلة بني جلاب وأرغمهم على دفع الضرائب<sup>3</sup>، ثم توالى الحملات ففي سنة 1541م تمكن من بسط نفوذه على مناطق الحصنة والزاب، وتعتبر الحملة التي شنّها "صالح رايس" أهم هذه الحملات سنة 1552م<sup>4</sup>، حيث تمكن من خلالها حصار توقرت وإرغام أهلها على دفع

<sup>1</sup>-Devoulx(A), Tachrifat....., op.cit, p45.

<sup>2</sup>- ناصر الدين سعيدوني، "ورقلة ومنطقتها في ...."، المرجع السابق، ص 74.

<sup>3</sup>-Devoulx(A), Tachrifat ....,op.cit, p45.

<sup>4</sup>- ضمت هذه الحملة جيش مجهز بمدفعين لفك الحصار متشكلة من 3000 مشاة و 1000 فرسان. ينظر: ناصر الدين سعيدوني، "ورقلة ومنطقتها في....."، المرجع السابق، ص 76.

غرامة للباشا<sup>1</sup>، وإستطاع إخضاع المدينة بمساعدة من قبيلتي بوعكاز والمقراني، لكن لم يدم طويلا وبقي هؤلاء شبه مستقلين عن البايك، ويذهب "هايدوا" «Haedo» إلى أبعد من ذلك ويذكر أنهم ناصبوا العداء للسلطة العثمانية<sup>2</sup>.

أما الحملة الثانية فقام بها "يوسف باشا"<sup>3</sup> ضد مدينتي ورقلة وتوقرت سنة 1649م رغم الغموض الذي أحاط بهذه الحملة فإن النتائج التي ترتبت عنها كانت كافية على أنها أشد من سابقتها بدليل أن الضريبة التي إعتاد سكان المنطقة المساهمة بها في خزينة السلطة المركزية، والتي ربطت المنطقة بالحكم المركزي ترجع أسبابها إلى هذه الحملة بالذات<sup>4</sup>، ومن هنا يمكن القول أن السلطة المركزية إستطاعت إخضاع هذه القبيلة بالقوة وهو ما حدث في عهد "صالح باي" أقوى الحكام العثمانيين في بايلك الشرق، والذي عمل على ضم مدينة توقرت وورقلة فعليا إلى حكمه وقد تم له ذلك سنة 1788م<sup>5</sup>.

<sup>1</sup> - ناصر الدين سعيدوني، "ورقلة ومنطقتها في....."، المرجع السابق، ص 76.

<sup>2</sup> - Haedo (F -de Diego), Topographie.....,op.cit, p272.

<sup>3</sup> - ذكر "ابن المفتي" أن "يوسف باشا" كان يسمى سرهواش يوسف، كما كان يعرف ب قرطاجي ويكنى بأبي جمال، تولى الحكم في 21 محرم 1050هـ، 1640م، وحكم 40 يوما ثم إنفصل، ثم تولى الحكم للمرة الثانية في 11 سفر 1050هـ، 1641م، ورجع من المحلة سنة 1642م، لكنه سجن بسبب تأخره لدفع رواتب الجند وخلفه "أحمد باشا" سنة 1643م. ينظر: ابن المفتي، تقييدات ابن المفتي .....، المصدر السابق، ص 52.

<sup>4</sup> - ناصر الدين سعيدوني، "ورقلة ومنطقتها في....."، المرجع السابق، ص 78.

<sup>5</sup> - جميلة معاشي، الأسر المحلية الحاكمة.....، المرجع السابق، ص 136.

## 3- علاقة مثقفوا البايك بالسلطة المركزية:

## 3-1- علاقة علماء وفقهاء البايك مع الحكم المركزي

لعب علماء بايلك الشرق دورا هاما في دعم السلطة العثمانية وتعبئة الرعية وحثها على الجهاد مما أدى إلى توطيد أقدام السلطة المركزية ببايك الشرق على أنهم أبطال محررين وفاتحين في وجه القوى الصليبية المتربصة، مما عزز تكريس التحالفات والروابط بين الطرفين بإعتبار أن العثمانيون فاتحين<sup>1</sup>.

حاولت السلطة المركزية ترضية علماء بايلك الشرق بالمناصب، حيث تم تعيين من بينهم القضاة وأئمة مساجد، وأمراء ركب الحجيج وغيرها من المناصب الدينية وحتى السياسية، ومما يؤكد هذا القول هو إصدار الداوي "إسماعيل باشا" مرسوم سنة 1680م، أكد فيه الحقوق لصالح "سيدي محمد بن عبد الكريم" الفكون كإماما للمسجد الكبير، وأميرا ركب الحج<sup>2</sup>، كما نجد الباي "فرحات" يمنح لعائلة "ابن الفكون" سلطة الإشراف على جمع الضرائب المجبأة من سوق الخضر والفواكه من عاصمة البايك قسنطينة<sup>3</sup>.

وفي إطار سياسة تعزيز العلاقة بين السلطة المركزية وعلماء البايك قام العثمانيون بإصدار فرمانات بموجبها يتم منح العلماء إقطاعات زراعية واسعة مثلما حصل مع عائلة الفكون التي كانت تملك أراضي خصبة ولم يمنح هذا الإمتياز إلا للعلماء الأكثر تأثيرا ونفوذا بالبايلك وذلك خوفا من تأليب الرعية ضد الحكم المركزي<sup>4</sup>.

<sup>(1)</sup> - عبو إبراهيم، العلوم النقلية في الجزائر خلال العهد العثماني (16-19م)، أطروحة دكتوراه، كلية العلوم الإنسانية والإجتماعية، جامعة سيدي بلعباس، 2017-2018م، ص 145.

<sup>(2)</sup> - سعد الله أبو القاسم، شيخ الإسلام عبد الكريم الفكون داعية سلفية، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1986، ص 225.

<sup>(3)</sup> - المرجع نفسه، ص 75.

<sup>(4)</sup> - عبو إبراهيم، العلوم النقلية.....، المرجع السابق، ص 146.

أما عن أهم المراسلات والرسائل التي كانت تتبادل بين علماء وشيوخ بايلك الشرق مع السلطة المركزية نذكر منها تلك الرسالة التي أرسلها "يوسف باشا" من مقر الحكم المركزي إلى "محمد ساسي البوني" وقد أخبره فيها بأنه كان عازما على الجهاد ضد الإسبان لكنه تراجع لوقوع ثورة في الشرق الجزائري، وأنه قرر التوجه شخصيا إلى قسنطينة ونواحيها لإخماد نيران الثورة وتفقد أحوال الرعية<sup>1</sup>.

والجدير بالذكر فإن "محمد ساسي" البوني قد رد جوابا على الرسالة<sup>2</sup> المبعوثة من مقر الحكم المركزي، وقد طلب "محمد ساسي" البوني العفو لأهل عنابة، وأشار فيها إلى تأثيره لما جرى من أحداث ومعاناة الباشا منه، وحث الباشا على الصبر والثبات، كما رد الباشا "يوسف" على هذا الإمتنان، وبعد أن خاطب الباشا "محمد ساسي" بألقاب التمجيد أشار إلى أن العامة قد تفسر العفو عنها بالضعف لأنها لا تنتظر العواقب، ثم أنهم قد أساءوا إلى السلطة والنظام في البلاد بتمردهم فأستحقوا العقاب الشديد، غير أنه مع ذلك سيعفوا عنهم تقدير "للشيخ محمد ساسي"، ولكن الباشا لم يؤخر الجهاد إلا للقيام بإعادة النظام في البلاد والقضاء على الفتنة<sup>3</sup>.

كما قام "الداي محمد بكداش" بمراسلات مع العالم "أحمد ساسي البوني"، والتي أشاد فيها الباي بمكانة البوني وعائلته الدينية والعلمية ومما جاء في هذه الرسالة: "مولانا المحب الأمثل الأعز الأكمل كنز العلوم والعلوم السنية وجوهرة الألفاظ الذهبية....، مولانا وسيدنا

<sup>(1)</sup> - أبو القاسم سعد الله، " أربع رسائل بين باشوات الجزائر وعلماء عنابة"، مجلة الثقافة، ع51، وزارة الإعلام والثقافة، الشركة الوطنية للنشر، الجزائر، جوان 1979، ص 17.

<sup>(2)</sup> - ذكر أبو القاسم سعد الله أن هذه الرسالة بعثت دون تاريخ ولكن من الواضح أنها كتبت في أواخر الشهر المذكور أو أوائل شهر محرم سنة 1051هـ. ينظر: أبو القاسم سعد الله، " أربع رسائل بين باشوات....."، المرجع السابق ص 18.

<sup>(3)</sup> - أبو القاسم سعد الله، " أربع رسائل بين باشوات....."، المرجع السابق ص 18.

ووسيلتنا إلى ربنا الأُمجد"<sup>1</sup>، إنطلاقاً من هذا الخطاب نستنتج أن البايات كانوا يحترمون ويقدرّون العلماء والفقهاء<sup>2</sup>.

كما وجدت رسالة بعث بها "محمد بكداش" إلى "أحمد بن قاسم" بن محمد ساسي، وذلك في 1115هـ، وقد أشاد "بكداش" بأحمد البوني وعائلته، ليس لها موضوع محدد، ولم تكن إلا واحدة من بين عددا كبيرا من الرسائل والأراجيز ونحوها مما كان يتبادل بين أعيان وجهاء البايك والسلطة المركزية<sup>3</sup>.

إن إحترام السلطة المركزية لهذه الشريحة يتضح جليا من خلال الرسائل التي كانت ترسل من طرف مقر الحكم المركزي والتي كانت تحمل عبارات التقدير والإحترام كتلك التي بعث بها الباشا من دار السلطان إلى الشيخ الفكون عندما وقف إلى جانب العثمانيون في مواجهة ثورة ابن الأحرش سنة 1804م جاء فيها: "العالم الأشهر أكبر الأنوار مأوى القليلين وملجأ الضعفاء والمساكين، العرف بجميع العلوم والفنون.....، السلام على مقامكم الرفيع وشخصكم الرائق والبديع....."<sup>4</sup>.

لعب العلماء دور الوسيط خاصة في المناطق البعيدة والمستعصية عن السلطة المركزية كالمناطق الجبلية والشبه صحراوية التي كانت شبه مستقلة عن السلطة المركزية، نذكر في هذا السياق تلك الوساطة التي إستعملها الباشا "أحمد خوجة" سنة 1804م من طرف الشيخ "سيدي علي مبارك" بالقلعة من أجل إخضاع منطقة موزاية<sup>5</sup> والشئ نفسه قام به علماء "أل مقران" في منع ثورة ابن الأحرش في بجاية، هكذا عرفوا الحكام العثمانيون

<sup>(1)</sup> - عيو إبراهيم، العلوم النقلية .....، المرجع السابق، ص 146.

<sup>(2)</sup> - محمد الصالح ابن العنثري، مجاعات .....، المصدر السابق، ص 72.

<sup>(3)</sup> - المرجع نفسه، ص ص 18-19.

<sup>(4)</sup> - محمد الصالح ابن العنثري، مجاعات .....، المصدر السابق، ص 72.

<sup>(5)</sup> - Nacereddine (Saidouni), L'Algérois Rural..... , op.cit, p402.

كيفية كسب ود وولاء العلماء ذات النفوذ الروحي والإجتماعي الكبير وبواسطتهم إستطاعوا إخضاع المناطق الخارجة عن سيطرتهم<sup>1</sup>.

غير أن هذه العلاقة الطيبة لم تسلم من نقمة البايات المتأخرين، ذلك أن الكثير من هؤلاء العلماء تعرض للعزل مثلما حدث للمفتي "سيدي محمد" بن سعيد قدورة الذي عزل من طرف السلطة المركزية على يد الداوي "مصطفى" سنة 1706م، بسبب رسالة من حساده للباشا، والأمر نفسه تعرض له مفتي عنابة "أحمد البوني" و"أبو راس الناصري"، بعد إتهام هذا الأخير بتأييده لثورة درقاوة، ولعل هذا مادفعه لتأليفه كتاب درة الشقاوة في حرب درقاوة<sup>2</sup>، على علماء بايلك الشرق وهذا ما أوضحه صاحب كتاب تحفة الزائر بقوله: أن الداوي "محمد بكداش" قتل المفتي "أحمد بن سيدي قدورة"، وأخوه القاضي علل الذي تم خنقه داخل السجن<sup>3</sup>، كما نجد المفتي الحنفي "محمد بن مصطفى" تم إصدار أملاكه، ثم قتله دون أي سبب يذكر.

أما "الصالح باي" فعلى الرغم من الإنجازات الكبيرة التي قام بها في بايلك قسنطينة إلا أنه أساء إلى العلماء وشاع عنه الظلم والعنف أواخر عهده، حيث قام بشنق العالم "سيدي محمد الزاوي" المعروف بسيدي "محمد الغراب" أمام الملاء<sup>4</sup>، والمصير نفسه تعرض له المفتي الحنفي "فتح الله" الذي كان ناظرا للأوقاف وخطيبا بمسجد سيدي الكتاني بقسنطينة بالقتل بسبب رفض طلب الباي "أحمد شاوش" بمكاتبة الباشا بمقر الحكم المركزي، وهكذا غالبا ما تنتهي معارضة العلماء للحكام بمصادرة أملاكهم أو النفي أو السجن أو القتل<sup>5</sup>.

<sup>(1)</sup> - عيو إبراهيم، العلوم النقلية .....، المرجع السابق، ص ص 147 - 148.

<sup>(2)</sup> - المرجع نفسه، ص 151.

<sup>(3)</sup> - محمد ابن عبد القادر، تحفة الزائر .....، المصدر السابق، ص 103.

<sup>(4)</sup> - عيو إبراهيم، العلوم النقلية .....، المرجع السابق، ص 150.

<sup>(5)</sup> - Vayssette, Histoire....., op.cit, pp124-126.



### 3-2 - موقف شعراء البايك من الحكم المركزي:

من العسير في هذا المقام أن نقوم بعرض جميع مواقف شعراء بايلك قسنطينة من الحكم المركزي خلال الفترة العثمانية، لكن هذا لا يمنعنا بكل تأكيد من ذكر بعض النماذج لفهم علاقة هؤلاء الشعراء بالحكام، والجدير بالملاحظة فقد تعددت أغراض الشعراء القسنطينيون فمنهم من إستعمل قصائده للمدح والفخر كنتلك القصيدة التي نشرها مؤلف مجهول والذي يفتخر من خلالها بالمنشآت العمرانية من مساجد ومدارس التي قام بتشيدها "الصالح باي"، فقد إعتبر الشعراء الشعبيون ذلك دليلا على إهتمام السلطة المركزية بالرعية والصالح العام فيقول في قصيدته<sup>1</sup>:

طاب الزمان بمن يوالي نفعه	للمسلمين وزاد في علياه
ملك يؤم الصالحات بعد له	فاختار آخرته على دنياه
أحیی دروس العلم بعد اتدراسها	وبني لها دارا زكى مبناها
يعني مدرسة لاحت أشعة نورها	لم لا وهي الدر في معناه
فالله يرزقه السعادة دائما	وينيله يوم القيامة مـناه
قد بين التاريخ في قول لنا	فخر المجاهد بالهنا مـناه <sup>2</sup>

كما إتخذوا شعراء البايك من الشعر وسيلة للتعبير عن أحوالهم وأوضاعهم المعيشية، في زمن الأتراك العثمانيون لأن الشاعر في تلك الفترة لم يكن يملك سوي قصائده الشعبية يعبر بها عن أحواله وأوضاعه، نذكر في هذا المقام تلك القصيدة الشعبية التي كتبها أحد أعيان بايلك الشرق خلال الفترة العثمانية عن مأساة الرعية في ظل تهميش السلطة

<sup>(1)</sup> - ناصر الدين سعيدوني، النظام المالي ....، المرجع السابق، ص238.

<sup>(2)</sup> - سعودي يمينه، الحياة الأدبية .....، المرجع السابق، ص120.

العثمانية لمطالبهم، تعبيرا عن القحط الذي أصاب البلاد ونقص محصول القمح والتغني بهذا المحصول النفيس نذكر من أبياتها<sup>1</sup>:

الْقَمْحُ يَا بَاهِي اللُّونِ      مَنْ شَبَعَتْكَ لَا زِيَادَةَ  
أَنْتَ قَوْتَ كُلَّ مَسْكِينٍ      بِكَ الصَّلَاةُ وَالْعِبَادَةُ

إلى أن يقول في آخره : آمَنْ سَيَّئَتْ نَبَاتِ الْحَبَّةِ وَالْوَسَادَةُ<sup>2</sup>.

حاول الشاعر في هذه القصيدة التعبير عن الظروف الصعبة والأوضاع المتردية التي كانوا يعيشونها أمام تجاهل الحكام في توفير حاجاتهم ومتطلباتهم، كما نجد الشاعر الشعبي الشيخ "أبو القاسم الرحموني"<sup>3</sup> قد عبر عن هذه الأزمة، فهو من معاصري هذه الأحداث فيقول<sup>4</sup>:

الْأَسْعَارَ رَاهَ أَغْلَاتٍ وَحَتَّى      أَمْطَارَ الصَّيْفِ أَدْقَافُوا  
الْحَرْثَ رَاهَ أَصْعَبَ نَبْتَهُ      الْيَيْسَ وَالْحَجَرَ يَكْثُرُوا<sup>5</sup>.

<sup>(1)</sup> - صالح العنترى، مجاعات .....، المصدر السابق، ص ص 33-34.

<sup>(2)</sup> - المرجع نفسه، ص 43.

<sup>(3)</sup> - محمد أبي القاسم الرحموني (1739-1826م): هو "محمد الصالح بن سليمان" بن محمد بن أبي القاسم الرحموني العيسوي الزواوي نسبة إلى أولاد رحمون من شرفاء العش أديب نحوي تعلم بتونس، توفي أبوه وهو صغيرا فتزوجت أمه من حداد، وقد أظهر منذ صغره عزوفا عن التعامل مع زوج أمه التي ما لبث أن توفيت، أصيب الشيخ الرحموني بالعمى مما دفعه إلى التردد على مكان الشعراء فتعلم الشعر عن طريق النقل الشفهي إلى أن أصبح شاعرا متميزا، وكان له لسان سليط يهاجم به كل من يقف في طريقه بشعره، من أهم آثاره قصيدة شعبية تُرجمت إلى اللغة الفرنسية ونشرت في المجلة الإفريقية (La Revue Africaine)، وله "ميزان اللباب في قواعد البناء والإعراب" و"الدليل على الأجرومية" و"شرح على الأزهرية" و"المحتاج في شرح معاني السراج" للأخضري و"رياض السعود في ما لله من العجائب والحدود" و"شرح البردة. ينظر: عبد الجليل رحموني، "الشعر والشعراء الشعبيون في بايلك...."، المرجع السابق، ص 205.

<sup>(4)</sup> - Cour (A), « Constantine En 1802 », **R.Af**, n°60, Alger, 1919, pp 227-231.

<sup>(5)</sup> - Yacono (X), « L'Algérie depuis 1830 », **R.Af**, n°100, Alger, 1956, p 178.

عندما تمكن الفرنسيون من إحتلال بايلك قسنطينة، وقد قاوم أهلها مقاومة شرسة لم يشهدوا حتى مقر الحكم المركزي ولا بايلك الغرب تأكد الشعراء من ضعف سلطة البايك وهو ما دفع بالشاعر "الشاذلي القسنطيني"<sup>1</sup> إلى كتابة قصيدة سياسة "للأمير عبد القادر" يستغيث به عندما كان في أوج سلطانه وقوته من أجل حماية ملة الإسلام ومحاربة نار الكفر بجيشه العتيد وجنوده الأبطال حيث نعته بالخليفة فقال<sup>2</sup>:

أيادها نوح الخليفة بلغن	سلاما يفوق الند عرفا يجدد
ووجهك عفر في تراب نعاله	وبث له وجدي فانك تحمد
وبلغ له شكوى قسنطينة بما	يسوء ذوي الأحلام والله يشهد
وذلك أن الكفر حل بها وفي	عمالتها من كل أرجائها يبدو
تري أهل دين الله حقا أذلة	ونو الكفر في عز وللحق يجحد

صاح "الشاذلي" بهذه الإستغاثة على لسان أهل قسنطينة مستجدا "بالأمير عبد القادر" لأنه أصبح الحامي للدين الإسلامي والمسلمين في الجزائر بعد الإنتصارات التي حققها في الغرب الجزائري مع جنوده الشجعان فمدحه الشاذلي ووصفه بأوصاف التمجيد والشرف.

(1) - محمد الشاذلي القسنطيني (1807-1877م): يعتبر من فحول الشعراء الشعبيين في بايلك قسنطينة تربى في بيت محافظ، تلقى علومه في قسنطينة على أيادي مشاهير علمائها عندئذ فتعلم الفقه والحديث واللغة والخطابة والحساب، وهذه هي الفنون الرائجة في تلك الفترة، كما حضر مجالس الشيخ محمد بن سالم، والشيخ أحمد العباسي الذي كان يتمتع بشهرة واسعة في المنطقة، والذي تولى القضاء المالكي والخطابة، أخذ عنه الشاذلي الحديث والقراءات والأدب واللغة وتأثر به، وقد قال عنه الحفناوي في ترجمته أنه كان "كثير الإطلاع حاد الفكر قوي العارضة له أشعار رقيقة". سافر الشاذلي إلى العديد من المناطق العربية مثل تونس، كما قام بثلاث رحلات خلال 1844-1849م إلى فرنسا وأوروبا، وقد حملته ثاني رحلة إلى بلجيكا وإنجلترا وتركيا، أما عن أعماله فقد ترك ديوانا شعريا وله العدد من القصائد نذكر منها: قصيدة في مدح قسنطينة مترجمة إلى الفرنسية. ينظر: عبد الجليل رحموني، " الشعر والشعراء الشعبيون في بايلك...."، المرجع السابق، ص 206.

(2) - أبو القاسم سعد الله، محمد الشاذلي .....، المرجع السابق، ص 16.

من هنا يتضح أن الشعراء الشعبيون في بايلك قسنطينة إستطاعوا التعبير عن مواقفهم تجاه السلطة المركزية منذ دخول العثمانيين للبايلك وإلى غاية إحتلال الفرنسيون، ويمكن أن نلتبس ذلك من خلال ظهور عدة قصائد شعرية شعبية معبرة عن الإنجازات الحضارية التي قام بها العثمانيين أمثال الصالح باي، كما ظهرت عدت قصائد في ذم السلطة العثمانية نتيجة سوء سياستهم أواخر عهدهم، وبذلك تمكنوا هؤلاء الشعراء من تخليد ما جرى من أحداث في بايلك الشرق خلال الفترة العثمانية<sup>1</sup>.

<sup>(1)</sup> - أبو القاسم سعد الله، محمد الشاذلي.....، المرجع السابق، ص 69.

## ثانيا: العلاقات السياسية والعسكرية بين البايك والسلطة المركزية

### 1- الإتصالات الإدارية والسياسية بين الحكم المركزي وبايلك الشرق:

#### 1-1- علاقة الإدارة الجهوية بإدارة السلطة المركزية:

امتدت سلطة بايلك الشرق إلى غاية الحدود الغربية لأيلة تونس، وقد حُكم هذا البايك من طرف نائب يحمل لقب باي الشرق يمثل السلطة المركزية في المقاطعة الشرقية، تميز بايلك الشرق بإنعدام نفوذ الإدارة المركزية بشكل مباشر قياسا ببقية البايكات، أما سلطة الوالي العام فانحصرت في الأمر بتطبيق القوانين المدنية والعسكرية<sup>1</sup>، هذا بالإضافة إلى إشرافه على حصون البايك وتنظيم الجيش، وحفظ الأمن في المدينة فضلا عن إشرافه على التنظيم الإداري وتعيين أعضاء الإدارة في بايلك الشرق<sup>2</sup>.

كان الباي المعين في المقاطعة الشرقية يختاره الداوي في مقر الحكم المركزي، وكان تنصيبه يجرى في أجواء احتفالية، محاطا بعددا كبيرا من الموظفين الذين يتقاسمون المهام الإدارية والعمومية، وكان الخليفة ينوب عنه في وظائفه بحيث يتكفل بتحصيل الضرائب وغيرها من الأمور الإدارية<sup>3</sup>، ومن هنا فقد شهد بايلك قسنطينة حكما إداريا مماثلا لحكم الدايات ولاسيما في مدة حكم الداوي "محمد بن عثمان" باشا 1766-1791م، الذي عرف فيه البايك تطورات عسكرية وأمنية فضلا عن إنتعاشا إقتصاديا كبيرا<sup>4</sup>.

عاش سكان بايلك الشرق ضمن تنظيم إداري تحدده السلطة المركزية ويشرف عليه مجموعة موظفين يقومون هؤلاء على شؤون الرعية وتنظيم علاقاتهم مع إدارة بايلك

<sup>(1)</sup> - عبد السلام محمود السامرائي، الإدارة العثمانية.....، المرجع السابق، ص 62.

<sup>(2)</sup> - Lemnouar (Merouche), Recherches Sur L'Algérie a L'époque Ottomane, Monnaies, prix et Revenus 1520-1830, paris, 2002, p185.

<sup>(3)</sup> - محفوظ قداش، الجزائر في العهد ....، المرجع السابق، ص 192.

<sup>(4)</sup> - عبد السلام محمود السامرائي، الإدارة العثمانية .....، المرجع السابق، ص 62.

الشرق<sup>1</sup>، فكان قائد الدار مثلا أو مقتصد القصر يقوم بإدارة مدينة قسنطينة، وكان يشرف على أكبر قسم من الأراضي الريفية التابعة للبايلك، يقوم بدفع مرتبات الميليشيات ويحكم في جميع الجنح والجنات المرتكبة في البايلك، يعمل تحت أوامر عددا كبيرا من الموظفين مثل المقدم والقياد وغيرهم في مقاطعات الشرق<sup>2</sup>.

كانت كل مقاطعات البايلك مقسمة إلى وحدات إدارية صغيرة يطلق على كل منها إسم وطن يحكمه قائد، تضم هذه الأوطان في الغالب عددا من القبائل ويحكمها قياد يجمعون في أيديهم السلطات المدنية والعسكرية وحتى القضائية، وذلك بمساعدة شيوخ الدواوير، وتتمثل مسؤولية هؤلاء القياد في السهر على توزيع الأراضي وإحيائها لضبط مقياس توظيف الأداءات، ويعين الباي القايد بإقتراح من الآغا أو غيره من كبار الموظفين الذين يرجعون إليهم وكانوا أتراك، بينما ينتسب المشايخ إلى أكبر قبائل الوطن شأنا ويتفق أحيانا أن يتشكل الوطن من قبيلة كبرى واحدة فيصبح قائدا على تلك القبيلة<sup>3</sup>.

كان حكم الباي الذي يمثل سلطة الحكم المركزي مُعترف بحكمه من طرف شيوخ القبائل، وفي مقابل مساندة الباي للأعيان في الحفاظ على السلطة الفردية أو الجماعية، لأن تعيين هؤلاء الشيوخ على القبائل كان من صلاحيات الباي، وذلك لتسهيل تسيير أمور البايلك في عملية جمع الضرائب<sup>4</sup>.

<sup>(1)</sup> - علوش سهيلة، حصن الباستيون الفرنسي والسلطات المحلية في الجزائر العثمانية، مذكرة ماجستير، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة الأمير عبد القادر، قسنطينة، 2005-2006، ص 67.

<sup>(2)</sup> - محفوظ قداش، الجزائر في العهد.....، المرجع السابق، ص 192.

<sup>(3)</sup> - شارل أندري جوليان، تاريخ شمال.....، المرجع السابق، ص 338.

<sup>(4)</sup> - علوش سهيلة، حصن الباستيون.....، المرجع السابق، ص ص 68-69.

لكن في نهاية الحكم العثماني بالبايلك عرفت قبضة السلطة المركزية وحكم البايك تقهقرا خاصة بعد حكم الداوي "محمد بن عثمان"، وفي هذا الصدد ذكر "الصالح العنترى" قائلا: "إنه حين مات الباشا إسمه بابا محمد، ومات صالح باي تبدلت أحكام الترك وانقلبت حقائقهم وصار صغيرهم لا يوقر كبيرهم وبدأ النقص في ملكهم"<sup>1</sup>.

إن بداية حكم "الحاج أحمد" آخر بايات قسنطينة (1792-1826م)، يمثل قمة ما وصلت إليه سلطة الباي من أزمات سياسية وعسكرية، ولا سيما بعد أن سيطر على إتخاذ القرارات الروح الإرتجالية التي تسيورها الأهواء والعواطف، فكانت القرارات تأتي من مقر الحكم المركزي بصورة عشوائية وفوضوية مما شجع على غياب الأمن والاستقرار بين الرعية، وأحيانا تمرد بعض البايات على قرارات السلطة المركزية، حتى أصبح للباي حق التصرف في الرعية وأملاكهم في البايك<sup>2</sup>، هذا بالرغم من أن سلطته مستمدة من مقر الحكم المركزي، فكانوا يقومون بكل ما يرونه مناسبا من وجهة نظرهم<sup>3</sup>.

(1) - الصالح العنترى، فريدة منيسة.....، المصدر السابق، ص 112.

(2) - عبد السلام محمود السامرائي، الإدارة العثمانية.....، المرجع السابق، ص 63.

(3) - أبو القاسم سعد الله، أبحاث وآراء.....، ج1، المرجع السابق، ص 275.

## 1-2- سياسة البايات تجاه القبائل والزعامات المحلية ببايلك الشرق

تميزت سياسة السلطة المركزية تجاه الرعية ببايلك الشرق بالتعقيد، وذلك راجع إلى التركيبة القبائلية التي شكلت البايلك فإلى جانب بعض القبائل القوية أمثال أولاد مقران وبوعكاز وبن قانة، وبن عاشور، وبنى جلاب هناك قبائل ذات نفوذ واسع أمثال الحراكته والنامشة والحنانشة....الخ، ومما زاد الأمر تعقيدا طبيعة تضاريس البايلك الذي غلب عليه الطابع الجبلي في الشمال والصحراوي في الجنوب وشساعة مساحته<sup>1</sup>.

أما عن سياسة حكم البايات فهي لم تكن مستقرة، فمنهم من تميز حكمه بحسن السلوك وكفاءة التسيير فحاول الحفاظ على مصالح البايلك والتكفل بالرعية، ومنهم من عُرف حكمه بالقهر والبطش وسوء التسيير، فأضر بسكان المدن والبوادي على حد سواء، وكان ذلك سببا في إفلاس خزينة البايلك وعبئ على السلطة المركزية، ومن أهم السياسة التي أنتهجها البايات في إدارة هذا الأقليم مايلى<sup>2</sup>.

### أ- سياسة التحالف والإستعانة بشيوخ القبائل والقوى الدينية:

منذ إستقرار العثمانيون بالجزائر، إعتدوا في حكمهم على المرابطين وشيوخ الزوايا كواسطة بينهم وبين الرعية نظرا لما يتمتعون به من نفوذا قويا وكلمة مسموعة في المناطق الجبلية<sup>3</sup>، كان من نتائج هذه السياسة الحكيمة أن مكنت السلطة العثمانية في بايلك الشرق رغم التنافر الذي حدث بين الرعية في الريف والعنصر التركي الوافد من إنشاء علاقة مصالح بينهم وبين ذوي النفوذ بالريف القسنطيني، وعلى رأسهم شيوخ القبائل والقوى الدينية.

(1) - أرزقي شويتم، المجتمع.....، المرجع السابق، ص 277.

(2) - فلة القشاعي، النظام الضريبي بالريف القسنطيني أواخر العهد العثماني 1771-1837م، رسالة ماجستير، معهد التاريخ، جامعة الجزائر، 1989-1990، ص 36.

(3) - برمولة نبيل، صفحات من تاريخ....، المرجع السابق، ص 96.



حتى لا تصطدم القوات العثمانية القليلة العدد والجاهلة بأغوار البايك مع القوات المحلية عملت على كسب ولائها والتقرب لها بمختلف الطرق والوسائل، وهو ما قام به خير الدين بربروس مع شيوخ قبيلة بوعكاز الذواودة أقوى القبائل بجنوب البايك، فكانت له ولأسلافه خير معين لبسط نفوذهم على القبائل مع أحرار الحنانشة المسيطرين على الحدود الشرقية للبايك منذ العهد الحفصي، وما أن أعترفت السلطة المركزية بسيادتهم بشرق البايك حتى أصبحوا جزءا من قواتها بل أصبح شيوخها شأنهم شأن شيوخ قبيلة بوعكاز الذواودة حكاما عثمانيين مساوين لبايات قسنطينة<sup>1</sup>.

هكذا أدركت السلطة العثمانية الدور الذي يلعبه شيوخ الزوايا ومدى إرتباط سكان البايك بهم، وهذا ما يؤكد "حمدان خوجة"<sup>2</sup> أثناء زيارته للمنطقة بقوله: "وعلى الرغم من عدم وجود قانون يصونوا به خلافاتهم ويكبحون به جماهم وعلى الرغم من أنهم لا يقبلون الخضوع لأي سلطان فإن طاعتهم للمرابطة طاعة لا يمكن تفسيرها"<sup>3</sup>.

ولعل هذا ما جعل السلطة العثمانية تتقرب منهم وتنال ودهم بل فرضوا على أنفسهم إحترامهم، وذلك من أجل إستمالة هذه القوى والتي أصبحت سندا قويا ووسيلة مهمة للمرور عبر الطرق السلطانية بإتجاه البايك، إلى درجة أن الأتراك العثمانيون لا يستطيعون المرور

<sup>(1)</sup> - جميلة معاشي، الإنكشارية والمجتمع.....، المرجع السابق، ص ص 100-101.

<sup>(2)</sup> - ولد حمدان خوجة على أرجح الروايات سنة 1770م بمدينة الجزائر في عهد الداوي محمد عثمان باشا نشأ بها نشأة علمية ما أهله لتولية منصب والده بعد وفاته فأصبح مدرس للحقوق المدنية والقوانين الإسلامية فضلا عن ولعه بالأسفار والتجارة وتقليد العديد من المناصب منها مستشار الداوي حسين أثناء الحملة العسكرية الفرنسية على الجزائر، ترك حمدان خوجة العديد من المؤلفات نذكر منها كتاب المرأة الذي كتبه في الأصل باللغة العربية سنة 1833م، أثناء تواجده في باريس، ثم ترجم إلى الفرنسية تحت عنوان: "Aperçu Historique et Statistique sur La Régence d'Alger" لمحة تاريخية وإحصائية على أبالة الجزائر. ينظر: محمد مقصودة، الكراغلة والسلطة في الجزائر خلال العهد العثماني 1519-1830م، مذكرة ماجستير، كلية العلوم الإنسانية والحضارة الإسلامية، جامعة وهران، 2014، ص ص 199-200.

<sup>(3)</sup> - خوجة حمدان بن عثمان، المرأة، المصدر السابق، ص 18.

بجبال البيان وجرجرة دون أخذ ضمانات وحماية المرابطين المؤثرين في المنطقة أمثال الشيخ مولود في بني يحي وشيوخ شلاطة في إيلولة<sup>1</sup>.

بعد هذا التحالف الذي أكسب السلطة العثمانية قوات فاقت العشرات آلاف فارس بالإضافة إلى المشاة، تم التحالف مع قبيلة المقراني حكام مجانة والمسيطرين على الحدود الغربية للبايلك، وقد أكد بعض المؤرخين الأجانب أن القوات العثمانية لم تكن تستطيع دخول المدينتين لولا مساعدة جيوش السلطان "عبد العزيز" التي قدرت بـ: 1600 فارس، كما شاركت بـ: 2000 فارس في الحملة التي قام بها "حسن باشا" سنة 1545م ضد بايلك الغرب والتصدي لهجومات أبناء سلطان المغرب على غرب الأيالة<sup>2</sup>، فالعثمانيون لم يتمكنوا من الدخول إلى العديد من المناطق إلا بموافقة هؤلاء المرابطين، كما إستغلت السلطة العثمانية المرابطين وشيوخ الزوايا عند تمرد الرعية ضد الحكم المركزي، ومثال ذلك ما قاموا به مع المرابط "سيدي محمد أمقران" الذي كان له تأثيرا كبيرا في المنطقة الشرقية<sup>3</sup>.

على هذا الأساس شكل المرابطين وشيوخ الزوايا الآدات الحقيقية لإخماد الثورات مثل ما هو الحال لثورة "أحمد بن الصخري" سنة 1642<sup>4</sup> لوقف القتال بين القوات العثمانية وقبائل زواوة<sup>5</sup>، والجدير بالملاحظة أن نفوذ هؤلاء المرابطين لم يقف عند هذا الحد بل تعدى إلى أن أصبح شيوخ الزوايا هم من يتولون مشيخة القرية مقابل ضريبة يدفعونها سنويا

(1) - برمولة نبيل، صفحات من تاريخ....، المرجع السابق، ص 99.

(2) - جميلة معاشي، الإنكشارية والمجتمع.....، المرجع السابق، ص 101.

(3) - علي خنوف، السلطة في الأرياف الشمالية لبايلك الشرق الجزائري نهاية العهد العثماني وبداية العهد الفرنسي، الجزائر، 1999، ص ص 20-21.

(4) - كان سبب هذه الثورة هو إقدام الباي "مراد" على قتل محمد ابن بوعكاز بأمر من الديوان لأنه شق عصي العاعة هو وابنه وستة أشخاص من أجواد العرب، مما أدى إلى إضطرابات في الأمن مما دفع بأعيان البايلك تقديم عرضية لمقر الحكم المركزي للمطالبة بتعيين باي جديد فوق الإختيار على "فرحات" ابن مراد باي فوافق الباشا عليه ومنحه فرمان التولية. للإطلاع أكثر على هذه الثورة ينظر:

Berbrugger(A)," Notes Relatives Alla Révolte de Ben Sakheri", **R.Af**, n°10, Alger, 1866, pp 337-352.

<sup>5)</sup> - ibid, p 348.

إلى السلطة المركزية، وينطبق هذا القول على المرباط "سيدي أحمد بن ناصر" الذي عينه القائد "يوسف باشا" سنة 1641م شيخا بجنوب البايك وهذا كان بمثابة مكافئة له على مساعدته للسلطة ضد "ابن الصخري" منذ سنة 1638م<sup>1</sup>، وفي هذا السياق نجد السلطة العثمانية تعين المرباط سيدي "سعادة" بجيجل على منطقة الشقفة مقابل مشاركته في وقف الهجوم الإسباني وقد أرسل له قفطانا دليل على تعيينه<sup>2</sup>.

كما قام "الباي مصطفى" الوزناجي 1795م<sup>3</sup> ببعث برسالة إلى "الشيخ خالد بن ناصر" شيخ أحرار الحنانشة بشرق البايك، حيث أوصاه خيرا بمرباط زاوية قلعة سنان وبأهله وأراضيه ويحمله مسؤولية أي إعتداء عليه بإعتبار أنه تابع لمنطقة نفوذه.

والواقع أن ظاهرة اللجوء إلى زوايا المرباطين لم تخص الحكام فقط، بل عمت حتى أفراد الجيش الإنكشاري أنفسهم، كما إستفاد العثمانيون إستفادة كبيرة من المرباط لما كان له دورا في حل النزاعات الداخلية بين البايات والأسر الحاكمة تارة، وبين هذه الأسر والقبائل المختلفة تارة أخرى<sup>4</sup>، ومن هنا يتبين لنا بوضوح تاما مدى حنكة السلطة المركزية في كسب ثقة هؤلاء المرباطين ورجال الدين وتسخيرهم في خدمة السلطة العثمانية لتكريس الحكم المركزي في البايك، غير أن هذه العلاقة الحسنة بين السلطة والمرباطين ما لبثت أن ساءت مطلع القرن 18م، حين أشدت نفوذ الأتراك داخل المناطق الجبلية التي كان

(1) - جميلة معاشي، الإنكشارية والمجتمع.....، المرجع السابق، ص 104.

(2) - Feraud(ch), Histoire des Villes de Ctne, Alger, R.S.A.C, 1870, pp80-81.

(3) - كلمة وزناجي كلمة عثمانية وهي تطلق على من يعمل في صنع البارود، فأغلب الظن أن الباي "مصطفى" كانت وظيفته صنع البارود قبل أن يصبح باي لبايك التيطري لمدة 20 سنة كما أشرنا إلى ذلك في الفصل الثالث، ثم أصدرت السلطة المركزية في حقه القتل لكنه إستطاع أن ينجو بنفسه، ويحصل على العفو وأصبح باي لبايك قسنطينة ابتداء من سنة 1794م، أما نهايته فقد تم إغتياله من طرف الداوي وكان ذلك عند وصوله إلى مقر الحكم المركزي لتقديم الدنوش في ديسمبر 1797م، فأغتيال الوزناجي لم يكن لسبب وجيه يستحق لأجله هذه النهاية وإنما نفذ ظلما خاصة وأن هذه الفترة انتشرت فيها الفوضى وغياب النظام. ينظر: جبور ميلودية، ظاهرة الإغتيال السياسي.....، المرجع السابق، ص 175.

(4) - جميلة معاشي، الإنكشارية والمجتمع.....، المرجع السابق، ص ص 102-103.

يسكنها رعايا خاضعين للقبائل الإقطاعية المحلية، وهذا ما يفسر تقهقر العلاقات بين الحكم العثماني والقبائل ذات النفوذ التي ستقوم بإشعال ثورات وتمردات كما سنرى طيلة بقية الحكم العثماني بالمنطقة<sup>1</sup>.

#### ب- سياسة المصاهرة:

لضمان ولاء هذه القوى الدينية قام الحكام العثمانيون بمصاهرتهم في بعض الأحيان<sup>2</sup>، غير أن هذه السياسة لم تجد قبول من طرف الرعية في بداية الأمر، حيث كانوا يرفضون رفضا قاطعا مصاهرة العثمانيين، وينطبق هذا القول على الأمير "عبد العزيز" الذي سعى "حسن بن خير الدين" أثناء عودته من مستغانم سنة 1558م منتصرا على الإسبان مصاهرتهم، لأن "حسن" طلب الزواج من إبنته التي يقال أنها ذات جمال فائق، وتذكر المصادر أن "عبد العزيز" رد على "حسن" قائلا: "إن البلاد ليست تركية حتى أناسبك"<sup>3</sup>.

أرجع بعض المؤرخون رفض "عبد العزيز" مصاهرة الحكام العثمانيين إلى جملة من الأسباب أهمها: رغبة "الأمير عبد العزيز" في إقامة إمارة مستقلة عن الحكم العثماني<sup>4</sup>، كان غرض "حسن" من هذه المصاهرتهم هو منع توسعات "عبد العزيز" والوقوف ضد أي تمرد محتمل، لكن العثمانيون فشلوا في تحقيق مساعيهم<sup>5</sup> الشيء الذي أدى "بحسن" ابن خير الدين "إستعمال القوة، فقام بتجهيز حملة ثانية على القلعة إنتهت بمقتل عبد العزيز"<sup>6</sup>.

<sup>(1)</sup> - برمولة نبيل، صفحات .....، المرجع السابق، ص 98.

<sup>(2)</sup> - Feraud(ch), " Ain Beida province de Constantine" **R.Af**, n°16, Alger, 1872, p410.

<sup>(3)</sup> - برمولة نبيل، صفحات .....، المرجع السابق، ص ص 110-111.

<sup>(4)</sup> - يحي بوعزيز، ثورة 1871 دور عائلتي المقراني والحداد، ش و ن ت، الجزائر، 1975، ص 47.

<sup>(5)</sup> - عزيز سامح ألثر، الأتراك العثمانيون .....، المرجع السابق، ص 207 .

<sup>(6)</sup> - برمولة نبيل، صفحات .....، المرجع السابق، ص 111.

لم يهدء بال العثمانيون فقد حاولوا مرة أخرى، لكن هذه المرة بطرق غير مباشرة، حيث وجد الباي "تشقولاك" نفسه مجبرا على محاربة المقرانيين<sup>1</sup>، فأستعمل المصاهرة وطلب المساعدة من قبيلة الدواودة الممثلة في شخص "أحمد بن يعلى" بوعكاز الذي هو بدوره كانت له علاقة مصاهرة مع المقرانيين<sup>2</sup>.

إن الهدف الأساسي للسلطة العثمانية هو ربط مصير القبائل المحلية ذات النفوذ السياسي أو العسكري أو الديني بالسلطة المركزية، وكان أول من أنتهج هذه السياسة من بايات قسنطينة حسب ما تذكر المصادر هو رجم باي<sup>3</sup> الذي عمل على التقرب من أسرة بوعكاز بعد أن عجز عن إلزامها بإعترافها بحكمه ودفع ما عليها من ضرائب للبايلك وكف يد العرب عن المساس بأمن البلاد، فكانت مصاهرة هذه الأسرة هي أنجع وسيلة لذلك<sup>4</sup>.

والسياسة نفسها إنتهجها البايات فيما بعد لمهادنة الشيخ "بن سديرة" الذي أعلن الحرب عليه إنتقاما لمقتل والده "سي سديرة" الذي قُتل بسبب مناصرته للشيخ بوعزيز بن ناصر شيخ أحرار الحنانشة إذ عمد الباي إلى مصاهرته بالزواج من أخته ابنة السلطان سي سديرة، وبذلك نجح الباي في الإفلات من "بن سديرة" من جهة، وتهدة الوضع العام في البايك من جهة أخرى، فعاد إلى الشمال ليتفرغ لمحاربة شيوخ القبائل الثائرة<sup>5</sup>.

إن هذه السياسة كان من شأنها أن أسهمت في نشوء علاقات مصاهرة متينة رغبة من الطرفين في تحقيق مصالح مشتركة وإستقرار العنصر العثماني، وهذا ما أكده "دي بارادي" «de Paradis»: بأن القبائل المحلية كانت تسعى للإرتباط بالإنكشارية عن طريق

(1) - الصالح العنتري، فريدة منيسة.....، المصدر السابق، ص 108.

(2) - المصدر نفسه، ص 31.

(3) - لم تشير المصادر إلى حياة وإنجازات هذا الباي، كل ما عثرنا عليه هو فترة توليه إدارة بايلك قسنطينة والتي كانت سنة 1667م.

(4) - جميلة معاشي، الأسر المحلية ....، المرجع السابق، ص 206.

(5) - المرجع نفسه، ص 209.

المصاهرة ليكون حاميا لها، في حين كان اليولداش يسعى بالزواج من الفتاة المحلية الثرية لتحسين وضعه المزري<sup>1</sup>.

هذا ما فعله "حسين بلكباشي" التركي "بن مصطفى" حين تزوج "بفاطمة بنت عثمان"<sup>2</sup>، كما إرتبط "إسماعيل" منزل أغا "بن رجب" "بآمنة بنت محمد خوجة"<sup>3</sup>، وفي إطار الإستراتيجية نفسها تزوج "إبراهيم بلكباشي" بن "مصطفى" التركي "بسلطانة بنت الداوي" عبيد باش، أما أختها "أمنة" فقد أرتبطت "بأحمد" وكيل الخرج بن خليل التركي<sup>4</sup>، وطلب "حسن باشا" يد أحد أميرات عائلة "إبن القاضي"، ولبي طلبه وتزوج العثماني إبنة صاحب إمارة كوكو<sup>5</sup>، كما إرتبط "محمد يلدش" "بفاطمة بنت الداوي أحمد باشا"<sup>6</sup>.

يعتبر الباي "أحمد القلي" من أبرز البايات التي طبقت هذه السياسة وشجعها بين مختلف الحكام حتى أنه كون شبكة حقيقية من الروابط الدموية بين مختلف العناصر ذات النفوذ السياسي والإقتصادي بالبايلك، فقد تزوج من إبنة الشيخ "سليمان" بن قانة، ثم تزوج مرة أخرى من إبنة "الحاج بوزيد" المقراني بسبب عقم الأولى، وبذلك ضمن الباي ولاء قبيلتين قويتين<sup>7</sup>.

كما نجد الباي يزوج أبنه "محمد الشريف" من إحدى بنات شيخ العرب، وبهذا نجح الباي "أحمد القلي" من جعل أسرة "إبن قانة" أكبر حليف معين للعثمانيون، وفي هذه الفترة

<sup>1</sup>-de paradi(V), Tunis ....., op.cit, p175.

<sup>2</sup>- سجلات المحاكم الشرعية: رقم السجل 122(12) الأرشيف الوطني الجزائري.

<sup>3</sup>- سجلات المحاكم الشرعية : رقم السجل 2/41(1) الأرشيف الوطني الجزائري.

<sup>4</sup>- فهيمة عمريوي، الجيش الإنكشاري بمدينة الجزائر خلال القرن 12هـ-18م، دراسة إجتماعية-إقتصادية، مذكرة ماجستير، كلية العلوم الإنسانية والإجتماعية، جامعة الجزائر، 2008-2009، ص 139.

<sup>5</sup>- مارمول كرخال، إفريقيا، ج2، تر: محمد حجي وآخرون، الجمعية المغربية للتأليف، الرباط، 1984، ص ص 389-388.

<sup>6</sup>- سجلات المحاكم الشرعية: رقم السجل 50(39) الأرشيف الوطني الجزائري.

<sup>7</sup>- جميلة معاشي، الأسر المحلية ....، المرجع السابق، ص 210.

نجد الباي "أحمد القلي" قد تزوج عدد من كبار موظفي البايك الأتراك من بنات أسرة ابن قانة، فقد تزوج "إبراهيم بوصبع" قائد الزمالة من ابنة الشيخ بن قانة، وتزوج "حسين ابن بوحنك" من أختها<sup>1</sup>.

كما أن "الصالح باي" سعى إلى مصاهرة شيخ أحرار الحنانشة "إبراهيم ابن بوعزيز" بن نصر، إلا أن هذا الأخير رفض مصاهرته الأمر الذي أدى إلى غضب الباي وشنه العديد من الهجومات ضد قبيلة الحنانشة إلى أن أنتهى الأمر بالقبض على الشيخ من طرف الباي، وسجنه بسجن قسنطينة حتى الموت، وكان ذلك سنة 1773م<sup>2</sup>، هكذا نجد العثمانيون حاولوا إستعمال المرأة والمصاهرة، وأحيانا القوة العسكرية لصالحهم رغبة في فرض نفوذهم على المنطقة<sup>3</sup>.

### ج- سياسة التفرقة وتشجيع الفتن بين القبائل:

لم يكتفى العثمانيون في سياستهم على إستراتيجية المصاهرة كما رأينا، فقد إعتد بايات قسنطينة على أسلوب زرع الفتن، وذلك للقضاء على كل محاولة ترمى إلى توحيد القبائل والأعراش في تشكيل قوة وطنية تقف أمام السلطة المركزية، وقد شجعت السلطة سياسة التفرقة بين مختلف القبائل والأعراش حتى تعرقل المحاولات التي تعارض نواياها، وأحسن دليل على ذلك هو تشجيع الباي "محمد بن أحمد القبائلي" لأسرة بن قانة في نزاعها مع أسرة بن جلاب، وذلك لوضع حاجزا أمام وحدة وقوة هاتين الأسرتين الصحراويتين الكبيرتين<sup>4</sup>.

(1) - ابن العطار (أحمد بن المبارك)، تاريخ حاضرة قسنطينة، تح: رابح بونار، الجزائر، 1971، ص 71.

(2) - جميلة معاشي، الأسر المحلية ....، المرجع السابق، ص 213.

(3) - برمولة نبيل، صفحات ....، المرجع السابق، ص 112.

(4) - عبد الرزاق قشوان، السلطة المحلية .....، المرجع السابق، ص 102.

أدركت السلطة العثمانية أن أي محاولة للإتحاد بين هذه القبائل فيما بينها تشكل تهديدا مباشرا لأمنها وسلامتها وضمان سيطرتها<sup>1</sup>، وما من شك أن الحرب بين القبائل والأعراش تساهم في تخريب البلاد وتعطيل النمو الإقتصادي في جميع الميادين، فقد كانت السلطة المركزية تدرك ذلك، ولكنها كانت في حاجة إلى تلك المنافسات بين الأعراش، وذلك التطاحن المستمر، فصاروا يؤيدون القوى تارة، ويقفون إلى جانب المغلوب تارة أخرى<sup>2</sup>.

كما نجد العثمانيون يعمدو إلى شيوخ الطرق والمرابطين المؤثرين على الرعايا لشن الفتن، وإثارة العداوة بين الرعية<sup>3</sup>، كما شجعوا التنافس القبلي والصراع العشائري في كثير من الجهات، وذلك حتى تبقى الكلمة الأولى والأخيرة لممثلي البايك، كما هو الشأن في الهضاب العليا القسنطينية والأوراس، كما دأب الحكام الأتراك أيضا على تفتيت التجمعات القبلية الكبرى التي رأوا فيها قوة تهدد نفوذهم، وذلك بإخضاع تلك القبائل الكبرى وتتصيب شيوخ موالين لهم عليها، وإذا لم يتمكنوا من إدخالها في نفوذهم يلجئون إلى الإستلاء على أراضيها وترحيل بطون منها إلى جهات بعيدة<sup>4</sup>.

كانت هذه السياسة من بين أنجع أساليب السلطة العثمانية في حكم البايك، كما كانت تعتبرها وسيلة فعالة وضرورية لأي حاكم يريد السيطرة على زمام الحكم، وقد طبقت هذه السياسة بين مختلف القبائل الحاكمة بالبايك<sup>5</sup>، ومن أبرز القبائل التي طبقت عليها هذه السياسة هي قبيلة بوعكاز التي أوجد لها البايات منافسا قويا على زعامة الصحراء وهي قبيلة ابن قانة، وكذا أسرة المقراني التي قسمت بدورها إلى عدة فروع متناحرة،

<sup>1</sup>—Emerit(M), « Memoires..... », op.cit, p88.

<sup>2</sup>— برمولة نبيل، صفحات .....، المرجع السابق، ص ص 98-99.

<sup>3</sup>— عبد الرزاق قشوان، السلطة المحلية.....، المرجع السابق، ص 102.

<sup>4</sup>— ناصر الدين سعيدوني- المهدي بوعبدلي، الجزائر .....، المرجع السابق، ص 40.

<sup>5</sup>— جميلة معاشي، الأسر المحلية ....، المرجع السابق، ص 270.



والسياسة نفسها طبقت مع قبيلة بن جلاب بتقوت، وغيرها من القبائل الحاكمة بالبايلك فعمت الحروب بين أبنائها وهذا ما يخدم السلطة المركزية<sup>1</sup>.

هكذا شجع الحكم المركزي المشيخات والأعراش التي أصبحت الطابع المميز لأرياف منطقة القبائل عامة بعد أن تمكن الحكام العثمانيون من الإستيلاء عليها<sup>2</sup>، حيث تعاملوا مع أكبر العائلات والقبائل الأمر الذي جعل بعض الأسر المؤثرة تبرم علاقات مع السلطة المركزية، وتتحالف معها بناء على مصالح مشتركة، بينما القبائل والأعراش المغلوبة لم يتورع الحكام في إضطهادها<sup>3</sup>.

وباختصار فإن السلطة العثمانية في بايلك الشرق لم تترك وسيلة إلا واتبعنها للوصول إلى أهدافها وهي الحفاظ على إستقرارها لحكم البلاد، وقد إتسمت سياستهم في البداية بالمرونة ومحاولة كسب الولاء، أما في نهاية عهدهم فإن السمة الرئيسية التي طبعت سياستهم هي العنف ومحاولة السيطرة الفعلية على البلاد بالقضاء على أي قوة محلية يمكن أن تشكل قوة موازية للحكم المركزي<sup>4</sup>.

كان من نتائج هذه السياسة أنها عملت على عدم إندماج الأتراك العثمانيون في الرعية، حيث انفصلت السلطات العثمانية عن المجتمع الريفي ووضعت حاجزا بينهما تمثل في مجموعة الوسطاء من عائلات ذات نفوذا بين القبائل تتعامل مع السلطة لصالحها الخاص<sup>5</sup>، وبفضل هذه السياسة جعلت السلطة لنفسها أحلاف<sup>6</sup>، وهذا ما دفع كثيرا من القبائل المهمشة إلى الإنتفاضة ضد الحكم المركزي، وإعلان التمرد مما تسبب في

(1) - جميلة معاشي، الأسر المحلية ....، المرجع السابق، ص 272.

(2) - ناصر الدين سعيدوني، دراسات وأبحاث .....، المرجع السابق، ص 271.

(3) - برمولة نبيل، صفحات .....، المرجع السابق، ص 100.

(4) - جميلة معاشي، الأسر المحلية ....، المرجع السابق، ص 272.

(5) - برمولة نبيل، صفحات .....، المرجع السابق، ص 100.

(6) - ناصر الدين سعيدوني، دراسات وأبحاث .....، المرجع السابق، ص 271.

إضطراب إجتماعي وإنهيار إقتصادي فتورة "إبن الصخري" تركت آثار سلبية على الجهات الشرقية لبايك قسنطينة، وثورة النمامشة سنة 1797م التي وضع "الباي الوزناجي" حدا لها بإنتهاجه سياسة القمع، هذا بالإضافة إلى ثورة "إبن الأحرش" سنة 1804م، وهي الأعنف من نوعها كما سنرى لاحقا<sup>1</sup>.

### 1-3- دعائم السلطة المركزية في مراقبة مجال البايك:

#### أ- الخليفة:

يعتبر الخليفة أحد ركائز السلطة المركزية بالبايلك، وهو الشخصية الثانية في الهرم المخزني بعد الباي يقوم بالذهاب إلى مقر الحكم المركزي مرتين في السنة، وهو ملتزم لأوطان السهول الجنوبية أوطان الخليفة، أو عروش الخليفة المتكونة من 19 قبيلة، كل قبيلة من هذه القبائل ملتزمة بدفع الضرائب للقائد، كانت مؤسسة الخليفة مؤسسة مرموقة عند أرباب الأيالة الجزائرية كان مطالبا بدفع الدنوش، يتمتع بحرية التعامل مع وكلاء الشركات الأوروبية المتمركزة في موانئ البايك، كما يمكنه التصرف في 20 خيمة من جند الأتراك بالإضافة إلى جمع 200 من فرسان القبائل المنطوية تحت سلطته، يخرج الخليفة على رأس كوكبة يجول الأوطان مع الباي، ذكرت المصادر أن الخليفة يقود محلات الردع كلما دعت الضرورة لذلك<sup>2</sup>.

#### ب- قائد العواسي:

هو قائد قبيلة الحراكتة المحاربة ذات تقاليد وحقوق ورثتها منذ العهد الحفصي دخلت هذه الفرقة في خدمة السلطة المركزية، وأصبحت ذات طابع مخزني، يقودها قائد من أفراد عائلة الباي، فهو الشخصية الثالثة في السلم المخزني يسكن هذا القائد مدينة قسنطينة عاصمة البايك، وله في مكان إقامته دار للحكم، تخول له السلطة المركزية التصرف في

<sup>(1)</sup> - ناصر الدين سعيدوني - المهدي بوعبدلي، الجزائر في التاريخ.....، المرجع السابق، ص 40.

<sup>(2)</sup> - محمد الحبيب العيزي، ظاهرة الحكم المتجول.....، المرجع السابق، ص 124.

32 قبيلة منصهرة في مجموعة الحراكنة يجمعهم الإنتماء إلى عنصر الشاوية المستقرين في وسط البايك، كانت قبيلة الحراكنة مستقرة حول منطقة عين البيضاء حاليا جنوب قسنطينة، وهي قادرة على تجنيد وتجهيز 1500 فارس<sup>1</sup>.

### ج- القيادة والمشايخ:

كما إستعانة السلطة المركزية بالقيادة، حيث كان للباي 20 قائدا يستعين بهم، ومن أهم هؤلاء القيادة نذكر منهم:

قادة القبائل	عدد القبائل المتصرف فيها
قائد الأوراس	12 قبيلة.
قائد أولاد عامر الشراقة	6 قبائل.
قائد أولاد براهيم	11 قبيلة
قائد عبد النور	31 قبيلة
قائد سكيكة	9 قبائل
قائد عامر الغرابية	5 قبائل
قائد التلاغمة	
قائد اولاد الدراج	
قائد الجبيرة يشرف على ضياع والهدايا وأحواش الباي، ومكلف بتوزيع الإحسانات	

كما إستعان الباي بمجموعة من المشايخ وعددهم 11 شيخا<sup>2</sup> نذكر منهم: شيخ أولاد يحي بن طالب، وشيخ الزواغة يتصرف في 4 قبائل، وشيخ فرجيوة يتصرف في 6 قبائل وشيخ قصر الثائر يتصرف في 8 قبائل، وشيخ أولاد مقران وبلاد ماجنة يتصرف في 13 قبيلة، يخرج هؤلاء المشايخ مع المحلة وكذلك فرق المزارفية، وهي مقسمة إلى صنفين

<sup>1</sup>– Feraud(ch), «Ain Beida..... » , op.cit, pp 412 -413.

<sup>2</sup>– \_\_\_\_\_, «Ferjioua ..... » , op.cit, p82.

موزعين على المناطق الحساسة في البايك، ويشرف على الفرقة الأولى قائد الزمالة ويتأسس الفرقة الثانية آغا الدائرة وكلاهما زعيم لكوكبة من فرسان المخزن وله ألوية وسناجق<sup>1</sup>.

#### د - الدوائر:

فرق من الفرسان المتفرعين عن عشائر المخزن المستقرة على أراضي البايك في عين الحنش، وجميلة بوسعادة الميلة وواد الزناتي....الخ، كانت لهذه المناطق ضياع وأراضي أفنتكت من قبيلة قرفة منذ بداية العهد العثماني، حيث أن هذه الدوائر بإمكانها تجنيد ما يقارب 1000 فارس منضوين تحت قيادة شيوخهم يتم إعفائهم جزئيا من دفع الضرائب، حيث لا تدفع عشائر الدوائر سوى خمسي ماتدفعه فبائل الرعية<sup>2</sup>، وكان كل شيخ من شيوخ الدوائر يجمع كوكبة صغيرة من الفرسان تخرج مع المحلة وكلما أرسل شيخ في مفرزة لجمع الغرامات إلا وتمتع بثمرة تعيينه، وحصل على العشر منها لذلك يسمى هؤلاء المشايخ "بعشرة جباية" الوظيفة داخل محلة البايك<sup>3</sup>.

#### هـ - الزمالة<sup>4</sup>:

هي فرقة محلية متكونة من فرسان المخزن المنحدرين من القبائل المستقرة على أراضي

(1) - محمد الحبيب العزيمي، ظاهرة الحكم المتجول.....، المرجع السابق، ص 124.

(2) - المرجع نفسه، ص 126.

(3) - Vayssettes(E), « Histoire des derniers beys ... », op. cit, p 122.

(4) - يذكر صاحب كتاب طلوع سعد السعود أن الزمالة منهم آغا القسمة وقايد العرش ورئاستهم منحصرة في ثمانية بغاية العرش، وهم المخاليف نسبة لجدهم مخلوف وأصلهم من بني زروال وجاء جدهم للمخزن فنال العز، وغاية الكمال، وأول من تولى منهم قدور بن مخلوف، ثم القدارة والذين ينتسبون لجدهم قدور بن علي فمنهم أخوة العلامية في القول المنفوشي، وهناك القرابية ويقال لهم أيضا المعايزية فتسميتهم الأولى نسبة لجدهم أحمد أبي معزة وأول من تولى منهم هو آغا "أحمد أبو معزة"، وهناك الوردية نسبة إلى وارد وأصلهم بزعمهم من أولاد مسعود جاء جدهم موسى بن وارد لبلاد الغرابية لشيء أرتكبه بأولاد المسعود، وهناك أيضا المخاترية ويقال لهم أيضا الزوابرية أما تسميتهم الأولى فنسبة لجدهم القريب المختار، وأما تسميتهم الثانية فنسبة لجدهم البعيد الزبير ويقال لهم أيضا أولاد يحيى، وهناك أيضا الونازرة نسبة لجدهم ونزار وهم يقولون أن جدهم جاء من السوس من الساقية الحمراء، وهناك الياسفة أو اليوسوفيون نسبة لجدهم يوسف ولم يتولى منهم إلا العربي ابن يوسف فكان أولا قايد الزمالة، وهناك الشوابلية نسبة لجدهم أو جدتهم شائلة وجاء جدهم من الحشم بغريس، تولى منهم قدور بن شائلة قيادة الزمالة. ينظر: ابن عودة المزاري، طلوع سعد.....، ج2، المصدر السابق، ص ص 332-336.

البابك في السهول الخصبة المحيطة بالميلة والتي أفكت من القبائل المحاربة طيلة العهد الأول للعثمانيون، وهي تسمى أيضا بفرق المزارقية تستطيع تجنيد قرابة 500 فارس يتصرف كل فارس من فرسان عشائر المخزن في قطعة أرض تساوي زوجة أو جادة أي عشرة هكتارات تقريبا، يقود هذه الفرقة قائد الزمالة، وهو شخصية لها وزنا كبيرا لدى الباي ومرتبطة به مباشرة، مهمة هذا القائد هي مراقبة الأمن وتأمين السبل وتوزيع الأراضي المعدة للحراثة على العشائر والتفاوض مع القبائل لتحديد إمكانياتها في دفع المحصول، كما يستخدم القائد مجموعة من مشايخ المزارقية مهمتهم قيادة زمرة من الفرسان التي تؤلف دائرة مصغرة خاصة بها<sup>1</sup>.

<sup>(1)</sup> - محمد الحبيب العزيمي، ظاهرة الحكم المتجول.....، المرجع السابق، ص ص، 125 - 126.

## 2- العلاقة العسكرية بين السلطة المركزية مع بايلك الشرق:

### 2-1- موقف الحكم المركزي من حدود البايك مع تونس 1628م

كان عزم بايات تونس في إسترجاع مدينة قسنطينة عاصمة البايك أساس الصراع بين الأيالتين خلال الربع الأخير من القرن 16م و17م إلى غاية نهاية القرن 18م، رغم إبرام أول معاهدة ضبط الحدود مع إيالة تونس سنة 1617م في عهد "يوسف داي" حاكم تونس، بقيت القبائل الكبرى تتسبب في نشوب الخلاف بين الإيالتين بخرقها للصالح، في ماي 1628م إلتقى الجيشان الجزائري والتونسي فأنتهت المعركة بهزيمة الجيش التونسي في معركة قرب مدينة الكاف<sup>1</sup>، وتم إبرام إتفاق من جديد وأهم ما جاء فيه:

- إبقاء مجرى وادي سراط الحد الفاصل بين الأيالتين في المناطق الجنوبية.
- تحديد الحدود بين الأيالتين من وادي ملاق إلى الكرش، فقلوب النيران ورأس جبل الحافة ثم إلى البحر شمالا.
- البرج الموجود قرب مدينة الكاف تم هدمه.
- كل فرد ينتقل إلى الضفة الأخرى من الواد يفقد جنسيته ويعلن ولائه للإيالة التي إستقر فيها حتى يصبح تحت حمايتها<sup>2</sup>.

<sup>(1)</sup> - تقع مدينة "الكاف" في الشمال الغربي من تونس موقعها حصين بطبيعته الجغرافية، تشرف المدينة على آفاق فسيحة الأرجاء منها سهول السرس وزنفور والأريص، ذكرت مدينة الكاف في عدة مصادر أدبية وتاريخية فقد أوردتها الجغرافي اليوناني بطليموس، وهي خريطة للطرق الرومانية تنسب إلى الأمبراطور "Theodosse"، كما ذكرها المؤرخ اليوناني "Salluste"، حملت مدينة الكاف عبر التاريخ عدة أسماء منها شق بنارية، وهي تزخر حاليا بعدة معالم أثرية هامة منها المسجد الكبير البازليك والقصبة والكنيسة والحمامات الرومانية، وهي من المدن المحصنة في الإيالة تحتوي على أربعة أبواب بداخلها طرق متشابكة بها إنحدار سلاسل جبلية سميت بجمال الكاف في العهد الفينيقي. ينظر: حصام صورية، "نكبات قسنطينة خلال القرن 18م وبداية القرن 19م"، مجلة عصور، ع23-25، جامعة وهران، جوان 2015م، ص ص 171-172.

<sup>(2)</sup> - المرجع نفسه، ص 150.

بموجب هذه البنود تم عقد صلح بالجزائر في 6 جويلية 1628م،<sup>1</sup> التي أفضت إلى الحدود الجغرافية والقاعدة البشرية التي تمارس عليها كل أيلة سلطتها<sup>2</sup> مع إبقاء قلعة سنان أو "أرق" منطقة محايدة أي تخوما وإعتبار واد سراط حدا جبائيا وبشريا مع تحديده في إتجاه الشمال حتى البحر يقول نص الإتفاق<sup>3</sup>:

«... إتفاق بين ولاية الجزائر وولاية المملكة التونسية مؤرخ برابع ذي القعدة الحرام من عام 1037هـ (6 جويلية 1628م) في شأن حدود المملكتين مبنى على رسم تحديد عند الجزائريين مؤرخ بأواسط صفر 1023هـ - 1614م واتفقوا على أن الحد الفاصل بين الإيالتين وادي سراط، وأن قلعة أرق تخرج منها النوبة، ولا يتعاطاها جيش تونس ولا عسكر الجزائر لعمارة ولا بوجه من الوجوه، وتبقى على حال الخراب، وأن الحد من ناحية القبلة وادي ملاق والإحيرس، وقلوب الثيران إلى رأس جبل الحفا إلى البحر، وكما إتفقوا على أن من دخل من التونسيين إلى عمالة الجزائر، ودخل غربي واد سراط يكون خواجه لقسنطينة، ومن دخل من الجزائريين إلى العمالة التونسية وإجتاز الوادي المذكور، وكان شرقية فخواجه لها ولا يطالبه أهل الجزائريين»<sup>4</sup>.

فالحدود إذن طبقا لهذا الصلح يكون الحد الفاصل فيها واد سراط، والحد من الناحية القبلية وادي ملاق والإحيرش وقلوب الثيران إلى رأس جبل الحفا إلى البحر، وقد إفتقر المجال الشمالي الفاصل بين جبل الحفا والبحر إلى تحديد متفق عليه، فكانت لزمة المرجان

(1)- محمد صلاح حقي، "أي دور للعثمانيين وللجغرافيا وللقبائل في رسم الحدود بين إيالتي تونس والجزائر عبر اتفاقيتي 1614-1628م"، المجلة التاريخية العربية للدراسات العثمانية، ع53-54، منشورات مؤسسة التميمي للبحث العلمي والمعلومات، تونس، أكتوبر 2016، ص 55.

(2)- الدفتر الإداري والجبائي، رقم 2847 - 1037هـ 1628م، الأرشيف الوطني التونسي، الوثيقة 1.

(3)- محمد صلاح حقي، "أي دور للعثمانيين ...."، المرجع السابق، ص 55.

(4)- الدفتر الإداري والجبائي، رقم 2847 - 1037هـ 1628م، الأرشيف الوطني التونسي، الوثيقة 2.

محل نزاع، حيث إعتبر حكام تونس أن سيادة السلطة المركزية العثمانية في الجزائر تقف عند حد القالة<sup>1</sup>.

إن بنود الإتفاقية السابقة الذكر لم تحترم من طرف بعض بايات تونس أمثال "مراد باي" و"حمودة باي" ليعود التوتر من جديد في ذي القعدة 1629م دون أن يؤدي إلى تحديد نهائي، ففكر بإنتماء مدينة قسنطينة إلى الأراضي التونسية الذين كانوا يعتبرونها جزءا من أراضي أسلافهم الحفصيين، وبالتالي يحق لهم الحصول عليها بقوة السلاح<sup>2</sup>.

جاء رد السلطة المركزية من الجزائر عنيفا حيث قام باي قسنطينة بجمع محالا من البايك والسلطة والمركزية متكونة من الخمسة آلاف رجل و200 خيمة للقيام بهجوم بغتة على عرش أولاد بوغانم الكائنين في راس الحدود مما أوقع هزائم وخسائر لدى هذه القبائل وإنهزام عساكر تونس وموت الكثير منهم والبعض الآخر وقع تحت الأسر وأرسلوا إلى مقر الحكم المركزي، لكن محلات تونس قامت بهجوم مضاد مما أضطر محلات الجزائر إلى التراجع ووقع بعضهم تحت الأسر واستولوا على مغانم المحلات الفارة<sup>3</sup>.

فالقبائل الحدودية لم تكن بمنأى عن النزاع بين البلدين الذي إنهزمت فيه تونس، حيث حمل "ابن أبي دينار" أولاد شنوف وأولاد سعيد مسؤولية إندلاع النزاع وهزيمة الجانب التونسي<sup>4</sup>، غير أن بعض الكتاب حملوا هزيمة القوات التونسية إلى مراد باي الذي دفع مبالغ مالية للديوان والجنود التونسيون من جهة، وإلى السلطة المركزية الجزائرية من جهة

(1) - محمد صلاح حقي، " أي دور للعثمانيين ...."، المرجع السابق، ص 55.

(2) - صالح عباد، الجزائر خلال .....، المرجع السابق، ص 148.

(3) - مراسلات صادرة عن مؤلفين جزائريين لباي تونس، الملف 384-المجموعة (الحافظة) 223، تم تصوير هذه الرسالة من الأرشيف الوطني التونسي - أرشيف ولاية قسنطينة.

(4) - محمد ابن أبي القاسم (ابن أبي دينار)، كتاب المؤنس في أخبار افريقية وتونس، ط1، مطبعة الدولة التونسية، تونس، 1869 ص 208.



أخرى<sup>1</sup> بغية الوصول إلى إتفاق لرسم الحدود بين الإيالتين، وهذا ما يعني أن القبائل لم تكن سبب في هزيمة التونسيون<sup>2</sup>.

غير أن هذه الصراعات بين السلطة المركزية وبايات تونس لم تمنع من وجود فترات سلم، وتعايش وتضامن بينهما وهذا ما تثبته إحدى الوثائق الأرشيفية المحفوظة بالأرشيف الوطني التونسي قام السيد "دي روماني" "de Romani" بترجمتها سنة 1863م جاء فيها:

«... إن كثرة الخلطة المتجرية بين تونس والجزائر تقتضي أن العمالتين المذكورتين تتفقا على كيفية واحدة في الوزن والكيل والسكة وأوئل أن جنابكم يتأمل في هذه النازلة لا يتأخر عن إستعمال كيفية الكيل والوزن المستعملين بفرنسا وسكتها أيضا، فإن دول كثيرة إستعملتها ولما كنت أوئل جنابكم الذي يرغب الصدق والأمان في المعاملات المتجرية يستعمل في بلاده ماذكر وجهت لها نسخة من كتاب ألفته وسميته "تاريخ الميزان والمكيال وكيفية ضبطهما وأن أطلع جنابكم عليه أملّي بأنه يعجبكم...»<sup>3</sup>.

كما نجد علماء بايلك الشرف يهتمون بما يفيد السلطة المركزية الجزائرية وإيالة تونس على حد سواء، وذلك يتضح جليا من خلال المراسلات التي كانوا يرسلون بها بايات تونس، وتيشر إحدى الرسائل لأحد علماء الجزائر مايلي: «أما بعد فالواصل لجناب الحضرة العلية تأليف مختصر في علم الفلاحة وهو نافع لعمالة الجزائر ولا شك إنه يكون نافعا لعمالة تونس أيضا لأن العمالتان متقاربتان في الهواء وأني متحقق محبة حضرتكم

<sup>(1)</sup> - ولمعرفة المبالغ المالية التي ظل بايات تونس يدفعونها للسلطة العثمانية في الجزائر راجع الملحقين (7) و(8)، ص 389-390.

<sup>(2)</sup> - محمد صلاح حقي، " أي دور للعثمانيين ...."، المرجع السابق، ص 61.

<sup>(3)</sup> - مراسلات صادرة عن مؤلفين جزائريين لباي تونس، الملف 384 - المجموعة (الحافظة) 223-1758م عدد الوثائق 186، رقم 13، الأرشيف الوطني التونسي.

العلية للعلوم النافعة وخصوصا مما ينتج في البلاد فلذلك تجاسرت بتقديم تأليفي المذكور لعتاب حضرتكم العلية ونأمل من السيادة قبول وأن ينفع لدي حضرتكم...»<sup>1</sup>.

وجدت مراسلات لهؤلاء العلماء تخص العلوم الشرعية والدينية كتلك التي ترجمت في جوان 1879م، والتي يجاء فيها: "الحمد لله وحده سيدنا المشير محمد الصادق باشا باي صاحب المملكة التنسية نصره الله أنهي أن مقبل يدكم الشريفة قد تجسر على بعث لسيادتكم بأحقر هدية من تصنيف ألفه في ترجمة المختصر خليل ابن إسحاق هذا ويعترف أنه كمن أهدى إلى الشمس ضياء وإلى القمر سنا، لكن المرجو من فضلكم القبول لأن قبول قليل الهدايا من شيم الكرم والكرام من شيم ملوك العرب الذين أبقاكم الله لنا من بقاياهم فما كانوا يوصفون به من الخصائل كاعتنائهم بالعلماء وإهتمامهم بالعلوم الأدبية كل ذلك صادقا في سيدنا "محمد الصادق" دام عزه مع أنه فائقهم بميله إلى الغرباء ولاسيما إلى الفرنسيين<sup>2</sup>.

## 2-2- إحتلال مراد باي لبايك قسنطينة وموقف السلطة المركزية 1700م

أُفتتح القرن 18م بهجوم "مراد باي"<sup>3</sup> حاكم تونس على بايلك الشرق قسنطينة سنة 1700م، وقد تصادف الهجوم مع بداية حكمه، وذكرت الكتابات سبب هذا الهجوم أنه أرسل مجموعة من الهدايا إلى الأتراك العثمانيين بالجزائر فرفضوها فحز ذلك في نفسه فقرر رد إعتباره وذلك بجمع قواته للهجوم على قسنطينة عاصمة البايك، في الوقت نفسه

<sup>(1)</sup> - مراسلات صادرة عن مؤلفين جزائريين لباي تونس، الملف 384- المجموعة (الحافظة) 223-1758م عدد الوثائق 186، رقم 30، الأرشيف الوطني التونسي.

<sup>(2)</sup> - مراسلات صادرة عن مؤلفين جزائريين لباي تونس، الملف 384- المجموعة (الحافظة) 223-1758م عدد الوثائق 186، رقم 32، الأرشيف الوطني التونسي.

<sup>(3)</sup> - هو مراد باي بوبالة تولى حكم تونس سنة 1110هـ وقتل سنة 1114هـ. ينظر: ابن العطار (أحمد بن المبارك)، تاريخ.....، المصدر السابق، ص 110.

كتب إلى خليل باي حاكم إيالة طرابلس، يطلب دعمه فصار هذا الأخير إلى قسنطينة حاملا معه 25 مدفع<sup>1</sup>.

كما حرّض "مراد باي" السلطان المغربي "مولاي إسماعيل" للهجوم من الجهة الغربية للأيالة، وهكذا عقد حلفا ثلاثيا ضد إيالة الجزائر بغية تشتيت الجيش الجزائري أثناء الهجوم، ففي شهر جويلية سنة 1700م أنطلق "مراد باي" على رأس جيش ضخم بهجوم مفاجئا نحو الغرب من أجل إحتلال قسنطينة<sup>2</sup>، فذبح حراس الحصون وحاصر المدينة، فأضطربت الإنكشارية في مقر الحكم المركزي، وخاف الداوي على نفسه فأنتقل بعائلته إلى القسبة، وأعلن الإنكشارية بأنه سيسلم في منصبه فانتخب الديوان بابا "الحاج مصطفى" أوائل سنة 1700م، أما الداوي السابق فقد طلب الذهاب بعائلته إلى طرابلس الغرب فخصص له الداوي الجديد مركبا وحياء بطلقات مدفعية عند مغادرته مقر الحكم المركزي<sup>3</sup>، فأشتبك الجيشان وكان النصر حليفا للجيش التونسي، وذلك يعود إلى العدد الكبير من الجند، بالإضافة إلى الأسلحة الضخمة التي أستعملت<sup>4</sup>.

يصف "الشيخ ابن العطار" هذه الحملة بقوله: "ومما سمعنا به أنه غزاها مراد باي حاكم تونس سنة 1112هـ، فخرج من تونس بحدة وجده وجمع جموعا لم تجمع لغيره، وساق آلة عظيمة من آلات الحرب، من مدافع وغيرها فلما قرب من قسنطينة تلقاه علي خوجة باي<sup>5</sup> قسنطينة بجنوده فأقتتلوا قتالا شديدا وإنهزم علي خوجة واستولى عسكر التونسيون على محلته، وسار "مراد باي" حتى وصل إلى قسنطينة فحاصرها خمسة أشهر

(1) - صالح عباد، الجزائر خلال .....، المرجع السابق، ص 148.

(2) - حصام صورية، " نكبات قسنطينة خلال ....."، المرجع السابق، ص 151.

(3) - محمد بن ميمون الجزائري، التحفة المرضية.....، المصدر السابق، ص 26.

(4) - حصام صورية، " نكبات قسنطينة خلال ....."، المرجع السابق، ص 151.

(5) - تولى على خوجة حكم قسنطينة مابين 1104 - 1112هـ. ينظر: ابن العطار (أحمد بن المبارك)، تاريخ.....، المصدر السابق، ص 110.

ولحقه بها خليل باي طرابلس، وخرق القلعة التي بناها الأتراك بالسطحة المنصورة<sup>1</sup>، وبعث مدافعها إلى تونس واشتد حمقهم على قسنطينة وضيقوا عليها وأهلها يقاتلون من داخلها، وطال الحصار عليهم<sup>2</sup>.

في الوقت الذي كان القسنطينيون يدافعون على المدينة ضد التونسيون والطرابلسيون<sup>3</sup> باغتهم هجوم في الغرب الجزائري من طرف سلطان المغرب المولى إسماعيل، وكان الهدف من وراء هذا الهجوم الثنائي المتزامن تشتيت قوات السلطة الحكم المركزي مستغلا المشاكل الداخلية للإيالة الجزائرية<sup>4</sup>.

لم تبقى السلطة المركزية مكتوفة الأيدي أمام هذه الهجمات، بل خرجت محلة من مقر الحكم المركزي لنصرة قسنطينة والدفاع عنها فلما سمع "مراد باي" بقرىها منه رحل إلى قسنطينة، وتلقى محلة الجزائريين فنزلت محله بجوامع العلمة، فلما طلع النهار وقع القتال واشتد حرب الجزائريين فلم يكن غير ساعة حتى إنهم "مراد باي" وترك جنوده وعساكره وأمواله وجميع آلاته ورجع إلى تونس فلم يصل إليها إلا مع خمسين فارسا، وجمع الجزائريين جنود "مراد باي" ووضعوا فيهم السيف، ولم يعتقلوا سوى الأتراك من عسكر "مراد باي"، وكلفوا بجر المدافع على أكتافهم إلى قسنطينة ثم سرحوهم فمنهم من رجع إلى تونس ومنهم من بقي مع جنود الجزائر<sup>5</sup>، أما عن نتائج هذا الحرب فيمكن إجمالها في:

- غنمت السلطة المركزية الجزائرية غنائم كبيرة وتم أسر عددا كبيرا من الجند.

<sup>(1)</sup> - بسطح المنصورة يقصد الهضبة المقابلة للمدينة من الجهة الجنوبية. ينظر: ابن العطار (أحمد بن المبارك)، تاريخ.....، المصدر السابق، ص 110.

<sup>(2)</sup> - ابن العطار (أحمد بن المبارك)، تاريخ.....، المصدر السابق، ص 110.

<sup>(3)</sup> - صالح العنتري، فريدة منبسة.....، المصدر السابق، ص 51.

<sup>(4)</sup> - حصام صورية، "نكبات قسنطينة خلال....."، المرجع السابق، ص 152.

<sup>(5)</sup> - ابن العطار (أحمد بن المبارك)، تاريخ.....، المصدر السابق، ص 111.

- إنهزام الجيش التونسي في معركة جوامع العلمة في 30 أكتوبر 1700م، وهروب "مراد باي" مع من تبقى من الجند.

إذن يمكن القول أن سياسة "مراد باي" وسوء سيرته أودت بحياته، فبطلب من الباب العالي قرر قائد الجيش إبراهيم الشريف قتله، وكان من نتائج ذلك أن أشتتب السلم بين الإيالتين، وكانت نهاية البيت المرادي في تونس بعد إغتيال "مراد باي" في منطقة أولاد زرقة سنة 1702م<sup>1</sup>.

## 2-3- ابن الأحرش الدرقاوي<sup>2</sup> وتاريخ من الصراع مع السلطة المركزية

قبل الحديث عن أسباب صراع "ابن الأحرش" مع السلطة العثمانية، رأينا من الضروري في البداية أن نخرج حول نشأة وحياة هذا الرجل، فمن تكون هذه الشخصية التي كان لها تاريخ حافل بالصراعات والتمردات على السلطة العثمانية؟

إتسمت شخصية "ابن الأحرش" بالغموض، فكل ما جاءت به المصادر حول هذا الرجل يتصل مباشرة بالأعمال التي قام بها والأحداث التي تسبب فيها، وعلى كلا فإسمه الكامل "الحاج محمد ابن عبد الله" ابن الأحرش، أشتهر لدى العامة بإسم "البودالي" نسبة إلى أديبال الصالحين، لكنه عُرف عند الكتاب بالشريف المغربي، وقد ذكر صاحب كتاب "دليل الحيران وأنيس السهران" أنه فتى مغربي الأصل مالكي المذهب درقاوي الطريقة درعي النسب<sup>3</sup>.

(1) - حصام صورية، "نكبات قسنطينة خلال ....."، المرجع السابق، ص 152.

(2) - ورد في بعض المصادر أن "ابن الأحرش" رجل في مقتبل العمر طويل القامة أشقر اللحية في غاية الصحة يتصف بالحيلة والطموح والمكر ويشتهر ببلاغة أسلوبه في الحديث وفصاحة لسانه في مخاطبة الرعية، ويتميز عن غيره بسعة أفقه وشجاعته وقدرته على الإقناع. ينظر: ناصر الدين سعيدوني، "ثورة ابن الأحرش بين التمرد المحلي والإنتفاضة الشعبية"، مجلة الثقافة، ع 78، الشركة الوطنية للتوزيع، الجزائر، 1983، ص 202.

(3) - محمد يوسف الزياتي، دليل الحيران ....، المصدر السابق، ص 207.

"أما العطار" فقال: عنه أنه رجل مغربي يزعم أنه من شرفاء فاس<sup>1</sup>، وهذا ما يشير إليه الشيخ أحمد المبارك، في كتابه تاريخ حاضرة قسنطينة"، ويؤكد الأستاذ ناصر الدين سعيدوني بقوله: "أن نسبته إلى المغرب الأقصى لا تعني قطعاً أنه من تلك البلاد، فقد جرت العادة في الفترة الإسلامية، وحتى في أوائل عهد الاحتلال أن كل غريب يدعى بالنسب الشريف، ويدعوا إلى طريقة سلفية أو يتزعم حركة ثورية غالباً ما ينسب نفسه إلى الساقية الحمراء، وذلك حتى يكسب نفسه مكانة في أعين العامة ويسبغ على حركته نوعاً من المهابة، ويبعد عن نفسه الإلتواء الجهوي أو الإلتساب القبلي الذي يتسبب في حدوث المنافسات والعداوة بين القبائل المختلفة<sup>2</sup>.

حسب ما تذكره المصادر أن "ابن الأحرش" من بطن أبي الليل المتفرعة عن قبيلة كناسة، وقد تلقى العلم بمسقط رأسه، ثم التحق بزاوية القيطنة وأخذ منها بعض العلوم على يد مشائخها وعلمائها، أمثال "الشيخ محي الدين"، ثم إنتقل إلى المغرب الأقصى فأخذ عن علماء فاس وأجيز من قبلهم، والتقى بالشيخ "مولاي العربي" الدرقاوي بزاوية "بوبريح" فاتبع طريقه، وعينه هذا الأخير مقدماً للطريقة الدرقاوية<sup>3</sup>.

كما عينه السلطان "مولاي سليمان" (1672-1727م)<sup>4</sup> على إمارة الحج للموسم 1215هـ الموافق لسنتي 1800 و1801م، وصادف في رحلة حجه عدوان "نابليون" على

<sup>(1)</sup> - رشيدة شكري معمر، العلماء والسلطة العثمانية في الجزائر فترة الدايات 1671-1830م، مذكرة ماجستير، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة الجزائر، 2005-2006، ص 180.

<sup>(2)</sup> - ناصر الدين سعيدوني، "ثورة ابن الأحرش....."، المرجع السابق، ص 201.

<sup>(3)</sup> - بوسعيد فاطمة الزهراء، دور زوايا الجزائر العثمانية في تعزيز الإسلام والحفاظ على اللغة العربية (الطريقة التيجانية والدرقاوية أنموذجاً)، مذكرة ماجستير، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة سيدي بلعباس، 2010-2011، ص 230.

<sup>(4)</sup> - يصف صاحب كتاب "رحلة الوزير في إفتكاك الأسير" هذا السلطان بقول: هو الشريف العلوي السلطان المظفر الفاتح البطاش الإداري الحازم المستبد العادل أبو النصر "مولاي إسماعيل"، ببيع بالملك ليلة الأربعاء 16 ذي الحجة 1082هـ، فإستولى على تخوم السودان، وبلغ فيها إلى ما وراء النيل، فانتشرت دولته وامتدت مملكته من جهة الشرق إلى =

مصر<sup>1</sup> ومهاجمة الإنجليز للقوات الفرنسية دفاعاً عن مصالحهم فأنضم إلى المصريين في جهادهم، وأبدى شجاعة لفتت إليه الأنظار وتقربوا إليه الإنجليز، وتمكن من جمع ثروة كبيرة<sup>2</sup>، وقد ذكر "بربروجر" Berbrugger<sup>3</sup> أن ابن الأحرش كان يقول لأتباعه: "إن الإنجليز حرروا الأرض من مغتصبيها وأعادوها إلى أصحابها، وقد أمرني الله بحسن معاملتهم"<sup>4</sup>.

كانت دعوته مستجابة من طرف العديد من القبائل كأولاد عيدون، وبني مسلم وبني خطاب وغيرهم كلهم صدقوه ولدعوته أجابوه<sup>5</sup>، وقاموا بنصرته فكثرت أتباعه خاصة القبائل الصحراوية وزاد إحترامهم وتقديرهم له، وتوالت عليه الهبات والعطايا والزيارات وكثيراً ما كانوا يشتكون إليه مظالم وجور العثمانيون فكان يعدهم بالفرج القريب<sup>6</sup>.

لكن هذا الإلتفاف شكل قلق وتهديداً للسلطة المركزية، ومن هنا بدأ "ابن الأحرش" يخطط لإعلان الثورة على سلطة البايك الذي أساء إليه فجمع حوله الأنصار من مختلف

= قرب بلاد بسكرة ونواحي تلمسان. ينظر: محمد بن عبد الوهاب الغساني، رحلة الوزير في إفتكاك الأسير، تح: الفريد البستاني، تطوان، 1939، ص 9.

(1) نابليون الأول (1821 - 1769م): قائد عسكري فرنسي توج نفسه إمبراطوراً لفرنسا، وقد مثل أشهر عبقرية عسكرية في زمنه، يقول عنه المزمري أنه زحف بجنده غازياً مصر سنة 15 من القرن الثالث عشر، ودخل الأسكندرية عنوة فقتلوا من وجدوا بها واستباحوا ديارهم. للإطلاع أكثر ينظر: ابن عودة المزمري، طلوع.....، ج2، المصدر السابق، ص74.

(2) عبد الحكيم مرتاض، الطرق الصوفية بالجزائر في العهد العثماني 1518-1830م تأثيراتها الثقافية والسياسية، دكتوراه، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة وهران، 2015-2016، ص 292.

(3) وُلد "أدريان بيربروجر" « Berbrugger (A) » في باريس 11مايو سنة 1801م، فقد اهتم منذ البداية بدراسة علم الآثار القيمة، وفي سنة 1832م كُلف بمهمة البحث عن القطع الأثرية التي يرجع عهدها إلى زمن إحتلال فرنسا في القرن 15م، وبعد ذلك بسنتين سافر إلى الجزائر حيث شغل وظيفة كاتب للوالي العام "كلوزيل" « Kelouzil »، قبل أن يوافق "قالي" « Vali » في غزوته لقسنطينة. لمعرفة المزيد حول هذه الشخصية ينظر: عبد الجليل رحموني، إهتمامات المجلة الإفريقية.....، المرجع السابق، ص 53.

(4) - Berbrugger(A), " Un Cherif Kabyle en1804", R.Af, n°3, Alger, 1858, p 221.

(5) - صالح العنثري، مجاعات قسنطينة.....، المصدر السابق، ص 29.

(6) - عقاد سعاد، الفلاحون الجزائريون.....، المرجع السابق، ص ص 132-133.

القبائل القاطنة في المنطقة الممتدة من ساحل البحر إلى نواحي قسنطينة، وقد قدر عدد أنصاره في تلك القبائل بمائة ألف رجل قادر على حمل السلاح<sup>1</sup>.

تعتبر ثورة "ابن الأحرش" ثورة منظمة تزعمها ببائلك الشرق وألّفت حولها الرعايا لأغراض عدة منها إقتصادية واجتماعية وسياسية، أما عن أسباب هذه الثورة يمكن تلخيصها في ما يلي:

- ظهور الطريقة الدرقاوية على رأس الثورة بشرق الجزائر، والتي تزعمها "ابن الأحرش"، أما في الغرب "ابن الشريف الدرقاوي"، وأوضحت المصادر الفرنسية بأنه كان تتساقط بين الثورتين لأن كليهما كان مقدم للطريقة الدرقاوية، لكن لم يفصح الزعيمان على إتفاق مسبق للقيام بثورة ضد الحكم المركزي العثماني<sup>2</sup>، كما أن كلاهما كان له إتصال بشكل أو بآخر بحكام الأقطار المجاورة، فابن الأحرش وجد التشجيع من باي تونس "حمودة باشا"، و"ابن الشريف" وجد التأييد من سلطان المغرب "مولاي سليمان" الذي مكنته في تلك الفترة من الإستيلاء على مدينة وجدة وأقليمها<sup>3</sup>.

- شخصية "ابن الأحرش" التي تتصف بالمغامرة والطموح والدهاء، فقد إلتجأ ابن الأحرش لإقناع سكان الشمال القسنطيني بصحة دعوته وصدق أقواله فأدعى بأنه الإمام المنتظر وبأنه صاحب الوقت، وفي بعض الأحيان كان يلتجئ إلى حيل بسيطة تتلاءم ومدارك العامة.

نزل "ابن الأحرش" بعنابة ثم رحل إلى مدينة قسنطينة، وبعدما أطلع على أحوالها توجه نحو جيجل، حيث بدأ يخطط لثورته ويتصل بالقبائل القاطنة بين جيجل والقل وميلة،

<sup>(1)</sup> - ناصر الدين سعيدوني، "ثورة ابن الأحرش....."، المرجع السابق، ص 203.

<sup>(2)</sup> - Berbrugger(A), "Un Cherif .....", op.cit, pp 210-211.

<sup>(3)</sup> - ناصر الدين سعيدوني، "ثورة ابن الأحرش....."، المرجع السابق، ص 212.



ولم يلبث حتى استطاع كسب عددا كبيرا من الأنصار، وكان من بين مناصريه قبائل عيودون وبني مسلم وبني خطاب<sup>1</sup>.

لقيت دعوة "ابن الأحرش" الإستجابة من جميع القبائل الصحراوية التي أصبحت كما قال أحدهم "...كلها شيعته تهدي إليه الهدايا وتعطي العطايا..."<sup>2</sup>، ومما ساعده على كسب هذا التأييد إستقراره بزاوية "سيدي الزيتون" ناحية جيجل التي كان يقدم فيها دروسا لتفقيه الناس، ثم قيامه لإنشاء مدرسة "بني فرقان" بضواحي جيجل لتلقين العلوم الدينية، وفي هذه المدرسة كشف عن مشروعه الرامي إلى الثورة ضد السلطة العثمانية حتى يخلصهم من ظلمهم، وهذا بعدما هيئ النفوس لذلك<sup>3</sup>.

إستطاع "ابن الأحرش" أن يشكّل لنفسه منطقة نفوذا واسعة، وحصل على دعم ومساندة كبيرة من أهم القبائل أمثال أولاد عيودون وبني مسلم وبني خطاب العنثري، وكون بذلك جيشا كبيرا يزيد عن عشرة آلاف، والبعض الآخر يقول بأنّ تعداد جيشه بلغ ستين ألفا رجلا، وكان لنسبه الشريف دورا في إتفاف القبائل حوله بالإضافة إلى تحالف المرابطين أمثال عبد الله الزبوشي، هذا ما أضفى على ثورته الطابع المقدس خاصة بعدما ظهرت كرامات لابن الأحرش<sup>4</sup>.

قام يتسليح عدة سفن بميناء جيجل لمراقبة السفن الفرنسية المترددة على سواحل القل، وجيجل لصيد المرجان والتجارة، وقد تمكنت إحدى سفنه في شهر جوان عام 1803م من الإستيلاء على إحدى السفن الفرنسية وقتلوا بعض بحارتها وأسروا البعض الآخر، وقد

(1) - العنثري محمد الصالح، مجاعات .....، المصدر السابق، ص 29.

(2) - غالي غربي، " ثورة ابن الشريف الدرقاوي في الغرب الجزائري إبان القرن 19م"، مجلة الدراسات التاريخية، ع 10، معهد التاريخ، الجزائر، 1997، ص 60.

(3) - Feraud(Ch) , " Les cherifs kabyles de 1804 -1809 dans la province de Constantine" **R.Af** n°13, Alger, 1869, p217.

(4) - زينب جعني، "ثورة ابن الأحرش في بايلك الشرق (1800-1807م)"، مجلة عصور الجديدة، ع18، جامعة وهران، أوت 2015، ص 132.

حاولت السلطة المركزية إسترجاع الأسرى، لكنها فشلت، فبعث له الباي صندوقين مملوءين بالهدايا، لكنها كانت خدعة حيث أن إحدى الصندوقين كان ملغما، فلما علم "ابن الأحرش" بخديعة الباي إعتبر ذلك خيانة وأعدم ما تبقى من الأسرى<sup>1</sup>.

استغرقت عملية الإستعداد وجمع أكبر عددا من الأنصار مدة خمس سنوات، إستغل ابن الأحرش فرصة هزيمة الحملات التركية أمام إحدى القبائل الثائرة ليعلن الثورة، وهذه الحادثة التاريخية التي يجمع المؤرخون على أنها فتيل الثورات، كانت أول هزيمة عسكرية تهزم فيها قبائل المخزن حلفاء السلطة المركزية منذ زمن بعيد<sup>2</sup>، والواقع أن ابن الأحرش إستطاع الوصول إلى هدفه بإستعمال أساليب بسيطة تتوافق وعقلية سكان الريف، فإستطاع توجيهها لخدمة حركته وأكتسب بذلك أتباعا مخلصين مؤمنين بقدراته<sup>3</sup>.

بعد أن عزز "ابن الأحرش" موقعه العسكري راح يوجه نداءاته إلى كل القبائل لتعلن الجهاد والحرب على الأتراك، ويهدد كل رافض لدعوته بالويل، وقد وجدت هذه النداءات إستجابة كبيرة من الرعية<sup>4</sup>، وتمكن من إستمالة أغلب مدن بايلك الشرق، حيث إستولى على القل، ثم عنابة التي انسحبت منها الحامية العثمانية، ثم وجه أنظاره إلى عاصمة بايلك الشرق قسنطينة فحاصرها سنة 1219 هـ 1804 م، بجيش قوامه عشرة آلاف مقاتل حسب ما تذكر بعض المصادر، وستون ألف مقاتل حسب مصادر أخرى، لكن الباي في هذه الأثناء كان خارج المدينة يجمع الضرائب بنواحي سطيف.

أثناء حصار "ابن الأحرش" لقسنطينة خاطب أحد أتباعه بما يلي: "يا أهل البلد هذا الشريف قدم إليكم، ونحن قدمنا معه في جنود كبيرة وجيوش عريضة، لا تقدروا على مقاتلتنا، ولا تتجوا إن فررت منا، فإن أسلمتم لنا البلاد فلا حرج عليكم، وإن أمتنعتم نقاتلكم

(1) - رشيدة شدرى معمر، العلماء والسلطة.....، المرجع السابق، ص 183.

(2) - غالي غربي، " ثورة ابن الشريف ....."، المرجع السابق، ص 60.

(3) - رشيدة شدرى معمر، العلماء والسلطة العثمانية .....، المرجع السابق، ص 183.

(4) - غالي غربي، " ثورة ابن الشريف ....."، المرجع السابق، ص 60.

وندخلوا البلاد بقوتنا"، إلا أنّ جيش "ابن الأحرش" فشل في إقتحام المدينة بسبب قوة مدافعها وأنشغال جيشه بجمع الغنائم مما أوقع فوضى بين صفوفه<sup>1</sup>.

رفض سكان البايك تسليم مدينتهم وصمموا على مقاتلة ثوار "ابن الأحرش"، وبدأت المعركة ودفع سكان قسنطينة عنها وسعوا لحمايتها بقيادة "ابن الفكون" مما أدى إلى هزيمة درقاوة وتراجعهم إلى وادي الزهور<sup>2</sup> تاركين نحو 200 قتيل من صفوفهم، حاول "ابن الأحرش" ثانية إقتحام المدينة ليلا بعد إنتهاء المعركة الأولى لكنه فشل في إقتحامها وأصيب بجروح خطيرة وحملوه<sup>3</sup>.

رجع سكان مدينة قسنطينة وتحصنوا بسورها<sup>4</sup> فأنتهى الهجوم على عاصمة البايك، في هذه الأثناء قام الباي عصمان عندما كان يجوب بلاد أولاد دراج لجمع الضرائب بالذهاب لمدينة قسنطينة، وتمكن من تتبع جموع ابن الأحرش الثائرين<sup>5</sup>، وفي هذا الصدد يقول "أحمد الشريف الزهار": "فخرج على وادي الزهور لقتال "ابن الأحرش" وعندما وصل قريبا منه نزل في أرض هنالك بين الجبال وخيمة المحلة وبدأ القتال مع ابن الأحرش، ومن معه من القبائل"<sup>6</sup>.

كما تمكن "الباي عبد الله" من تبديد جموع ابن الأحرش بنواحي ميلة وبجاية، وبعد عشرة أشهر من الجهود الحربية تمكن "الحاج على آغا" و"الباي عبد الله" من وضع حدا نهائيا لثورة "ابن الأحرش"<sup>7</sup>، ففر إلى الغرب والتحق بجموع درقاوة التي أعلنت الثورة على

<sup>(1)</sup> - زينب جعني، "ثورة ابن الأحرش....."، المرجع السابق، ص 133.

<sup>(2)</sup> - وادي الزهور لا زال هذا المكان يحمل الاسم نفسه إلى اليوم يقع بالقرب من مدينة القل ويصب بالبحر المتوسط.

ينظر: مؤلف مجهول، تاريخ بايات قسنطينة ....., المصدر السابق، ص 27.

<sup>(3)</sup> - عقاد سعاد، الفلاحون الجزائريون.....، المرجع السابق، ص 129.

<sup>(4)</sup> - زينب جعني، "ثورة ابن الأحرش....."، المرجع السابق، ص 133.

<sup>(5)</sup> - ناصر الدين سعيدوني، "ثورة ابن الأحرش...."، المرجع السابق، ص 206.

<sup>(6)</sup> - أحمد الشريف الزهار، مذكرات ....., المصدر السابق، ص 86.

<sup>(7)</sup> - ناصر الدين سعيدوني، دراسات وأبحاث.....، المرجع السابق، ص 180.

العثمانيين بزعامة "ابن الشريف الدرقاوي"، وبذلك فشلت الثورة في تحقيق أهدافها<sup>1</sup>، ويمكن تلخيص أسباب فشل هذه الثورة إلى مايلي:

- عدم تمكن الطريقة الدرقاوية من إيجاد أنصار لها ببائلك الشرق الجزائري، وذلك لكون أغلب العشائر الكبيرة والقبائل القوية كانت تدين بالولاء لشيخوخا وزعمائها الذين كانوا يستمدون نفوذهم من رجال البائلك، كما أن أغلب سكان أرياف البائلك ينتمون للطريقة الرحمانية المتعاونة مع السلطة المركزية<sup>2</sup>.

- قوة أسوار المدينة وعدم قدرة محاصريها على إيجاد منفذ للتسلل إلى داخلها لقلّة الوسائل وضعف العتاد<sup>3</sup>.

- عدم إغتنام "ابن الأحرش" الفرصة المواتية للقضاء على نفوذ البائلك سواء عند مهاجمته قسنطينة أو إثر القضاء على المحلة وقتل "الباي عصمان"، مما سمح لسكان البائلك والسلطة المركزية من تنظيم صفوفهم والقضاء على أتباعه.

- ولعل الخطأ الجسيم الذي إرتكبه ابن الأحرش هو عدم معاودة الهجوم على قسنطينة على حين غرة وبقاؤه بمنطقة الشمال القسنطيني وتركه للطريق السلطاني الرابط بين مقر الحكم المركزي والبائلك مفتوحا تنتقل عبره الأخبار، وتسلكه الفرق العسكرية المتوجهة لمهاجمة الثائرين<sup>4</sup>.

- ظهور اليأس والملل الذي تمكن من ثوار "ابن الأحرش"<sup>5</sup> مما أدى إلى نفور سكان المدن منه ومعاودة شيوخ القبائل له<sup>6</sup>، أما عن نتائج هذه الثورة فيمكن إجمالها فيما يلي:

(1) - ناصر الدين سعيدوني، "ثورة ابن الأحرش....."، المرجع السابق، ص 210.

(2) - \_\_\_\_\_، "ورقات جزائرية....."، المرجع السابق، ص 286.

(3) - غالي غربي، "ثورة ابن الشريف....."، المرجع السابق، ص 62.

(4) - ناصر الدين سعيدوني، "ورقات جزائرية....."، المرجع السابق، ص 287.

(5) - غالي غربي، "ثورة ابن الشريف....."، المرجع السابق، ص 63.

(6) - ناصر الدين سعيدوني، "ورقات جزائرية....."، المرجع السابق، ص 290.

- إضعاف نفوذ البايك بالأرياف وازدياد عزلة المدن، كما شجعت القبائل على التمرد ضد السلطة المركزية، وهو ما يؤكد "ناصر الدين سعيدوني" حيث يقول: "في هذه الظروف المتأزمة إقتصاديا والمضطربة إجتماعيا، تحولت المدن الجزائرية إلى بيئات منكشحة على نفسها متخوفة من سكان الريف القريبين منها، كما غدا الريف الجزائري مجالا مغلقا على نفسه يكاد يفقد صلته بالمدن، وغير مستعدا للتعامل مع السلطة المركزية، بعد أن تحول أغلب سكانه المؤثرين بشيوخ الزوايا إلى موقف عدائي صريح من إدارة البايك والمتعاملين معها... في مثل هذه الأحوال أصبحت الظروف مهيأة في الجزائر لوقوعها ضحية عدو خارجي، وبالفعل كان الغزو الفرنسي<sup>1</sup>.

- أقنعت هذه الإنتفاضة سكان الأرياف بإمكانية الثورة على سلطة البايك ورفض دفع الضرائب والمطالب المخزنية وعدم الرضوخ للأحكام الجائرة، كما شجعت بعض الدعاة على التمرد، في أوساط القبائل الجبلية، وتجاوبت معها قبائل أولاد نايل والجنوب التي سارعت إلى الإمتناع عن دفع الضرائب ورفع السلاح في وجه رجال البايك<sup>2</sup>.

كما نتج عنها إضطرابات في الأوضاع الإقتصادية والإجتماعية، وإنعدام الأمن والإستقرار وإهمال الزراعة وتضرر الرعية من قلة القوت، مما أدى إلى المجاعة، وذكر عبد الرحمن الجيلالي أنّ الجزائر ما كادت تنتهي وتستريح من ويلات الحرب المحزنة حتى فاجأها الجذب والقحط بكامل البلاد، وأصبحت تعاني من أزمة مجاعة حادة وخانقة إرتفعت فيها الأسعار وغلاء المعاش<sup>3</sup>، ويذكر "العنتري" أنه وقعت مجاعة شديدة في قسنطينة سنة 1219هـ 1804 م، إستمرت ثلاث سنوات متتالية: " فحصلت للناس شدة ومجاعة، وقد أشرف فيها الضعفاء على الهلاك... تشتتوا عن منازلهم، وتفرقوا بسبب الهول الواقع في

<sup>(1)</sup> - زينب جعني، "ثورة ابن الأحرش....."، المرجع السابق، ص 135.

<sup>(2)</sup> - ناصر الدين سعيدوني، وراقات جزائرية ....., المرجع السابق، ص ص 291-292.

<sup>(3)</sup> - زينب جعني، "ثورة ابن الأحرش....."، المرجع السابق، ص 135.

وطنهم مع الشر والمصائب التي حلت به من قبل من ييس الزرع وعدم الحرث ونزول القحط والفتن<sup>1</sup>.

أما إنعكاساتها على المستوى الخارجي نجدها زادت من حدة التنافس الإنجليزي الفرنسي على إكتساب مناطق النفوذ والحصول على الإمتيازات بالأيالة، وهذا ما جعل كثيرا من السكان آنذاك يعتقدون أن ابن الأحرش يتعامل مع الفرنسيين، كما إعتقد البعض الآخر أن للإنجليز صلة بالثورة نظرا لعلاقتهم الوطيدة بإبن الأحرش الذي أصدر أوامره للسفن التابعة له بعدم التعرض للبواخر الإنجليزية<sup>2</sup>.

وعلى العموم فقد كان لثورة "إبن الأحرش" آثار وإنكاسات وخيمة على السلطة المركزية بحيث أضعفت نفوذ البايك، فكانت بحق تجربة في رفض الظلم ودرسا للحكام العثمانيين، كونها من أخطر الثورات التي عرفها القطر الجزائري طيلة الوجود العثماني، وذلك لإشتمالها على رقعة واسعة من بايلك الشرق<sup>3</sup>.

(1) - محمد صالح بن العنتري، مجاعات ....، المصدر السابق، ص 34 .

(2) - ناصر الدين سعيدوني، وثائق جزائرية ....، المرجع السابق، ص 292.

(3) - المرجع نفسه، ص 295.

## 2-4- نهاية حكم البايك وموقف السلطة المركزية من الحملة الفرنسية

بعد أن حققت الحملة الفرنسية 1830م هدفها في إحتلال مدينة الجزائر مقر الحكم المركزي للعثمانيون دون كبير جهد ودون خسائر مادية معتبرة بالنظر إلى ما حققته من مكاسب، فكرت السلطة الفرنسية في إخضاع إقليم الشرق الجزائري مباشرة بعد أن تمكنوا من الجزائر، وهذا ما يفهم من تقرير "دي بورمون" "de Beaumont" الذي بعث به إلى الوزير "بولينياك" "de Polignac" يوم 13 جويلية 1830م يلح على ضرورة الإحتفاظ بمدينة الجزائر حتى الشلف ومقاطعة قسنطينة، وكذا تصريح "دو روفيكو" "de Rovigo": "أنه بدون السيطرة على مدينة قسنطينة، ومنطقة الشرق لا يمكن البقاء لفرنسا بالجزائر"<sup>1</sup>.

أما موقف "الحاج أحمد باي" من هذه الحملة الفرنسية على البايك إتسمت بشدة الكراهية للفرنسيون، والحذر الشديد لأنهم في نظره محتلين وكفرة، أما بالنسبة للفرنسيون فإنهم أدركوا تماما مدى قوة خصمهم خاصة بعد الدور الإيجابي الذي لعبه في التصدي للحملة بسيدي فرج سنة 1830م<sup>2</sup>، لذلك رأى "دو روفيكو" "de Rovigo" أنه من الضروري السيرة بطرق سلمية لأن حسب قوله سكان هذه المنطقة على جانب كبير من الذكاء والقوة، وأكثر ميلا للحرب بفعل تواجد وانتشار المرابطين من جهة، وصعوبة الحرب في جبال وعرة المسالك من جهة ثانية، لهذا فالسيطرة يجب أن تتم ببطء على أن يشرع في التعامل مع السكان والتقرب منهم وهو أفضل سلاح يمكن للسلطة الفرنسية أن تستخدمه.

ولعل هذا ما يفسر السبب الذي دفع "دو روفيكو" "de Rovigo" إلى التفاوض مع أحمد باي قصد إقرار السلام في هذه المنطقة الذي يعني الإستسلام للسلطة الفرنسية، وكان

<sup>(1)</sup> - حميدة عميراي، جوانب من السياسة الفرنسية وردود الفعل الوطنية في قطاع الشرق الجزائري-بداية الإحتلال، دار البعث، الجزائر، 1984، ص ص 47-48.

<sup>(2)</sup> - بوضرساية بوعزة، الحاج أحمد باي .....، المرجع السابق، ص 104.

رجل المفاوضات بين الطرفين هو "حمدان خوجة" الذي جاء من مدينة الجزائر إلى قسنطينة لهذا الغرض إلا أنه لم يتوصل إلى نتيجة<sup>1</sup>.

عندما ألتجا "حمدان ابن عثمان" خوجة إلى أسطانبول في أواخر سنة 1836م، كان يتابع دوما أحداث الجزائر، وقد أدرك بحدسه السياسي أن فرنسا عاجلا أم آجلا سوف تحقق أطماع توسعها في البلاد شرقا وغربا، غير أن "حمدان" لم يدرك جيدا ضعف الامبراطورية العثمانية السياسي والعسكري، وهذا ما جعله يلح بياس على إرسال إعانات عسكرية فضلا عن التشجيع المعنوي "للحاج أحمد باي"<sup>2</sup>.

بعد أن علم "الحاج أحمد باي" عن طريق جواسيسه أن فرنسا تستعد للقيام بحملة كبيرة على قسنطينة وأن الإستعدادات في عناية قائمة على قدم وساق، رأى أنه لا مجال في مواصلة هذه العلاقات في إطار مفاوضات، وأيقن منذ البداية أنها مجرد تضيق للوقت فقط حتى يتسنى لفرنسا جمع قواتها فبدأ يستعد للرد على أي هجوم<sup>3</sup>، ويذكر "حمدان ابن عثمان" أن الباي تمكن من جمع حوله ثلاثة آلاف تركي وعددا كبيرا من أسر مدينة الجزائر<sup>4</sup>.

في الوقت الذي بدأت فيه الإستعدادات الفرنسية للقيام بحملة واسعة ضد الحاج أحمد باي بدأت الحرب النفسية من طرف العدو الفرنسي، وذلك عن طريق توزيع إعلان من طرف الحاكم العام المارشال "كلوزيل" "Clauzel" على سكان بايلك قسنطينة أنه سوف يحترم عقيدتهم وممتلكاتهم، وأنه سوف يوفر الأمان لأحمد باي إذا تخلى عن الحكم<sup>5</sup>.

(1) - حميدة عميراوي، جوانب من السياسة....، المرجع السابق، ص 49.

(2) - عبد الجليل التميمي، " الحاج أحمد باي وبايلك قسنطينة (1830-1837م)"، المجلة التاريخية المغربية، ع15-

16، مؤسسة التميمي للبحث العلمي والمعلومات، تونس، جويلية 1979، ص 85.

(3) - بو ضرساية بوعزة، الحاج أحمد باي.....، المرجع السابق، ص 106.

(4) - حمدان ابن عثمان، المرأة، المصدر السابق، ص 189.

(5) - بو ضرساية بوعزة، الحاج أحمد باي.....، المرجع السابق، ص 109.



فشلت فرنسا في إغراء "الحاج أحمد باي" فجأت مساعي أخرى من طرف "كلوزيل" "Clauzel" الذي أرسل إلى "أحمد باي" مقترحا عليه الإستسلام مقابل الإعتراف به كحاكم للإقليم الشرقي مع التزامه بما كان يدفعه من اللازمة للسلطة المركزية العثمانية، لكنه رفض، وفي هذا الأثناء أمر "كلوزيل" "Clauzel" بعزله من منصبه، كما قام بإبرام معاهدة مع باي تونس في 30 ديسمبر 1830م ضد باي قسنطينة<sup>1</sup>.

وجد "أحمد باي" نفسه بين نارين الأولى مساعي فرنسا للقضاء على المقاومة في الشرق الجزائري والتوسع فيه، والثانية هي تواطئ باي تونس مع فرنسا للإستحواذ على الشرق الجزائري الأمر الذي أغضب "أحمد باي" مؤكدا أن ذلك من صلاحيات الباب العالي هو المقرر الوحيد الذي بإمكانه فعل ذلك<sup>2</sup>.

وأمام هذه الأوضاع المأساوية قام أعيان بايلك الشرق سنة 1836م بتقديم عريضة إلى أسطنبول يخبرون عن معاناتهم وبأنهم يحاربون الفرنسيون ويسترحمون السلطان توجيه منصب الولاية إلى "أحمد باي" بعد عزله من فرنسا، كما طلب يد العون والمساعدة من السلطان العثماني<sup>3</sup>.

غير أن الوضع الداخلي والأزمة الإقتصادية التي كان يمر بها الباب العالي حالت دون تقديم أي مساعدة تذكر، وكان الباب العالي يراقب انحلال إمبراطوريته دون أن يتمكن من وضع حد لذلك، بعد أن حرم الباي من المساعدات المالية والعسكرية لجأ إلى تحصين البايك لمواجهة التهديد الفرنسي خاصة بعد عقد معاهدة التافنة، وقد أصبح من الصعب

<sup>1</sup> - حكيمة منصور، السلطان العثماني محمود الثاني ومسألة الإحتلال الفرنسي للجزائر (1808-1839م)، ط1، منشورات ألفا، الجزائر، 2014م، ص ص 138-139.

<sup>2</sup> - Marcel (E), " Les Mémoire .....", op.cit, p 77

<sup>3</sup> - أرجمنت كوران، السياسة العثمانية تجاه الإحتلال الفرنسي للجزائر، تر: عبد الجليل التميمي، منشورات الجامعة التونسية، تونس، 1970م، ص 89.

عليه الوقوف وحده أمام ضخامة القوات الفرنسية التي أعدها الفرنسيون للإستيلاء على البايك<sup>1</sup>.

بعد تمكين الحملة الفرنسية الثانية على مدينة قسنطينة من تحقيق أهدافها، وبعد أن لجأ "الحاج أحمد باي" إلى الصحراء قام رجال السلطة الفرنسية بحملات واسعة النطاق قصد الإستيلاء على القطاع كله، وحسب ما تبينه التقارير الفرنسية أن حوالي 30 حملة عسكرية قوية مجهزة وجهت ضد السكان بقطاع الشرق الجزائري خاصة شمال قسنطينة، وذلك خلال عشرون سنة ابتداء من 1838م<sup>2</sup>.

إن نتائج الإستيلاء على قسنطينة كانت أكثر خطورة من الإستيلاء على مدينة الجزائر وأبعادها تتجاوز منطقة إطار بلاد الجزائر، فكانت فرنسا تسعى دائما إلى تشويه سمعة الدولة العثمانية ومعاملة حلفائها على أنهم أغبياء<sup>3</sup>.

بعد المصير الذي شهدته قسنطينة راسل "أحمد باي" السلطان "محمود الثاني" لإبلاغه بالمأساة التي آلت إليها البلاد شاكيا في الوقت ذاته عدم الإهتمام به حيث قال: "رفضت التفاوض مع الفرنسيين، وظللت أنتظر النجدة التي وعدتوني بها، إنني لم أفعل شيئا دون إستشارتكم والعمل بنصائحكم وها أنا الآن طردت من قسنطينة وأصبحت أتجول بين الأعراب هل هذا هو جزاء ثقتي بكم وهل نفذتم ما وعدتموني به منذ سبعة سنوات ...، أنني أخبرتكم وعليكم أن تفعلوا ما تريدون".

هكذا ظل "أحمد باي" وفيما للباب العالي بدليل أنه رفض التفاوض مع المارشال "فالي" Vallé بعد سقوط قسنطينة، وقرر مواصلة المقاومة بتعبئة الجماهير وتوحيد القبائل ضد

(1) - عبد الجليل التميمي، "الحاج أحمد باي....."، المرجع السابق، ص 86.

(2) - حميدة عميراي، جوانب من السياسة ....، المرجع السابق، ص 50.

(3) - عبد الجليل التميمي، "الحاج أحمد باي....."، المرجع السابق، ص 86.

التوسع الفرنسي فأختار الجهاد بدل الإستسلام إلى أن تمكن الفرنسيون من المنطقة منهين بذلك تاريخ الدولة العثمانية بالبايلك<sup>1</sup>.

في نهاية هذا الفصل نستنتج أن علاقة السلطة المركزية من بايلك الشرق إعتمدت بالدرجة الأولى على القبائل المحلية الكبرى ذات النفوذ الواسع وهو ما جعل الرعية تقع تحت عبء نظام إداري وجبائي لا يخدم سوى مصلحة السلطة المركزية ولا يرضى سوى المتعاملين المحليين من العائلات النافذة، وهذا ما يسمح بالقول بأن علاقة الرعية بالسلطة الحاكمة في بايلك الشرق كانت تقوم أساسا على فئة محدودة يمثلهم زعماء المخزن ورؤساء العائلات الإقطاعية تقوم بجمع الضرائب وتقدم خدمات للبايلك مقابل إمتيازات، مما ولد نظرة إنتقامية لدى الرعية تجاه السلطة الحاكمة، وكان من نتائج ذلك قيام سلسلة من الثورات ضد هذا النظام، وتعتبر ثورة "ابن الأحرش" الذي عرفها هذا البايك هي بداية لسلسلة من الثورات التي شهدتها الجزائر خلال العهد العثماني.

<sup>(1)</sup> - حكيمة منصور، السلطان العثماني محمود.....، المرجع السابق، ص ص 151 - 152.

# الفصل الخامس

## علاقة الحكم المركزي بالجزائر مع بايلك الغرب

أولاً: العلاقات الاقتصادية والاجتماعية والثقافية بين البايك والسلطة المركزية

- 1- العلاقة الاقتصادية بين السلطة المركزية وبايلك الغرب
- 2- العلاقة الاجتماعية بين السلطة المركزية وبايلك الغرب
- 3- العلاقة الثقافية بين البايك والسلطة المركزية

ثانياً: العلاقات السياسية والعسكرية بين البايك والسلطة المركزية

- 1- الاتصالات الإدارية والسياسية بين الحكم المركزي وبايلك الغرب
- 2- العلاقة العسكرية بين السلطة المركزية مع بايلك الغرب

شهد بايلك الغرب خلال الفترة العثمانية عدة اضطرابات سياسية وعسكرية قرابة ثلاث قرون من الزمن، كما تميز عن بقية البايلاكات الأخرى باختلاف تداول عاصمته كونه أرض جهاد دائم، فالخطر الإسباني من جهة وتمرد القبائل المحلية على السلطة المركزية من جهة ثانية والتحالف مع الإسبان والأطماع المغربية من جهة ثالثة، لذا كان نظام حكم هذا البايك عسكريا أكثر منه سياسيا، وهذا رغبة من السلطة المركزية في تكريس الحكم العثماني بالبايلك، مما إستوجب على السلطة العثمانية تسخير جهود إضافية للحد من هذه التمردات، ولتحقيق هذه المهمة الضخمة كان لابد من إيجاد سبل وطرق تساعد على ربط شبكة علاقات جد متينة مع الرعية والتحالف معها ضد الإسبان الغزاة.

## أولا: العلاقات الإقتصادية والإجتماعية والثقافية بين البايك والسلطة المركزية

### 1- العلاقة الإقتصادية بين السلطة المركزية مع بايلك الغرب:

#### 1-1- الإستغلال الجبائي وإستنزاف ثروات البايك

يتواصل إستغلال السلطة المركزية لسكان البايك، والمتمثل في جمع المطالب المخزنية من القبائل الخاضعة للسلطة المركزية<sup>1</sup>، والمغارم من القبائل المتهربة طوال رحلة المحلة ذهابا وإيابا، وتتلاحق وفود القبائل إلى المحلة في كل المنازل التي تنزل فيها حتى أن إقامة المحلة قد يطول أمد في إنتظار تقديم القبائل بالمطالب المفروضة عليهم، أو في إنتظار لحاقهم بها لإكمال الزيادات، أو بقية المقادير التي هم ملتزمون بدفعها، يعتبر الدفتر دار هو المسؤول على إحصاء هذه المداخل، والذي يكون برفقة الباي يحمل دفتر المطالب، ويكتب عقود الأمان والخلص، أما قاضي المحلة فيقوم بتحديد مقاديرها حسب ما تقتضيه الشريعة الإسلامية<sup>2</sup>.

<sup>(1)</sup> - لمعرفة تموقع قبائل هذا البايك وعلاقتها مع السلطة المركزية راجع الملحقين رقم (23) و(24)، ص ص 408-409.

<sup>(2)</sup> -Berbrugger(A), «Reprise d'Oran par les Espagnols en 1732 » , **R.Af**, n°8, Alger, 1864, pp12-20.

حاولت السلطة المركزية إستغلال المناطق والفحوص المؤمنة ببيايلك الغرب، مثل فحوص وهران وفحوص معسكر وفحوص تلمسان، تجمع المطالب من هذه الفحوص عن طريق مشائخ وفرسان وهم جباة يحصلون على قسط من تلك المطالب<sup>1</sup> أو يقومون بدفع لزمة سنوية معينة مقابل الإحتفاظ بما يحصلون عليه من القبائل، تقوم القبائل بدفع المؤمنة مثل ضريبة العلف وضريبة الضيفة، وهي قيمات قارة تأخذها المحلة عينية إذا كانت تحتاج للمواد، أو نقدية في حالة إستغنائها عن تلك المواد، يقوم الدفتر دار بمعادلة المواد العينية بـ مواد أخرى أو بتقييمها نقديا حسب السعر والعملة المتداولة أو المطلوبة من قبل الباي.

والجدير بالملاحظة أنه حتى القبائل الصحراوية هي الأخرى لم تسلم من الإستغلال من طرف السلطة المركزية، فكانت تدفع الضرائب المتنوعة كالخيل والخدم والنقود الذهبية، علاوة على ضرائب جماعية تدعى القطعية التي تشترك فيها كامل فروع القبيلة، وقد دفعت واحة الأغواط ذات مرة إلى الباي "محمد الكبير" ضريبة مقدارها 100 خادم و 5000 نقد سلطاني قطع ذهبية، بالإضافة إلى ثوب من الحياك و 4 أفراس، كما دفعت عين ماضي مقادير مماثلة، وكانت كلها تحت عنوان ضريبة القطعية، فالضرائب كانت كبيرة ومتفاوتة حسب المجموعات القبلية، بعضها عيني والبعض الآخر نقدي<sup>2</sup>.

تُدفع هذه الضرائب حسب إتفاق أمان يسلمه الباي إلى مشائخ القبائل المعنية، ويتضمن الأمان عقد إلزام من قبل هذه المجموعات بدفع المطالب بإستمرار كل سنة وإلتزام الباي بالمحافظة على نفس مقاديرها، ونظرا لهذا التعاقد المكتوب في أغلب الأحيان فإن جهاز جمع الضرائب قد يلجأ إلى الإحتيال في المكاييل أو إلى الزيادة في عدد الخطايا، أو حتى إلى الغزو دون مبرر<sup>3</sup>.

<sup>1</sup>-Berbrugger(A), «Reprise d'Oran ..... », op.cit, pp20-28.

<sup>2</sup>- محمد الحبيب العزيمي، ظاهرة الحكم المتجول .....، المرجع السابق، ص 114.

<sup>3</sup>- أحمد إبن الهطال التلمساني، رحلة محمد الكبير ...، المصدر السابق، ص 45.

أما الغنائم فهي ليست ضرائب، بل هي ما تحصل عليه المحلة من مكتسبات وممتلكات التي تتركها المجموعات الفارة من بطشها، ومن أهلها وطوالعها فيسطوا عليها الجند وفرسان المخزن، تتكون هذه الغنائم الإستثنائية من البقر والإبل وغنم وفرش وأمتعة، عادة ما تسلب من القبائل الجبلية والواحات النائية أو من المجموعات الجبلية التي تعجز المحلة الوصول إليها في كل موسم فتكتفي بغزوها كلما سحلت الفرصة لذلك<sup>1</sup>.

كانت الموارد الجبائية لبايلك الغرب وكغيره من البايلاكات تشكل من ضرائب ورسوم عديدة يمكن التمييز بينها فبعضها شرعي والبعض الآخر مستحدث كما سبق وإن أشرنا إلى ذلك، ويحسن بنا أن نشير هنا إلى أن هذه الضرائب لم يكن يخضع لها كل الرعية في مكان واحد، فالجميع يعلم أن أنواع الضرائب وطرق جبايتها متعددة، إذ أن تنوع تلك الضرائب وتحصيلها لم يكن متساويا، بل هناك ضرائب تجبى من مناطق دون غيرها<sup>2</sup>، فكانت تستخلص من أراضى الخواص العشور والزكاة وضرائب إضافية بحسب الظروف والمناسبات<sup>3</sup>، فبعضها يؤخذ نقدا وبعضها يستخلص عينا، أما كمياتها فكانت مرتبطة بقوة فرسان المحلة التي ترسل لجبايتها والفصل الذي ترسل فيه وتتمثل هذه الضرائب في<sup>4</sup>:

#### أ- العشور:

يعتبر العشور الضريبة الشرعية الأهم التي تخص المحاصيل الزراعية، بل أن الكمية الكبرى من الضرائب كانت عبارة عن عشور، وإذا كان هذا الأخير يتم تحصيله بإقتطاع عشر الإنتاج، فإن هذه الطريقة لم يعد يعمل بها فيما بعد من طرف السلطة المركزية،

(1) - محمد الحبيب العيزي، ظاهرة الحكم المتجول .....، المرجع السابق، ص 115.

(2) - توفيق دحماني، النظام الضريبي .....، المرجع السابق، ص ص 70-71.

(3) - المرجع نفسه، ص 75.

(4) - كمال بن صحراوي، أوضاع الريف .....، المرجع السابق، ص 153.

وتم الإستغناء عن هذا التقدير، وأصبح الإعتماد على أساس السكة<sup>1</sup> المعروفة ببائلك الغرب<sup>2</sup>، قبل إلغاء العشور كانت أكثر الأراضي ببائلك الغرب عشرية، والقليل منها ملك لغير المسلمين تسمى أراضي خراجية، حيث كان يدفع أصحابها نصف المحصول أو بإتفاق يبرم مع السلطة المركزية، والجدير بالذكر فإن العشور الذين يصل إلى البائلك لابد أن يكون خاليا من كل تكاليف النقل والجباية، فكانت كميات العشور التي يتم جمعها من مناطق البائلك توضع في مخازن مخصصة لذلك، ثم يتم تصديرها إلى مقر الحكم المركزي<sup>3</sup>، والتي قدرها أحمد الشريف الزهار ب: 10 آلاف صاع قمحا ومثلها شعيرا، يحملها الباى إلى مقر الحكم المركزي، إضافة إلى ألفي صاعا قمحا ومثلها شعيرا يوزعها على أرباب الدولة وخدامها<sup>4</sup>.

#### ب- الزكاة:

كانت السلطة المركزية تفرض الزكاة في بايلك الغرب على رأس المال، أي على المواشى والأموال، وكانت الزكاة تعتبر كحق ودين للبائلك على القبائل بمثابة إقطاع سنوي إلزامي، كان الهدف الأساسي منه الحد من سلطة الأغنياء، كانت هذه الزكاة تقطع عينا وبصفة نسبية من المزكين، وتؤدى على الإبل والبقر والضأن والمعز، وتتم وفق للشريعة الإسلامية في بداية الأمر، بحيث أنه لازكاة من الإبل في أقل من خمسة، وجمل إذا بلغ 25، ولا زكاة من البقر في أقل من ثلاثين، أما ذات الغنم فحتى تبلغ 40 شاة، أما الخيول والبغال والحمير فكانت مستثنية من هذه الضريبة<sup>5</sup>.

(1) - السكة وحدة متغيرة بحسب طبيعة الأرض وتقدر فيما بعد بين 12 و 14 هكتار في السهول الخصبة، وبين 8 و 10 هكتار في النواحي الوعرة، لكن كانت تحدد عموما ب: 10 هكتارات، والسكة مساحة أرض يمكن لثورين حرثها في موسم واحد، أما في النواحي التي لا يستعمل فيها الثيران وتستبدل بالحمير فإن السكة هنا تصبح معادلة نصف الأولى. ينظر: توفيق دحماني، النظام الضريبي.....، المرجع السابق، ص 76.

(2) - حمدان بن عثمان خوجة، المرأة، المصدر السابق، ص 144.

(3) - توفيق دحماني، النظام.....، المرجع السابق، ص ص 76-77.

(4) - الزهار أحمد الشريف، مذكرات...، المصدر السابق، ص 72.

(5) - توفيق دحماني، النظام.....، المرجع السابق، ص 77.



تفيد التقارير الفرنسية أن الزكاة كانت تحصل أيضا على الصوف والزبدة والعسل والشمع وغيرها بنسبة 3 بالمئة من المادة المملوكة، أي ثلاث جرات من الصوف على كل 100 جرة، وكانت ترتفع أحيانا عندما يكون البايك في حاجة إلى المال، وذلك من خلال عدد المواشي، أما الزكاة على المال فكانت محددة شرعا بنسبة 2,5 بالمئة، بحيث كل ما تجاوزت قيمة 200 درهم، أو ما يعادل 120 فرنك فرنسي<sup>1</sup>.

والجدير بالملاحظة فإن الخرفان والأبقار المخصصة للزكاة فكانت تحمل طابع البايك، أما الجمال فكانت تختتم في عنقها بختم البايك، ويتم حراستها من طرف رعاة، أما الأغنام فكانت تحت حراسة رعاة البايك يستفيدون من حليبها وصوفها، وكان يرأسهم باشا الذي يسجل بالتدقيق عدد المواليد وعدد الموتى منها<sup>2</sup>، ويشير "أحمد الشريف الزهار" بأن بايلك الغرب كان يدفع زكاة مثلما يدفع العشور قدرت بستة آلاف رأس من الغنم إضافة إلى ما يوزعه على أصحاب الأيالة وخدامهم مرتين في السنة<sup>3</sup>.

### ج- الخراج:

كانت أكثر أملاك البايك مستغلة من طرف قبائل المخزن الموالين للسلطة المركزية من دوائر وزمالة وغيرهما، حيث كانوا يستحوزون على 78 بالمئة من مجموع الأراضي الزراعية رغم أنهم يمثلون نسبة 10 إلى 20 بالمئة فقط من مجموع السكان، كانت هذه القبائل المخزنية تدفع إضافة إلى الضرائب الشرعية رسما عينيا بالتموين بالزبدة واللتين الضروري لدار الباي ودفع ضريبة نقدية تدعى ثمن المهمز<sup>4</sup> أو حق الشبير<sup>5</sup>.

<sup>1</sup>- Robe(E), de l'impôt Foncier en Algérie, Alger, Bastide, 1871, p4.

<sup>2</sup>- توفيق دحماني، النظام.....، المرجع السابق، ص 78.

<sup>3</sup>- الزهار أحمد الشريف، مذكرات...، المصدر السابق، ص 72.

<sup>4</sup>- ضريبة خاصة بهذه القبائل بحيث كان يدفع 0,50 فرنكا على كل هكتار من الأراضي المحروثة و0,25 عن غير المحروثة، بحيث كانت لا تتعدى 10 بالمئة من قيمة محاصيلها. ينظر: توفيق دحماني، النظام.....، المرجع السابق، ص 80.

<sup>5</sup>- توفيق دحماني، النظام.....، المرجع السابق، ص 79.

كما فرضت ضرائب على أرض السبقية، وهي الأراضي التي إستولت عليها السلطة العثمانية من القبائل التي رفضت دفع المطالب المخزنية، تمنح لفائدة قبائل المخزن، وهذا ما قام به الباي "محمد الكبير" في بايلك الغرب، حينما صادر أراضي قدرت بـ: 2000 هكتارا من قبيلة المحال المتمردة.

#### د - اللزمة:

هي ضريبة عينية ونقدية كانت تستخلص بصفة منتظمة نسبيا من القبائل النائية جنوب البايك، أو من القبائل المقيمة في المناطق الجبلية، وكانت اللزمة تجمع من طرف شيوخ القبائل وتسلم للبايلك<sup>1</sup>، وقد قدرت قيمة الضرائب التي دفعها قائد مستغانم في بايلك الغرب لخزينة السلطة المركزية سنة 1563م بـ: 800 زياتي من الذهب، و 300 كيلة من القمح ومثلها شعير، و 80 قلة من السمن و 70 بغلا و 3 أحصنة من نوع القادة<sup>2</sup>.

كانت اللزمة تختلف باختلاف المناطق والنواحي، فنجد مثلا قبائل اليعقوبية تدفع للباي عن طريق الآغاوات لزمة تتكون من العبيد والصوف والمواشي والجلد، كما كانت القبائل المجاورة لتلمسان يستخلص منها لزمة عن طرق قائد البلد، فكانت تدفع 12 حصانا و 4 خيول، وكمية معتبرة من الحياك، كما كانت كل الأماكن التي توجد فيها معسكرات الجيش تدفع لزمة لتموينه بالمواد الضرورية.

والجدير بالذكر فإن القبائل الصحراوية لبايك الغرب أمثال قبيلة أولاد سيدي الشيخ وحميان وقبائل جبل عمور تدفع لزمة ثابتة بحسب مقدرة كل قبيلة<sup>3</sup>، وقد أشار ابن هطال التلمساني بقوله أن الباي كان لا يصل إلى موضع إلا وقدمت له القبائل لزمته مثل أهل تاجموت وعين ماضي اللتاني إلترمتا بضريبة سنوية، وكذلك بني الأغواط التي ألزمت بدفع 100 خادم و 5000 سلطاني و 4 خيول لتلك السنة فقط، لكن بعد رفضهم دفعها كل سنة

<sup>(1)</sup> - توفيق دحماني، النظام.....، المرجع السابق، ص 81.

<sup>(2)</sup> - أرزقي شويتام، المجتمع الجزائري.....، المرجع السابق، ص 217.

<sup>(3)</sup> - توفيق دحماني، النظام.....، المرجع السابق، ص ص 81-82.

قام الباي بمهاجمتهم وإخضاعهم، فالتزموا بدفع 100 خادم و5000 بوجو و250 جمل و4 خيول إضافة إلى الزمة التي يدفعونها كل عام<sup>1</sup>.

وعموما كانت لزمة بايلك الغرب يدفعها الباي بفسه عند زيارته لمقر الحكم المركزي كل ثلاث سنوات ويقدمها للداي وتقدر بـ: 80 ألف ريال صغيرة، أما الخلفاء فكانوا يدفعون نصف ذلك كل ستة أشهر<sup>2</sup>.

#### هـ - الغرامة والمعونة:

في إطار سياسة الإستغلال الجبائي للسلطة المركزية قامت بسن ضرائب أخرى إستثنائية مثل الغرامة التي يدفعها الرعية ببائلك الغرب، وتختلف باختلاف جهات البائلك، ولم تكن تؤدي إلا في أماكن محددة، وهي في الأصل تدفع نقدا ثم أصبحت عينا تختلف الغرامة عن الزمة في كونها مرتبطة عادة بتوجيه المحلات العسكرية، وليس بالالتزام السنوي، وكانت الرسوم المفروضة تتوافق وطبيعة بعض الرعية والقبائل، كما كانت الغرامة تضرب أيضا على الأملاك الخاصة، حيث أن أراضي القبائل البعيدة عن المدن كان يستخلص منها 10 بوجو أي 18.80 فرنكا عن كل خيمة، وبخصوص القبائل القريبة من عاصمة البائلك فكانت قيمة الغرامة المفروضة عليها أكثر إرتقاعا، حيث يتم تحصيل من 15 إلى 25 بوجو وذلك بواسطة القياد<sup>3</sup>.

أما المعونة فكانت تفرض على قبائل الرعية بهدف تمويل المحلة في الأرياف أو لسد نفقات الموظفين، وتستخلص عينا وفي حالات نادرة تحصل نقدا، فكانت هذه الضريبة تؤخذ لتزويد الجيش مثل الجمال والخيول والبغال والحمير، كانت تؤخذ عادة كل ستة أشهر كما كانت تضرب حتى على المناطق الزراعية، بالإضافة إلى الخطية التي كانت تفرض على أفراد القبائل بصفة فردية أو جماعية عند إرتكاب مخالفات أو عصيان أو إقتراف جرائم

<sup>(1)</sup> - أحمد ابن الهطال التلمساني، رحلة محمد الكبير ... ، المصدر السابق، ص ص 52-65.

<sup>(2)</sup> - الزهار أحمد الشريف، مذكرات...، المصدر السابق، ص 46.

<sup>(3)</sup> - توفيق دحماني، النظام.....، المرجع السابق، ص 84.

أو التعدي على الممتلكات أو السرقة أو غيرها من الأعمال<sup>1</sup> كما قامت بعض القبائل وفرضت عليها غرامات<sup>2</sup>، ولإعطاء صورة أوضح عن قيمة الضريبة على كل خطية مرتكبة نلخصها في الجدول الآتي<sup>3</sup>:

نوع الخطية (طبيعتها)	قيمة الغرامة المحددة
من ساعد شريك له في إثارة الفوضى	غرامة قدرها 5 ريالات
من يحاول الإعتداء على رجل رفقة زوجته	غرامة قدرها 5 ريالات
من يسيء إلى الرعايا الأجانب المقيمين بالأقاليم والذين يحوزون على عهد الأمان	غرامة قدرها 5 ريالات
سرقة الخضر والفواكه وغيرها	غرامة قدرها 5 ريالات
من حاول سرقة الزيتون أو حتى علف الحيوانات	غرامة قدرها 5 ريالات
الذي يشهد شهادة الزور، أو يقوم بإهانة شخص	غرامة قدرها 50 ريال
من يشتم امرأة	ريال واحد
من يثير عراك في الشارع يوم الجمعة أو في عرس أو في جنازة	ريال واحد
من يقوم بخيانة صاحبه أو الإستيلاء على ماله	إسترجاع المال كله مهما كان ثمنه
من لا يساعد إنسان على دابته	ربع ريال
من يعترض لبائع المواشي	ربع ريال
التعرض إلى الشرفاء المرابطين	20 ريال
إذا ما حل غريب إلى قرية ولم يحسن إستقباله	فإن البت الأول يغرم ريال واحد

<sup>(1)</sup> - توفيق دحماني، النظام.....، المرجع السابق، ص 86.

<sup>(2)</sup> - لمعرفة هذه القبائل ومقدار العقوبات المحددة لها. راجع الملحق رقم(6)، ص ص 385 - 388.

<sup>(3)</sup> - من إنجاز الباحث إعتقاد على:

Henri(A), « Kano un de Village de Thouret Ahokran », **R.Af**, n°7, Alger, 1863, pp283-284.

تلك هي أهم الضرائب المفروضة على بايلك الغرب بالإضافة إلى ضرائب أخرى كثيرة ومتنوعة التي كانت تدخل عموماً في عوائد خزينة البايك يتم إرسالها إلى مقر الحكم المركزي للداي ووزرائه وكتابه وجميع خدامه<sup>1</sup>.

<sup>(1)</sup> - الزهار أحمد الشريف، مذكرات...، المصدر السابق، ص 47.

## 1-2- رحلة الدنوش من بايلك الغرب إلى مقر الحكم المركزي

كان بايات الغرب يقومون بإرسال ما يسمى بالدنوش<sup>1</sup> إلى مقر الحكم المركزي، فهناك الدنوش الصغير<sup>2</sup>، الذي يؤديه خليفة الباي ويرافقه في ذلك جيش من الفرسان، عند وصوله إلى مقر الحكم المركزي يستقبل من طرف الداوي، وكبار الموظفين ويقيم هناك ثمانية أيام ثلاث أيام عند الداوي ويوم عند الخزناسي ويوم عند خوجة الخيل، ويوم عند أميرال الميناء ويوم عند الآغا<sup>3</sup>.

عند نقل هذا الدنوش إلى مقر الحكم المركزي كان الباي يعين خليفة له يسمى باش كاتب وخوجة صغير ويأمر 300 فارس من الحضر بمرافقته تحت قيادة مور باشا، يظل أسبوع ضيفا كما بينا سابقا، حتى إذا حان وقت عودة الخليفة إلى بايلك الغرب إستعد لمرافقته جيش يبلغ تعداداه 1840 رجل و80 خيمة، حتى إذا بلغ الركب حوش الباي بمتيجة إستراح الجميع ثم يواصل سيره، كانت هذه القافلة تتحاشي إلتقاء قبائل بني مناد وسوماطة العاصية التي كانت تهاجم المتخلفين من الجيش، ومن وادي جر يمضي ركب الخليفة إلى بوحلوان، ومنه إلى مليانة، حيث يستريح ويكون قد حصل على المعاش<sup>4</sup> من طرف القبائل، هنا يفترق الجيش على النحو التالي:

قايد جندل على رأس 10 خيام و50 فارس، قايد فليته على رأس 10 خيام تركية و50 فارس تساعده على جمع ضرائب المنطقة، تبقى مع الخليفة 60 خيمة يبعث منها

<sup>(1)</sup> - لمعرفة مقدار قيمة الدنوش الذي كان يساهم به بايلك الغرب خلال القرنين 18 و19 الملايين يرجى الإطلاع على الملحق رقم (9)، ص 391.

<sup>(2)</sup> - ضريبة تقدم من الباي إلى مقر الحكم المركزي كل ستة أشهر يتشكل الدنوش الصغير من الزمة، وهي عبارة عن ضريبة مالية إضافة إلى مقدار معين من الحياك والبرانيس البيضاء والزيدة، وأحسن وأجود الأحصنة وأخرى عادية بالإضافة إلى العبيد. ينظر: والاليش فتيحة، الحياة الحضارية ....، المرجع السابق، ص 20.

<sup>(3)</sup> - سميرة طالي معمر، القوى المحلية .....، المرجع السابق، ص 64.

<sup>(4)</sup> - كانت كل قبيلة تدفع ضريبة المعاش للمساهمة في معيشة جنود الباي حين يمرون بأرضها، ولا تدفع لإمرتين في حالة مرور الجيش مساء حين تعلن طلقة المدفع ضرب خيام الباي. ينظر، كمال بن صحراوي، أوضاع الريف ...، المرجع السابق، ص 167.

30 إلى الباي تحت قيادة آغا المحلة، تبقى الجيوش الأربعة جيش الباي والخليفة وقايد جندل وقايد فليقة أربع شهور تجوب البلاد ليجتمع الكل جنوب مليانة، هكذا إذن كان بايلك الغرب يرسل الدنوش الصغير بواسطة الخليفة كل 6 أشهر 100000 ريال بوجو بالإضافة إلى الهداية السابقة الذكر<sup>1</sup>.

أما الدنوش الكبير فقد كان يقدم كل ثلاث سنوات ويشمل الضرائب والهدايا<sup>2</sup>، ويؤديها الباي بنفسه ويتولى المحاسبة العامة مع السلطة المركزية، وتقام بمناسبة الاحتفالات لمدة ثمانية أيام، وهي مدة إقامة الباي بمقر الحكم<sup>3</sup>، كان البايات عند ذهابهم مركز السلطة العثمانية يحملون معهم 40000 ريال بوجو، و 40 خيل من النوع الجيد، وكميات من الحياك إضافة إلى عددا هاما من العبيد<sup>4</sup>.

أما "إبن سحنون" فقد ذكر بأن بايلك الغرب يقدم إلى مقر الحكم المركزي نحو 100 ألف سلطاني دون إحتساب الغنم والسمن والقماش والعبيد وسائر أنواع النفائس<sup>5</sup>، والشئ نفسه ذهب إليه "قورقوز" "gorguos" حينما قال: "فالباي يأخذ معه 100000 سلطاني لبيت المال وللدائي كهدايا، كما يأخذ مبلغا مماثلا يوزعه على الرعية خلال مغادرته البايك، إضافة إلى المؤونة والخيول والعبيد، وذلك كله لكبار الموظفين والمسؤولين في مقر الحكم المركزي<sup>6</sup>، بينما نجد "لوجي دي تاسي" "Laugier de Tassy" قدر قيمة دنوش بايلك الغرب في مطلع القرن 18م بـ: 100 ألف ريال<sup>7</sup>، كما حاول الزهار أن ينقل لنا صورة عن دنوش الباي محمد الكبير، وقد قدم معه تحف وأموال وهدايا كثيرة من الخيل والعقاق والعبيد

<sup>(1)</sup> - كمال بن صحرابي، أوضاع الريف .....، المرجع السابق، ص ص 166-168.

<sup>(2)</sup> - واليش فتيحة، الحياة الحضارية.....، المرجع السابق، ص 20.

<sup>(3)</sup> - سميرة طالي معمر، القوى المحلية .....، المرجع السابق، ص 64.

<sup>(4)</sup> - كمال بن صحرابي، أوضاع الريف .....، المرجع السابق، ص 165.

<sup>(5)</sup> - أحمد إبن سحنون الراشدي، الثغر الجمانى.....، المصدر السابق، ص 144.

<sup>(6)</sup> - Gorguos, " Notice Sur le Bey.... », op.cit, p 415.

<sup>(7)</sup> -Laugier (de Tassy), Histoire du Royaume d'Alger, Amsterdam, Chez Henri du Sauzet, 1725, p 299.

والمصوغ والأثاث الفاخرة، يرافقه أتباعه وشيوخ القبائل والقواد والأغوات يركبون الخيل المسومة ذات السروج الذهبية، وقد لبسوا من الثياب الفاخرة، ومع الباي خزائنه ذات القيمة الكبيرة<sup>1</sup>.

كان الباي ينطلق من عاصمة البايك ومعه ثلاث أو أربعة آلاف فارس، وكل الأغوات والقياد وشيوخ القبائل، ويتبعه من 80 إلى 100 بغل محملة بالهدايا، وكان الباي يسير عدة أيام يتلقى الهدايا من القبائل التي يمر عليها<sup>2</sup>، فحينما يشرف على وصوله لمقر الحكم المركزي يقبل الباي إلى مجال الأمير يستقبله الآغا بموضع قبل بوفاريك يقال له "عيون الشعر" ويسلمه هدية الأمير، وهي هدية ترمز إلى السلطة وهيبتها وقوتها إذ تشمل على فرس وسرج ومسدسين من الذهب وسيف وبندقية، ثم يليها مرحلة عين الربط وهي آخر مرحلة قبل الدخول المدينة، وهنا يتلقى الإذن بالدخول إلى المدينة بواسطة وفد يتشكل من الآغا والخزناجي والخزندار<sup>3</sup>.

عند وصول الوفد إلى مقر قصر الداوي يبقى عند الباب حتى يأتي المزوار لتجريدتهم من أسلحتهم خشية إستعمالها ضد الداوي<sup>4</sup>، ثم يدخل الباي ومعه الوزراء لتقبيل يد الداوي ويجلس على يمينه يتبادل معه أطراف الحديث حول شؤون الرعية بعدها يأتي الأغوات والقياد وكبار الشيوخ لتقبيل يد الداوي أيضا، وفي الأخير يأتي الخزناجي بالخلعة والقفطان ويقدمها إلى الباي كي يلبسها فيقبل يد الداوي ثانية، ويخرج عند إذن يتأكد الباي من رضى الداوي والديوان<sup>5</sup>.

(1) - الزهار أحمد الشريف، مذكرات...، المصدر السابق، ص 36.

(2) - سميرة طالي معمر، القوى المحلية ....., المرجع السابق، ص 64-65.

(3) - عائشة غطاس وأخريات، الدولة الجزائرية ....., المرجع السابق، ص 235.

(4) - كاتكارت، مذكرات أسير الداوي كاتكارت قنصل أمريكا في المغرب، تر: إسماعيل العربي، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1982، ص 117.

(5) - الزهار أحمد الشريف، مذكرات...، المصدر السابق، ص 39.



كانت رحلة الدنوش مناسبة للباي لإظهار قوة وعظمة السلطة، فمنذ إنطلاق الموكب تبدأ عملية إستعراض الباي مثلما يبدو جليا في الطقوس والمراسيم التي كانت تصاحب إنطلاق الموكب، بل وكانت ترافقه عبر مسار الرحلة ومختلف محطاتها<sup>1</sup>، وفي هذا الشأن يقول "الزهار" واصفا دنوش الباي "محمد الكبير" بقوله: "خرج من معسكر وقومه يلعبون بالسلاح بين يديه ويضربون البارود والصناجق ترفرف والطبول تدق حوله"<sup>2</sup>.

كما كانت الرحلة فرصة للبايات للقيام بجولات في كامل المجال الخاضع له قصد جباية الضرائب والإتصال بالرعية، وكانت أيضا فرصة لمد النفوذ وتعزيزه وإخضاع القبائل المستعصية، فحيثما يحل الباي تقام له خيمة وتطوق بالفرسان<sup>3</sup>.

يعود الباي إلى مقر حكمه بعد أن يقضى ثمانية أيام في مقر الحكم المركزي، ففي اليوم السابع كان يأتيه مبعوث من الداوي لمرافقته فيجلس معه مع إعطائه عدة وصايا تخص الرعية وشؤون بيت المال، وفي الصباح اليوم الثامن يذهب الباي للسلام على الداوي ويخرج راكبا والنوبة من ورائه<sup>4</sup>، ومن هنا يتضح بأن رحلة الدنوش كانت تخضع لمراسيم وتشريفات في غاية الدقة شملت جل المراحل من بداية جمع محاصيل الضريبة وتجهيز للموكب إلى غاية وصوله مقر الحكم المركزي<sup>5</sup>.

<sup>(1)</sup> - عائشة غطاس وأخريات، الدولة الجزائرية .....، المرجع السابق، ص 235.

<sup>(2)</sup> - الزهار أحمد الشريف، مذكرات...، المصدر السابق، ص 36.

<sup>(3)</sup> - عائشة غطاس وأخريات، الدولة الجزائرية .....، المرجع السابق، ص 235.

<sup>(4)</sup> - سميرة طالي معمر، القوى المحلية .....، المرجع السابق، ص 66.

<sup>(5)</sup> - الزهار أحمد الشريف، مذكرات...، المصدر السابق، ص 36.

وفيما سيأتي جدول يوضح دنوش بايلك الغرب في فترات زمنية مختلفة<sup>1</sup>:

الفترة الزمنية	دنوش بايلك الغرب	المصدر
1725م	موارد ثابتة تقدر ب 100 ألف بياستر، أي 250 ألف فرنك.	لوجي دو تاسي de Tassy(L)
1782م	666 ألف قرش. حصان أصيل للداي. 12 عبدا زنجيا من كلا الجنسين. 25 قنطار من الشمع. 25 قرية مملوءة بالزبدة. 25 وعاء من العسل. 25 غطاء صوفيا أحمر اللون. 50 زوجا من البابوج الأحمر، 50 لباس صوفيا للعبيد.	تدينا Thedenat
1788م	120 ألف بياستر، 10 آلاف كيلة من القمح. 100 قنطار من الشمع. حوالي 30 إلى 40 زنجي هدية لكبار الدولة. 80 عبدا مسيحيا	فونتور دي بارادي de paradis(V)
1791م	100 ألف سلطاني. العديد من الغنم والسمن والعبيد والدواب.	أحمد ابن سحنون الراشدي
1822م	80 ألف ريال. 40 فرسا من الخيل. أقفاصا من الأسود والنمور وغيرها من الحيوانات. 10 صاع من القمح، ومثلها من الشعير. و 6 آلاف رأس غنم.	أحمد الشريف الزهار
1830م	60 ألف دولار. 10 آلاف كيلة من الشعير. إضافة الى العوائد المقدمة لكبار الموظفين.	وليم شالر
	ذكر أن الضرائب التي كان يدفعها كل بايلك تقدر ب 300 ألف فرنك.	حمدان خوجة

<sup>(1)</sup> - الزهار أحمد الشريف، مذكرات...، المصدر السابق، ص ص 67 - 68.

كانت رحلة الدنوش في غاية الأهمية والخطورة في الوقت نفسه، ففيها كان يتم دفع محصول الضرائب وإعطاء الهدايا، ومن خلالها تقديم الولاء للداي وكان يقابل ذلك تجديد الباي في سلطته ومنصبه، إذا حظي برضا السلطة المركزية، حيث تسلم له الخلعة السلطانية في بداية اللقاء ويسلم له برنوس عند نهايته، أما إذا لم ينل ذلك إعجاب الداوي فإنه يتعرض للسخط والعزل والتنحية مثلما حدث في عهد الداوي حسن باشا<sup>1</sup>.

<sup>(1)</sup> - عائشة غطاس وأخريات، الدولة الجزائرية .....، المرجع السابق، ص 236.

### 1-3- أهم الممرات والطرق التجارية بين البايك ومقر الحكم المركزي

تربع بايلك الغرب خلال الفترة العثمانية على شبكة طرق ومعايير تجارية هامة، كانت تربطه مع مقر الحكم المركزي<sup>1</sup>، ومن أهم هذه الطرق نجد الطريق السلطاني الذي ربط مقر الحكم المركزي وهران أو معسكر، فينطلق من باب عزون بدار السلطان عند عيون الربط (ساحة أول ماي حاليا)<sup>2</sup>، ثم تتجه الطريق غربا نحو وادي العلايق<sup>3</sup>، ثم مرتفعات الساحل (فحص الجزائر الجنوبي)، ثم تلال فحوص وادي كرمة، ومنه إلى حوش باي الغرب بمتيجة<sup>4</sup>، ثم تتجه الطريق غربا نحو وادي العلايق فتقطع واد بوفاريك بالقرب من وادي مازاقران بواسطة جسر يجعل السفر عبر متيجة سهلا وآمنا وواد العلايق، وبعد حوش قائد السبوت تمر الطريق بالعفرون قبل أن تدخل خوانق وادي جر العميقة، والتي لا يتعدى عرضها في بعض الأماكن 20 إلى 30م.

يستغرق السفر عبر هذه الخوانق خمس ساعات تقريبا، بحيث يتبع المسافر الوادي ويقطعه 12 مرة قبل وصوله إلى برج بوحلوان<sup>5</sup> الذي توجد به عين وحوض أقيما في أعلى التلال<sup>6</sup> يجتاز الطريق إلى الضفة الجنوبية عند محطة عين الدفلى<sup>7</sup> وبعد البرج تقترب

(1) - لمعرفة هذه الطرق الرابطة بين البايك ومقر الحكم المركزي يرجى الإطلاع على الملحق رقم (17)، ص 402.

(2) - ناصر الدين سعيدوني، "شبكة المواصلات ....."، المرجع السابق، ص 69.

(3) - \_\_\_\_\_، الحياة الريفية .....، المرجع السابق، ص 288.

(4) - \_\_\_\_\_، "شبكة المواصلات ....."، المرجع السابق، ص 69.

(5) - أقيم هذا البرج عند مخرج خوانق وادي جر في المكان الذي تغادر فيه الطريق حوض وادي جر وتتجه نحو قمة الخندق التي تربط بين الشلف و متيجة، ونظرا لموقعه على قمة ربوة معزولة يستخدم هذا البرج كمحطة من محطات الطريق، ومعسكر للحامية ونقطة إرتكاز للمحلات وقوات مخزني بوحلوان وجندل. ينظر: ناصر الدين سعيدوني، الحياة الريفية .....، المرجع السابق، ص 295.

(6) - المرجع نفسه، ص 288.

(7) - ناصر الدين سعيدوني، "شبكة المواصلات ....."، المرجع السابق، ص 69.

الطريق من مدينة مليانة وينفتح أمامها حوض الشلف<sup>1</sup>، وبعدها يمر على محطة<sup>2</sup> البغدادي على وادي الفضة ومحطة زمالة وادي سلي، ثم مرجة سيدي عابد بعدها يصل محطة جديوية ومحطة الكرمة<sup>3</sup>، ومنها إلى حوش الغمري فمعبّر الهبرة والسيق (المقطع) وزبوش "مولاي إسماعيل"، ثم وادي تليلات فوهران عاصمة البايك<sup>4</sup>.

تعتبر خوانق وادي جر من أصعب وأخطر مراحل الطرق، إذ يكون فيها المسافرين والقوافل عرضة لنهب متاعهم، من طرف أفراد قبيلة صوماته والمشاكسة، ولهذا جرت العادة أن تتجنب القوافل السفر خلال فترات إنعدام الأمن، مقطع الطريق بين حوش قائد السبت وبوخلوان فتمر بموطن بني مناد<sup>5</sup>.

هذا وقد يتحول طريق الغرب عند مرجة سيدي عابد نحوى الشمال ليمر عند الضرورة على مازونة، كما ينتهي نحو الجنوب عند وادي يلل لينتهي عند مدينة معسكر التي كانت قاعدة مقاطعة بايلك الغرب أثناء الاحتلال الإسباني لوهران والمرسى الكبير، وبعد تحرير وهران 1792م تحولت معسكر إلى مدينة إقليمية، وأصبح طريق الغرب ينتهي عند مدينة وهران عن طرق مسلكين أحدهما يميل إلى الجنوب لبيتعد عن المستنقعات ويحاذي سفوح مرتفعات بني شقران، والآخر يلزم السهول الشمالية ليقترّب من البحر غير بعيد عن مستنقعات المقطع مما جعله أكثر ملائمة في فصل الصيف خاصة.

(1) - وجد في هذا المكان جسر يسمى بجسر الشلف والذي قام بإنشائه الداوي الحاج علي، أستغرقت عملية بنائه شهرين فقط، حيث تم الإستعانة بحوالي 467 عاملا منهم 167 أسيرا مسيحيا، تحيت إشراف عمر آغا، وإنتهت الأشغال منه سنة 1814م، يسمح هذا الجسر بعبور وادي الشلف عند جبل دوي. للمزيد ينظر:

Devoulx (A), Tachrifat Recueil de....., op.cit, p 79.

(2) - ناصر الدين سعيدوني، الحياة الريفية ..... ، المرجع السابق، ص 288.

(3) - وجد بهذه المحطة جسر سمى بجسر وادي الكرمة الذي بني بالحجارة المصقولة بالقرب من حوش "حسن"، وهو يسهل المواصلات بين بئر الخادم من جهة، وبوفاريك والبليدة من جهة أخرى. ينظر: ناصر الدين سعيدوني، الحياة الريفية بإقليم ..... ، المرجع السابق، ص 294.

(4) - ناصر الدين سعيدوني، "شبكة المواصلات ....."، المرجع السابق، ص 69.

(5) - ..... ، الحياة الريفية ..... ، المرجع السابق، ص 288 - 289.

كما عرف هذا الطريق الرابط بين مقر الحكم المركزي وعاصمة البايك وهران أيضا تغيرا في خط سيره بين سهلي متيجة وحوض الشلف، فكانت القوافل وفرق الجيش وجماعات المسافرين تتجنب مضائق وادي جر الصعبة والخطيرة، وتجتاز مواطن قبائل بني مناد وبني مناصر وريغة غير بعيدة عن حامية برج بوحلوان<sup>1</sup>.

يستغرق السفر بين مقر الحكم المركزي وعاصمة بايلك الغرب وهران حوالي 17 يوم من السير، منها 4 أيام يقضيها المسافر بإقليم دار السلطان، حيث يصل في اليوم الأول إلى وادي بوفاريك والثاني إلى برج قائد السبت والثالث إلى العفرون والرابع إلى بوحلوان كما أشرنا آنفا<sup>2</sup>، وفي الجدول الآتي تلخص المحطات التي يقف عندها المسافر طوال الرحلة:<sup>3</sup>

رقم المحطة	إسم المحطة
المحطة الأولى	بوفاريك
المحطة الثانية	انشارد
المحطة الثالثة	العفرون
المحطة الرابعة	بوحلوان
المحطة الخامسة	عين الدفلى
المحطة السادسة	الباردي
المحطة السابعة	واد الفضة
المحطة الثامنة	السيئية
المحطة التاسعة	مرجة سيدي عبد
المحطة العاشرة	عين الكرمة
المحطة الحادي عشر	الوشي
المحطة الثاني عشر	الهبرة

<sup>(1)</sup> - ناصر الدين سعيدوني، "شبكة المواصلات ....."، المرجع السابق، ص 69 - 70.

<sup>(2)</sup> - \_\_\_\_\_، الحياة الريفية .....، المرجع السابق، ص 288 - 289.

<sup>(3)</sup> - محمد الحبيب العيزي، ظاهرة الحكم المتجول .....، المرجع السابق، ص 64.

المحطة الثالث عشر	السيق
المحطة الرابع عشر	الزبوج
المحطة الخامس عشر	تليلات
المحطة السادس عشر	وهران

والجدير بالملاحظة أن بايلك الغرب إحتوى أيضا على شبكة من الطرق ربطته حتى مع المغرب الأقصى إقليم درعة<sup>1</sup> وتافلات ومحطات سجلماصة<sup>2</sup> ومراكش<sup>3</sup> بإقليم السودان الغربي منطقة تنبكتو، وأهم محطات هذا المسلك سجلماصة عقلة البرابر تابلالة المدكانة حاسي برفوس شونشاش الشفة تاغزة، تادوني الروان، تنبكتو، ومسلك أوسط يربط إقليم التل وهران بالسواد الأوسط وأهم محطاته غرداية والقليلة وعين صالح تيميمون وتمنطيط توات واين قزام وولان وتيمياوين وغاو<sup>4</sup>، ومن هنا يتضح أن بايلك الغرب قد حظي بمسالك داخلية وخارجية، مما شكل إحدى الدوالب الإقتصادية والإجتماعية للبايلك، وبالتالي دعامة أساسية للسلطة المركزية بالغرب الجزائري<sup>5</sup>.

(1) - قال "القلقشندي" عن هذه المدينة هي آخر مدينة في جنوب المغرب الأقصى واقعة في الأقليم الثاني، ويقول عنها "الإدريسي" ودرعة ليست بمدينة يحوطها سورا ولا حفير وإنما هي قرى متصلة، وعمارات متقاربة، ومزارع كثيرة يتناول ذلك فيها جمل وأخلاق من البربر، وهي على نهر سجلماصة النازل إليهم، وعليه يزرعون غلات الحناء والكمون... الخ. ينظر: إسماعيل العربي، المدن المغربية.....، المرجع السابق، ص 120.

(2) - يقول عنها "اليقوي" وسجلماصة على نهر ليس بها عين ولا بئر وبينها وبين البحر عدة مراحل وأهل سجلماصة أخلاق والغالبون عليهم البربر وأكثرهم صنهاجة وزرعهم الذرة يعتمدون على الأمطار لقلة مياههم، وقال "ابن حوقل" وسجلماصة مدينة حسنة الموضع جليلة الأهل فاخرة العمل على نهر يزيد في الصيف كزيادة النيل في وقت كون الشمس في الجوزاء. ينظر: إسماعيل العربي، المدن المغربية.....، المرجع السابق، ص 122-125.

(3) - ذكر "الإدريسي" أن مراكش مدينة بناها يوسف بن تاشفين في صدر سنة 470 بعد أن أشتري أرضها من أغمات بجملته أموال وأختطها له ولبنى عمه، ليس حولها شيء، ليس في موضع مدينة مراكش حجر البتة إلا ما كان من هذا الجبل وإنما بناؤها بالطين والطوب، وماؤها الذي تسقى به البساتين مستخرج بصناعة هندسية حسنة إستخرج ذلك عبد الله بن يونس المهندس. ينظر: إسماعيل العربي، المدن المغربية.....، المرجع السابق، ص 104-105.

(4) - ناصر الدين سعيدوني، "شبكة المواصلات ....."، المرجع السابق، ص 73-74.

(5) - المرجع نفسه، ص 77.

## 2- العلاقة الإجتماعية بين السلطة المركزية مع بايلك الغرب:

### 2-1- موقف القبائل المحلية من السلطة العثمانية ببائلك الغرب

إن التطاحن على السلطة والصراع على الحكم في الجهة الغربية عجل بنهاية الأسرة الزيانية بتلمسان وبظهور سلطة البايك على مسرح الأحداث مما أدى إلى إنقسام القبائل والأعيان والمرابطون بين معارض ومؤيد للحكم المركزي العثماني في بايلك الغرب<sup>1</sup>.

من هذا المنطلق يمكن تقسيم قبائل البايك إلى مجموعتين متباينتين إحداهما خاضعة خضوع مباشر للباي(حليفة)، تعلن ولائها للسلطة المركزية، وأخرى ممانعة مستعصية، أما قبائل الرعية كانت تتألف من المجموعات السكانية الخاضعة والمتحالفة مع سلطة البايك والمقيمة بالدواوير والقرى المنتشرة في الجهات التي تحت مراقبة قبائل المخزن، وتعبرها فرق الحاميات العثمانية المتوجهة لجمع الضرائب<sup>2</sup>.

كانت قبائل الرعية تتمركز عموما قرب وادي التافنة<sup>3</sup> وتشكل شريطا بسبدو، وتليلة وجبال تسالة وطفراوس إلى الشطوط، وسعيدة وفرندة وتيارت وزمورة ومازونة وغيرها، وأغلب هذه القبائل كانت تسكن في الجبال الملائمة للزراعة، أو في الهضاب الداخلية، وكان يفرض على الخيمة المتوسطة الحال منها 115 فرنكا أي ما يعادل 28 خروفا سنويا.

والجدير بالذكر أن هذه القبائل قد منعت بالإتصال بالقبائل المعادية للبايلك أو الممتنعة عن دفع الضرائب، وحظر عنها شراء البنادق وإقتناء البارود حتى لاتتفلس من قبضة رجال البايك أو تشكل قوة موازية لسلطة البايك، ووضع على رأس القبائل الكبيرة

<sup>(1)</sup> - ابن مريم محمد بن أحمد التلمساني، البستان في ذكر الأولياء والعلماء بتلمسان، مراجعة: محمد بن أبي شنب، المطبعة الثعالبية، الجزائر، 1908، ص 266.

<sup>(2)</sup> - Rinn (L), « Le Royaume d'Alger ..... », op. cit, p 14.

<sup>(3)</sup> - وادي تافنة هو أحد أنهار الجزائر يبلغ طوله 170 كلم يوجد في شمال غرب الجزائر وبالتحديد في ولاية تلمسان. ينظر: الموسوعة العربية الحرة <http://www.wikiwand.com> التاريخ 2018-12-30، التوقيت 19:52.



منها قياد من الأتراك العثمانيون والكراغلة وشيوخ من العائلات الحليفة مع البايات، ومن هنا كيف تعاملت هذه القبائل مع السلطة العثمانية<sup>1</sup>؟

#### أ- موقف القبائل الحليفة من السلطة المركزية:

كانت هذه القبائل تتعامل مع البايك والسلطة المركزية عن طريق شيوخها وزعمائها المحليين الذين أصبحوا بحكم العادة والعرف يتوارثون حكمها معتمدين على نفوذهم الديني أو كفاءتهم الحربية أو أصالة نسبهم، وقد غلب على العائلات التي تولت حكم المجموعات القبلية المتحالفة في بايلك الغرب الطابع الروحي عائلات المرابطين وأبلغ مثال على ذلك يتمثل في قبائل أولاد سيدي الشيخ<sup>2</sup> الذين كانوا مقربين من البايك، وحلفاء له وقد مُنحت لهم العديد من الإمتيازات في مقابل حفظ الأمن وضمان تحصيل الضرائب<sup>3</sup>.

كانت هذه القبائل تتخذ علاقتها مع السلطة المركزية بصفة الحليف عن طريق شيوخها وزعمائها المحليين، وقد غلب على هذه العائلات التي تولت حكم مجموعات القبلية المتحالفة في غرب البلاد الطابع الروحي بحكم نفوذها الواسع مثل قبيلة أولاد سيدي الشيخ، وهو ما جعل البايات يتقربون من شيوخها بالهدايا والأموال حتى تضمن الولاء وبقاء هذه القبائل واسطة بينها وبين سكان الأرياف البعيدة عن سلطة الحكم المركزي، كما كانت تقوم بتشجيع الصراعات بين قبائل الأحلاف الكبرى حتى تضعفها، وتصبح غير قادرة على تهديد سلطتها<sup>4</sup>.

(1) - سميرة طالي معمر، "القوى المحلية....."، المرجع السابق، ص 97.

(2) - نسبة إلى الوالي الصالح "عبد القادر" بن محمد بن سليمان بن بوسماحة، ولما توفي "سيدي الشيخ عبد القادر" ابن "محمد" والذي أوصى بدفنه في المدينة التي تعرف اليوم بالأبيض سيدي الشيخ نسبة إليه رحمة الله عليه، وبالتالي فإن هذه القبيلة جاء إسمها من جدها الأول وهو سيدي الشيخ الذي توفي سنة 1616م. بوطيبة عبد الغني، " دور رجال التصوف في نشوء المدن الأبيض سيدي الشيخ أنموذجا"، مجلة أفاق فكرية، ع 6، جامعة سيدي بلعباس، 2017، ص 60.

(3) - سميرة طالي معمر، القوى المحلية.....، المرجع السابق، ص 101.

(4) - فارس العيد، " التركيبة الاجتماعية ...."، المرجع السابق، ص 289-290.

إذا كان تحالف بعض القوى المحلية يشكل عبئاً دائماً على السلطة المركزية أكثر مما هو دعم ومساندة لهم فإن حصولهم على خدمات بعض القوى الأخرى كان يكلفهم أكثر مما كانوا يتلقونه في المقابل لاسيما عند بعض الزعامات الدينية التي لم يكن ضمان حيادها أو وساطتها إلا بالهدايا الباهضة، وبعض الإمتيازات، مثل جمعها للضرائب من بعض المناطق التي تقطن بها قبائل الرعية، وإحترام الحكام لحق اللجوء إلى زواياها<sup>1</sup>.

كان الشيخ "أحمد بن يوسف الملياني"<sup>2</sup> نموذجاً للتحالف العثماني-المرابطي في المنطقة، فالملياني شاذلي الطريقة من قلعة بني راشد قرب تلمسان، كان يتمتع بنفوذ وسمعة كبيرة بين الرعية إلى درجة الإعتقاد: "أن الله ينزل غضبه على من أغضب وليه، وما سقوط وهران والمرسى الكبير إلا بدعوته على الزيانيين".

عمل العثمانيون منذ تأسيسهم للحكم المركزي بالجزائر على كسب العناصر الدينية التي كانت تتمتع بنفوذ كبير في أوساط الرعية إلى صفوفهم، ذلك أن ثلثي الأيالة كانت تحت سلطتهم<sup>3</sup>، وبهذا أوجدت السلطة المركزية طريقة إدارية محكمة تمثلت في حكم القبائل بأنفسهم<sup>4</sup>، وذلك بواسطة التحالف مع بعض الزعامات المحلية القائمة على أساس قبلي

<sup>(1)</sup> - دغموش كاميلية، قبائل الغرب الجزائري بين الإحتلال الإسباني والسلطة العثمانية، مذكرة ماجستير، كلية العلوم الإنسانية والحضارة الإسلامية، جامعة وهران، 2013-2014، ص 116.

<sup>(2)</sup> - هو "أبو العباس أحمد بن عبد الله" بن محمد بن أحمد بن يوسف الراشدي الملياني ينتهي نسبه إلى إدريس الأصغر والراشدي نسبة إلى قلعة بني راشد قرب تلمسان ونسبة الملياني جاءت من إقامته آخر عمره بمدينة مليانة، إختلف المؤرخون في تاريخ ميلاده فهناك دراسات تقول ولد في 1436م، بينما أخرى تذكر أن مولده محصور ما بين 1436م و1442م، والمعلومات شحيحة حول نشأته وشيوخه، إلا أنه إنتقل من مسقط رأسه تامود إلى مناطق أخرى لطلب العلم مثل تلمسان وهران ثم بجاية أين تتلمذ على يد الشيخ "أحمد زروق"، وأخذ عنه الطريقة الشاذلية، كما أختلف المؤرخون حول تاريخ وفاته فيقول عبد الله الحشلاف أنه توفي في 923هـ، فيما ذهب "أبو القاسم سعد الله" إلى القول أنه توفي في 931هـ، أما عن آثاره فلا زالت مخطوطة منها: حكم في التصوف، رسالة في أحكام الخرقه الشريفة. للإطلاع بشكل مفصل راجع: شنتوح ليليا، " الشيخ أحمد بن يوسف الملياني الصوفي"، حوليات جامعة الجزائر، 1، ع32، ج1، الجزائر، 2018، ص 216 و ص220.

<sup>(3)</sup> - دغموش كاميلية، قبائل الغرب .....، المرجع السابق، ص 113.

<sup>(4)</sup> - عمار هلال، أبحاث ودراسات في تاريخ الجزائر المعاصر (1500-1830م)، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1995، ص 16.

أو ديني لأن أهم السلطات التي كانت تخضع لها الأيالة خاصة في الريف هي سلطة "القايد" أو "الشيخ"<sup>1</sup>.

بلغ مجموع القبائل الحليفة لبايلك الغرب حوالي 29 قبيلة، كان بعضها يقطن في المناطق التابعة لأغا الدواير والزمالة، ومن بين هذه القبائل نذكر قبيلة أود سيدي بو عبد الله المغوفل بسهل الشلف وضواحي مستغانم، ومجموعة قبائل بني مسلم التابعين لزاوية الشاذلية بمنطقة عمي موسى، وأتباع زاوية سيدي دحو بمعسكر، وأتباع أولاد سيدي عامر بن الدبة بوادي الحداد إضافة إلى مجموعة قبائل الحرار بضواحي تيارت، وأتباع أولاد ميمون بجبل عمور ومرابطي أولاد سيدي الناصر بضواحي أفلوا<sup>2</sup>، كانت هذه القبائل تملك قوة لا يستهان بها بحيث يمكنها تزويد البايلك بـ: 250 إلى 300 ألف محارب<sup>3</sup>، وفيما يلي جدول يوضح قدرات هذه القبائل عما كانت تستطيع تجنيده لصالح السلطة المركزية<sup>4</sup>:

عدد الفرسان	اسم القبيلة
1500	الدواير <sup>5</sup>
900	الزمالة <sup>6</sup>
200	الشرافة الغرابية <sup>7</sup> ويسمون الزمالة

(1) - دغموش كاميلية، قبائل الغرب .....، المرجع السابق، ص 113.

(2) - فارس العبد، "التركيبة الاجتماعية ....."، المرجع السابق، ص 290.

(3) - Vallej(Jose), " Contribution a Lhistoire de Vieil Oran", **R.Af**, n°66, Alger, 1925, p355.

(4) - سمير طالي معمر، القوى المحلية....، المرجع السابق، ص 104 - 105.

(5) - تعتبر القبيلة الأقوى أستقرت في المنطقة سنة 1750م، وتترعب على مساحة أرض تتاهز 140 ألف هكتار، تتقاسم الرئاسة فيها ثلاث مجموعات هي البحايشية والكرامة والبناعدية. ينظر: دغموش كاميلية، قبائل الغرب الجزائري ....، المرجع السابق، ص 99.

(6) - تتكون هذي القبيلة من فرسان المخزن على رأسها قائد يسمى قائد الزمالة، كانت هذه القبيلة تساعد الباي في جمع الضرائب وإجهاض التمردات المختلفة، وتنفيذ أوامر البايلك. ينظر:

Vayssettes(E), Histoire ....., op. cit, p123.

(7) - ذكر "المزاري" بأن الغرابية عرش ملتقط كالزمالة والدواير، يطلق عليهم العبيد أو عبيد البخاري، دخلوا مع "مولاي إسماعيل" المغربي الذي غزا بايلك الغرب سنتي 1700-1701م، ينظر. إبن عودة المزاري، طلوع....، المصدر السابق، ص ص 231-232.

2000	الحشم <sup>1</sup>
500	البرجية، تقاسم قيادتها النقابيية والبلاغة بالتناوب
100	سجراة، بني شقران، شربريخ، بني غدو، ويسمون العوارة
200	المكاحلية <sup>2</sup>
50	أولاد أحمد وقبيلة أولاد بوقرارة
100	أولاد عدة، أولاد زرفة، أولاد علجة، ويسمون أولاد سلامة
100	عكرمة
200	أولاد العباس
100	أولاد خويدم
50	أولاد خضرة
50	أولاد قويدر
50	عبيد الشراقة

### جدول يبين عدد فرسان لأهم قبائل بايلك الغرب

من خلال معطيات هذا الجدول يتضح لنا مدى القدرات العسكرية الهائلة للقبائل الحليفة للسلطة العثمانية، حيث كان بإستطاع قبائل الحشم لوحدها تجنيد حوالي الثلث من الفرسان دون أن نتجاهل بقية القبائل الأخرى<sup>3</sup>.

<sup>(1)</sup> - ورد في كتاب العبر أن الحشم فرقة إستان بهم ملوك بني زيان لإخضاع بني توجين الذين تمردوا على سلطان تلمسان، واستطاعوا تأسيس إمارة مستقلة حافظة على كيائها أكثر من خمسين سنة خلال القرن 7هـ، كما ذكر "ابن خلدون" أن الحشم هم أساس القبائل، لا يضرهم من خالفهم، ولا يستقيم أمر لمن خالفهم، وكل قبيلة تحتاج إليهم وهم لا يحتاجون إلى غيرهم. للمزيد ينظر: عبد الرحمان ابن خلدون، كتاب العبر ..... ج7، المصدر السابق، ص 93.

<sup>(2)</sup> - تتألف المكاحلية من قبائل أولاد أحمد، أولاد بوغرارة، أولاد العباس، أولاد سلامة. ينظر: دغموش كاميلية، قبائل الغرب الجزائري.....، المرجع السابق، ص 103.

<sup>(3)</sup> - سمير طالي معمر، القوى المحلية.....، المرجع السابق، ص 105.

### ب- موقف القبائل المستقلة (المتنتعة) من السلطة المركزية:

كانت هذه القبائل تعيش في منأى عن السلطة المركزية متمتعة عن تأدية مختلف المطالب المخزنية، وهي تتألف في أغلبها من القبائل التي كانت تسكن المناطق الجبلية الصعبة المسالك، أو في أقصى حدود المغرب الأقصى، أو في الهضاب الوهرانية<sup>1</sup>، كسكان الونشريس وطرارة ومناطق الأطلس الصحراوي وتخوم الصحراء، وكان على رأس هذه المجموعات شيوخ يستمدون سلطتهم من تنفيذ قبائلهم.

نظرا لعدم إقرار هذه القبائل بسلطة الحكم المركزي كانت تلاحقها إجراءات قمعية إتخذتها سلطة البايك ضدها لإرغامها على الخضوع، وهو ما جعلها تعيش أوضاع إجتماعية جد صعبة، فبالإضافة إلى تمركزهم في مناطق صعبة المعاش، كانت سلطات البايك تنصب الحاميات وقبائل المخزن في الأماكن التي تتحكم في طرق مواصلات هذه القبائل، كما كانت تضيق الخناق عليها بمراقبة الأسواق التي تتردد عليها<sup>2</sup>، مثلما حدث لقبائل ريغة التي كانت تتردد على سوق مليانة الأسبوعي إعتراض سبيلها كراغلة مليانة وقاموا بهجوما على قراها فأحرقوا منازلهم وخيمهم، ثم أصدر الحكم المركزي في عهد الداوي "عمر" 1815م - 1817م، وأمره لكافة باي الغرب والتيطري بالسير إليها فصدورت أملاكهم وبيعت أراضيهم لبني مناد وبني منصور وحول جزء منها إلى أملاك الباوي مثل حوش ريغة الذي وضع تحت إشراف وكيل وتم تشريدتهم في مناطق البايك.

كما نجد أيضا قبائل ريغة الواقعة بضواحي مليانة، كانت في حرب دائمة مع سلطة البايك بسبب إمتناعها عن دفع ما عليها من ضرائب، والشيء نفسه يتكرر مع قبائل بني فراح وشنواه، جندل، مطماطة، العطاف...الخ<sup>3</sup>.

(1) - سمير طالي معمر، القوى المحلية.....، المرجع السابق، ص 101.

(2) - فارس العيد، "التركيبة الاجتماعية....."، المرجع السابق، ص 291.

(3) - julienne(M), " Les Rir'a de la Subdivision de Miliana", **R.Af**, n°1, Alger, 1856, pp284-285.

بلغ تعداد القبائل المستقلة عن الحكم المركزي حوالي 26 قبيلة<sup>1</sup>، كانت قبيلة السويد هي الأخرى في صراع دائم مع السلطة المركزية فتعرضت للعديد من الغارات وفرض عليها الكثير من الغرامات إلى جانب قبائل الأنجاد الذين كانوا كلما حان موعد إستخلاص الضرائب إتجهوا إلى المناطق المغربية ليعودوا بعد ذلك، كما كانوا يقطعون طرق القوافل التجارية بين الأيالتين، ولهذا هاجمهم "الباي محمد بن عثمان" في العديد من المرات. أما بعض القبائل الأخرى فقد كانت تعيش على الترحال من منطقة إلى أخرى كالأحرار، المهايا، براس، بني مناد مفضلة الحياة في عزلة على إستقلالها وحريتها، وهذا ما جعل السلطة العثمانية تعمل جاهدة على الحد من إستقلالهم وإرغامهم على مهادنتها<sup>2</sup>. ومجمل القول فقد وجد في بايلك الغرب قبائل متعاونة مع السلطة المركزية، وتشتمل في قبائل المخزن والقبائل المتحالفة، والتي تمتعت بالإعفاء الضريبي وقسم معارض للسلطة لكنه خاضع لها ويتمثل في قبائل الرعية والقبائل الممتنعة<sup>3</sup>.

(1) - فارس العيد، " التركيبة الإجتماعية ....."، المرجع السابق، ص 291.

(2) - سمير طالي معمر، القوى المحلية بببايلك .....، المرجع السابق، ص 102.

(3) - المرجع نفسه، ص 103.

### 3- العلاقة الثقافية بين البايك والسلطة المركزية

#### 3-1- علاقة علماء وفقهاء البايك مع السلطة المركزية

لعبت العقيدة المشتركة بين الرعية والحكام العثمانيون دور أساسي في التحالف رغم أن العثمانيين كان إسلامهم تحت تأثير الزوايا والطرق الصوفية التي كانت تقودهم وترسم سياستهم إذ كانوا يدينون بالولاء للمرابطين ويتبركون بالأولياء، أدركت السلطة العثمانية أن الرعية ببايك الغرب يحركهم عاملين أساسيين، وهما العامل الإقتصادي والعامل الديني لذلك حاولوا اللعب على هاذين العاملين خاصة الجانب الديني بإعتباره المحرك الأساسي لهذه الشعوب، لذا حاولت السلطة العثمانية إستغلال الروح الجهادية لدى الرعية لكسب التأييد الروحي، فكانوا يتبركون بالأولياء وال دراويش<sup>1</sup>، فلا يخرجوا إلى معركة دون التبرك بولي أو ضريح كان حيا أو ميتا.

إن تبجيل الأولياء والعلماء ميزة وسلوكا أجمع عليه بايات الغرب فنجد "الباي محمد الكبير" باي الغرب أخذ بالطريقة عن جد "الأمير عبد القادر" وبقي في خدمته قائما على إرضاءه، وعند الفتح النهائي لمدينة وهران إستشار العلماء في قضية القبائل التي كانت متعاونة ومتحالفة مع الإسبان فهم أدرى بأمور الدنيا والدين، فكان جوابهم له: "رأيك فيه الحكمة والصواب، ولكن أنتم ونحن في رأي الأولياء والعلماء أولى الألباب فهم أدرى بالأمور وبإشارتهم يكون الفوز<sup>2</sup>."

كان الدايات في مقر الحكم المركزي والبايات يقومون بزيارة علماء البايك كأفراد وأسر وهذا شكل من أشكال التقارب والتحالف نذكر منها زيارة الباي المقلش لأسرة الغبريني بشرشال في طريق عودته إلى بايلك الغرب بعد تقديمه للدنوش بعد أن رفض المرباط "الحاج بن عودة" الغبريني الداعم لابن "الشريف الدرقاوي" الذي رد الزيارة لباي معسكر<sup>3</sup>.

<sup>(1)</sup> - سعد الله أبو القاسم، تاريخ الجزائر ..... ج 1، المرجع السابق، ص 465.

<sup>(2)</sup> - عيو إبراهيم، العلوم النقلية .....، المرجع السابق، ص 144.

<sup>(3)</sup> - Saidouni(N), L'Algéroise ..... op. cit, p396.

بهذا التقرب والتعظيم للعلماء تمكن بايات الغرب من نسج علاقة طيبة في بداية حكمهم مع أكبر العلماء والطرق الصوفية مما شجع السلطة المركزية على ربط علاقة ودية مع زعمائها<sup>1</sup>، وتأكدت هذه العلاقة في ظل التهديد الإسباني للسواحل الجزائرية خاصة ففضايا الجهاد كانت العامل المشترك بينهما فتحرير الثغر الجماني والمدن الساحلية كانت تحدد إهتمام السلطة المركزية وتبرز شعبيتهم وكسب الرعية لهم، لأن تحريرها كان بمثابة الورقة الراحلة للرعية وتأيد العلماء<sup>2</sup>.

غير أن هذه الوساطة بين السلطة المركزية وعلماء البايك لم تكن دائما تكلل بالنجاح، بل كان يصيبها أحيانا الإخفاق مثلما فشل علماء ومرابطوا مدينة مازونة في مساعيهم المتكرر لجلب السلم إلى مدينتهم على خلفيات النزاع بين الرعية والإنكشارية، وهذا مقابل ترسيخ عقيدة كره الرعية للسلطة العثمانية<sup>3</sup>.

مثل ما هو الحال للشيخ "محي الدين" وابنه "عبد القادر" مع "الباي حسن الباهي"<sup>4</sup>، وفي هذا السياق يذكر "المزاري" واصفا تعسف البايات للعلماء بقوله: "إن هذا الباي ويقصد الباي "حسن" لأمر أراده الله قد تجرأ على العلماء والأولياء وكثر ظلمه وسفكه لدماء الأبرياء، والمصير نفسه تعرض له العالم "بن عبد الله" بن حواء التيجاني والشيخ "الصدامي" بـمازونة، والعالم "فرقان" الفليتي بوهـران<sup>5</sup>.

(1) - سعد الله أبو القاسم، تاريخ الجزائر.....، ج 1، المرجع السابق، ص 522.

(2) - \_\_\_\_\_، "أربع رسائل....."، المرجع السابق، ص 19.

(3) - عبو إبراهيم، العلوم النقلية.....، المرجع السابق، ص 147.

(4) - سعد الله أبو القاسم، تاريخ الجزائر.....، ج 1، المرجع السابق، ص 522.

(5) - ابن عودة المزاري، طلوع....، المصدر السابق، ص 352.



### 2-3 - موقف شعراء البايك من الحكم المركزي:

لقد أشاد الشعراء الشعبيون ببايلك الغرب بداية الحكم العثماني في المنطقة بحسن سياسة السلطة المركزية، ويتضح ذلك جليا من خلال القصائد التي كانوا ينشدونها في الأسواق والمحلات مثل تلك القصيدة التي ساقها لنا "عبد الرحمان الجامعي"<sup>1</sup> من أبياتها:

ديارُ بني عثمان حيث تألّقت	قبابٌ ونورٌ مستقرّ المسافر
بلادُ برأس الغرب تاجٌ مكلّلٌ	وخلخالُ سوق الشرق غير ضوامر
بدت بمنصّات الزّمان كأثّـها	عروسٌ تجلّت في أعالي المنابر
فدعني من غرناطة وربوعها	وشبيل فالحسنُ انتهى للجزائر
ومن لربوع بالجمال وقد غدت	كخط زبور في قديم الدفـاتر <sup>2</sup>

كما أعجب "الجامعي" بقوة وشجاعة أسطول الدولة العثمانية، وذلك بتصديدها ووقوفها ضد الحملات الأوربية الغازية، وإفشالهم لكلّ المحاولات التي قامت بها الأساطيل الأجنبية للتّيل من الأيالة الجزائرية، كما نوه بالنّصر الذي تحقّق على أيدي السلطة المركزية إثر الفتح الأوّل لمدينة وهران مما جاء في هذه القصيدة:

تلك رسل البشائر يوم عيد	علينا سورة الفتح السّعيد
وأصبح وجه دين الله طلقاً	ووجه الكفر في حزن الفقيد
وقل وهران يهنيك إفتكـاك	وإنقاذ من الأسر الشديـد
لك البشرى وللإسلام أخرى	يمنعك من يد الكفر العنـيد

(1) - ولد بمدينة فاس المغربية سنة 1087هـ/1676م نشأ في طلب العلم عن والده، وعن غيره من مشايخ العصر، وحصل على علوم شتى، فأخذ النحو عن الشيخ "عبد الرحمان" بن علي بن عمران الفاسي، ولازم الشيخ "محمد العراقي"، ثم إنتقل إلى الجزائر كان يدرس في تلمسان علم النحو والبيان، مختصر خليل، وأخذ صحيح البخاري عن الشيخ "محمد بن سلمان" الأندلسي، ثم إنتقل إلى تونس عام 1122هـ/1711م مستقراً بها، متصدراً للتدريس بجامع الزيتونة إلى أن وافته المنية ترك الجامعي مجموعة من التآليف نذكر منها: "شرح أرجوزة الحلقاوي" و"التاج المشرق ونظم الدرر المديحية في مجلس الدولة الحسينية". ينظر: محمد المنوني، "عبد الرحمان الجامعي حامل راية الأدب على مستوى المغرب الكبير"، مجلة الأصالة، ع 24، و.ت.أ.ش. د، الجزائر، 1975، ص ص 167-184.

(2) - المرجع نفسه، ص ص 175 - 177.

جزى جيش الجزائر كلَّ خير      إله الخلق ذو الملك العتيد<sup>1</sup>  
كما "أشاد الزياني"<sup>2</sup> بالعمران الذي شيده الحكام العثمانيين في الجزائر الشيء الذي  
أدى به إلى كتابة قصيدة يحاكي فيها مسجد كتشاوة ختمها بهذين البيتين يمدح بهما الداوي  
حسن بقوله:

فمن وجود بما      سطرّ محتسباً  
إلاّ التقى الزكي الأسد الضّاري  
حامي لواء الرّسول المصطفى حسن      فخر الملوك رعاه مولانا البّاري  
وفي هذا الإطار يحاول الشاعر الثناء على الحكام مخاطباً الداوي حسن بهذه  
المناسبة قائلاً:

أسرع إلى سبل الخيرات تاتيك	وأبشر فإن الذي عاملت يدنيك
حسنّت بالعدل ديننا ومتجرنا	فنسأل الله بالفردوس يُرضيك
بنيت لله هذا البيت محتسباً	فربّ هذا الذي شيّدت يُنجيك
أغنيت صنّاعه عظّمت حرّمته	وضّحت تاريخه فالله يُغنيك
لازلت يا بهجة الأملاك يا حسناً	مُوفقاً وجنود الله تحميك <sup>3</sup>

غير أن مدح شعراء البايك للحكام العثمانيين وإنجازاتهم لم يدم طويلاً، حيث تسببت  
السياسة الضريبية التي فرضتها السلطة المركزية إلى إحداث شرخا في العلاقة بين هؤلاء  
الشعراء والسلطة الحاكمة، ومما يدل على ذلك ظهور العديد من القصائد الشعرية الناقمة  
على سلطة وسياسة العثمانيين، سواء ما تعلّق منها بالأوضاع الإقتصادية، أو بطبيعة

<sup>(1)</sup> - محمد المنوني، "عبد الرحمان الجامعي حامل راية الأدب على مستوى المغرب الكبير"، مجلة الأصالة، ع 24،  
و.ت.أ.ش.د، الجزائر، 1975، ص ص 175 - 177.

<sup>(2)</sup> - ينتسب "محمد بن يوسف" الزياني إلى برج عياش (برج ولد المخفي بناحية معسكر) ينتمي إلى أسرة علمية، اشتهر  
منها عمّه العالم "أحمد بن يوسف" الذي كان على صلة بالباي "إبراهيم الملياني" (1170هـ/1750م)، تعلّم "الزياني"  
بمسقط رأسه وتولّى منصب القضاء سنة 1278هـ/1861م، ثم إنتقل إلى وادي تليلات سنة 1883م، ثم إستقرّ نهائياً  
بسيق مع أسرته حتى وافته المنية في الربع الأول من القرن 13هـ أي بعد 1320هـ/1902م، خلد لنا الزياني تأليفاً هاماً  
عنوانه "دليل الحيران وأنيس السهران في أخبار مدينة وهران". ينظر: شاطو محمد، نظرة المصادر.....، المرجع  
السابق، ص 16.

<sup>(3)</sup> - شاطو محمد، نظرة المصادر الجزائرية.....، المرجع السابق، ص 136.

العلاقة مع الطرق الصوفية، وانعكاسات ذلك على نفسية الشعراء والعلماء<sup>1</sup> أمثال الشاعر الشيخ الشارف ابن تكوك الذي كان تلميذ للشيخ بلقندوز هاجر إلى المغرب بعد مقتل شيخه، ورثاه بقصيدة تضمّنت الترحم على شيخه وذكر خصاله الحميدة، وفي المقابل الدّعاء على الباي "حسن" بعذاب الله وإنّقامه عليه، وهذا موقف واضح وصريح عن الإستياء والتذمر والحد الذي كان يكتفه هؤلاء الشعراء للسلطة الحاكمة وسياساتها المتبعة تجاه المتصوّفة نذكر من هذه الأبيات:

إرحم شيخي بلقندوز	مريد الشيخ المعزوز <sup>2</sup>
عبد القادر به انفوز	عند ارجال اللزمية <sup>3</sup>
بالقندوز المزهد	في وسط الطلبة عابد
لا بد في الذكر يمجّد	يخدم ربي بالنية
ما تظني كيفوا ولدا	اسم النبي سيد ارقية <sup>4</sup> .

فهذه القصيدة تعبر لنا بصدق مدى حزن وآلام الشاعر عن فقد شيخه، وفي المقابل زمه وسخطه على السلطة العثمانية فهذه القصيدة حاولت إبراز سياسة السلطة العثمانية تجاه بعض العلماء والطرق الصوفية، ومن هنا فهي ليست مجرد نصا شعريا فقط، بل أيضا نصا تاريخيا إجتماعيا يشهد بمدى مأساة الشعراء، ثم يتعرض الشاعر للباي حسن من جديد فيقول:

(1) - شاطو محمد، نظرة المصادر الجزائرية.....، المرجع السابق، ص 106.

(2) - المعزوز هي كناية للشيخ "عبد القادر الجيلاني" القادري الطريقة. ينظر: شاطو محمد، نظرة المصادر الجزائرية....، المرجع السابق، ص 104.

(3) - يقصد بهم رجال الشدائد وهم المتصوّفة. ينظر: شاطو محمد، نظرة المصادر الجزائرية....، المرجع السابق، ص 104.

(4) - المرجع نفسه، ص 104.

يارب عذب حسن<sup>1</sup> فركت بيت الله تعيان  
والطلبة قعدت تنهان وافترقوا في بكريـا  
افترقوا في تحمدا شدوا من به العمدا  
ثم كانوا مجموعين عمارة للمساكين

ثم يحاول الشاعر أن يصور تاريخ الواقعة بالتدقيق فيقول:

أحدث ذاك الأمر في القرن الثالث عشر  
في شهر الله صفر دارت به العساكر  
بالثلاثة بعد الفجر ولّى في ايدين العديّة  
عام الخمسة والأربعين توفي ليلة الاثنيـن  
فرحوا له الطائغون الغابطون في الدنيا  
ماذا قتلوا من رؤوس من ساداتي الصوفيّة

ولعل الأبيات الموالية التي أنشدها الشاعر مسلم بن عبد القادر الوهراني تبرهن على مدى الكره الشديد لهؤلاء العثمانيون متشمتا بهم إثر هزيمتهم أمام الفرنسيون، وهذا الشعور ما هو إلا نتيجة إستيائه وتدمره منهم في أواخر عهدهم، رغم أنه كان كاتباً مقرباً من الباي "حسن" بوهران إلى غاية إحتلالها فيقول:

في فج من محرم بها ظفر بعد قتال ذريع نال الوطر  
جمعهم والباشا في أكباله أسلبهم الله ملكهم في حاله  
أدبهم ربهم لمّا طغوا عرّفهم بغدرهم لمّا بغوا  
كأنهم ما كانوا في عزوما تملّكوا دهرًا طويل المنتهى  
فانشغلوا بالظلم ليس من عدل فاتخذوا أخذًا وبيلاً بالمهل  
لمّا نسوا ما ذكرّوا به ختم على قلوبهم الله فانتقم<sup>2</sup>

<sup>(1)</sup> - وهو آخر أبيات الغرب الملقب بالباهي حسن بقي بوهران إلى غاية سقوطها على يد الفرنسيين بموافقة سنة 1246هـ. 1830م، ثم نُقل إلى المشرق الذي توفي به. ينظر: شاطو محمد، نظرة المصادر الجزائرية....، المرجع السابق، ص105.

<sup>(2)</sup> - شاطو محمد، نظرة المصادر الجزائرية....، المرجع السابق، ص105.

إلى أن يقول:

صناديد لولا الفساد في الورى      لقنا قلّ مثلهم فوق الثرى  
وعتوا عتواً على الخلق وجاروا      فكانوا أكثر العباد وباروا  
فرغ الكّل الأكفّ ودعوا      بما به أجاب الله ورجو  
أمهلهم لمّ بلغ الوقت الأجل      أبدلهم بغيرهم تمّ العمل

وتهيات الأسباب والظروف للغزو الفرنسي الذي نجح في تحقيق الحلم الذي راوده منذ أمدٍ بعيداً<sup>1</sup>، وقال في قصيدة أخرى وهو مملوء غيظاً وحقدًا على الحكام العثمانيون بعد طغيانهم وظلمهم جاء فيها:

أدبهم ربهم لما طغوا      عرفهم بغدرهم لما بغوا  
فانشأوا بالظلم ليس من عدل      فأخذوا أخذاً وبيلاً بالمهمل<sup>2</sup>

على الرغم أن الشاعر كان حاقداً على سلطة العثمانيين إلا إنه لم يرحب بالدخول الفرنسي، وهذا ما تثبتته إحدى القصائد التي نشرها، والمعبرة عن مدى وحشية هذا الهجوم تحت عنوان "دخول الفرانصيص للجزائر من كلام الشيخ عبد القادر"، وهذا ما يعكس مدى الحسرة وحبّه للوطن، وتأثير هذه الحملة في نفوس هؤلاء الشعراء من أبياتها:

الأيام يا أخواني تبدّل ساعاتها      والدَّهر يُنقلب ويولي في الحين  
بعد كان سنْجاق البهجة ووجافها      الأجناس تخافها في البر وبحرين  
أمنين راد ربي ووفي ميجالها      وأعطأوها أهل الله الصالحين  
الفرانصيص حرك ليها وخداها      لأهي مياة مركب لأهي ميتين  
بسفائنه يقرنص في البحر فبالها      كي جا من البحر بجنود قوين  
راني علي الجزاير ياناس خزين<sup>3</sup>

<sup>(1)</sup> - شاطو محمد، نظرة المصادر الجزائرية....، المرجع السابق، ص 106.

<sup>(2)</sup> - محمد أوجرتي، الفقهاء والسلطة.....، المرجع السابق، ص 335.

<sup>(3)</sup> - Desparmet (J), « L'entrée des Français à Alger Par Le Cheikh Abdelkader », **R. Af.**, n°71, Alger, 1930, pp 229-231.

حاول الشاعر في قصيدته أن يصور لنا سقوط الجزائر وردود أفعال السكان المحليين وبسالتهم ورجولتهم، ثم كيف عمت الأحزان المدينة جراء هذا الإحتلال والأعمال الوحشية التي كان يقوم بها، وعلى هذا الأساس تعتبر هذه القصيدة وثيقة متميزة في مجالها، وهذا ما يؤكد "عبد المالك مرتاض" في كتابه -أدب المقاومة الوطنية في الجزائر (1830-1962م) - حيث يقول: "أن هذه القصيدة الشعبية العجينة التي لا نجد لها مثيل لما تطلعنا على أحوال المقاومة"<sup>1</sup>.

من هنا يتضح لنا مدى إسهام الشعراء الشعبيون في دعم ونصرة الحكام العثمانيون بداية حكمهم في البايك، ولكن عندما تغيرت سياستهم تجاه الرعية، أدّى بالشعراء إلى تغيير موقفهم من السلطة الحاكمة، وذلك برصد الأحداث التي عرفت الجزائر، فحاول الشعراء التعبير عن الذات الإنسانية لسكان البايك، وعن تقلباته وعن أفراحه وأحزانه، مما يمكننا من إعتداد بعض هذه القصائد الشعرية وثيقة مهمة لبعض الأحداث التاريخية التي قد لا نجدها في مصادر أخرى<sup>2</sup>.

<sup>(1)</sup> -عبد المالك مرتاض، أدب المقاومة الوطنية في الجزائر (1830-1962م)، المركز الوطني للدراسات والبحث، الجزائر، 2003، ص 85.

<sup>(2)</sup> -عبد الجليل رحموني، "الشعر والشعراء....."، المرجع السابق، ص 206.

## ثانيا: العلاقات السياسية والعسكرية بين البايك والسلطة المركزية

### 1- الإتصالات الإدارية والسياسية بين الحكم المركزي وبايلك الغرب:

#### 1-1- جهود السلطة المركزية في تثبيت الحكم العثماني ببائلك الغرب:

تعرض بايلك الغرب خلال القرنين 16م و17م، إلى الإحتلال الإسباني، ووقوعه في خط المواجهة الأولى مع الإسبان، مما أدى إلى إضطراب أحواله، لذا نجد المؤرخين لم يتعرضوا إلا لعدد قليل من بايات الغرب نظرا للعدم إستقرار عاصمته، التي تنقلت بين مازونة ومعسكر ووهران كما فصلنا في ذلك سابقا<sup>1</sup>.

كان أول باي تولى إدارة بايلك الغرب هو الباي "أبو خديجة"<sup>2</sup>، ثم خلفه عدد من البايات لا نعرف عنهم سوى الأسماء وهم: الباي "سواق" والباي "السايق" والباي "سعد"، ثم تأتي فترة سادها الغموض، وعندها تأتي فترة الباي "شعبان الزناقي"<sup>3</sup>، وهي فترة تتوفر فيها المعلومات، ويمكن القول أنه إبتداء من عهد الباي "شعبان الزناقي" الذي إستشهد أثناء محاصرته لمدينة وهران ومحاربه للإسبان عام 1692م يصبح من اليسير رسم صورة واضحة ومفهومة عن بايلك الغرب<sup>4</sup>.

بعد وفاة الباي "شعبان" أثناء حصاره لمدينة وهران سنة 1696م<sup>5</sup> في محاولته لإسترداد المدينة إستشهد تحت أسوارها سنة 1701م<sup>6</sup>، ثم حل محله الباي "يوسف

(1) - محمد أوجرتي، الفقهاء والسلطة .....، المرجع السابق، ص 327.

(2) - لم تطلعنا المصادر التاريخية على أبسط معلومة حول هذا الباي، كل ما يتوفر عنه هو تاريخ تعيينه على إدارة بايلك العرب سنة 1564م، ثم خلفه مجموعة من البايات مثل الباي "سواق" والباي "السايق المازوني"، والباي "ساعد" والباي "محمد بن عيسى"، وبايات آخرون. ينظر: يحيى بوعزيز، وهران.....، المرجع السابق، ص 87.

(3) - تولى الباي "شعبان" إدارة بايلك الغرب سنة 1679م، وبقي على رأسها 8 سنوات، وكان أولى إهتمامه تحرير وهران والمرسى الكبير، وفي سنة 1686م أعد حملة كبيرة ضد الإسبان، لكنه إستشهد مما أثر على جنود الحملة فانسحبوا أسفين، وأعد خلفه الباي "إبراهيم خوجة" حملة أخرى في العام الموالي سنة 1687م. ينظر يحيى بوعزيز، وهران.....، المرجع السابق، ص 88.

(4) - عائشة غطاس وأخريات، الدولة الجزائرية الحديثة .....، المرجع السابق، ص 221.

(5) - الواليش فتيحة، "الحياة الحضارية ....."، المرجع السابق، ص ص 21-22.

(6) - محمد أوجرتي، الفقهاء والسلطة .....، المرجع السابق، ص 329.

المسراتي" الملقب ببوشلاغم، كان هذا الأخير عازما على تكريس الحكم العثماني في بايلك الغرب وإخضاع كل البايك إلى نفوذ السلطة المركزية، والإنقاذ من الإسبان لقتل الباي السابق، عرف البايك عهدا جديدا مع مجيء الباي بوشلاغم، حيث استطاع سنة 1700م أن ينقل مقر البايك من مازونة إلى معسكر<sup>1</sup>.

إنّ ما قام به الباي "بوشلاغم" في بايلك الغرب خطوة هامة لقيت الدعم الكبير من مقر الحكم المركزي، خاصة الداوي "بكداش"<sup>2</sup> الذي رأى قضية تحرير وهران والمرسى الكبير لتكريس الحكم العثماني في الجهة الغربية من الإهتمامات الكبرى لتحقيق الإستقرار التام للأقاليم الجزائرية، لذا تم نقل مركز بايلك الغرب من مازونة إلى معسكر ليكون قريبا من الأعداء، وبذل بايات معسكر عدة محاولات لإخضاعها لنفوذ السلطة المركزية، وفي مطلع عام 1708م حشد الباي "محمد بكداش" جيشا ضخما حرر به المدينتين، وعلى أثر هذا النصر العظيم نقل الباي عاصمة من معسكر إلى وهران، واستمر على رأس البايك حوالي ربع قرن من الزمن<sup>3</sup>.

والملفت للانتباه أن المصادر الإسبانية تكاد تجمع على التعتيم والسكوت عن أحداث 1708م بوهران، ولم يتحدثوا عن هزائمهم في صراعهم مع السلطة العثمانية، فهذا مؤرخهم "بلاستروس" "Ballesteros" في كتابه "تاريخ إسبانيا" يشير إشارة خفيفة تجعل القارئ لا ينتبه قط إلى أهمية أحداث 1708م، والشيء نفسه مع المؤرخ "أقوادو بلاي" "Pedro Aguado Bleye" الذي يروي خروج الإسبان من وهران في خمس أسطر، أما الفرنسيون فمعظم كتاباتهم اعتمدت على وجهة نظرهم وأرشفات المحتلين، متجاهلين المصادر العربية

(1) - الواليش فتيحة، الحياة الحضارية .....، المرجع السابق، ص ص 21-22.

(2) - هو "أبو عبد الله محمد" بن علي داي الجزائر تولى الحكم في مارس 1707م. ينظر: المزابي ابن عودة، طلوع سعد السعود.....، ج1، المصدر السابق، ص 234.

(3) - سعدية رقاد، "الحواضر العلمية في بايلك الغرب الجزائري خلال العهد العثماني"، مجلة عصور الجديدة، ع 23، جامعة وهران، أوت 2016، ص 366.



المحلة، لهذا تعددت الأخطاء وشوهت الحقائق التاريخية، وإذا عدنا إلى الإنتاج المحلي المعاصر لوجدنا كثرة الأخبار وأدق التفاصيل عن أحداث 1708م<sup>1</sup>.

لكن هذا النصر الذي حققته السلطة المركزية في بايلك الغرب لم يدم طويلا فسرعان ما أعاد الإسبان السيطرة من جديد على وهران سنة 1732م، لما يقارب 60 سنة وعزمت السلطة العثمانية على تصفية الوجود الإسباني، لكن ذلك لم يتأت إلا إلى غاية سنة 1792م على يد "الباي محمد الكبير"<sup>2</sup>، فخرج منها الباي "بوشلاغم" إلى مستغانم التي ظل بها حتى توفي سنة 1737م، ودفن بالمطمر القريبة منها بعد أن حقق إنجازات عمرانية هامة بمستغانم أوصى بدفنه فيها<sup>3</sup>.

في سنة 1780م تولى إدارة بايلك الغرب الباي "محمد بن عثمان" المعروف بمحمد الكبير فأستأثر بجل مآثر الذكر جمعها المؤرخون ودارت حوله مكارم الأفعال لبايات الغرب، وإستطاع محمد الكبير أن يوجه جميع القوى المتشتتة نحوى هدفا واحدا وهو تكريس الحكم العثماني في الغرب الجزائري وتحرير وهران<sup>4</sup>.

كان الباي "محمد الكبير" يشن هجمات متكررة على الإسبان، فكان من نتائج هذه الحملات المتكررة على الإسبان سنة 1780م هو إرغامهم على خوض معركة خارج أسوار المدينة فأنتصر عليهم، وتمكن في سنة 1784م من قطع مجرى الماء الذي يشرب منه أهل المدينة، كما هاجم حصون المدينة، وتمكن بذلك من الإستيلاء على البرج الأحمر<sup>5</sup>، مما إضطّر الإسبان الدخول في مفاوضات مع الباي من أجل التوقف عن الحملات

<sup>(1)</sup> - مولاي بالحميسي، "تحرير مدينة وهران سنة 1708م"، مجلة تاريخ وحضارة المغرب، دون عدد، كلية الادب، الجزائر، جويلية 1970م، ص ص 56 - 57.

<sup>(2)</sup> - سعدية رقاد، "الحواضر العلمية ....."، المرجع السابق، ص 366.

<sup>(3)</sup> - كمال بن صحراوي، أوضاع الريف في بايلك .....، المرجع السابق، ص 57.

<sup>(4)</sup> - محمد أوجرتي، الفقهاء والسلطة .....، المرجع السابق، ص 329.

<sup>(5)</sup> - عبد القادر بلغيث، الحياة السياسية .....، المرجع السابق، ص 26.

المتكررة في سنة 1785م، وقد تواصلت بين الطرفين مسارات الصلح من سنة 1785م إلى غاية 1789م<sup>1</sup>.

رغم هذه المساعي والجهود بين الطرفين إلا أنها لم تحقق أي نتيجة لأن الباي أصبح عازما على تحرير المدينة وجعلها ضمن نفوذ السلطة العثمانية، مستغلا بذلك هدنة 1785م، للهجوم على قبائل الهضاب، من أجل فرض الإستقرار السياسي والعسكري في بايلك الغرب، أدرك الباي "محمد الكبير" بأن أسلوب حرب الإستنزاف لا جدوى منها، فكان لابد من ابتكار أساليب أخرى، ففي سنة 1787م فرض على وهران حصارا طويلا إمتد إلى غاية 1791م، فكان من نتائج هذا الأسلوب قطع الإمدادات على المدينة<sup>2</sup>.

في مطلع سنة 1791م شرع الباي "محمد الكبير" في التحضير لهجوم واسع، في هذا الأثناء كان الإسبان يفكرون في التخلي عن وهران والإبقاء على المرسى الكبير، لكن الباي رفض مقترحات الإسبان مواصلا الحصار على المدينة<sup>3</sup>، وتكثيف الهجمات بمختلف الأسلحة المتوفرة لديه، حتى تمكن من جمع أكثر من خمسين ألف جندي خلال أسبوعا واحدا، وهذا بفضل عزم ودعم السلطة المركزية له<sup>4</sup>، وفي أكتوبر 1791م تمكن جيش الباي من الإستلاء على الحصن، وقد وقعت أول مواجهة بين الطرفين في أبريل سنة 1791م<sup>5</sup>. إزدادت ضربات الحصار على المدينة إلا أن الإسبان واصلوا إستماتتهم في الدفاع عن المدينة، في خضم هذه المعارك قامت الحكومة الإسبانية بالمفاوضات مع الجزائر، بالرغم ذلك بقيت الحروب متواصلة، إستعان "الباي محمد الكبير" بالإنجليز في شراء المدافع، فقد

(1) - يحي بوعزيز، وهران .....، المرجع السابق، ص 60.

(2) - عبد القادر بلغيث، الحياة السياسية .....، المرجع السابق، ص 28-29.

(3) - صالح عباد، الجزائر خلال .....، المرجع السابق، ص 172.

(4) - ابن سحنون الراشدي، الثغر الجماني .....، المصدر السابق، ص 247.

(5) - عبد القادر بلغيث، الحياة السياسية .....، المرجع السابق، ص 31.

طلب الإسبان هدنة ووافق الباي على ذلك، وبعد رفض الإسبان للإستسلام إستأنف القتال في ماي 1791م<sup>1</sup>.

بعد أن تأكد الإسبان من عزم الباي في إسترجاعه المدينة، أبدت إسبانيا قبولها بالتخلي عن وهران، ولكن بشروط، وقد تمت مبادلة المراسلات بين الطرفين فوق الداي الجديد "حسن باشا" معاهدة تسليم إسبانيا للمرسى الكبير ووهران بشكل نهائي<sup>2</sup>، في ديسمبر 1791م، تضمن هذا الإتفاق مايلي:

- يتخلى الإسبان عن وهران والمرسى الكبير كما كانا في عهد الباي "بوشلاغم" من حيث التحصينات والمدفعية.
- يلتزم الإسبان بدفع 12 ألف سلطاني للسلطة المركزية سنويا.
- يفتح المرسى الكبير للتجارة الإسبانية وحدها دون غيرها من البلدان.
- كل سفينة إسبانية ترسو في ميناء المرسى الكبير تدفع 55 ريالا.
- بإمكان الإسبان شراء كل سنة ألف حمولة من القمح بسعر السوق دون أي تدخل من الباي.

- تعطى مهلة للسكان مدتها أربعة أشهر لإخلاء مدينة وهران والمرسى الكبير.
  - سحب كل الفرق العسكرية المحيطة بوهران وإيقاف كل العمليات العدائية<sup>3</sup>.
- بعد هذا الفتح العظيم والنصر الذي حققه الباي توجه إلى مقر الحكم المركزي حيث إستقبله الداي "حسين باشا" إستقبالا عظيما ومنحه ريشة الإنتصار، ثم عينه باي على مدينة وهران وجميع المقاطعة الغربية، وجمع العلماء ليستشروهم في شأن سكان وهران الذين كانوا أعوانا للإسبان فإتفق الجميع على أن يسمح لهم مافرط منهم ويؤمنهم<sup>4</sup>.

<sup>(1)</sup> - عبد القادر بلغيث، الحياة السياسية .....، المرجع السابق، ص 32.

<sup>(2)</sup> - المرجع نفسه، ص 33.

<sup>(3)</sup> - صالح عباد، الجزائر خلال.....، المرجع السابق، ص ص 172-173.

<sup>(4)</sup> - أحمد بن هطال التلمساني، رحلة محمد الكبير.....، المصدر السابق، ص 23.

كان لهذا الحدث وقعا كبيرا على الرعية بما فيهم العلماء والشعراء والأدباء، فراحوا يسجلون الأحداث ويؤلفون القصائد الشعرية التي تصف عملية الفتح ومدح الباي "محمد الكبير"، منها القصيدة التي أنظمها "أحمد ابن سحنون الرشدي" وقصيدة "الحاج عبد القادر" بن سنوسي بن دحو، وقصيدة الرحلة القمرية" لمصطفى ابن عبد الله "بن زرفة وغيرها من القصائد الشعرية، ومما لاشك فيه أن إسترجاع مدينة وهران والمرسى الكبير إلى حظيرة السلطة المركزية كانت له آثار إيجابية في إستقرار الوضع في بايلك الغرب، وبدأ الإهتمام بوهران يزداد وأخذ الباي "محمد الكبير" يعمل على إجتذاب الرعية للبايلك وتعميره من جديد كما إستعادت المدينة مكانتها الثقافية والعلمية بعدما كانت تعيش في عزلة وفراغ ثقافي وحضاري طيلة الإحتلال الإسباني لها<sup>1</sup>.

هكذا حقق "الباي محمد الكبير" أمني السلطة المركزية في تثبيت حكمها بالبايلك، ودخل عاصمته الجديدة دخولا إحتفاليا بعد رحيل الإسبان عمرت المدينة من جديد بالمسلمين القادمين من كل الأقاليم وحتى من المغرب الأقصى وياشر القادمون الجدد بشراء الأملاك والبيوتات من الإسبان<sup>2</sup>.

وعلى العموم فإن تحرير العاصمة الجديدة لبايلك الغرب لم يكن بالأمر السهل، ويرجع ذلك لحصانة المدينة وقوة الإسبان في تلك الفترة بالرغم من المحاولات السابقة إلى أن جاء الباي "محمد الكبير" الذي إستطاع إجلاء الإسبان من المدينة، في نهاية سنة 1792م، وبالتالي الإستقرار التام والنهائي للسلطة العثمانية بالبايلك<sup>3</sup>.

(1) - سعدية رقاد، "الحواضر العلمية....."، المرجع السابق، ص 366.

(2) - محفوظ قداش، الجزائر في العهد .....، المرجع السابق، ص 181.

(3) - عبد القادر بلغيث، الحياة السياسية.....، المرجع السابق، ص 39.

## 1-2- سياسة البايات تجاه القبائل والزعامات المحلية ببايلك الغرب

تميزت سياسة حكم البايات في بايلك الغرب نهاية القرن 16م ومطلع القرن 17م بعدم التدخل في شؤون الرعية والإكتفاء بالتعامل مع شيوخهم ومرابطيهم، الذين كانوا بمثابة نواب عن الرعية المحليين<sup>1</sup>، لكن مع نهاية القرن 17م إنتهجت السلطة المركزية سياسة تهدف إلى مد نفوذ بايلك الغرب إلى جهات أخرى وإتباعهم في ذلك أسلوبا يعتمد على القوة التي تتصف بعدم مراعاة الظروف الإقتصادية للرعية مما أدى في كثيرا من الأحيان إلى وقوع اضطرابات وثورات ضد السلطة المركزية<sup>2</sup>.

والجدير بالملاحظة فقد تميزت سياسة الحكم المركزي تجاه قبائل الباييلك بالعديد من المظاهر مثل باقي الباييلكات الأخرى منها سياسة التحالف أحيانا، وسياسة الإغراء أحيانا أخرى، ومنها إرسال الحملات العسكرية ضد القبائل المتمردة الممتنعة عن دفع الضرائب في بعض الحالات، وعلى العموم يمكن إجمال مظاهر سياسة الحكم المركزي في مايلي<sup>3</sup>:

### أ- سياسة العزلة - العداء والنفور:

عملت السلطة العثمانية على إبقاء القبائل المحلية بعيدة عن أي مساهمة في أمور الباييلك، وهو ما حال دون إندماجهم في الأوساط المحلية، وهذا رغبة منهم على إبقاء هيمنتهم وسيطرتهم على المناصب السياسية، وحتى مؤسسة الجيش لم تسمح للرعية بالإنخراط فيها، وهو مادفع بالقبائل المعادية إلى إعتباره جيش أجنبي، مما تسبب في إفتقار الحكام إلى سندا يؤازرهم أحاطوا أنفسهم بالحذر والخوف من الرعية خشية أن ينتزعوا منهم السلطة، فإحتكروا المناصب والوظائف السامية في الباييلك<sup>4</sup>، وهو مادفع

<sup>(1)</sup> - ناصر الدين سعيدوني، الجزائر في تاريخ .....، المرجع السابق، ص 36.

<sup>(2)</sup> - صالح عباد، الجزائر خلال .....، المرجع السابق، ص 294.

<sup>(3)</sup> - عبد السلام محمود السامرائي، الإدارة العثمانية.....، المرجع السابق، ص 65.

<sup>(4)</sup> - رشيدة شكري معمر، العلماء والسلطة العثمانية ....، المرجع السابق، ص 159.

"الورثياني"<sup>1</sup> للقول: "أنهم جعلوا جميع الخطط الشرعية لهم ظلما وعدوانا"<sup>2</sup>، وحسب ما ذكره أحد المؤرخين مايلى: "...حيث هيمنة اللغة التركية والعنصر التركي على كل الجهاز الإداري والعسكري في البلدان العربية، وحتى قوانينهم كانت صارمة، وقد أشار "لوجي دو تاسي" «de Tassy» إلى أنهم لا يحاكمون<sup>3</sup>، أما "شالر" «Shaler» فقد ذكر أن الإقتصاص من التركي كان لا يتم أمام الرعية، بل يتم في بيت الآغا سرا، أما إذا كان من السكان المحليين فيشهر به ويشنق أمام العامة في ساحة عمومية، ثم يلقي على أسوار مرتفعة يلتقطه خطاف حادا من الحديد حتى يكون عبرة لغيره<sup>4</sup>.

كان الحكام العثمانيون يرفضون فكرة المساواة مع الرعية، وقد وصل ظلمهم وتعسفهم إلى حد مصادرة أملاك الرعية أحيانا<sup>5</sup>، بل وصل إلى حد التطاول على الأوقاف وخير دليل ما ذكره "الورثياني" عن مدينة بسكرة حينما دخلها الأتراك بقوله: "اجتمع عليها ظلم الأتراك، وظلم الأعراب، فكانت بينهما كالكرة... غير أن الأتراك إستولوا عليها إستلاء عظيما، وما كان من المدارس والأحباس التي توجد في الأمصار هي في أيديهم يأكلون منها وينتفعون بها..."<sup>6</sup>.

(1) - هو "الحسين" ابن محمد السعيد الورثياني رحالة ومؤرخ فقيه مال إلى التصوف، ولد ونشأ في قبيلة بني ورثيلان، ثم رحل إلى المشرق فحج وأخذ عن علماء مصر والحجاز ثم رجع إلى وطنه، من تأليفه المشهورة "نزهة الأنظار في فضل علم التاريخ والأخبار"، والذي يعرف بالرحلة الورثيانية وله تأليف كثيرة منها: "شرحه على القدسية للإمام المحقق والفهامة المدقق سيدي "عبد الرحمان الأخضرى"، ومنها شرحه أيضا على محصل المقاصد للإمام أبي العباس أحمد بن زكري، وغيرها من الشرحات والتأليف. للإطلاع أكثر راجع: الحسين بن محمد الورثياني، الرحلة الورثيانية الموسومة بنزهة الأنظار في فضل علم التاريخ والأخبار، ط 1، مج 1، مكتبة الثقافة الدينية، مصر، 2008، ص 5. وكذا Arnaud (L), « Histoire de Louali Sidi-Ahmed et -Tedjani », **R.Af**, n°5, Alger, 1861, pp 468-474.

(2) - الحسين بن محمد الشريف الورثياني، نزهة الأنظار في فضل علم التاريخ والأخبار (الرحلة الورثيانية)، تح: محمد ابن أبي شنب، مطبعة ببيير فونتانا الشرقية، الجزائر، 1908، ص 111.

(3) - رشيدة شدرى معمر، العلماء والسلطة .....، المرجع السابق، ص 160.

(4) - ولیم شالر، مذكرات.....، المصدر السابق، ص 48.

(5) - رشيدة شدرى معمر، العلماء والسلطة.....، المرجع السابق، ص 160.

(6) - الحسين بن محمد الشريف الورثياني، نزهة .....، المصدر السابق، ص 111.

وبالتالي كانت سياسة السلطة العثمانية في بايلك الغرب مرتكزة على العداء والتخوف والإحتقار للرعية والظلم مما جعل "العنتري" يصف تصرفاتهم بأنها "أعمال ناتجة عن تصرفات غير إنسانية"، فتميزوا بالإستبداد والقتل والتدمير وتبذير الأموال وإشباع الرغبات والإهتمام بالمصالح الخاصة وإهمال شؤون الرعية<sup>1</sup>.

أما الباي "شاكر" ورغم قصر مدة حكمه إلا أنه عُرف بالبطش وسفك الدماء والإستحواذ على ثروات القبائل لذا قال عنه العنتري: "شاكر باي رجل بطش تغلب عليه صلابة العجم يسفك الدماء بالباطل، ويأخذ أرزاق الناس بالغزو لا ببالي<sup>2</sup>، كما نجده ينتقد الباي محمد هو طابع أو عاصي وفي زمنه إشتهر الترك بالظلم (1817-1818م) على أنه "رجل" قليل العقل يظلم الناس، ويأخذ أرزاقهم بالباطل، وكان يمشى إلى وطن الصحراء فصدر منه الظلم والجور على ناس ذلك الوطن"<sup>3</sup>.

بسبب هذه السياسة المجحفة ضد سكان البايك إتسمت العلاقة بين الحاكم والمحكوم بالنفور وعدم الثقة والعداء، لأن الرعية كانوا محل إستغلال من طرف الحكام العثمانيون من دفع الضرائب والغرامات، معتمدين في هذا على أسلوبين للسيطرة وهما التقارب والترضية والمهادنة مع رجال الطرق وشيوخ الزوايا، وإستغلال للرعية بواسطة قبائل المخزن التي مثلت أداة بطش وتأديب لأي محاولة تمرد ومرد هذا كله يرجع إلى إفتقار السلطة المركزية لإيجاد إستراتيجية وسياسة واضحة تعمل على كسب الرعية والإندماج معهم، لكنهم تخوفوا منهم وإحتقروهم وإبتعدوا عنهم وهو مازاد حقد الرعية عليهم، خاصة بعد فرض الضرائب الجائرة عليهم.

وبالتالي فإن هذه السياسة حالت دون تحقيق إندماجهم مع الرعية، رغم توفر العامل الديني لكنهم حالوا دون ذلك بأنعزالهم عن الرعية وقاموا بينهم حواجز من الوسائط، جلهم

<sup>(1)</sup> - العنتري، فريدة مؤنسة.....، المصدر السابق، ص81.

<sup>(2)</sup> - المصدر نفسه، ص83.

<sup>(3)</sup> - المصدر نفسه، ص86.

من علماء الدين لمساعدتهم على الرعية معتبرين أنفسهم السادة، ونتج عن تصرفاتهم إنتشار السخط بين الرعية لعجزهم عن دفع الضرائب فلجأوا إلى الثورات، وبالتالي ففكرة التضامن الإسلامي التي إعتمدتها السلطة العثمانية لبسط نفوذها في الأوساط الشعبية بالتقرب إلى مرابطيهم وشيوخ الزوايا، لم تمكنهم من وضع أسس متينة لإحتكاك بالرعية، لأن هؤلاء سرعان ما شكلوا أرسنقراطية ذات أصول طبقية، كما أن الحكام العثمانيين لم يعملوا على دمج التنظيمات الإجتماعية من جماعة ومشیخات ومرابطين في نظاما واحدا وموحدا<sup>1</sup>.

### ب- سياسة التهديد والترهيب:

لم يكن أسلوب العزلة السياسة والعداء كما رأينا الأسلوب الوحدة الذي أنتهج من طرف السلطة العثمانية في إدارة بايلك الغرب، بل إستخدموا أساليب أخرى منها تجريد الحملات العسكرية عند الضرورة، ولنا في علاقة السلطة بالعلماء أحسن دليل عن توتر العلاقة بين الطرفين من الحسن إلى السيئ ومن التحالف إلى التنافر، فهذا الباي "خليل" (1185هـ 1772م)<sup>2</sup> كان يكره العلماء والأولياء، ويتوعدهم بالقتل مثلما فعل مع سيدي "المداني" بن عطاء الله الغريسي وسيدي "الحاج بن سعيد" الشقروني، وسيدي "بوترفاس محمد الساحلي"، اللذان توعدهم بالقتل، ولما عاد من سفره قتل الأولان ونجى منه "أبو ترفاس"<sup>3</sup>.

أمّا الباي "محمد المقلش" (1805-1807م) وحسب ما ذكره "فاي" "Fey" فإنه قتل 1000 شخص، وقد لقي نفس المصير من أتباع الدرقاوي وبعث برؤوسهم إلى مقر الحكم

(1) - رشيدة شكري معمر، العلماء والسلطة .....، المرجع السابق، ص 162.

(2) - خلف الباي "إبراهيم" وسلك سياسة معاكسه له خاصة فيما يتعلق بالعلماء والمشايخ، حيث كان يكرههم وينكب بهم لأتفه الأسباب، وعلى هذا الأساس نكب بالشيخ "أبي ترفاس"، والشيخ "المدني" الغريسي، والشيخ "الموفق" بن سعيد الشرناني البوشيخي، وقد توفي سنة 1778م، ودفن في قبة سيدي "محمد السنوسي" بتلمسان، وخلفه الباي "محمد" بن عثمان الكبير. ينظر: يحيى بوعزيز، وهران....، المرجع السابق، ص 96.

(3) - إين عودة المزارعي، طلوع .....، المصدر السابق، ص 288-287.



المركزي إتهمه الداوي "أحمد باشا" بإستغلال حرب درقاوة لمصادرة أملاك الرعية لصالحه والإنتقام من مشايخ ورجال الدين، ولهذا السبب حُكم عليه بالإعدام ولعل الباي الوحيد الذي عرف بسياسة صريحة إتجاه العلماء هو الباي "حسان"<sup>1</sup> آخر بايات وهران، كان يقضي على كل من يشك فيه، وقد وصل قمعه للرعية والعلماء إلى درجة الفظاعة، حيث كان مثال شنيعا في القسوة والتتكيل بأتباع الدرقاويين ظنا منه أنه الأسلوب المناسب للقضاء عليهم، فقد كان يعدم الرجل بمجرد وشاوية به أو إدعاء عليه موالاته للدرقاوي.

وفي هذا الصدد نورد قول "الزياني" حول سياسة الباي "حسن" تجاه أتباع الدرقاوي بقوله: "وصار مهما ظفر بأحد من درقاوة بادر إلى الإنتقام منه بأي نوع شاءه، ولا يقبل شفاعة شفيع وابتدع قتلا لم يبتدعه أحد من الملوك قبله...، فمنهم من كان يأمر بإخراجه إلى السوق ودق أعضائه حيا بالمعاول إلى أن يموت...، ومنهم من يأمر بإقتلاع عينه ويتركه أعمى من حينه...، ومنهم من يأمر بقطع أعضائه..."، تلك هي أنواع الأساليب الوحشية المختلفة في معاقبة المخالفين<sup>2</sup>.

### ج- سياسة التفرقة بين القبائل:

إن الأزمة الإقتصادية والعسكرية التي عانت منها إيالة الجزائر دفعت السلطة المركزية إلى تشجيع روح العداء وإذكاء التنافس بين العلماء والقبائل القوية، وبين العائلات الإقطاعية والدينية صاحبة النفوذ، وهذا من أجل مد هيمنتها على القبائل الضعيفة، وإستغلالها، بغرض الحد من عداء الثائرين ضد البايك، وإستغلال السلطة المركزية للعلماء وخاصة المرابطين لبسط نفوذهم على الرعية، بإنتهاج سياسة فرق تسد وتعميق الهوة بين

<sup>(1)</sup> - يلقب بالباهي كان الباي "حسن" طباحا لحوالي 40 جنديا من الأتراك، ثم أصبح يبيع التبغ في متجر خاص بجوار مسجد الباشا أسفل القصر الأحمر، تولى منصب قائد فليته مدة من الزمن وعندما حمل الباي "علي قارة" الدنوش إلى مقر الحكم المركزي صحبه معه وحضر عملية عزله وقتله بالمشروع أسفل مدينة مليانة، وحمل الدنوش وأوصله إلى السلطة المركزية، ثم عاد إلى بايلك الغرب ولبس قفطان التولية سنة 1817م وسلك في البداية سياسة اللين لكنه فيما بعد إعتدى على العلماء وأشتهر بأعمال سوء. ينظر: يحي بوعزيز، وهران....، المرجع السابق، ص ص 127-128.

<sup>(2)</sup> - رشيدة شدرى معمر، العلماء والسلطة .....، المرجع السابق، ص 167.

القبائل، وحتى بين العلماء أنفسهم، وهذا بتحريض طرف ضد آخر من أجل الإنقضااض على خصومهم بعد عزلهم عن حلفائهم، كما عملت السلطة على توجيه أنظار الرعية بالريف والأتباع نحو أضرحة مرابطي المدن الذين منحتهم هبات وركزت على إظهار أهميتهم حتى أصبحوا زعماء حقيقيين لأهم المدن مثل سيدي "عبد الرحمان الثعالبي" بمقر الحكم المركزي، سيدي "علي مبارك" بالقلعة، سيدي "أحمد الكبير" بالبليدة، سيدي "محمد الغبريني" بشرشال، سيدي "بن يوسف"<sup>1</sup> بمليانة... الخ، وهذا لتسهيل عملية مراقبتهم، ولنفس السبب نجدها نقلت ضريح سيدي "محمد بن عبد الرحمان" رئيس الطريقة الرحمانية من "آيث إسماعيل" إلى الحامة، وحتى المرباط سيدي "عبد الرحمان" بن شامة وذلك بسبب كثرة أتباعه بالريف، فخشيت السلطة من هذا الأمر فنقلت ضريحه هو الآخر إلى مدينة شرشال كما عمد الحكام إلى زرع الخلافات بين علماء المدن المتشددين خاصة بمدينة الجزائر.

كل هذا أدى إلى إنعدام التكامل في الجانب الديني بين ممثلي الريف، وممثلي المدن الذين أدانوا التعليم بالزوايا الريفية، وحكموا على القائمين عليها بالضلال، وما الفتوى التي أصدرها علماء مدينة الجزائر حول تعليم رئيس طريقة الرحمانية لدليل على نجاح سياسة التفرقة التي إنتهجتها السلطة العثمانية في البايك، وهذا ما سمح لها بتخفيف دور المرابطين المعادين، وهذا حتى لا يحدث أي إتحاد بينها قد يهدد إستقرارها، لذا كانت تلجأ إلى خلق نزاعات بين القبائل، وما الصراع الذي حدث بين بني صالح وبني مسعود حول الأرض التي شيد عليها ضريح المرباط سيدي "محمد" الغريب لدليل على سعي السلطة إلى إثارة الفتن بين الأطراف النافذة في المجتمع ببايلك الغرب.

حتى تقرب الحكام من العلماء ولد تنافسا بينهم حول الوظائف الأمر الذي أدى إلى إنتشار الرشوة والإستهتار والتساهل في أمور الدين والتعدي على الأوقاف، التي غالبا ما كانت سببا في عزل ونفي أو قتل العلماء، وقد أشار "تواتي" "Touati" إلى أن هذا التنافس

<sup>(1)</sup> - رشيدة شكري معمر، العلماء والسلطة .....، المرجع السابق، ص 175.

ظهر كأنه صراع مذهبي المناظرات التي كان يقيمها الحكام مع العلماء كانت بغرض إحداث الشقاق بينهما<sup>1</sup>، إن الهدف الرئيسي من تطبيق هذه السياسة بغرض منع أي توافق بين القبائل، وقد لعبت الطرق الصوفية دورا بارزا في حياتها اليومية، وهذا تقاديا لإتحادها وظهور لديها نزعة الروح الوطنية، وما ساعد على إثارة هذه المنازعات التنافر الذي كان بين العلماء والطرق الصوفية.

بالإضافة إلى هذه الإجراءات التي إتخذتها السلطة ضد القبائل والعلماء، عمد الحكام إلى نزع الإمتيازات خاصة من الطرق الصوفية والمرابطين حيث أن بعض الحكام من مد يده على الأراضي أو المناطق التي كانت تابعة لقطاع الديني المحلي، وهذا كان سببا في تراجع التحالف بينهما الذي كان مقيدا بالنفوذ والتأثير والقوة المادية، لهذا الأخير، ومن بين المرابطين الذين حرم من إمتياز الإعفاء الضريبي نجد المرابط "الزبوشي" الذي كان على إتصال بإبن الأحرش، إنتزعه منه الباي "عصمان" حق الإعفاء من الضرائب وإمتيازات أخرى يتساوى فيها مع غيره من المرابطين، معتقدا أن العقوبة تمنعه من تحريض الأهالي، فقد قصده "الزبوشي" إلى قسنطينة وطالبه بإعادة ما سماه حقه الشرعي<sup>2</sup>، لكنه فشل في مسعاه فارتحل إلى الجبال وانضم إلى "إبن الأحرش"، فنجد كثيرا من الحكام العثمانيون إعتمدوا هذا الأسلوب من أجل الضغط على العلماء والرعية<sup>3</sup>.

#### د - أسلوب التفاوض دون إستخدام قوة البايك:

إن من أهم إستراتيجية السلطة المركزية في سياسة بايلك الغرب هو الإعتماد على أساليب سلمية أقل تكلفة كالتفاوض، وقد أستخدمت السلطة هذا الأسلوب عادة في المناطق المؤمنة والقريبة من مدينة معسكر قاعدة البايك آنذاك التي إشمملت على فحوص، والتي هي مضارب القبائل المتعاملة مع أهل معسكر يمتد هذا المجال المؤمن من عاصمة الحكم

<sup>(1)</sup> - رشيدة شكري معمر، العلماء والسلطة .....، المرجع السابق، ص 176.

<sup>(2)</sup> - المرجع نفسه، ص 177.

<sup>(3)</sup> - المرجع نفسه، ص 178.

حتى المرحلة السابعة، وهي خنيق الملح لذلك فرجال البايك عند قصدهم لهذه المناطق يقضون نصف طريقها في فحوص ومجالات حليفة وخاضعة للسلطة المركزية إذا كانت مكلفة بحماية رجال البايك مقابل ما تجنيه من غنائم.

والجدير بالملاحظة أنه كلما إنتصبت المحلة داخل مناطق هذه القبائل إلا ويلتحق بها شيوخها وقوادها ويقدمون للباي ثمرة الضرائب التي يشترطها عليهم، وبخصوص مجموعة الأحرار وهي مجموعة قبلية متميزة، لا تدفع للسلطة سوى ضريبة الخيل فهي تلتحق برجال البايك في مرحلة البيضاء وتدفع هنالك للباي الخيل الذي اشترطها عليها.

كانت قبائل الأحرار مثلا توفير كل ما يحتاجه رجال البايك من الإبل، والتي قد يبلغ عددها خمسمائة جمل، يستخدمها رجال البايك لنقل العلف والماء وموارد الضريبة والغنائم، ثم تسترجع قبائل الأحرار تلك الإبل عند رجوع المحلة إلى عاصمة البايك<sup>1</sup>.

لعل أهم مثال على هذا الصنف من التفاوض هو ما حصل بين رجال البايك وأهل عين ماضي في الجنوب الغربي، حيث بدأت عملية التفاوض بإبراز أقصى مظاهر الخضوع السلطة الباي وانتهت بإتفاق تام بين الطرفين دون حاجة لإستخدام أي وسيلة عسكرية فقد خرج أهل عين ماضي بنسائهم وعلمائهم مقدمين النساء أمامهم، ولما دخلوا رجال البايك أمر السلطان من أوقف النساء بمكان بعيد عن فسطاطه وأذن للعلماء بالتقدم وتم الإتفاق بأن جعل الباي لأهل عين ماضي لزمة سنوية وهي قطعة من الخيل والدرهم والإبل، كما قدم الباي لنساء كبراء عين ماضي سوار فضة لكل منهن.

كما إستخدم رجال البايك أساليب أخرى للتفاوض لا نملك عنها معطيات دقيقة لكننا نستنتجها من النصوص التي يوردها المؤرخون المعاصرون لبايات وهران مثل التلمساني أو صاحب كتاب دليل الحيران، ومن أبرز هذه الوسائل السلمية إستخدام التبادل التجاري وإثارة الطمع في الأرباح المتأتية من بيع غنائم رجال البايك، وفي هذا الشأن يذكر

<sup>(1)</sup> - أحمد ابن الهطال التلمساني، رحلة... ..، المصدر السابق، ص 39 .

التلمساني أن أهل تاجموت استقبلوا رجال البايك قبل وصولهم إليهم وعرضوا عليهم العلف والضيافة شريطة بقائها أطول مدة بين ظهرانهم، وكان ذلك بسبب ترقبهم الإستفادة من السوق الذي ينصبه الباي قرب واحتهم<sup>1</sup>.

إستفادة قبائل المخزن ثمانية رؤوس من الأغنام بريال بوجو، والبقرة أربعة رؤوس بريال بوجو، ومع ذلك لا يدفعون لهم دينار ولا درهما وإنما يدفعون لهم البرانس والحياك والتمر... ، أما الباي وفي إنتظار انقضاء السوق ركب يتصيد كما كانت عادته كل يوم<sup>2</sup>، فرجال البايك يستخدمون الأسواق لمشاركة قبائل البايك في مزايا الغنائم والضرائب ولتكريس خضوع هذه القبائل لسلطة الباي، وتأمين طرق قوافلها التجارية المتجهة نحو عاصمة بايلك الغرب بعد مرورها في إقليم الصحراء<sup>3</sup>.

#### هـ - سياسة القوة وتجريد الحملات العسكرية:

إستعملت السلطة المركزية في بايلك الغرب القوة العسكرية لتدمير المداشر الحصينة وإتلاف الأمتعة والزرع حتى تضطر القبيلة العاصية تحت وطأة الإضطهاد وسوء الأحوال إلى المهادنة والخضوع، وفي حالة تعذر السلطة في إخضاع هذه القبائل فإنها تلجأ إلى تشتيها وتجريدها من أراضيها الخصبة مثلما حدث لقبيلتي الأمحال والسويد بجهات الشلف ووهران<sup>4</sup>، ورغم هذه السياسة المنتهجة إلا أن ذلك لم يضع حدا لحركات التمرد التي كانت تشن هنا وهناك، حيث كانت قبيلة سويد في صراعا دائما مع السلطة فتعرضت للعديد من الغارات وفرض عليها الكثير من الضرائب، كما كانت قبيلة الأنجاد كلما حان موعد إستخلاص الضرائب توجهوا إلى الأراضي المغربية ثم يعودون ويقطعون الطريق لذا قام الباي "محمد الكبير" بمهاجمتهم<sup>5</sup>.

(1) - محمد الحبيب العزيمي، ظاهرة الحكم المتجول .....، المرجع السابق، ص 113.

(2) - أحمد ابن الهطال التلمساني، رحلة... ..، المصدر السابق، ص 37-38.

(3) - محمد الحبيب العزيمي، ظاهرة الحكم المتجول .....، المرجع السابق، ص 114.

(4) - ناصر الدين سعيدوني - المهدي البوعبدلي، المرجع السابق، ص 109-110.

(5) - Julienne(M), " Les Rir'a de .....", op. cit, pp 284-285.

إن ما ميز قبائل بايلك الغرب طوال فترة الحكم العثماني هو عدم تمكن السلطة المركزية من إخضاعها بصفة نهائية فبعد تحويلها إلى قبائل مخزنية عن طريق القوة سرعان ما تعود من جديد إلى وضعها الأصلي بمجرد شعورها بضعف الإدارة مما كان يرغم البايات على استعمال القوة ضدها لإجبارها على دفع الضرائب<sup>1</sup>.

كما أشتهر الباي "شعبان" بالحملة العديدة على القبائل والتي قادها ضد الكفار والقبائل الحليفة للإسبان في مقاطعته واشهر تلك الحملات التي سقط فيها شهيدا سنة 1686م<sup>2</sup>، أما فترة حكم الباي "محمد بن عثمان" 1779-1796م فتعتبر من أهم الفترات التي فرضت فيها السلطة المركزية وجودها في بايلك الغرب إذ قام الباي "محمد الكبير" بإخضاع قبائل الحشم لإدارته وحولها إلى قبائل مخزنية، كما أرغم بالقوة العسكرية قبائل فليته والأحرار وحميان وسويد وعمور وجبل راشد على دفع الضرائب<sup>3</sup>.

<sup>(1)</sup> - دغموش كاميلية، قبائل الغرب .....، المرجع السابق، ص 120.

<sup>(2)</sup> - محفوظ قداش، الجزائر في العهد .....، المرجع السابق، ص 184.

<sup>(3)</sup> - Gorguos (M), " Notice Sur le Bey .....", op. cit, p412.

### 1-3- السلطة المركزية ومراقبة مجال البايك-الوسائل والأجهزة التنظيمية:

#### أ- مقدمة المحلة:

تتقدم المحلة أو تسبقها فرق تسمى بفرق الطوالع، وهي فرق تقوم بركوب الخيل وإستكشاف طريق المحلة، وتبحث عن أماكن تواجد القبائل المطلوبة لدى المحلة فهي ركيزة أساسية للسلطة المركزية خاصة في الأرياف، وذلك مقابل إعفاء هذه القبائل من الضرائب وتقديم ترضيات بنسب متفاوتة من منتج الغنيمة<sup>1</sup>، بالتالي فإن المهمة الأساسية لفرق الطوالع هو العمل على إعطاء الضوء الأخضر للمحلة في ملاحقة قبائل البايك ذات الثروة والغنائم الكبيرة حتى يغنموا منها<sup>2</sup>.

#### ب- قبائل المخزن:

مثلت هذه الفرقة المخزنية العمود الفقري الذي إعتمدت عليه السلطة المركزية في بايلك الغرب، كانت تراقب كل مداخل البايك وتلتقي مع المحلة في<sup>3</sup> محطة واد العبد، وفي هذه المحطة كان الباي يقوم بتموين هذه الفرق بما تحتاجه كالعلف ويزودها بالخيول والإبل، فهي تنتقل على حساب الباي وتشتغل لفائدتها، كما إنضمت إلى قبائل المخزن فرق القبائل التي تحمي طريق المحلة، وتراقب المجموعات المتحيلة وتساعد الباي على تحديد منازل القبائل المتهربة.

والجدير بالملاحظة فإن الباي كان ينتقي فرسان ومشايخ هذه القبائل المخزنة بدقة لتدخل في موكبه، وهي فرق مخزنية لم تكن تتقاضى أجرا على خروجها في فرقة المحلة، بل يفرض عليها الباي، توفير كل ما تحتاجه المحلة من علف وضيعة، كما تتكفل هذه الفرقة بالمهام الجبائية الصعبة والسفارات الخطيرة، حتى تجمع منها مقابل ما دفعته، ومن

<sup>(1)</sup> - محمد الحبيب العززي، ظاهرة الحكم المتجول .....، المرجع السابق، ص 107.

<sup>(2)</sup> - أحمد ابن الهطال التلمساني، رحلة... ..، المصدر السابق، ص 39.

<sup>(3)</sup> - محمد الحبيب العززي، ظاهرة الحكم المتجول .....، المرجع السابق، ص 105.

أهم قبائل المخزن في بايلك الغرب نذكر قبائل دواير البرجية<sup>1</sup> قبائل الفليقة شقران وأولاد أحمد أولاد سلامة وأولاد عباس وأولاد خويدم... الخ.

### ج- مفرزة قائد فليقة:

يتأخر ميمنة المحلة قائد قبيلة الفليقة، وهو عادة ما يكون ابن الباي أو أحد أفراد عائلته، وتتكون هذه الميمنة من فرسان قبائل الأحرار القادمين من شرق البايك وغربه، وهم زمالات مخزنية يقودها أعيان يركبون مع المحلة ويكونون كوكبة من الفرسان تتبعهم الإبل والبغال الحاملة لخيامهم وأغراضهم الضرورية تسير هذه الكوكبة على يمين موكب الباي، وأغلبها قبائل مخزنية لا تدفع من الضرائب سوى أداء الخيل، كانت تدفعه قبل خروج المحلة أو تصرفها لها في الطريق كلما احتاجت إليه، كما توفر الإبل اللازمة لنقل الأمتعة والمستلزمات اليومية كالماء والعلف.

### د- مفرزة خليفة الباي:

أما الميسرة فيتأخرها خليفة الباي الذي يشترك معه في جمع أموال الضرائب وينوب عنه في الرحلة إلى مقر الحكم المركزي لدفع أقساط اللزمة أو الدنوش كما أوضحنا ذلك سابقا، وتتألف الميسرة من فرق البرجية وفرق المكاحلية وفرسان قبائل الحشم وقبائل المجاهر وقبائل بني شقران وقبائل بني عامر، كما تدخل في الميسرة كذلك فرسان العمور وأولاد يعقوب وأولاد خليف<sup>2</sup>.

يصل عدد فرسان هذه الفرق المتشكلة من المجموعات القبلية إلى 6000 فارسا، حيث يقوم الباي بتوزيع هذه الأقوام والزمالات على القواد والآغاوات حسب رغبته فينتشرون في أرجاء البايك متجولون طيلة أربعة أشهر كاملة كسلطة فرعية متجولة ويذكر أحد

(1) - يخبرنا "ابن عودة المزاري" عن البرجية بقوله: وأما البرجية فإنهم ليسوا بملتقطين، وإنما هم عمومية في القولة البرجية، ومنهم قايد العرش بالتحقيق، ويندرج تحت رئاستهم في دولة الأتراك سجرارة وخلافة والحوارث وجل صدامة، وكانت الرئاسة مأسلة فيهم في النقابية والبلاغة، وأكثرها في النقابية. ينظر: ابن عودة المزاري، طلوع سعد..... ج2، المصدر السابق، ص 325.

(2) - محمد الحبيب العزيري، ظاهرة الحكم المتجول .....، المرجع السابق، ص 106.



الرحالة الذين عاشوا في بايلك الغرب أن فرق الباي كانت<sup>1</sup> تتوزع على الأوطان وتنتشر في شكل مفارز يقود بعضها قائد مليانة وبعضها الآخر قائد الفليطة أو الخليفة، وكل واحدة من هذه المفارز عبارة عن محلة مصغرة أو مخزن مصغر<sup>2</sup>.

#### هـ - الجند الإنكشارية:

إستعانة السلطة المركزية في بايلك الغرب بالجند الإنكشارية التي كانت تتكون من المجموعات العسكرية تتراوح أعدادها ما بين عشرين إلى ثلاثين بولكباشي، وبين أربعمئة إلى ستمئة يولداش، وذلك حسب طلب باي الغرب أو خليفة مخزنه حينما يذهب إلى مقر الحكم المركزي لتقديم لزمة البايلك وهدايا إلى أرباب الدولة هنالك، حيث يقوم داي الجزائر بإرسال على رأس هذه المحلة الإنكشارية شاوش نائبا عنه، كما يرسل آغا الديوان وهو ضابط سامي يمثل ويرأس المحلة الإنكشارية يسمى آغا المحلة.

والجدير بالذكر فإن كل خيمة تكن منظمة تنظيمها ملائما للقوانين الإنكشارية المعهودة عند السفر، إذ يشرف ضابط برتبة بولكباشي<sup>3</sup> على كل خيمة ويساعده ضابطا صف وهما وكيل الحرج والعشى المكلفين بالمؤن والمستلزمات، أما الجنود من اليولداش فتتمثل وظيفتهم في تنظيم الخيام ونقلها عند السفر ثم نصبها عند الإقامة.

كانت تخرج هذه المفزة من مقر الحكم المركزي في بداية الربيع وتتضم إلى محلة بايلك الغرب تجوب معها أوطان البايلك، ويتواصل تجوالها حتى ينتهي موسم الحصاد فتشرع في عودتها إلى مقر الحكم المركزي.

<sup>(1)</sup> - محمد الحبيب العزيري، ظاهرة الحكم المتجول .....، المرجع السابق، ص 106.

<sup>(2)</sup> - المرجع نفسه، ص 107.

<sup>(3)</sup> - يسمى أيضا برئيس الرفقاء، ويعتبر بمثابة النقيب تعني بولكباشي رأس الجماعة بالعربية، كان يعتبر ضابطا ساميا يوليه الأغا مهمة قيادة النوبة أو إحدى محلات الجيش، وكان البولكباشي يحظون بنفوذ واسع في صفوف الأوجاق. ينظر: توفيق دحماني، دراسة في عهد الأمان.....، المرجع السابق، ص 22.

تستند هذه الفرقة على الحاميات العسكرية المرابطة بوهران ومعسكر ومستغانم، وحينما تصل محلة جند الترك إلى قاعدة البايك تدخل تحت أوامر خليفة المخزن الذي هو مكلف بتوفير حاجاتها ونقل معداتها خاصة الثقيلة منها كالمدافع، فهي فرقة مشاة حاملة للأسلحة النارية لا يمكنها الإسراع في السير مثلما هو شأن الفرق المحلية المتكونة من فرسان الدوائر والمخزن، لذلك فقد تتفصل عن محلة المخزن في الطريق وتتخذ طريقا موازيا لها<sup>1</sup>.

أما وظيفة جند الترك داخل المحلة هو ترهيب القبائل وتهديدها، وتدعيم فرسان المخزن عند الغزوات بما يملكونه من مدافع وأسلحة نارية يختصون بها دون غيرهم، وقد يضطر الباي إلى إبعاد منازل جند الترك عن الرعية حتى لا يلحقون بها أضرارا.

وتجدر الإشارة أن علاقة الباي بهؤلاء الجند كانت مبنية على الريبة والحذر فالباي بإعتباره ممثل سلطة الداوي، لا يملك حرية التصرف على جند الترك، وليس له أي سلطة بدون إستشارة الداوي في مقر الحكم المركزي، فالبولداش كانوا موضع حصانة وخارجين عن دائرة سلطة الباي لا يخضعون إلا لحكم آغا محلته، لذا نرى الباي شديد الحذر من جند الترك إذ يحيط فسطاطه بالقوى المخزنية الخاضعة مع تشديد الإحتياط عند إختيار مواضع نزول المحلة وترتيب مواقع نصب خيام كل فرقة من الفرق المكونة لها، وحسب بعض الكتابات الأجنبية التي إعتمدت على معلومات من العناصر المتبقية من المخزن الغربي، فإن المحلة كانت تقيم أربعة أشهر تجوب كامل أرجاء البايك من نهاية الصيف إلى بداية الشتاء ثم تجتمع القوى المخزنية حول مدينة مليانة، ويرجع جند الترك إلى مقر الحكم المركزي، وأهل المخزن إلى قبائلهم والقواد والخليفة إلى مدنه، والباي إلى عاصمة البايك<sup>2</sup>.

(1) - محمد الحبيب العزيمي، ظاهرة الحكم المتجول .....، المرجع السابق، ص 107.

(2) - المرجع نفسه، ص 108.

## 2- العلاقة العسكرية بين السلطة المركزية مع بايلك الغرب:

### 2-1- موقف السلطة المركزية من حدود البايك مع المغرب الأقصى:

تعتبر مسألة الحدود بين بايلك الغرب والمغرب الأقصى مشكل قديم يعود إلى زمن الدولتين الزيانية-المرينية وإستمر إلى غاية العهد العثماني في الجزائر والدولة السعيدية<sup>1</sup> بالمغرب الأقصى، فقد حاول السعديين التوسع مرارا في الجهة الشرقية على حساب مناطق بايلك الغرب، وذلك بشن حملات قادها المخزن ضد البايك، لكن السلطة المركزية وقفت بالمرصاد ضد هذه الحملات<sup>2</sup>.

كانت العلاقات بين الأيالة الجزائرية والمغرب تمتاز بالتنافس الشديد خلال المرحلة الأولى من تأسيس الحكم العثماني بالجزائر، كان أساس الخلافات في القرن 16م تدور حول مراقبة تلمسان والمناطق المحيطة بها، والجدير بالذكر فإن سلاطين المغرب وقفوا حجرة عثرة أمام توسعات السلطة المركزية في غرب الأيالة الجزائرية، وكان هدف السلطة العثمانية من هذه المشاريع التوسعية هو تحقيق السيطرة على طريق الذهب الذي يربط المغرب ببلاد السودان<sup>3</sup>.

<sup>(1)</sup> - الدولة السعيدية (1065-956هـ) - (1549-1654م): أسستها أسرة علوية من الأشراف الحسنيين في المغرب أحدث زوال الدولتين المرينية والوطاسية فراغاً سياسياً في المغرب، فرأى الناس ضرورة الالتفاف حول أبي عبدالله محمد القائم بأمر الله في منطقة السوس، والذي ينتهي نسبه إلى علي بن أبي طالب أصله من الحجاز هاجر إلى المغرب في القرن التاسع الهجري الخامس عشر الميلادي، قامت الدولة السعدية وسط كثير من الأعداء المتربصين من بقايا الوطاسيين والبرتغاليين والأسبان والأتراك العثمانيين، وتمكنت من صدهم جميعاً، ثم تغلغت في عهد المنصور الذهبي (ت1012هـ، 1603م) إلى بلدان غربي إفريقيا، إلى أن وضعت يدها على دولة صنغي الإسلامية في غربي إفريقيا (999-1028هـ، 1590-1619م)، ظناً منها إمكانية السيطرة على مناجم الذهب في تلك المناطق والسيطرة على طرق التجارة الصحراوية. ينظر: أحمد مهديد الشويخات، الموسوعة العربية العالمية الإلكترونية، 2004.

<sup>(2)</sup> - المكي جلول، مسألة الحدود بين الجزائر والمغرب 1234-1847م، مذكرة الماجستير، معهد التاريخ، الجزائر، 1993، ص 105.

<sup>(3)</sup> - حنفي هلايلي، أوراق في تاريخ الجزائر.....، المرجع السابق، ص 54.

قام السعديون بتوجيه حملة في سنة 1549م إلى شرق المغرب الذي أخذ النفوذ العثماني ينفذ إليه، وتمكن الأتراك العثمانيين من الإستلاء على مدينة وجدة، حيث أضطر الحاكم العام لهذه المدينة إلى الفرار منها.

تمكن السعديون من الإستلاء على تلمسان في سنة 1550م دون أي مقاومة من حاميتها العثمانية التي كانت تتألف من 2000 جندي فقط، والتي إستسلمت لهم<sup>1</sup>، وقد حذرت السلطة المركزية العثمانية الملك المغربي بعدم تجاوز الحدود بـجبال ملوية، وأمام تعنت السلطان المغربي شن "الصالح رايس" هجوما على المنطقة وإستطاع أن يلحق بهم هزائم<sup>2</sup>، وذلك في شهر جانفي 1554م<sup>3</sup>، كما قامت السلطة العثمانية بشن العديد من الحملات على مدينة فاس، وذلك في ولاية "رمضان باشا"، حيث تمكنت السلطة المركزية الإستلاء على فاس سنة 1575م، وتم تنصيب "عبد الله أبي مروان" المعتصم بالله الذي كان قد إستنجد هو وأخوه "أبو العباس" بالعثمانيين ضد "محمد المتوكل على الله" ابن أخيها<sup>4</sup>.

وهنا إضطر ملوك المغرب الأقصى إلى توظيف اللقب والنسب الشريف لخدمة مصالحهم التوسعية مستغلين الطرق الصوفية التي كانت تشجع سلاطين المغرب في إستمالة العائلات الكبرى التي تتمتع بنفوذ روحي في إيالة الجزائر<sup>5</sup> لذا ضايقته السلطة العثمانية الأشراف العلويين<sup>6</sup> في النصف الأخير من القرن السابع الهجري،

<sup>(1)</sup> - دغموش كاميلية، قبائل الغرب الجزائري .....، المرجع السابق، ص 122.

<sup>(2)</sup> - Berbrugger (A), « Des Frontières ..... », op.cit, p414.

<sup>(3)</sup> - دغموش كاميلية، قبائل الغرب .....، المرجع السابق، ص 122.

<sup>(4)</sup> - ابن المفتي، تقييدات .....، المصدر السابق، ص ص 42-43.

<sup>(5)</sup> - حنفي هلايلي، أوراق .....، المرجع السابق، ص 314.

<sup>(6)</sup> - الدولة العلوية 1050 هـ - 1640م: عرفت بالفلاية نسبة لقيام دعوتها في بادئ الأمر ببلدة تافيلالت المغربية عاصر العلويون الدولة السعدية، وتمكنوا من إعادة وحدة البلاد بعد أن تمزقت في عهد السعديين، وخاضوا من أجل ذلك معارك داخلية وخارجية، وردوا عن المغرب خطر العدوان الأوروبي، تمكن سلاطين هذه الدولة من وضع يدهم على المدن الساحلية، مثل المهدية وطنجة والعرائش وأصيلا، بعد أن كانت تحت النفوذ الأسباني والبرتغالي والإنجليزي=

فصارت تتدخل في شونهم الداخلية كما كان ذلك في عهد السعديين<sup>1</sup>، لقد سعى سلاطين المغرب دائماً إلى توسيع نفوذهم شرقاً، وهذا ما تجلّى في تكثيف الحملات العسكرية خصوصاً في بدايات الحكم العلوي، وهو ما كان بايات الغرب الجزائري على وعي كبير به طيلة القرن السابع عشر ومطلع القرن الثامن عشر؛ لأنّ هذه الفترة تميزت بالصراع والتوتر في العلاقات المغربية مع بايلك الغرب.

في سنة 1651م قاد "مولاي محمد" بهجوماً عسكرياً على منطقة وجدة حيث وصل إلى غاية مدينة ندرومة وأخضعها لسلطته، لكنه رجع إلى وجدة بعدما إقتنع بفكرة ترسيم الحدود بين المغرب وبايلك الغرب، لكن العلويين ظلّوا مقتنعين بإمكانية ضمّ مناطق على الواجهة الشرقية، وهو ما تجلّى كذلك في كثرة الحملات العسكرية على بايلك الغرب الجزائري خاصة في عهد "مولاي رشيد" و"مولاي إسماعيل" حيث أن هذا الأخير قاد هجوماً على بايلك الغرب بين سنتي 1678م و 1679م ووصل إلى غاية الشلف في المنطقة المسماة بـ: "زبوجة الوسط"، أراد أن يجعل من وادي تافنة حدوداً له لكنه لم يستطع ذلك<sup>2</sup>.

أما في سنة 1691م، وجه "مولاي إسماعيل" جيشاً بقيادة ابنه "زيدان" إلى الأراضي الجزائرية لردع قبائل بني عامر الذين كانوا يعرضون خدماتهم للعثمانيين تارة وللخزن المغربي تارة أخرى فرد "الداي شعبان" (1688-1695م) على هذا التعاون بإرسال حملة أدت إلى إنهزام السلطان "مولاي زيدان" مما أضطره للتراجع إلى فاس<sup>3</sup>، وفي السنة الموالية 21 أوت 1692م، عُقد الصلح<sup>4</sup>، وفي هذا الصدد يذكر صاحب كتاب التحفة المرضية:

=وزاحموا الأتراك في المغرب الأوسط (الجزائر)، ومدوا نفوذهم داخله حتى وادي شلف، وما لبثت الدولة أن خاضت معارك ضد المستعمرين، وتعتبر حرب الريف تحت قيادة عبد الكريم الخطابي من أهم هذه الحروب. ينظر، أحمد مهديد الشويخات، الموسوعة العربية العالمية الإلكترونية، 2004.

<sup>1</sup> – Haedo, Histoire des Rois d'Alger, Alger, tr par: de Grammont, Ajourdan, p161.

<sup>2</sup> – دباب بومدين، بايلك الغرب الجزائري .....، المرجع السابق، ص 65.

<sup>3</sup> – دغموش كاميلية، قبائل الغرب الجزائري .....، المرجع السابق، ص 125.

<sup>4</sup> – Devoulx (A), Tachrifat Recueil de....., op.cit, p110.

"أن السلطان "مولاي إسماعيل"، عندما كان ذاهبا إلى الخيمة التي نصبت من أجل إبرام عقد الصلح كانت يدها مكتوفتين، وذلك إشعار بإستسلامه وخضوعه وعندما وصل أمام الخيمة قبل الأرض ثلاث مرات ثم دعا الله أن يستره وأردف قائلاً للداي: أنت خنجر وأنا لحم فإن شئت قطع فلم ينله مكروه من الداوي بيد أنه شرط عليه شروطا عجز عن تنفيذها فيما بعد"<sup>1</sup>.

كان "مراد باي" على إتفاق مع "مولاي إسماعيل" سلطان المغرب الأقصى في حملته على الشرق الجزائري كان الإتفاق يقضي بضرب الجزائر شرقا وغربا في رسالة له، يذكر القنصل الفرنسي في الجزائر أن "الحاج مصطفى" خرج يوم 11 أفريل 1701م من الجزائر مع كل قواته لمحاربة "مولاي إسماعيل" الذي وجد في أراضي هذه المملكة منذ ما يقرب من الثلاثة أشهر" توقعت الرسالة أن يحدث الأتراك مجزرة في صفوف الجيش المغربي هذا ما وقع بالفعل، فقد مني الجيش المغربي بهزيمة نكراء وجرح "مولاي إسماعيل" وكاد أن يقع في أيدي الأتراك الذين رجعوا إلى الجزائر يحملون ثلاثة آلاف رأس من رؤوس الجند، في هذه الحملة نُصب "مصطفى بوشلاغم" على رأس بايلك الغرب"<sup>2</sup>.

ب وفاة "مولاي إسماعيل" سنة 1727 إنتهت حقبة من العداء والحذر في علاقات المغرب الخارجية مع بايلك الغرب الجزائري خاصة والدولة العثمانية عامة، وبدأ التغيير تدريجياً من التوتر والمواجهة إلى المهادنة والتعاون، ويتجلى ذلك بداية في التبعية التامة التي أعلنها السلطان "مولاي عبد الله" للباب العالي في رسالة تقول: ".....وأنا أخطب بك في مساجد الجمعة والأعياد كما فعل والدنا مع أسلافكم الجياد، ولو أن الغرب صعب المرام، لاستعملت أقدام الأقدام إلى حضرة ذلك الهمام فهو جدير أن يجعلني من أحبائه وأن يحمل عليّ من هذا الخطب عظيم أعبائه ولبذلت المجهود المقصود"<sup>3</sup>.

(1) - محمد بن ميمون، التحفة المرضية في.....، المصدر السابق، ص 24.

(2) - صالح عباد، الجزائر خلال .....، المرجع السابق، ص 149.

(3) - دباب بومدين، بايلك الغرب الجزائري .....، المرجع السابق، ص 66.

خلال النصف الثاني من القرن الثامن عشر إنقلبت العلاقة بين الطرفين في مسارها، وذلك بعد تولّي السلطان "مولاي محمد" بن عبد الله الذي أنتهج سياسة إنفتاحية شاملة مع السلطة العثمانية فأصبح التضامن الإسلامي هو المؤطر الجديد للعلاقات المغربية العثمانية، وفي هذا الإطار أعطي السلطان "محمد بن عبد الله" لسياسة الحوار مع بايات الغرب الجزائري الأسبقية على الحرب<sup>1</sup>.

أمّا في عهد السلطان "مولاي سليمان" فقد شهدت علاقات السلطة المركزية مع المغرب نوعا من التراجع في مجال التعاون، بسبب سياسة الإحتراز والإنغلاق التي سلكها هذا الأخير في علاقاته الخارجية، حيث بدا بتوطيد حكمه والقضاء على الثورات التي كانت مشتتة في بلاده، واستغلت السلطة العثمانية تلك الإضطرابات فقامت بضمّ إقليم وجدة وقام الباي "محمد الكبير" بجباية ضرائبها سنة 1796 ، فكان رد فعل السلطان "مولاي سليمان" أن بعث بعساكره إليها وبعث برسالة إلى الباي ليتخلّى عنها وعن قبائلها التي كان يتصرف فيها، فامتثل الباي وكتب لنائبه أن يتخلّى عنها، وأوضح للسلطان المغربي أنّ عمله ذلك كان مقصوداً، وذلك بإشغال سكان وجدة على عدم الثورة عليه مثما ثارت عليه الشاوية<sup>2</sup>.

وإذا كان الصراع بين المغرب والسلطة العثمانية قد أظهر العلاقة بينهما متوترة للغاية في الغالب على الحدود، فإن ذلك لم يمنع أبدا من قيام علاقة إقتصادية وإجتماعية بين سكان البلدين، حيث كان للفاسيين دورا هاما في النشاط التجاري والحرفي بمدينة تلمسان، وكانت القبائل القاطنة على الحدود يعامل بعضها بعضا من خلال البيع والشراء والمصاهرة، لكن هذا لم يمنع أيضا من تكرار حدوث المشاكل بينها بسبب المناطق<sup>3</sup>.

<sup>(1)</sup> - دباب بومدين، بايلك الغرب الجزائري .....، المرجع السابق، ص 66.

<sup>(2)</sup> - المرجع نفسه، ص 67.

<sup>(3)</sup> - دغموش كاميلية، قبائل الغرب الجزائري .....، المرجع السابق، ص 125.

وباختصار فإن ما ميز قبائل بايلك الغرب الجزائري طوال فترة الحكم العثماني هو عدم تمكن السلطة المركزية من إخضاعها كلها بصفة نهائية، فقد عانت الإدارة المركزية منذ بداية وجودها في المنطقة الغربية للأقاليم من موقف بعض القبائل المعادي لها، وتعود أسباب فشل السلطة المركزية في فرض سلطتها في بايلك الغرب إلى كثرة المنافسين لها وتأثير سلاطين المغرب الأقصى الذين كانوا يحرضون المناطق الحدودية الغربية ضد السلطة العثمانية كما كانوا يتبادلون الحملات العسكرية مع الحكام الجزائريين، وقد شجعت هذه العوامل بعض قبائل الغرب الجزائري على عدم الخضوع للسلطة المركزية، مما فسح المجال لتمرّد الزوايا والمرابطين وحتى بعض البايات ضد الحكم المركزي<sup>1</sup>.

<sup>(1)</sup> - دغموش كاميلية، قبائل الغرب الجزائري .....، المرجع السابق، ص 127.



## 2-2- إنتفاض رجال الزوايا على السلطة "ابن الشريف الدرقاوي" <sup>1</sup> أنموذجا

ينسب المؤرخون الثورة الدرقاوية بالغرب الجزائري إلى "محمد بن عبد القادر بن الشريف الفليتي" الذي يعود أصله إلى قبيلة "كسانة" القاطنة بوادي العبد، أما مسقط رأسه قرية "أولاد بليل" ثم التحق بغريس وتلقى العلم بمعهد القيطنة التابع للطريقة القادرية، الذي كان يرأسه الشيخ محي الدين والد الأمير عبد القادر <sup>2</sup> ينتسبون إلى الشيخ العربي الدرقاوي المغربي <sup>3</sup>.

ظهرت هذه الثورة في عهد الباي "مصطفى المنزالي" <sup>4</sup>، فكثر أتباعه خاصة من القبائل الصحراوية وزاد إحترامهم وتقديرهم له، وتوالت عليه الهدايا والهبات، وكلما كانوا يلتقون به يشكون له ظلم السلطة العثمانية وجورهم، فكان يعدهم بالفرج القريب حاثهم على الصبر ومؤكد أن ذلك الوضع لن يدوم <sup>5</sup>، وخلال إقامته عند شيخه زعم له بأن الأتراك بالجزائر كفر لا يصومون ولا يصلون ويظلمون الرعية ويهينون العلماء والأولياء وصورهم

(1) - هو عبد القادر ابن الشريف الدرقاوي الفليسي من بطن أبي الليل المتفرعة عن قبيلة كناسة، درس ابن الشريف بمسقط رأسه بعدها التحق بزاوية القيطنة بعدما أخذ قسطا من علومها على يد مشائخها وعلمائها كالشيخ محي الدين، ثم إنتقل إلى المغرب الأقصى فأخذ عن علماء فاس وأجيز من قبلهم، ثم إنتقى بالشيخ مولاي العربي الدرقاوي بزاوية 'بوبريح' فاتبع طريقه وعينه هذا الأخير مقدما للطريقة الدرقاوية. ينظر: بوسعيد فاطمة الزهراء، دور زوايا الجزائر .....، المرجع السابق، ص 230.

(2) - رشيدة شكري معمر، العلماء والسلطة .....، المرجع السابق، ص ص 188-189.

(3) - هو مؤسس الطريقة الدرقاوية ومنظمها ولد بتطوان سنة 1737م، عمل مدرسا بفاس وكان ملازما لدروس الصوفي الكبير الشيخ علي بن عبد الرحمن الجمل، وبالرغم من أنه قد أعتبر مؤسس الطريقة ومنظمها بعد وضعه لأسسها على قواعد صحيحة ونشره لتعاليمها إلا أنها تنتسب لأحد أسلافه وهو أبو عبد الله محمد بن يوسف المكني بأبي درقة والدركة لقب يطلق على العربي الدرقاوي وهي الدرعة التي يحتمي بها زمن الحروب أسسه زاويته بضواحي مراكش، حيث أوصى أتباعه بتجنب ذوي السلطة والحكم والتشدد في التقشف، توفي سنة 1823م، ودفن بزاويته بعد أن تخرج على يده عشرات الأتباع والمريدين. ينظر: فيلاي مختار الطاهر، نشأة المرابطين والطرق الصوفية وأثرهما في الجزائر خلال العهد العثماني، دار الفن، الجزائر، د ت، ص ص 53-55.

(4) - تولى منصب الباي سنة 1800م، في عهده ظهرت ثورة درقاوة، وفي سنة 1801م غزا أنكاد إلا أنه أنهزم أمامهم، وقد وصفه صاحب كتاب طلوع سعد السعود بأنه كان رجلا عاقلا لكنه جباناً أدته جبانته للشقاوة حتى هاجت في أيامه هيجانا عظيما عامة درقاوة. للمزيد ينظر: ابن عودة المازري، طلوع سعد السعود.....، المصدر السابق، ص 301.

(5) - بوجلال قدور، مظاهر التقارب واليقظة بين العلماء.....، المرجع السابق، ص 312.

له في صورة كفار مارقين، وطلب منه الإذن لمحاربتهم وقتالهم فصدق في أقواله وأذن له في إعلان الحرب عليهم بكل الوسائل، فعاد إلى الجزائر وكله حماس لذلك العمل وأخذ في تجنيد القبائل خاصة في المناطق الصحراوية والهضاب<sup>1</sup>.

استغرقت عملية الاستعداد لهذه الثورة خمس سنوات (1800-1805م)، ولعل فتيل الثورة يكمن في إستغلال ابن الشريف هزيمة الأتراك العثمانيين ممثلة في إنتصار قبائل الأنجاد على قبائل المخزن فأعطى الإذن لأتباعه بنهب ممتلكاتها الأمر الذي رفضه باي الغرب مصطفى العجمي عند سماعه الخبر وعسكر على ضفاف وادي مينا إلتحم الجيشان بقرية فرطاسة قرب غليزان سنة 1805م<sup>2</sup> وكانت الهزيمة حليفة الإنكشاريين<sup>3</sup> ثم واصل الثوار الدرقاويين إحكام سيطرتهم على معظم مدن بايلك الغرب فاستولوا على معسكر العاصمة السابقة للبايلك إضافة إلى مدن مليانة، ومارونة والقلعة وتلمسان، وتم القضاء على الحاميات التركية العثمانية الموجودة في هذه المدن، ولم تسلم من هذه السيطرة إلا المدن الساحلية بما فيها مستغانم التي بقي جنود الأتراك محاصرين فيها ومدينة وهران التي إنقطعت إتصالاتها بالمرسى الكبير<sup>4</sup>.

حاول صاحب كتاب طلوع سعد السعود وصف هذا الحصار بقوله: "قبيما الناس على غفلة إذا بابن الشريف أصبح قائما بأقوالهم معلنا بجهاد الترك محلا لدمائهم وأموالهم فأجتمع عليه الغوغاء من كل جانب ومكان للحرك، وهبط مع وادي مينا قاصدا نحوى المخزن، وأذن لأتباعه في النهب لأموال الترك، فلما سمع الباي بالدرقاوي جمع له الجيوش وخرج للقائه....، إلى أن إلتقا بفرطاسة في غاية الحزم والشدة، فأشتد القتال بينهما على الماء وصارت نار الحرب بينهما دائرة بالحتوف وتزاحفت لبعضها بعضا الصفوف وحام

(1) - يحي بوعزيز، وهران.....، المرجع السابق، ص ص 112-113.

(2) - لمعرفة موقع الصدام العسكري بين الدرقاويين والسلطة العثمانية راجع الخريطة في الملحق رقم (25)، ص 410.

(3) - صحراوي عبد القادر " ثورة الطريقة الدرقاوية في الجزائر أواخر العهد العثماني"، مجلة الحوار المتوسطي، ع 15-16، مارس 2017، ص 465.

(4) - عبد القادر بلغيث، الحياة السياسية والإجتماعية .....، المرجع السابق، ص 60.

الوطيس المعروف، فإنهم الباي وقام مخزنه على ساق واحد وركب العدو بظهره في تزايد وصار يقتل ويسبي ويأسر....، وأصبح الدرقاوي بأتباعه في رغد فسبحان المعز المذل الإله بوحدانيته المنفرد....<sup>1</sup>.

دخل الباي للمعسكر على غير الحالة المعهودة وعساكره خلفه مطرودة، ومات من مخزنه خلقا كثيرا من جملتهم كاتب الباي والعلامة الأديب أبو عبد الله السيد محمد الغزلاوي، وفي هذا الصدد يقول السيد حسن خوجة في در الأعيان هذه الأبيات:

فرطاسة يومها ترى الجنود به	مابين قتلي وأسرى غير ناجينا
فالباي جاء بجيش لانفاذ له	به يريد لقاء العدو باغيـنا
فلم يحقق له سعي ولا أمل	بل جاء جنده صفر الكف باكيـنا
فالיום لابن الشريف عز فيه على	باي الأعاجم لولا الدين لاديـنا

وقال السيد مسلم الحميري:

فيوم فرطاسة يوم كبيـر	ذل فيه العزيز عز الحقـير
لقد هيا مصطفى جيشا كبيـرا	تركا ومحزنا الملك الجـدير
فلم تلك ساعة الا وانهمـوا	من جيش قليل هياه الفقـير <sup>2</sup> .

بعد إنهمام الباي "مصطفى المنزالي" في معركة فرطاسة رجع مسرعا إلى عاصمة البايك وهران وتحصن بقصبة المدينة بينما ابن الشريف رجع لأهله وأنصاره في مدينة معسكر ثم شرع في الزحف إلى مدينة وهران من أجل الإستيلاء عليها فعند قدومه إلى ضواحي المدينة أطاعه جميع الناس خوفا منه ونكل برجال المخزن فأستولى على أملاكهم، وتطورت أحداث الثورة فانقطع الإتصال بين بايلك الغرب ومقر الحكم المركزي، وهذا لسيطرة الثوار على الطريق البري الذي يربط بين المدينتين، ونتيجة لهذا الوضع كان ابن الشريف متأكد من أنه أصبح في متناوله الإستلاء على عاصمة البايك، وقد إعتد على

<sup>(1)</sup> - ابن عودة المزاري، طلوع .....، المصدر السابق، ص 304.

<sup>(2)</sup> - المصدر نفسه، ص ص 304-305.

أسلوب المفاجئة، حيث إنضمت إليه الكثير من قبائل الغرب وبعض قبائل الوسط إلى جانب بعض القبائل المخزنية مثل الزمالة والغرابة والحشم والدواير، وعلى الرغم من ذلك فشل في الإستيلاء على وهران لأن سكان المدينة تأهبوا من أجل الدفاع عن مدينتهم<sup>1</sup>.

والواقع أن صدى هذا النداء مكن "ابن الشريف" الدرقاوي من السيطرة على معظم القبائل في بايلك الغرب من حدود مليانة إلى وجدة غربا مما أضطر الحامية العثمانية التراجع والإنسحاب والتمركز في المدن الساحلية، فحاولت السلطة المركزية نجدة البايك المحاصرة لكن القبائل الثائرة إعتزضت طريق الإمدادات<sup>2</sup>.

أما عن الأوضاع التي كانت تعيشها المدينة أثناء الحصار هي أن الباي "مصطفى المزابي" أغلق أبواب المدينة وبنى عليها أسوار، وشلت القوات العسكرية المتواجدة في المدينة، وقد تخوف الباي من إنقلاب الرعية عليه، وأحس أن هناك صراع على وشك الوقوع بين سكان المدينة والأتراك وجد نفسه غير آمن فأصبحت تصرفاته غير مفهومة فأغلق على نفسه داخل أحد منازل قصبة المدينة وحصن نفسه فيها وكان لا يخرج منها، وبقي هنا مع القليل من خدمه وخواصه ووضع وحدات عسكرية تحاصر القصبة<sup>3</sup>.

وفي هذا الصدد قدم لنا المشرفي وصفا حول حصار المدينة بقوله: "فحصر الملك في ثغر وهران وأنسدت طرق البر للجزائر، فلم يأتها إلا في البحر الخبر الزائر وإنقطع عليه المدد"<sup>4</sup>، ومع إستمرار هذا الحصار اضطرت السلطة المركزية في البداية إرسال علي آغا لقتال ثوار درقاوة وفك الحصار فخرج من مقر الحكم المركزي عن طريق البر فتعرض له الثوار في نواحي واد الشلف فحاصروه ومنعوه من شرب الماء فكاد يهلك هو وجنوده

<sup>(1)</sup> - عبد القادر بلغيث، الحياة السياسية والإجتماعية .....، المرجع السابق، ص 61.

<sup>(2)</sup> - حنيفي هلايلي، "ثورة الدرقاوية في الغرب الجزائري خلال عهد الدايات"، المجلة التاريخية المغربية، ع 115، مؤسسة التميمي للبحث العلمي والمعلومات، ماي 2004، تونس، ص 127.

<sup>(3)</sup> - عبد القادر بلغيث، الحياة السياسية والإجتماعية .....، المرجع السابق، ص 62.

<sup>(4)</sup> - المشرفي العربي عبد القادر، الحسام المشرفي، تح: شرف عبد الحق، أطروحة دكتوراه، جامعة وهران، ص 390.

فاستجار بشيخ العطاف فأمنهم مقابل مال يدفعونه إليه فتراجع من حيث أتى<sup>1</sup>، في هذه الأثناء تم عزل الباي "مصطفى المنزالي" الذي عجز عن مقاومة الدرقاوي وعين الباي محمد بن محمد بن عثمان المقلش، الذي قام بفك الحصار على وهران ووفر الأمن والهدوء للسكان وساعدهم على التزود بالمؤن والأغذية ففرحوا به واستبشروا خيرا خاصة فيما يتصل بأحداث الدرقاويين<sup>2</sup>.

وهنا بدأ الثوار بالتراجع بوصول الباي الجديد، وبعد أن فشلت مساعيه السياسية جند الباي قوته العسكرية للقضاء على جيش الدرقاويين الذين فشلوا في الدخول إلى وهران وتراجعوا عنها نحو معسكر، وحين وصولهم إلى سيق قرب سيدي داود هاجمتهم قبيلة الغرابة، والشئ نفسه قامت به قبائل البرجية وأهالي بني شقران بسيدي مبارك قرب وادي هبرة، أين تكبد الثائر ابن الشريف خسائر فادحة في الأرواح وتشتت قواته ففر مع قلة من جيشه نحو معسكر التي لم يستقبله أهلها<sup>3</sup>.

تعرض الدرقاوي إلى أزمة حادة مع شيخه محمد العربي الدرقاوي الذي حضر بنفسه حصار وهران وتبرأ منه بعد أن إكتشف كذبه عليه وتزويره لأشياء ضد الحكام الأتراك اختلقها وابتدعها من خياله بأنهم كفار ولايصومون ولا يصلون بينما شاهد هو عكس ذلك وسمع بنفسه الأذان عند الفجر، وفي أوقات الصلاة الأخرى وشاهد الناس يتوجهون إلى الصلاة ولهذا تبرأ منه وغادره قائلاً له هذا فراق بيني وبينك<sup>4</sup>.

بعد ذلك خرج "ابن الشريف" الدرقاوي وظهر من جديد فهاجم محلة الباي في موقعة وادي المالح إلا أن جيشه فشل بسبب قوة جيش الباي "المقلش"، وبعدها عاود الدرقاويون الهجوم على البايك بقرية سيدي "محمد بن عودة" لكنهم أنهزموا<sup>5</sup>، ولم ينج من درقاوة سوى

<sup>(1)</sup> - عبد القادر بلغيث، الحياة السياسية والاجتماعية .....، المرجع السابق، ص 63.

<sup>(2)</sup> - يحي بوعزيز، وهران ....، المرجع السابق، ص 115.

<sup>(3)</sup> - ابن عودة المزارى، طلوع سعد .....، المرجع السابق، ص ص 310-311.

<sup>(4)</sup> - يحي بوعزيز، وهران ....، المرجع السابق، ص ص 115-116.

<sup>(5)</sup> - بوجلال قدور، مظاهر التقارب واليقظة بين العلماء .....، المرجع السابق ، ص 320.

القليل منهم حيث تم القضاء على عدد كبير منهم، وتم أسر بعضهم وتشتت البعض الآخر، أما الدرقاوي فقد فر مع قلة إلى اليعقوبية<sup>1</sup>، كما تم قتل الكثير من جيش الدرقاوي حيث جمعت رؤوس القتلى منهم، فكانت أكواما على حسب تعبير أحد الكتاب وُبُعث بها إلى مدينة معسكر<sup>2</sup>.

كانت براءة شيخه منه من أسباب تدهور موقعه فغادر أحواز وهران إلى معسكر وحاربه هناك البرجية وهزمه وقتلوا وسبوا جموعا كبيرة، وعندما حاول الدخول إلى معسكر حيث أهله وخاصته منع من ذلك وقام السكان بمحاربتة<sup>3</sup>، وتعددت المعارك بين الدرقاويين والسلطة المركزية في مواقع أخرى مختلفة إنتصر الباي المقلش كذلك على الدرقاويين، بعين السدرة، كما انتصر عليهم في معركة التوتة بوادي العبد والتي راح ضحيتها ألف درقاوي، وظلوا كذلك كلما أنهزموا إلا وظهروا من جديد في منطقة أخرى بجيوش مهدد سلطة العثمانيين، وكان باي المقلش كلما سمع بالدرقاوي في منطقة إلا واتجه إليه وهزمه وفرق جيشه<sup>4</sup>.

وعلى العموم فإن هذه الثورة إستطاعت التأثير على رمز السلطة المركزية، وإضعاف نظام الحكم المركزي على الرغم أنها لم تحقق هدفها إلا أنها مهدت الطريق لمجموعة من التمردات مما عجل سقوط النظام العثماني فيما بعد على يد الفرنسيون بسنوات قليلة<sup>5</sup>، علاوة على إضعاف نفوذ البايك بالأرياف وإزدياد عزل المدن كما شجعت القبائل على عدم دفع الضرائب، مما أدى إلى إتساع الهوة بين السلطة المركزية والرعية نتيجة لسياسة

(1) - محمد ابن يوسف الزياتي، دليل الحيران.....، المصدر السابق، ص 220.

(2) - بوجلال قدور، مظاهر التقارب واليقظة بين العلماء.....، المرجع السابق، ص 320.

(3) - يحي بوعزيز، وهران.....، المرجع السابق، ص 116.

(4) - بوجلال قدور، مظاهر التقارب واليقظة بين العلماء.....، المرجع السابق، ص 320-322.

(5) - مسلم بن عبد القادر الوهراني، أنيس الغريب.....، المصدر السابق، ص 28.

القمع التي إتبعها العثمانيين، كما إنتشرت الفوضى والإضطرابات الإجتماعية والإقتصادية وإنعدام الأمن والإستقرار<sup>1</sup>.

من هنا نستنتج بأن ثورة الدرقاوي في بايلك الغرب كانت عبئا ثقيلا على السلطة المركزية والبايات، وعلى رأسهم "محمد المقلش" الذي بذل جهودا محترمة في مقاومتها ومواجهتها بما تستحق من الجهاد، وكان من المفروض أن تكون نهايته حسنة ومشكورة على هذه الجهود والتضحيات، غير أن باشوات السلطة المركزية لم يكونوا يدركون تماما خطورة ماجرى، ولم يقدرُوا جهود الباي "المقلش" في مواجهتها، فقد قتله باشا الجزائر بسبب حادث لا يستحق وهو أنه أثناء إرساله الدنوش إلى مقر الحكم المركزي لم يجد العدد الكافي من الأموال والأغنام والبغال فإستعمل الأبقار عوض عنها، لكن الباشا إستتكر عليه ذلك وأمر بقتله سنة 1807م واضعا حدا لحياته بهذا الشكل والأسلوب المأساوي<sup>2</sup>.

(1) - بوجلال قدور، مظاهر التقارب والبقظة بين العلماء.....، المرجع السابق، ص324.

(2) - يحي بوعزيز، وهران.....، المرجع السابق، ص ص119-120.

## 2-3- تمرد الباي محمد بن عثمان بوكابوس على السلطة المركزية

تولى "محمد بن عثمان بوكابوس" إدارة بايلك الغرب سنة 1807م واشتغل بمقاومة الدرقاوي وأتباعه الذين اضطربوا أمن البايك سنوات طويلة، ونجح في وضع حدا لنشاطهم، حيث كان يقتل كل من يشك فيه أو ينتسب إليهم أو تحوم الشبهة حوله، ونظرا للكفاءة والقدرة التي أبداهها الباي "محمد بوكابوس" في مقاومة الدرقاوي وجموعه كلفه الباي بالإتجاه إلى برج حمزة لمقاومة حركة عرش عريب ووضع حدا لعصيانهم فاتجه إلى هناك بقواته ونجح في القضاء على حركة العصيان وأرسلهم إلى مقر الحكم المركزي وعاد إلى عاصمة البايك<sup>1</sup>.

في سنة 1813م وقعت حرب بين الأيالة التونسية والأيالة الجزائرية وطالبت السلطة المركزية الباي بوكابوس الإلتحاق والمشاركة في هذه الحرب فإستجاب لذلك وجهز جيشا، وفي طريقه إلى مقر الحكم المركزي في وادي يلل تراجع عن قراره فرجع إلى البايك وقرر أن يشق عصى الطاعة معلنا التمرد على السلطة المركزية<sup>2</sup>.

تخلف الباي "بوكابوس" عن هذه الثورة مصمما على عدم مشاركته في حملة تونس، فيرى البعض أن الباي بوكابوس كان له صراعات وخلافات مع عمر أغا بسبب قتل الباي، بينما ذهب آخرون إلى القول بأن باي تونس كان كرهيا مثله، فقد وجه له هذا الإتهام من طرف داي الجزائر، وهناك من ذهب إلى أبعد من ذلك فيعتبر سبب التمرد هو خوف الباي من حركة ثوار درقاوة للإستيلاء على وهران<sup>3</sup>، بينما يرى المزارى أن السبب في ذلك يرجع إلى طموح الباي الذي قرر تغيير ولائه نحوى المغرب الأقصى<sup>4</sup>، وذلك بإعلان تحالفه مع السلطان المغربي "مولاي سليمان"، كما طلب من إنجلترا وإسبانيا تزويده بالبارود

(1) - يحي بوعزيز، وهران.....، المرجع السابق، ص ص121-122.

(2) - عبد القادر بلغيث، الحياة السياسية والاجتماعية.....، المرجع السابق، ص 71.

(3) - المرجع نفسه، ص ص71-72.

(4) - إبن عودة المزارى، طلوع سعد.....، ج1، المصدر السابق، ص 335.



سنة 1813م من أجل مراقبة السواحل لمنع الأسطول القادم من مقر الحكم المركزي الدخول إلى البايك، وذلك بالمقابل منح كل من إنجلترا وإسبانيا إمتيازات إقتصادية إذا تم دعمه لمقاومة السلطة المركزية<sup>1</sup>.

قرر المجلس العسكري الإسباني يوم 10 ماي 1813م بيع 125 قنطارا للباي المتمرد بثمن قدره 1000 ريال، بينما جاء الرد الإسباني سلبيا في طلب الباي للحصول على عددا من البنادق، كما كلف الباي "بوكابوس" اليهودي "داود كابيزا" بشراء 200 قنطارا من البارود وخوله دفع ثمنها، وهذا كله يفتح مجال واسع للتساؤل عن دور اليهود في دعم الباي "بوكابوس"، هل كانوا مجرد سماسرة يبيعون ويشترون وهدفهم هو تحقيق الربح، أم أنهم كانوا حريصين على إنجاح هذا التمرد ضد الحكم المركزي؟<sup>2</sup>

بادر الباي "بوكابوس" إلى قتل كل الأتراك الذين كانوا بصحبته حتى أصهاره وأقاربه ولم ينج إلا من فر بنفسه، ثم طلب من بني عامر أن يقتلوا الأتراك الذين يوجدون ضمن المحلة التي توجد لديهم<sup>3</sup> في كل الحاميات العسكرية الموجودة ببايلك الغرب مثل وهران ومستغانم وتلمسان، وقد بلغ عدد قتلى الأتراك حوالي 350 قتيل من بينهم أخ عمر آغا، كما قام بسجن أعداد كبيرة من أعيان هذه المدن، وتمكن خليفة الكرسي علي قارة صهر الباي "بوكابوس" من الفرار مع مجموعة من الأتراك إلى مازونة وتحصن بأهل المدينة<sup>4</sup>، بعد ذلك قام الباي "بوكابوس" بالخروج إلى مختلف مناطق البايك من أجل ضمان ولاء شيوخ القبائل إلى جانب هذا الإنشقاق<sup>5</sup>.

<sup>(1)</sup> - مولاي بلحميسي، " الثورة على الأتراك في الجزائر، شواهد مستقاة من وثائق إسبانية لم تنشر"، مجلة الثقافة، ع 46، الجزائر، ديسمبر 1978، ص ص 45-46.

<sup>(2)</sup> - كمال بن صحرابي، أوضاع الريف .....، المرجع السابق، ص 116.

<sup>(3)</sup> - يحي بوعزيز، وهران.....، المرجع السابق، ص 123.

<sup>(4)</sup> - عبد القادر بلغيث، الحياة السياسية والاجتماعية .....، المرجع السابق، ص ص 72-73.

<sup>(5)</sup> - كمال بن صحرابي، أوضاع الريف .....، المرجع السابق، ص 118.

في هذه الأثناء إنهزمت السلطة العثمانية في حربها مع إيالة تونس على الجبهتين البرية والبحرية فاضطرت للإنسحاب إلى قسنطينة، وكان هذا سببا في حقد وغضب الداوي على "بوكابوس" لعدم إلتحاقه بالجيش فصب غضبه عليه فلم يتأخر في إرسال الأغا "عمر" مع القوات التركية التي كان قوامها 50 خيمة و 1150 رجلا على طريق البر وسفينة حربية تحمل عددا من الجنود متجهة إلى ميناء وهران من أجل محاربة الباوي "بوكابوس" وعزله من منصبه، فوجه الداوي قوات بحرية وأخرى برية من أجل القضاء على "بوكابوس" الثائر<sup>1</sup>. عمل الباوي "بوكابوس" على إستغلال الرعية أيضا في مشروعه هذا، حيث سمح لبني عامر بالعودة إلى أطراف وهران بهدف إستخدامها ضمن المخزن الداعم له، غير أن ذلك لم يفد هذه القبائل التي ظلت مجرد رعية محطمة أصبحت على الأقل تمتلك بعض الأراضي مع وجود بعض الإستثناءات كأولاد إبراهيم الذين عوقبوا بشكل كبير حين أعتبرت أراضيهم من ممتلكات البايلك وفرضت عليهم رسوما قدرت بـ: 2 ريال بوجو لكل زوجة محروثة<sup>2</sup>.

تشير الرواية المحلية أن الباوي رجع إلى وهران ومعه جنود مخزنه الذين تظاهروا بموافقته من أجل تجنب القتال خديعة له، وأثناء دخوله مدينة هران إنقلب عليه رجال المخزن وكبار رجال البايلك<sup>3</sup>، وذكر المزاري أنه هدد الرعية بنسف الذخيرة وذهب إليه أعيان وعقلاء المدينة<sup>4</sup> وبأيديهم المصحف وصحيح البخاري ومسلم ووعظوه بالتسليم لقضاء الله وقدره فاستجاب لهم وبعد مدة ألقى القبض عليه من طرف مخزن البايلك، حيث كان

(1) - عبد القادر بلغيث، الحياة السياسية والإجتماعية .....، المرجع السابق، ص 73-74.

(2) - كمال بن صحراوي، أوضاع الريف في بايلك الغرب .....، المرجع السابق، ص 118.

(3) - عبد القادر بلغيث، الحياة السياسية والإجتماعية .....، المرجع السابق، ص 74.

(4) - ابن عودة المزاري، طلوع سعد .....، ج1، المصدر السابق، ص 337.

يضع ثقته فيهم من أجل تكوين فرق عسكرية لحمايته<sup>1</sup>، وفي هذا الأثناء تم تنصيب الباي "علي قارة" على رأس بايلك الغرب"، الذي كان بمازونة وألبس القفطان<sup>2</sup>.

بعدها توجه إلى وهران فلما دخلها وجد بوكابوس في السجن وجال بمناطق البايك ليتفقد الرعية ثم قصد جبال ترارة التي كانت تتواجد بها دار "ابن الأحرش" والتي أمر بهدمها ثم توجه إلى قبائل الحشم بمعسكر فأمر بقتل أنصار الباي "بوكابوس"، وألقي القبض على الثوار العرب الذين تحالفوا مع هذا الباي، ثم رجع إلى وهران وذهب للباي فسأله عن مكان وجود أمواله فلم يخبره وهذا ما جعله يعجل بقتله<sup>3</sup> وتسليم رأسه بعد حشوه بالقطن ثم إرساله إلى مقر الحكم المركزي، وتم تعليق جثته على أبواب المدينة وقتل أولاده الصبيان<sup>4</sup>.

في هذا الصدد يصف "المزاري" النهاية المأساوية للباي "بوكابوس" بقوله: ...فسلخ رأسه وهو حي وفعل به فعلا شديدا وملاه بعد السلخ بالقطن وبعثه للجزائر فعلقوه على عود طويل وتركوه به زمنا مديدا وقتل أولادهم وهم صغارا ولم يتق فيهم رب العالمين، وقتل بعض خدامه وصار بهم ما صار بالبرامكة مع الملوك العباسيين ...<sup>5</sup>.

هكذا كانت نهاية الباي "بوكابوس" ولكن الثورات استمرت بالبايلك رغم كل الجهود التي بذلتها السلطة المركزية ظلت تطل برؤسها هنا وهناك ففي سنة 1827م قامت في ناحية تلمسان ثورة درقاوية تزعمها سيدي "حامد" شيخ المهاية، وتم إخضاعهم من طرف الباي "حسن" بعد معانات، كما ثارت قبائل سهول زيدور سنة 1828م، وكانت قد رفضت

<sup>(1)</sup> - عبد القادر بلغيث، الحياة السياسية والاجتماعية .....، المرجع السابق، ص75.

<sup>(2)</sup> - ابن عودة المزاري، طلوع سعد .....، ج1، المصدر السابق، ص336.

<sup>(3)</sup> - عبد القادر بلغيث، الحياة السياسية والاجتماعية .....، المرجع السابق، ص76.

<sup>(4)</sup> - صحراوي عبد القادر "ثورة الطريقة الدرقاوية ....."، المرجع السابق، ص468.

<sup>(5)</sup> - ابن عودة المزاري، طلوع سعد .....، ج1، المصدر السابق، ص337.

دفع الضريبة لذا هاجمهم الباي "حسن" مدة 3 أيام سال خلالها دماء كثيرة، وبقي الوضع على هذا الحال مضطربا إلى غاية الدخول الفرنسي<sup>1</sup>.

## 2-4- نهاية حكم البايك وموقف السلطة المركزية من الحملة الفرنسية:

بعد سقوط مقر الحكم المركزي العثماني بالجزائر في أيدي الفرنسيون سنة 1830م، وإخضاع الجهة الشرقية، وجهت فرنسا أنظارها إلى بايلك الغرب حينها شعر الباي بمقربة إستيلاء الفرنسيون على البايك، وبعدم إمكانه الإعتماد على المخزن للدفاع عن المدينة لأن الباي كان فاقدا لسمعته<sup>2</sup> في أوساطهم إذ كانوا ساخطين من طغيان الجندية العربية والتركية فأدرك الباي بأنه لا يمكنه الصمود في وجه الفرنسيين إذا ما إعتد على جنود المخزن، كما أدرك بأن العرب مستعدون لمواجهة، ومن ثم التصدي للفرنسيين فحياته في خطر وقع بين المطرقة والسندان، فوردت في ذهنه فكرة التحالف مع العرب عن طريق سيدي محي الدين فطلب منه اللجوء إلى القيطنة لمواجهة العدو بالإعتماد على العرب الخاضعين له<sup>3</sup>.

غير أن "محي الدين" لم يوافق على ذلك بسبب تخوفه من ردود فعل سكان البايك في حالة علمهم بوجود الباي في القيطنة<sup>4</sup>، خاصة وإن الشيخ محي الدين كان يتمتع بسمعة جد حسنة عند جميع قبائل البايك، وقد عزز هذه السمعة خصاله المعنوية وأصله الشريف وهو ما دفع بالقبائل إلى أن تأتي من بعيد حتى تستفيد من خبرته أو تشكو له نزاعاتها أو

(1) - كمال بن صحرابي، أوضاع الريف في بايلك الغرب.....، المرجع السابق، ص 118.

(2) - الظاهر أن سبب تراجع شعبية "الباي حسن" بين قبائل بايلك الغرب راجعا إلى عدائه للطرق الدينية، وكذا معاملته لقياد البايك وشيوخ القبائل بالقسوة وإتباعه سياسة تتصف بالعجرفة والترفع في تعامله خاصة مع رؤساء القبائل. ينظر: ناصر الدين سعيدوني، ورقات جزائرية ....، المرجع السابق، ص 297.

(3) - عبد الرحمان بن أشنهو، الدولة الجزائرية في 1830م مؤسساتها في عهد الأمير عبد القادر، تر: لعراجي نور الدين، موفم للنشر، وزارة الثقافة، الجزائر، 2013، ص 74.

(4) - حكيمة منصور، السلطان العثماني.....، المرجع السابق، ص 152.

تطلب منه النجدة، فأعتاد كل سنة أن يوزع 500 سعة حبوب على العائلات الفقيرة، وهو ما يعادل تقريبا قنطارا من البذور إضافة إلى رؤوس الأغنام والنقود<sup>1</sup>.

وفي هذا الإطار قال -الأمير عبد القادر- "وهناك سبب آخر لا يقل أهمية يمنع من إستقبال الباي قريتنا إن إعطاء أسرتنا الملجأ إلى ذلك البغيض للجبروت التركي سيفسره العرب على أنه نوع من النسيان الضمني لكل مواقفه الماضية، ونتيجة لذلك فإننا سنجعل من كل القبائل التي تمقت الباي أعداء لنا، وبعبارة أخرى فإن أعداءنا سيكونون هم كل عرب إقليم البايك"<sup>2</sup>.

تمكن الفرنسيون من دخول عاصمة البايك في 4 جانفي 1831م، فقد قام الجنرال "دامريمونت" "Damremont"<sup>3</sup> بهجمات على المدينة ومضي في تصميمه مستهدفا المناطق الداخلية للبايك<sup>4</sup>، وقد أثبت سكان البايك مقاومة شرسة ضد العدو الفرنسي بعد إستسلام الباي "حسن" الذي طلب من الشيخ "محي الدين" إستقباله وحمايته<sup>5</sup>، وتشير إحدى الوثائق الأرشيفية المحفوظة بالأرشفيف التونسي إلى وجود رساله مبعوثة من أحد أعيان ووجهاء البايك يدعى "محمد بن الحاج الطاهر" يصف نفسه بشريف النسب وهذه الوثيقة عبارة عن إستجداد بالسلطة المركزية حاول وصف حالته المأساوية بعد الدخول الفرنسي للبايك بقوله: "...كنت سابقا قبل دخول الفرنسيون للجزائر مسكني بها وحين أخذ الرومي

(1) - عبد الرحمان بن أشنهو، الدولة الجزائرية.....، المرجع السابق، ص 71.

(2) - حكيمة منصور، السلطان العثماني.....، المرجع السابق، ص ص 152 - 153.

(3) - استخدموا القادة الفرنسيون سياسة فرق تسد باستمالتهم لقبائل الدوائر والزمالة وعقد الإتفاقيات معهم للضغط على الأمير، وفي هذه الظروف كلفت فرنسا الجنرال بيجو بقيادة العمليات العسكرية وعينت حاكما عاما "المارشال" دامرمونت "Damrémont" خلفا لكلوزيل، وطالبت منهما بالتنسيق للإنتهاء من مقاومة الأمير، حيث قام "بيجو" "Bugeaud" الذي نقل الحرب إلى المناطق التي يتواجد بها الأمير. ينظر: محمد بليل، "تجربة الأمير "عبد القادر" في التفاوض مع الفرنسيين، معاهدة التافنة لسنة 1837 نموذجا، المجلة المغربية للدراسات التاريخية والإجتماعية، ع 3، جامعة سيدي بلعباس، مارس 2012، ص 5.

(4) - عبد الرحمان بن أشنهو، الدولة الجزائرية.....، المرجع السابق، ص 70.

(5) - حكيمة منصور، السلطان العثماني.....، المرجع السابق، ص 152.

البلاد خرجت مهاجرا وتركت مالي ودياري ومسكني والجنة وقد هربت مع المسلمين بديني إلى بيت الله الحرام...<sup>1</sup>.

إعتبر الشيخ فشل الداوي في التصدي للحملة الفرنسية وإحتلال الجزائر بمثابة نكسة، وهي بداية نهاية إرتباط الأيالة الجزائرية بالباب العالي، خاصة ونحن ندرك الموقف المعادي للأمير تجاه السلطة العثمانية في الجزائر، والتي يحملها مسؤولية وقوع الإحتلال، وكان الشيخ "عبد القادر" متخوفا من رجال البايك الذين لا يعترف بشرعيتهم على السلطة، وهذا ما أدى إلى إلغائه لكافة الإمتيازات التي كان يتمتع بها الأتراك والكراغلة لأن ذلك في نظره يعد من عوامل فساد المجتمع الجزائري<sup>2</sup>.

الشئ الذي دفع بالكراغلة إلى الرغبة في التخلص من سلطة الأمير، وذلك بالإستعانة بقوى أجنبية، فأستجد كراغلة تلمسان في أول الأمر بسلطان المغرب، ثم بالفرنسيين، مما دفع بالأمير إلى إخضاعهم وإجبارهم على مغادرة مدن البايك مثل معسكر وومستغانم ومليانة، لكنه عجز عن إخضاع كراغلة تلمسان نظرا لعددتهم الكبير ومهارتهم الحربية، فقد طلبوا العون من الفرنسيين في رسالة لهم مؤرخة في 26 جوان 1837م يشكون فيها من الأمير، وقد إستغل كلوزال هذه الظرف فأبقى حامية فرنسية صغيرة بالمشور<sup>3</sup>.

أما كراغلة وادي الزيتون بنواحي الأخضرية فقد تعاونوا مع الفرنسيين منذ سقوط مدينة الجزائر 1830م، وبذلك وقفو حجر عثرة في وجه توسعات الأمير، لكنه فيما بعد تمكن من إخضاعهم وإبعاد النفوذ الفرنسي عنهم، وأوقع العقاب ببعض زعمائهم، لذا ناصبوا العداء

<sup>(1)</sup> - رسائل من أحد العيان ، الملف 384- المجموعة (الحافظة) 223- 1842م، الأرشيف الوطني التونسي، رقم 20. تم تصوير هذه الوثيقة من الأرشيف الوطني التونسي - أرشيف ولاية قسنطينة.

<sup>(2)</sup> - ناصر الدين سعيدوني، موقف الأمير عبد القادر من بقايا السلطة التركية بالجزائر، جماعة الكراغلة وفرسان المخزن، **مجلة التاريخ**، عدد خاص بالذكرى المؤوية لوفاة الأمير، 1983، ص ص 40-42.

<sup>(3)</sup> - ناصر الدين سعيدوني، ورقات جزائرية ....، المرجع السابق، ص 301.

المطلق للأمير، وهذا ما يدفعنا إلى القول بأن موقف الكراغلة من الأمير "عبد القادر" يعتبر بحق أحد الأسباب الرئيسية للقضاء على مقاومة الأمير<sup>1</sup>.

أما بخصوص موقف عشائر المخزن فقد كانوا هم أيضا مناهضين لسلطة الأمير "عبد القادر"، والعداء الشخصي الذي كان يكنه زعيمهم "مصطفى بن إسماعيل" للأمير، كان هذا عاملا مباشرا في القضاء على دولة الأمير<sup>2</sup>.

ونظرا للوضع الكارثي الذي وصل إليه الأمير من موامرات قرر أن يكتب السلطان "عبد المجيد" محدثا عن الأوضاع وموقف هؤلاء الإنكشارية، فقد كان الأمير يرى أن مهمته تاريخية قد أقيمت على عاتقه، ويتمثل ذلك في طرد الفرنسيون<sup>3</sup>، فقد بات من الضروري إنقاذ الوضع بالإلتحام حول قوة سياسية ودينية لمقاومة الإستعمار الفرنسي لكن خائفة الإمكانات وموقف بعض القبائل والكراغلة واليهود.

هكذا سقط نفوذ السلطة المركزية في بايلك الغرب أمام القوة الفرنسية، وأصبح الأمير "عبد القادر" قائدا شرعيا للمقاومة في بايلك الغرب الجزائري ضد الإحتلال الفرنسي هذه الشرعية منحة للأمير لقب السلطان، وهذا ما يفسر لنا حتما تلك العلاقة غير مستقرة بينه وبين الباب العالي، فمنح الأمير لقب السلطان أي له كل الصلاحيات التي منحتة القوة الحربية في التصرف والتعامل مع الوضع الجديد بما تقتضيه المصلحة العامة للبلاد<sup>4</sup>.

من هنا يتضح أن علاقة السلطة المركزية بقبائل بايلك الغرب في بداية الوجود العثماني كانت حسنة وودية، ذلك أن البايات كان شغلهم الشاغل تحرير الثغر الجماني المرسى الكبير ووهران وتوحيد البلاد والقضاء على التواجد الإسباني وتكريس نفوذ السلطة المركزية، غير أن هذا الأمر لم يدم طويلا ففي أواخر عهدهم تعكر صفوا هذه العلاقات

<sup>(1)</sup> - ناصر الدين سعيدوني، ورقات جزائرية ....، المرجع السابق، ص ص 302-303.

<sup>(2)</sup> - المرجع نفسه، ص 305.

<sup>(3)</sup> - عبد الجليل التميمي، بحوث ووثائق في التاريخ المغربي الجزائر وتونس وليبيا 1816-1871م، ط م، منشورات مركز الدراسات والبحوث عن الولايات العربية في العهد العثماني، تونس، 1885، ص 44.

<sup>(4)</sup> - حكيمة منصور، السلطان العثماني.....، المرجع السابق، ص ص 153-154.

وتحولت إلى وعداء ونفورا، وهذا راجع إلى سياسة السلطة المركزية في بايلك الغرب التي قامت جهاز إداري صارم كان مؤهلا لمراقبة جميع تحركات القبائل والتضييق عليهم، سواء في المدن أو الأرياف، وبالتالي إستحالة إندماج هذه الفئة الحاكمة مع السكان المحليين، نهيك عن الموقف السلبي الذي لعبه الكراغية من الدخول الفرنسي للبايلك مما ولد كراهية في نفوس الرعية، ويتضح ذلك جليا من موقف الشيخ "محي الدين" وابنه "عبد القادر"، ولعل هذا ما أدى إلى زوال النظام العثماني وفسح المجال للحملات الأوروبية.



خاتمة

لعل ما يمكن استنتاجه في نهاية هذه الدراسة وعلى ضوء ما كشفت عنه الفصول السابقة يمكن فهم وتفسير تلك العلاقة التي كانت قائمة بين السلطة المركزية والبايلاكات في عدة اتجاهات هامة يمكن إجمالها في النقاط الآتية:

أولاً: أنصب جهود السلطة العثمانية بالجزائر في المراحل الأولى إلى إقرار النظام والحفاظ على استقرار وأمن البايلاكات، وقد بدا ذلك واضحاً عند تأسيس الحكم المركزي العثماني بالجزائر، حيث قام العثمانيون بتحسين الثغور وبناء المراكز العسكرية لتعزيز الأمن ومواجهة التهديدات الخارجية، سعياً منهم إلى تحقيق الاستقرار داخل مقاطعات الأيالة، وبفضل تلك الجهود تمكنت السلطة العثمانية الارتقاء بالبايلاك من نظام قبلي إلى مستوى حضاري يقوم على مؤسسات إدارية وأمنية على غرار مؤسسة الإنكشارية.

ثانياً: لم تقتصر علاقة السلطة المركزية مع البايلاك على أسلوب القوة العسكرية فقط حفاظاً على علاقتهم مع الرعية كما تروج له العديد من الكتابات الغربية خاصة، بل كانت العلاقة أكبر من ذلك مبنية على أساس التعاون المشترك، فكلاهما كان يشعر بحاجة إلى الآخر سواء عسكرياً أو سياسياً أو حتى اقتصادياً، لذا تميزت العلاقة عموماً بالجانب الإيجابي بعيداً عن العداء والنفور الأمر الذين ترتب عنه خضوع البايلاكات للحكم المركزي، وبالتالي الولاء والطاعة لقبائل المدن في دفع الضرائب، أما علاقة القبائل الريفية بالسلطة فكانت تعتمد على العشائر المخزنية، وذلك يتضح جلياً من خلال الأجهزة الإدارية والعسكرية الخاصة لكل بايلاك والنظم السياسية والاقتصادية.

ثالثاً: نستنتج بأن علاقة السلطة المركزية مع البايلاكات ارتكزت أساساً على خضوع البايلاك اقتصادياً، وبالتالي فإن أهم ما كان يربط القبائل بالسلطة هو الضرائب المفروضة عليهم مما جعل الرعية تقع تحت عبء نظام اقتصادي وجبائي لا يخدم سوى مصلحة السلطة المركزية والعائلات الكبرى بالمدن، والمشيوخات الوراثية بالريف لتكون عوناً للسلطة في تعاملها مع الرعية، وهذا ما يسمح بالقول أن علاقة الرعية بالسلطة الحاكمة كانت تقوم

أساساً على فئة معينة بزعامة قبائل محدودة (المخزن) ورؤساء العائلات الإقطاعية التي تقوم بجمع الضرائب وتقدم خدمات للبايلاك مقابل امتيازات، مما ولد نظرة انتقامية لدى الرعية ضد السلطة الحاكمة.

وقد لاحظنا كيف أن العلاقات القائمة بين الإدارة المركزية والرعية كانت تحددها الالتزامات الضريبية، فكلما ألتزم الطرفان السلطة والرعية بواجباتهما كلما كانت العلاقة حسنة وبالتالي استقراراً وازدهاراً في الأيالة، وفي حالة تقصير أو تخلي أحد الطرفين عن إلتزاماته يقع التمرد والصدام بينهما وتتعرض البلاد للفوضى والاضطرابات، وهنا تكمن أهمية النظام الضريبي كعنصر هام في معرفة طبيعة العلاقة بين الحاكم والمحكوم.

وربما يرجع النفور الذي حدث فيما بعد بين الطرفين إلى الضرائب المجحفة والفواتير المرتفعة المفروضة على البايلكات، ومنه يمكن القول بأن علاقة السلطة المركزية بالبايلاك قد طغى عليها الجباية وانصبت جهود السلطة المركزية على إخضاع القبائل وإرهاقهم بالضرائب مما ولد فجوة وقطيعة بين السلطة والرعية، وفي ظل هذا الإجحاف الضريبي نجد السلطة العثمانية تمنح تسهيلات وامتيازات تجارية للأجانب من أوروبيين ويهود ومنحهم مكانة متميزة على حساب السكان المحليين حتى أصبحت الشركات اليهودية مسيطرة على التجارة الداخلية والخارجية، وكان من نتائج ذلك قيام سلسلة من الثورات ضد هذا النظام، وتعتبر ثورة ابن الأحرش مثال واضحاً على رفض الرعية للوضع الراهن والمطالبة بالتغيير كانت هذه الثورة بداية لسلسلة من الثورات التي عرفت بها مختلف البايلكات ضد السلطة المركزية.

رابعاً: ومما يمكن استخلاصه حول طبيعة العلاقة بين السلطة المركزية بالرعية أواخر القرن 18 ومطلع القرن 19م لم تكن موفقة ولم تكن السلطة العثمانية على بصيرة بمخاطر السياسة الضريبية المرهقة لكاهل الرعية فضلاً عن انعزالهم بالحكم حفاظاً على الأوضاع الرافضة لأي تنازل عن امتيازات السلطة المركزية بما في ذلك دور القبائل

المخزنية التي كانت وسيلة قهر ويطش وتأديب لقبائل البايك الرافضة لدفع الضرائب والمغارم مما عزز عدم الثقة بين الطرفين سعياً منهم على إبقاء الرعية بعيدين على أي دور سياسي مما حالة دون إمكانية اندماج أفرادها بالسكان المحليين، وذلك رغبة من الأتراك العثمانيون في إبقاء هيمنتهم وسيطرتهم على المناصب الإدارية والسياسية مما زاد الهوة وحقد الرعية على الحكام، ولا غرابة أن تولد تلك القطيعة بين الحاكم والمحكوم نتيجة انتهاج تلك السياسة.

خامساً: تهميش الرعية وإبعادهم عن الوظائف الإدارية والعسكرية وعدم إشراكهم في الدفاع أو المحافظة على الأمن الداخلي للأقاليم، والأكثر من ذلك ممارسة الضغط الإداري والعسكري على الرعية وذلك بوضع أجهزة إدارية صارمة مؤهلة لمراقبة جميع تحركات القبائل والتضييق عليهم سواء في المدن أو الأرياف، واعتماد السلطة العثمانية وحدها تولى الخدمة العسكرية فضلاً على تشديد الرقابة على الطوائف المهنية والجماعات العرقية بالمدن وتجريد المحلات وشن الغارات المفاجئة على القبائل وتشجيع الصراع القبلي وإذكاء روح العداء بينهم اعتماداً على مناصرة الصفوف ودفعها إلى الإغارة، وقد شكل هذا الصراع عامل توازن حفظ للسلطة المركزية استقراراً ونفوذاً ومكانة لدى رؤساء العشائر باعتبارها الجهة التي يعود إليها الفصل في النزاع وإقرار السلم.

جعل هذا النوع من السياسة إلى انفصال بين عالمي المدينة والريف في الأقاليم الجزائرية مع بداية القرن 19م، مما أدى إلى ضعف الصلات القبلية في الأراضي الخاضعة مباشرة للسلطة المركزية كان يتطلب تحقيق تلك الأهداف إعداد قوة عسكرية وكان هذا الأمر مرهوناً بمدى قوة السلطة المركزية، وبالتالي استحالة اندماج هذه الفئة الحاكمة بالسكان المحليين الأمر الذي ولد كراهية في نفوس الرعية، ويتضح ذلك جلياً من موقف الشيخ محي الدين وابنه عبد القادر نهاية الوجود العثماني في الجزائر.

سادسا: تكريس مبدأ التمايز والتفاضل بين المجتمع الواحد فنجد أن السلطة تقوم بتسخير الجماعات بالريف وبعض الطوائف بالمدن خدمة لمصالحها مما حال دون انصهار تلك الجماعات في الرعية وترتبط بالحكام بما تقدمه من خدمات داخل المدينة، وقد أدى هذا الأسلوب في إقرار الامتيازات إلى التوازن الاجتماعي لفائدة السلطة العثمانية، لكنه في المقابل خلق عدا و نفورا، وهذا راجع إلى سياسة السلطة المركزية في البايك.

سابعا: أما عن علاقة العلماء بالسلطة العثمانية فنجد أن هذه الفئة حظيت بمكانة خاصة وبات العالم والمتقف يتمتع بنفوذ واحترام وتقدير، كما أن السلطة العثمانية اهتمت في بداية الأمر ببناء المدارس والمساجد، كما لعب العلماء دروا هاما في تشجيع السلطة على الجهاد ضد الغزاة وما تحرير وهران من طرف السلطة العثمانية إلا بتحريض وتعبئة العلماء للحكم المركزي.

غير أن هذا الأمر لم يدم طويلا ففي أواخر عهدهم تعكر صفوا هذه العلاقات وتحولت إلى عدا و، فقد أساء الكثير من البايات إلى هذه الفئة بعد ما كانت تحظى باحترام وتقدير، وكان من نتائج ذلك تردي الأوضاع السياسية والاجتماعية والاقتصادية أواخر العهد العثماني نتيجة فساد السلطة العثمانية من جهة والضغط الخارجي من جهة أخرى، ولعل هذا ما أدى مباشرة إلى التطاحن والتنافر والانقسام بل أدى في كثيرا من الأحيان إلى طلب المساعدة والعون من القوة الأجنبية الغازية ضد السلطة العثمانية، وهو ما يجعلنا أن نؤكد أن هناك عوامل داخلية وأسباب اجتماعية ساعدت الاستعمار الفرنسي على تنفيذ مخططاته وليس القوة العسكرية والتفوق الحضاري وحده هو الذي حسم المواقف لصالح الاستعمار الفرنسي كما روج لذلك غالبية الكتاب الفرنسيين الذين يتبحون بانتصاراتهم دون اعتبار للعوامل المساعدة على هذا الانتصار.

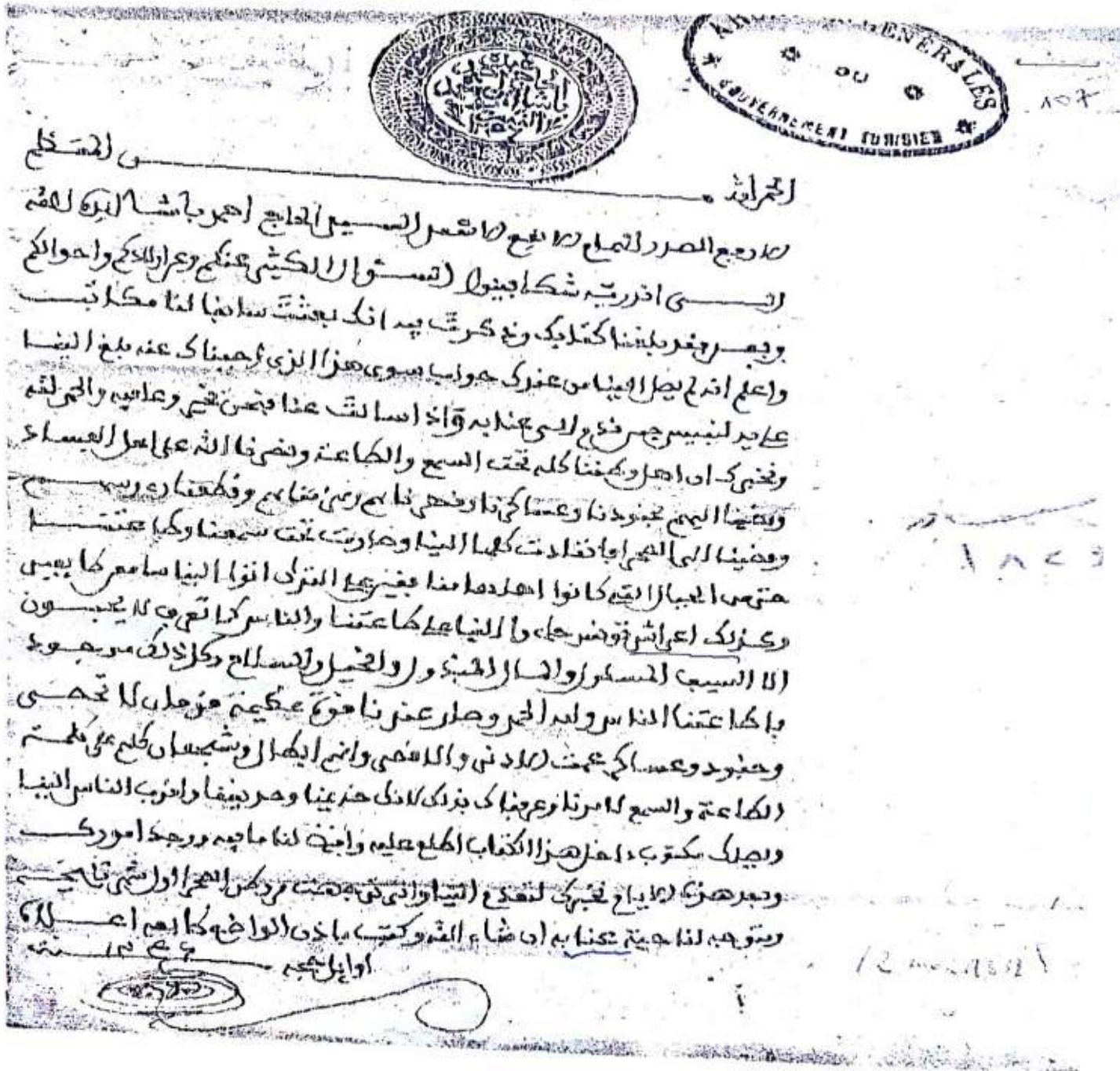
لكن من ناحية أخرى ومن باب الموضوعية التاريخية وعلى الرغم مما يسجل على النظام العثماني في الجزائر من سلبيات وأخطاء وبصرف النظر على الضغط الذي مورس على أرياف البايلاكات والضرائب المجحفة في حق القبائل إلا أنهم قدّموا خدمة جليلة للبلاد استطاعوا حفظ الأمن والاستقرار بصفة دائمة قرابة ثلاثة قرون من الزمن، وذلك بفضل أجهزة النظام العثماني وسياستها المتمثلة في مركزية السلطة واعتمادها على جيش قليل العدد إلا أنه استوفى مفعوله، الأمر الذي ستعجز عنه فرنسا الاستعمارية في الجزائر فيما بعد، والحق يقال فإن الإدارة العثمانية في الجزائر خانتها الوسائل والثورات المحلية والانتفاضات الشعبية قبيل الاحتلال الفرنسي للبلاد.

وصفوة القول يتبين لنا بوضوح تام لو أن الحكام العثمانيون أدركوا نفسية الرعية وتفهموا طبيعية السكان المحليين وعرفوا كيفية نسج علاقة متينة مع القبائل المحلية وذلك بإشراكهم في دواليب الحياة الاقتصادية ودمجهم في العمل السياسي والوظائف الإدارية، لمواجهة التحديات الخارجية المتمثلة في القوة الفرنسية المهددة بزوال نظام الحكم العثماني في البلاد لما استطاعوا احتلال أرضنا واستعباد شعبنا ولا أمكن الوصول إلى ما وصلنا إليه.

الملاحق

## الملحق رقم (1)

وثيقة أرشيفية عبارة عن رسالة من الحاج أحمد باشا بمقر الحكم المركزي إلى خديمه الباي الإنجليزي بعنابة يخبره فيها بإخضاع وأطوبع أعراش الموجودين بالصحراء والجلال العصاة، والتأكيد على أن جنوده جالت الأدنى والأقصى<sup>1</sup>.



<sup>(1)</sup> - الملف 384- المجموعة (الحافظة) 223، 1830م، رقم الوثيقة 120، تم تصوير هذه الرسالة من الأرشيف الوطني التونسي - أرشيف ولاية قسنطينة.



## الملحق رقم (2)

وثيقة أرشيفية توضح مقادير الهدايا والترضيات التي ساهم بها بايلك الشرق قسنطينة إلى مقر الحكم

المركزي سنة 1758م<sup>1</sup>.

[illegible][illegible]

<sup>(1)</sup> - هدايا بايلك قسنطينة، الدفتر 2144، 1758م، الوثيقة 177-178، الأرشيف الوطني التونسي.

### الملحق رقم (3)

وثيقة أرشيفية توضح إحصاء لمقادير كمال إحسانات قبائل بايلك الشرق للكبار الموظفين<sup>1</sup>.

[illegible][illegible]

<sup>(1)</sup> - إحصانات بايلك قسنطينة، الدفتر 2144 ، 1758م، الوثيقة 197، الأرشيف الوطني التونسي.



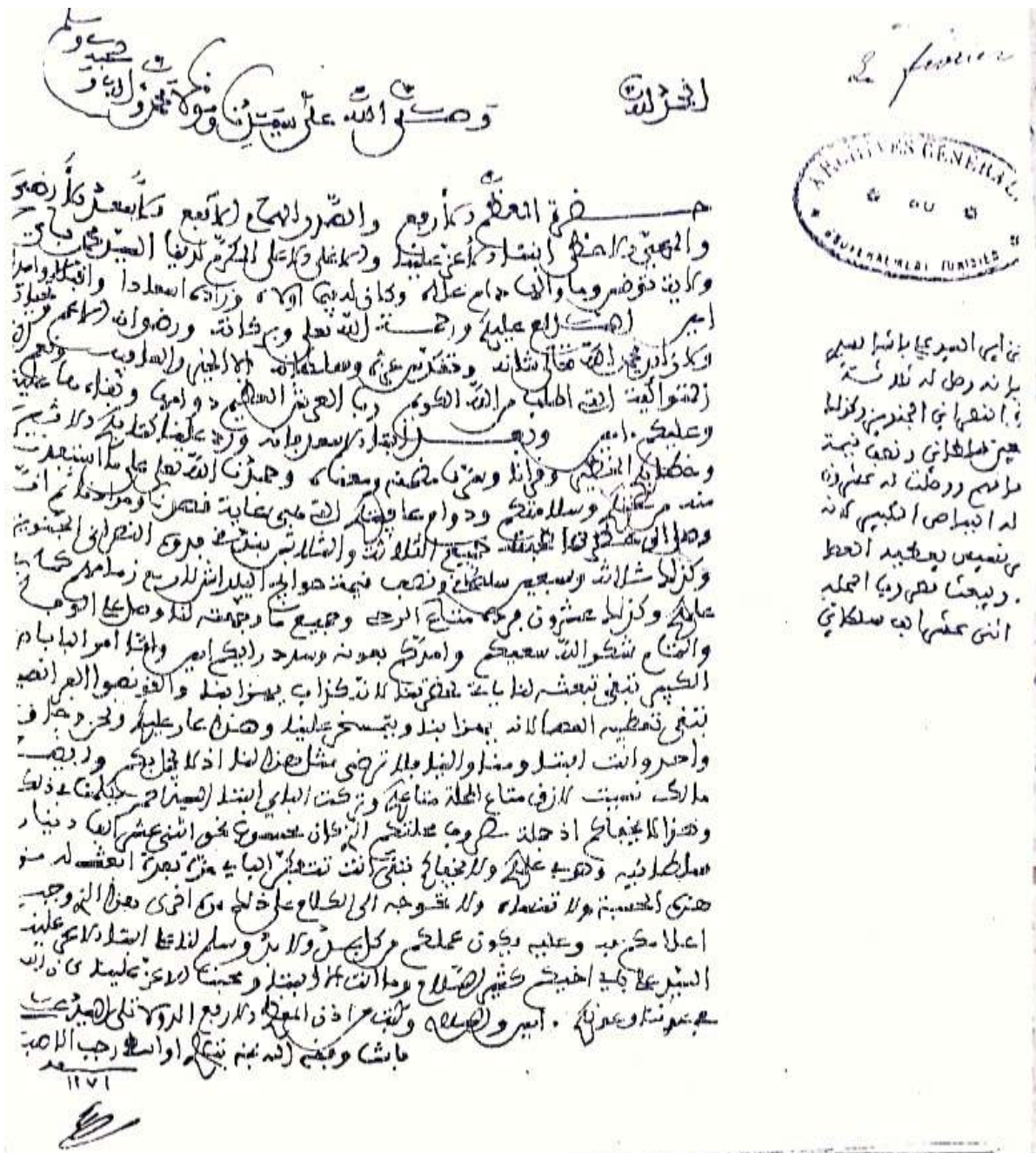






# الملحق رقم (5)

وثيقة عبارة عن رسائل من السلطة إلى الأعراس لمطالبتهم بدفع ما عليهم من ضرائب وعدم إحراج السلطة المركزية<sup>1</sup>.



<sup>(1)</sup> - الملف 384 - المجموعة (الحافظة) 223 - 1758م، الأرشيف الوطني التونسي، الوثيقة 20. تم تصوير هذه الوثيقة من الأرشيف الوطني التونسي - أرشيف ولاية قسنطينة.

## الملحق رقم (6)

وثائق أرشيفية توضح بيان مداخل السلطنة المركزية من الخطايا والإلتزام من القبائل والأعراس وهم:  
أولاد خزام، أولاد صولة، أولاد علي عرب، سماتة، فليتة، سلامة، بو عيسة، أولا عبد الله، الفراشيش<sup>1</sup>.

اولاد خزام  
درة بنت المي دما التي في قتلته الحاج اقليم ابن الجبل في اولاد  
التي ولد له دما بالقبيل اقليم كاهية التي في اولاد  
درة بنت المي دما التي في قتلته الحاج اقليم ابن الجبل في اولاد  
التي ولد له دما بالقبيل اقليم كاهية التي في اولاد  
درة بنت المي دما التي في قتلته الحاج اقليم ابن الجبل في اولاد  
التي ولد له دما بالقبيل اقليم كاهية التي في اولاد

اولاد صولة  
انصار دما التي في قتلته الحاج اقليم ابن الجبل في اولاد  
التي ولد له دما بالقبيل اقليم كاهية التي في اولاد  
درة بنت المي دما التي في قتلته الحاج اقليم ابن الجبل في اولاد  
التي ولد له دما بالقبيل اقليم كاهية التي في اولاد

اولاد علي عرب  
انصار دما التي في قتلته الحاج اقليم ابن الجبل في اولاد  
التي ولد له دما بالقبيل اقليم كاهية التي في اولاد  
درة بنت المي دما التي في قتلته الحاج اقليم ابن الجبل في اولاد  
التي ولد له دما بالقبيل اقليم كاهية التي في اولاد  
درة بنت المي دما التي في قتلته الحاج اقليم ابن الجبل في اولاد  
التي ولد له دما بالقبيل اقليم كاهية التي في اولاد  
درة بنت المي دما التي في قتلته الحاج اقليم ابن الجبل في اولاد  
التي ولد له دما بالقبيل اقليم كاهية التي في اولاد

<sup>(1)</sup> - دفاتر جبائية، الدفتر 291-1213هـ، الأرشيف الوطني التونسي، الوثيقة 85، 99، 84.



مسافر

۱ فعل ماضی بعید متکثر منکر ناقص  
واحد - انا هم والوا انزلوا واحده نسوا

## حلیہ

انتم دية جثتي اخذته جثتي عن يميني ابيته واحبي انا لم ابراف  
عن محمد ابيته على ارامه يوحنا اخي معا لم من جوده كما فيه انا  
ارامه فواله ١٢٧ سنة فين يبر

افضل هبة اراء العيسر، من عيب الفصحى فقلها في القفايه وكن بنى موزون  
وبدون ان نغنى او ارجح مذهب، ثم اذا هيئت الخي سببا بحد النظر او اتى  
فمنى عليه الله - منه نصيبه مغرم حور، كاسب

اسم دینہ قمری بہ بکھی (تعلیق) قتلہ قمری (الضیعی الملیتی لہبی  
جنرل قمری ۱۰۰ (تقدیر محکمہ ادکار بدو رتہ اولیہ)  
۱۳۱۳ قمری قمری خلاصہ قمری بدو رتہ اولیہ

[illegible]

الورازد واصلی ۳۷

۱۰۴۰ یوحنا بن مسکي قتله طالع بن يحيى و احب داح را ابي براد و مسخره و اخيه  
متر الجیح صیغی الغیر، بی اور از له اجنی بها خلاصع ار ایل جمع الخ  
لا اله الا انت سبحانك انی كنت من الضالین

خکیجه عین سیم از ی کاوشیجا عین الوردیه ایمنه دینار ۲۰ جل  
بصاد و زمین خلدیها عین و لونا الجاج احمر باش خانیه او ستم و بیع  
۲۱ اول و ۲۲

<sup>(1)</sup> - المصدر نفسه، رقم الوثيقة، 77، 83، 72.







## الملحق رقم (7)

وثيقة أرشيفية توضح ما دفعته إيالة تونس إلى السلطة العثمانية في الجزائر، من طرف الداوي على بوصبع وذلك في عهد الباي محمد بن الحسين سنة 1758م<sup>1</sup>

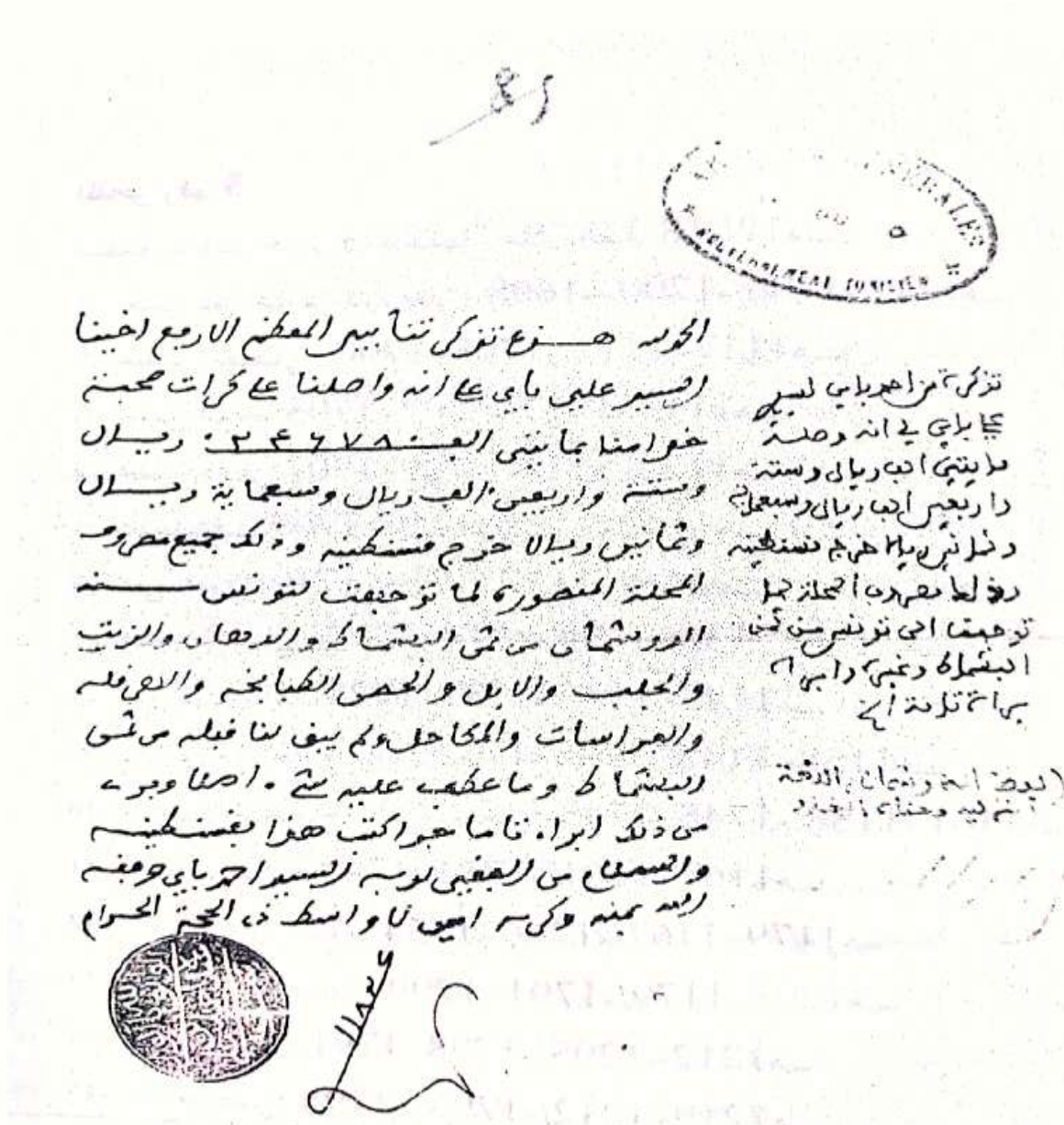
و اما	الخارج	و رابع النور معوا لبحاي طينتي بعين و شكسؤال ١٧١
١٠٠٠٠	مع موج لسيير النور لائل حاتم الخواي علم ير لسيير	تسعين احر دعي و بائي بائي
٠٠١٠٠٠	و مع موج لسيير النور و لائل علم ير النور و البعير نسي	علم ير النور
٠٠٠٢٥٠٠	و مع موج لسيير ناج علم ير النور و خمس مائة سلها	
٠٠٠٢٥٠٠	و مع موج لائل علم ير النور	
٠٠٠١٠٠٠	و مع موج لسيير نجيل علم ير النور و مائة سلها	
٠١١٦٠٠٠	و مع ير احر دعي لسيير بعين كذا بائي الخواي ثلثا مائة سلها	
٠٠٠١٥٠٠	و خرج علم ير النور و بائي الخواي تسليع من الغايد غفيرة	
٠٠٠٠٠٠	و علا و ضايع له من غفيرة من البيت علم ير النور و غفيرة و بائي	
٠٠٠٠٠٠	لبي و لبعير و خمسة و ثلثا مائة سلها و شكسؤال	
١٢٦٣٩١٥٦	و نفع لائل النور و احر و عيني نسي	
٠٠٠١٠٧٢		
١٢٦٤٩٩٠٠	و مع موج لسيير نسي و احر دعي لسيير بائي الغايد ثلثا مائة و احر دعي	
٠٠٠٠٠٠	و احر دعي و خمسة و ثلثا مائة لائل بعين لفايد حود و غفيرة	
٠٠٠٠٠٠	البيت انما موا و خمسة و احر دعي لسيير بعين	
١٧٢٤٩٩٠٠	و مع موج لسيير نسي و احر دعي لسيير بعين	
٠٠٠٣٥٠٠		
١٧٤٩٩٩٠٠	و خرج نسي علم ير نسي و احر دعي و احر دعي لسيير لائل ثلثا مائة و نفع	
٠٠٠١٥٠٠	سلها	
١٧٤٩٩٩٠٠	و خرج نسي علم ير نسي و احر دعي و احر دعي لسيير لائل ثلثا مائة و نفع	
٠٠٠١٥٠٠	سلها	
١٧٤٩٩٩٠٠	و خرج نسي علم ير نسي و احر دعي و احر دعي لسيير لائل ثلثا مائة و نفع	
٠٠٠١٥٠٠	سلها	

<sup>(1)</sup> - دفاتر جبائية، الدفتر 99- 1758م، الأرشيف الوطني التونسي، الوثيقة رقم 43.



## الملحق رقم (8)

وثيقة أرشيفية يتضمن محتواها أن باي تونس (الباي علي) ظل يدفع لحكام الجزائر تكاليف المحلة التي كانت سبب في وصوله إلى الحكم في إيالة تونس سنة 1752م، واستمر ذلك كالالتزام حتى بلغ إجمال ما دفعه لبابالك قسنطينة حوالي: 246780 ريال<sup>1</sup>



<sup>1</sup> - الملف 384 - 223، 1752م، الأرشيف الوطني التونسي، الوثيقة 7.

## الملحق رقم (9)

جدول يلخص إسهامات البايلاكات المقدمة للسلطة المركزية ما بين 1720-1833م<sup>1</sup>:

المصادر	السنة	دنوش بايلك الغرب	دنوش بايلك الشرق	دنوش بايلك التيطري
توماس شاو	1720م	40000 أو 50000	من 80000 إلى 10000	12000
لوجي دي تاسي	1725م	100000 ق 250000 ف	120000 ق أو 300000 ف	50000 ق 125000 ف
بايصونال		/	112000 ق مع هدايات وترضيات	/
دي بارادي	1788م	273000 ق	228000 ق	67000 ق
و.شالر	1822م	75000 دس	60000 دس	4000 دس
جير دان	1830م	302482,50 ف	294150 ف	/
روزي	1833م	622402 ف	778811 ف	1401213 ف

<sup>1</sup> - ناصر الدين سعيدوني، الملكية والجباية.....، المرجع السابق، ص ص 140 - 141، وكذا

Thomas (Shaw), Voyage dans.....op. cit, p109.

## الملحق رقم (10)

جدول توضيحي لوضعية قبائل البايلاكات وطبيعة علاقتها بالسلطة المركزية<sup>1</sup>:

بائلك الغرب (وهران)	بائلك الشرق (قسنطينة )	بائلك التيطري (المدية)	(مقر الحكم المركزي) دار السلطان	وضعية القبائل
36	25	09	19	قبائل مخزنية محاربة
10	22	05	/	قبائل مخزنية غير محاربة
56	14	23	11	قبائل الرعية
29	25	12	20	قبائل حليفة ومتعاونة مع السلطة المركزية
26	138	13	23	قبائل مستقلة عن سلطة الحكم المركزي

<sup>(1)</sup> - عائشة غطاس وأخريات، الدولة الجزائرية الحديثة .....، المرجع السابق، ص 232.

## الملحق رقم (11)

قائمة البايات الذين تم تعيينهم من طرف الحكم المركزي على إدارة بايلك التيطري<sup>1</sup>

11	فرحات باي	-
12	رجب باي	1548
13	قائد يوسف	-
14	شعبان باي	1633
15	محمد باي	1650
16	فرحات باي	1663
17	إسماعيل باي	1670
18	حسن باشا	1687
19	محمد باشا	1692
20	حسين باشا	1706
21	حمو باشا	1716
22	سليمان باشا	1728

الرقم	إسم الباي	سنة توليته الحكم
1	رجم باي	1548
2	يحي باي	1568
4	رمضان باشا	1575
5	مصطفى باي	1580
6	مراد باي	1583
7	محمود باشا	1584
8	قائد الحسين	-
9	دي ميديا	1585
10	جعفر باي قائد الجيش	1591

<sup>1</sup>- Berbrugger(A), « Chronique », R.Af, n°10, Alger, 1866, pp 153-154 .et Pharaon (F), « Les Chorfa, Fraction des Abid », R.Af, n°2, Alger, 1857, pp 302-303 .et Federmann (H), « Notices Sur Luistoire et L'administration de Beylik de Titeri », R.Af, n°9, Alger, 1865, p283.

الرقم	اسم الباى	سنة توليته الحكم
23	علي باي	1744
24	محمد باي	1753
25	أوصمان باي	1757
26	إبراهيم باي	1759
27	الحاج علي باي	1760
28	يحيى أغا	1762
29	أوصمان	1763
30	ضارم	-
31	علي جنوزي	1766
32	إسماعيل	1767
33	مامرلي	-
34	صولفا	1775
35	حسان	1805
36	مصطفى	1819

Berbrugger(A), op.cit, pp 153-154 .et Pharaon (F), op.cit, pp 302-303 .et Federmann (H) , op.cit, p283.

## الملحق رقم (12)

قائمة البايات الذين تم تعيينهم من طرف الحكم المركزي على إدارة بايلك قسنطينة<sup>1</sup>:

1707	حمودة باي	12
1708	علي باي بن حمودة	13
1709	حسين شاوش	14
1710	عبد الرحمن باي	15
"	حسين نقزلي	
"	علي بن صالح	
1713	كليان حسين بوكمة	16
1746	حسين باي بوحناك	17
-	حسين باي المدعو أزرق العينين	18
1756	أحمد باي القلي	19
1771	صالح باي	20
1792	إبراهيم باي	21
"	بوصبعة	
"	صالح باي للمرة الثانية	
	حسين باي	

الرقم	إسم الباي	سنة توليته الحكم
1	رمضان باي	1528
2	جعفر باي	1567
3	مراد باي	1637
4	فرحات باي	1648
5	محمد باي بن فرحات	1652
6	رجم باي	1667
7	خيرالدين باي	1673
8	دالي باي	1676
9	عمر بن عبد الرحمان المدعو باشا باي	1679
10	شعبان باي	1687
11	إبراهيم باي	1702

<sup>1</sup>)-Feraud ( L), « Epoque de L'établissement des Turcs à Constantine », R. Af, n°10, Alger, 1866, pp192-193.



1819	أحمد باي المملوك للمرة الثانية	31
1821	لراهم باي الكريتلي	32
1824	محمد باي مانامني	33

الرقم	إسم الباي	تاريخ توليته الحكم
22	مصطفى باي الوزناجي	1794
23	الحاج مصطفى	1797
24	عثمان باي	1803
25	عبد الله باي	1804
26	حسين بن صالح باي	1806
27	علي باي بن يوسف	1808
28	محمد باي نعمان	1811
29	محمد تشاكر	1813
30	قارة مصطفى باي أحمد باي المملوك محمد باي الملي	1817

Feraud ( L), « Epoque de.... », op.cit, pp, 192-193.

## الملحق رقم (13)

قائمة البايات الذين تم تعيينهم من طرف الحكم المركزي على إدارة بايلك الغرب إلى غاية سنة 1830<sup>1</sup>:

1756	حسن باي(فر إلى إسطمبول)	9
1756- 1771	أبو إسحاق إبراهيم الملياني	10
1771- 1779	الحاج خليل باي	11
1779- 1799	أبو عثمان المجاهد محمد بن عثمان الكبير	12
1799- 1802	عثمان باي بن محمد عثمان	13
1802- 1805	مصطفى بن عبد الله العجمي	14
1805- 1808	الباي محمد الملقب بالمقلش	15
1808- 1809	الباي حسن بن موسى	19

الرقم	إسم الباي	فترة الحكم
1	أبو خديجة الباي سواق ساعد محمد عيسى	فترة غموض
2	شعبان الزناقي	1696
3	مصطفى بوشلاغم بن يوسف	1690- 1733
4	ابن عودة يوسف بن محمد بن إسحاق المسراتي	1733- 1734
5	مصطفى الأحمر المسراتي	1735
6	محمد أبو طالب المحاجي	1735- 1743
7	مصطفى قائد الذهب المسراتي المعروف بباي المحال	1743- 1748
8	الحاج عثمان باي إبراهيم	1748- 1755

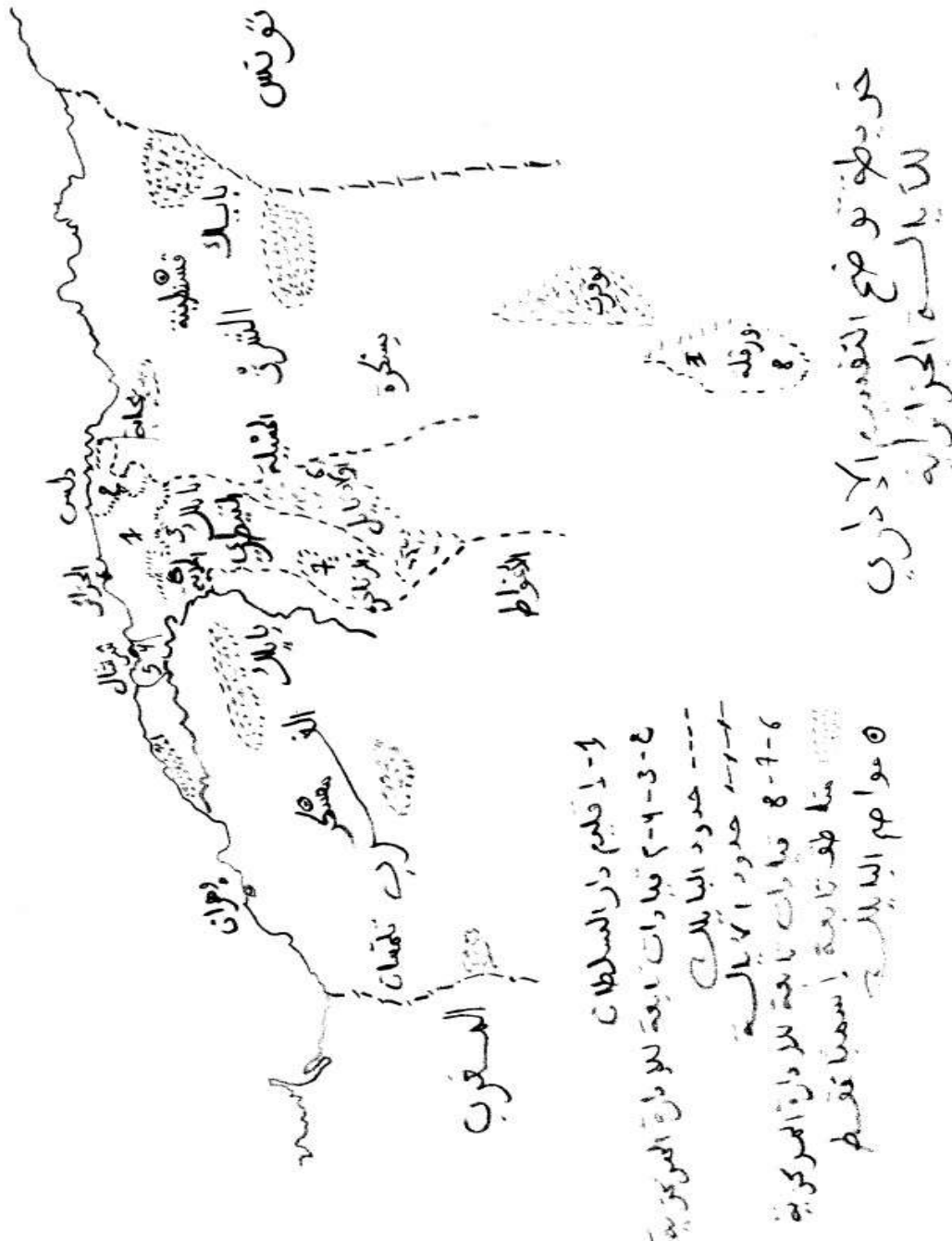
<sup>(1)</sup> - عائشة غطاس وأخريات، الدولة الجزائرية الحديثة .....، المرجع السابق، ص226.

الرقم	إسم الباى	فترة الحكم
20	محمد بن عثمان بوكابوس	1809- 1813
21	الباى على المعروف بقره بغلي	1813- 1826
22	الباى حسن بن موسى	1826- 1830

عائشة غطاس وأخريات، الدولة الجزائرية الحديثة .....، المرجع السابق، ص226.

## الملحق رقم (14)

خريطة توضح التقسيم الإداري (المقاطعات) للإيالة الجزائرية خلال العهد العثماني<sup>1</sup>.



<sup>(1)</sup> - الخريطة من وضع الباحث استعانة عمر حرفوش، الإدارة الجزائرية في العهد، .....، المرجع السابق، ص 242.

## المحلق رقم (15)

خريطة توضح الوضع العام للبايلكات (المقاطعات) الجزائرية خلال العهد العثماني<sup>1</sup>.



<sup>(1)</sup> - الخريطة من وضع الباحث إستعانة عمر حرفوش، الإدارة الجزائرية، .....، المرجع السابق، ص ص 244.

## الملحق رقم (16)

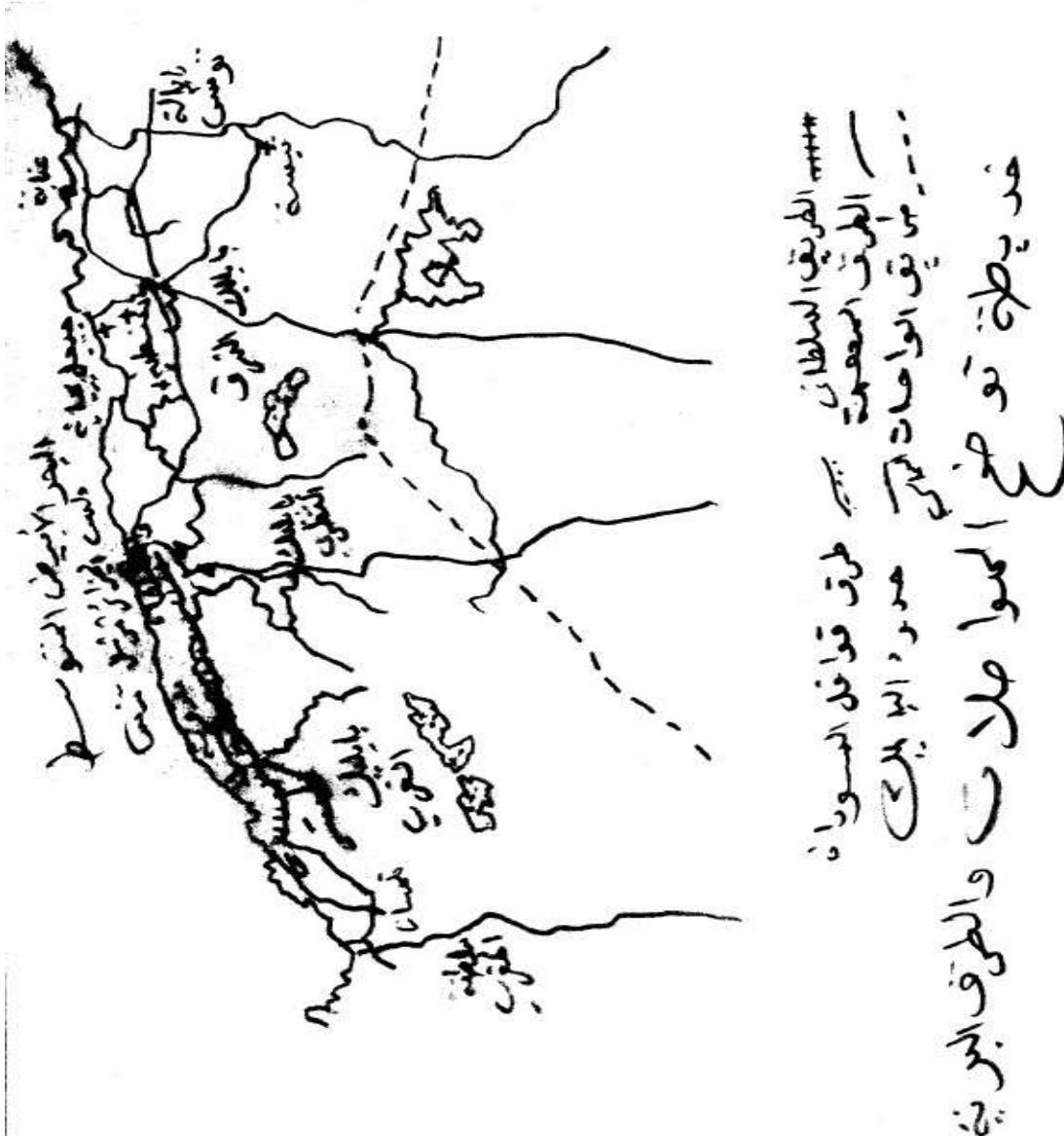
مخطط توضيحي لمقر الحكم المركزي (دار السلطان) خلال الفترة العثمانية<sup>1</sup>.



<sup>(1)</sup> - مخطط من وضع الباحث إستعانة ب: سعيدوني ناصر الدين- البوعبدلي المهدي، الجزائر في التاريخ العهد العثماني.....، المرجع السابق، ص 234.

## المحلق رقم (17)

خريطة توضح الطرق البرية التجارية الرئيسية بين المقاطعات الإدارية خلال الفترة العثمانية<sup>1</sup>.



<sup>(1)</sup> - الخريطة من وضع الباحث إستعانة بسعيدوني ناصر الدين - البوعبدلي المهدي، الجزائر في التاريخ العهد العثماني.....، المرجع السابق، ص 237.



### الملحق رقم (18)

خريطة توضح طبيعة علاقة قبائل الأرياف بالبائلك خلال الحكم العثماني<sup>1</sup>.



<sup>(1)</sup> - خريطة من وضع الباحث إستعانة بسعيدوني ناصر الدين-البوعبدلي المهدي، الجزائر في التاريخ العهد العثماني.....، المرجع السابق، ص 240.



## الملحق رقم (19)

خريطة توضح الحدود الإدارية التي وضعتها السلطة المركزية لبابيك التيطري<sup>1</sup>.



<sup>(1)</sup> - خريطة من وضع الباحث إستعانة بفايزة بوشيبة، بابيك التيطري....، المرجع السابق، ص 110.

**الملحق رقم (20)**

خريطة توضح التوزيع الجغرافي لقبائل مقاطعة بايك التيطري<sup>1</sup>.



(1) - خريطة من وضع الباحث إستعانة بفايزة بوشيبة، بايلك التيطري....، المرجع السابق، ص 111.

## الملحق رقم (21)

خريطة توضح الممرات والطرق التجارية الرابطة مقر الحكم المركزي مع بايلك الشرق<sup>1</sup>.



<sup>(1)</sup> - خريطة من وضع الباحث إستعانة جميلة معاشي، الإنكشارية .....، المرجع السابق، ص 60.

**الملحق رقم (22)**

خريطة توضح الطابع العام والوضع الإداري لمقاطعة بابل في الغرب خلال الفترة العثمانية<sup>1</sup>.



(1) - خريطة من وضع الباحث إستعانة عمر حرفوش الإدارة الجزائرية في العهد.....، المرجع السابق، ص 243.





**الملحق رقم (24)**

2. *Ma*



<sup>(1)</sup> - خريطة من وضع الباحث إستعانة بسميرة طالي معمر، القوى المحلية بباليك.....، المرجع السابق، ص 197.

الملحق رقم (25)

خريطة توضح أماكن الصدام العسكري بين السلطة العثمانية مع الدراويين والتجانيين<sup>1</sup>.



(1) - خريطة من وضع الباحث إستعانة بسميرة طالي معمر، القوى المحلية بباليك.....، المرجع السابق، ص 196.

# قائمة المصادر والمراجع



❖ القرآن الكريم (رواية ورش)

## قائمة المصادر والمراجع

أولاً: المصادر العربية والأجنبية

1- المصادر العربية:

أ- الوثائق الأرشيفية:

➤ محفوظات الأرشيف الوطني التونسي:

- ❖ دفاتر جبائية، الدفتر 291 - 1213 هـ، الأرشيف الوطني التونسي، الوثيقة 65.
- ❖ \_\_\_\_\_، الدفتر 99 - 1758 م، الأرشيف الوطني التونسي، الوثيقة رقم 43.
- ❖ \_\_\_\_\_، الدفتر 291 - 1213 هـ، الأرشيف الوطني التونسي، الوثيقة 77.
- ❖ \_\_\_\_\_، الدفتر 291 - 1213 هـ، الأرشيف الوطني التونسي، الوثيقة 99.
- ❖ \_\_\_\_\_، الدفتر 291 - 1213 هـ، الأرشيف الوطني التونسي، الوثيقة 84.
- ❖ \_\_\_\_\_، الدفتر 291 - 1213 هـ، الأرشيف الوطني التونسي، الوثيقة 85.
- ❖ \_\_\_\_\_، الدفتر 291 - 1213 هـ، الأرشيف الوطني التونسي، الوثيقة 83.
- ❖ \_\_\_\_\_، الدفتر 291 - 1213 هـ، الأرشيف الوطني التونسي، الوثيقة 66.
- ❖ \_\_\_\_\_، الدفتر 291 - 1213 هـ، الأرشيف الوطني التونسي، الوثيقة 72.
- ❖ الدفتر الإداري والجبائي، رقم 2847-1037 هـ 1628 م، الأرشيف الوطني التونسي، الوثيقة 1 و2.

- ❖ مراسلات صادرة عن مؤلفين جزائريين لباي تونس، الملف 384 - المجموعة (الحافظة) 223-1758 م عدد الوثائق 186، الأرشيف الوطني التونسي، رقم 13.
- ❖ مراسلات صادرة عن مؤلفين جزائريين لباي تونس، الملف 384 - المجموعة (الحافظة) 223-1758 م عدد الوثائق 186، الأرشيف الوطني التونسي، رقم 30.

❖ مراسلات صادرة عن مؤلفين جزائريين لباي تونس، الملف 384-المجموعة (الحافظة) 223-1758م عدد الوثائق 186، الأرشيف الوطني التونسي، رقم 32.

❖ الملف 384-223، 1752م، الأرشيف الوطني التونسي، الوثيقة 7.

#### ➤ محفوظات الأرشيف الوطني الجزائري:

❖ سجلات البايلك : رقم السجل 1/241 (1) الأرشيف الوطني الجزائري.

❖ \_\_\_\_\_، علبة: 217-245، رقم السجل: 328، الأرشيف الوطني الجزائري.

❖ \_\_\_\_\_ الخاص بالأعراش، رقم السجل 40، الأرشيف الوطني الجزائري.

❖ \_\_\_\_\_: رقم السجل 50(39) الأرشيف الوطني الجزائري.

❖ سجلات المحاكم الشرعية: رقم السجل 122(12) الأرشيف الوطني الجزائري.

❖ ملف الوثائق العثمانية، رقم الملف: 1642، الأرشيف الوطني الجزائري.

#### ➤ محفوظات أرشيف ولاية قسنطينة

❖ رسائل من أحد العيان، الملف 384-المجموعة (الحافظة) 223-1842م، الأرشيف الوطني التونسي، رقم 20، تم تصوير هذه الوثيقة من الأرشيف الوطني التونسي - أرشيف ولاية قسنطينة.

❖ رسائل من السلطة إلى الأعراش، الملف 384- المجموعة (الحافظة) 223-1758، الأرشيف الوطني التونسي، رقم 107. تم تصوير هذه الوثيقة من الأرشيف الوطني التونسي - أرشيف ولاية قسنطينة.

❖ رسائل من السلطة إلى الأعراش، الملف 384-المجموعة (الحافظة) 223-1758، الأرشيف الوطني التونسي، رقم 20. تم تصوير هذه الوثيقة من الأرشيف الوطني التونسي - أرشيف ولاية قسنطينة.

❖ مراسلات صادرة عن مؤلفين جزائريين لباي تونس، الملف 384-المجموعة (الحافظة) 223، تم تصوير هذه الرسالة من الأرشيف الوطني التونسي - أرشيف ولاية قسنطينة.

❖ الملف 384- المجموعة (الحافظة) 223 - 1758م، الأرشيف الوطني التونسي، الوثيقة 20. تم تصوير هذه الوثيقة من الأرشيف الوطني التونسي - أرشيف ولاية قسنطينة.

❖ الملف 384- المجموعة (الحافظة) 223، 1830م، رقم الوثيقة 120، تم تصوير هذه الرسالة من الأرشيف الوطني التونسي - أرشيف ولاية قسنطينة.

#### ب - المصادر المطبوعة:

❖ ابن التهامي مصطفى، سيرة الأمير عبد القادر وجهاده، تح: يحي بوعزيز، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1995.

❖ ابن العطار (أحمد بن المبارك)، تاريخ حاضرة قسنطينة، تح: رابح بونار، الجزائر، 1971.

❖ ابن حوقل أبو القاسم، كتاب صورة الأرض، دار الكتاب الإسلامي، مصر، د.ت.

❖ ابن خلدون عبد الرحمان، العبر في أخبار العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، ج: 6، منشور دار الكتاب اللبناني، بيروت 1968.

❖ ابن مريم محمد بن أحمد التلمساني، البستان في ذكر الأولياء والعلماء بتلمسان، مراجعة: محمد بن أبي شنب، المطبعة الثعالبية، الجزائر، 1908.

❖ ابن ميمون محمد، التحفة المرضية في الدولة البكداشية في بلاد الجزائر المحمية، ط1، تح: بن عبد الكريم، ش. و.ن. و.ت، الجزائر، 1972.

❖ أبو الفداء عماد الدين إسماعيل بن محمد، كتاب تقويم البلدان، تح: البارون ماك كزكين ديسلان، السلطانية، باريس، 1840.

- ❖ أبي الفضل جمال الدين (ابن منظور)، لسان العرب، ج2، دار صادر، بيروت، دت.
- ❖ أبي القاسم محمد (ابن أبي دينار)، كتاب المؤنس في أخبار افريقية وتونس، ط1، مطبعة الدولة التونسية، تونس، 1869.
- ❖ التلمساني أحمد ابن هطال، رحلة محمد الكبير باي الغرب الجزائري الى الجنوب الصحراوي الجزائري، ط1، تح: محمد بن عبد الكريم، عالم الكتب، القاهرة، 1969م.
- ❖ التمحروطي أبو الحسن، النفحة المسكية في السفارة التركية، دت.
- ❖ الحاج ابن الدين، مجموع رحلات، تح أبو القاسم سعد الله، ط خ، تلمسان 2011.
- ❖ خوجة حمدان بن عثمان، المرأة، تح: محمد العربي الزبيري، ش. و. ن. ت، الجزائر، 2005.
- ❖ ديفولكس ألبير، خطط مدينة الجزائر من خلال مخطوط ديفولكس والأرشفيف العثماني، ترجمة وتحقيق مصطفى بن حموش - بدر الدين بلقاضي، م. و. ف. م، الجزائر، 2004.
- ❖ الراشدي أحمد ابن سحنون، الثغر الجماني في إبتسام الثغر الوهراني، ط1، تح: المهدي البوعبدلي، عالم المعرفة، الجزائر، 2013.
- ❖ الزهار أحمد الشريف، مذكرات الحاج أحمد الشريف الزهار، تح: أحمد توفيق المدني، ج 7، عالم المعرفة، الجزائر، 2010.
- ❖ شاوش ابن المفتي حسين بن رجب، تقييدات ابن المفتي في تاريخ باشوات الجزائر وعلمائها، تق: فارس كعوان، بيت الحكمة، الجزائر، 2008.
- ❖ الشويهد عبد الله بن محمد، قانون أسواق مدينة الجزائر 1695-1705، تح: ناصر الدين سعيدي، ط1، دار الغرب الاسلامي، بيروت، 2006.

- ❖ الصيد سليمان، نفح الأزهار عما في مدينة قسنطينة من الأخبار، المطبعة الجزائرية، الجزائر، 1994.
- ❖ العنتري صالح، مجاعات قسنطينة، تح: رابح بونار، ش. و. ن. ت، الجزائر، 1974.
- ❖ الغساني محمد بن عبد الوهاب، رحلة الوزير في إفتكاك الأسير، تح: الفريد البستاني، تطوان، 1939.
- ❖ فراي ديغو هايدو، تاريخ ملوك الجزائر، تر: أبو لؤي عبد العزيز الأعلى، دار الهدى، الجزائر، 2013.
- ❖ الفكون عبد الكريم، منشورات الهداية في كشف حال من ادعى العلم والولاية، ط 1، تح: أبو القاسم سعد الله، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1987.
- ❖ كاتكارت، مذكرات أسير الداى كاتكارت قنصل أمريكا في المغرب، تر: إسماعيل العربي، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1982.
- ❖ مارمول كريخال، إفريقيا، ج 2، تر: محمد حجي وآخرون، الجمعية المغربية للتأليف، الرباط، 1984.
- ❖ مجهول، تاريخ بايات قسنطينة المرحلة الأخيرة، تح: حساني مختار، منشورات دحلب، الجزائر، 1999.
- ❖ محمد بن عبد القادر الجزائري، تحفة الزائر في تاريخ الجزائر والأمير عبد القادر، ط 2، تع: ممدوح، دار اليقظة، بيروت، 1964.
- ❖ محمد يوسف الزياني، دليل الحيران وأنيس السهران في أخبار مدينة وهران، تح: المهدي البوعبدلي، الجزائر، 1979.
- ❖ المديوني ابن مريم، البستان في ذكر العلماء والأولياء بتلمسان، ط 1، تح: عبد القادر بوباية، مكتبة الرشاد للطلبة، الجزائر، 2011.

- ❖ المازري ابن عودة، طلوع سعد السعود في أخبار وهران والجزائر وأسبانيا وفرنسا إلى أواخر القرن التاسع عشر، ج2، تح: يحي بوعزيز، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1990.
- ❖ مسلم ابن عبد القادر الوهراني، أنيس الغريب والمسافر في طريف الحكايات والنوادر، ج1. تح: رابح بونار، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1974.
- ❖ المشرفي العربي عبد القادر، الحسام المشرفي، تح: شرف عبد الحق، أطروحة دكتوراه، جامعة وهران.
- ❖ الناصري أحمد، الإستقصاء لأخبار دول المغرب الأقصى، ج8، تح: جعفر الناصري ومحمد الناصري، دار الكتاب، د.ت.
- ❖ الورثيلاني الحسين بن محمد الشريف، نزهة الأنظار في فضل علم التاريخ والأخبار (الرحلة الورثيلانية)، تح: محمد ابن أبي شنب، مطبعة ببيير فونتانا الشرقية، الجزائر، 1908.
- ❖ الوزان الحسن، وصف إفريقيا، ط2، ج1، تر: محمد حجي، ومحمد الأخضر، الجمعية المغربية للتأليف والترجمة، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1983.
- ❖ وليم شالر، مذكرات وليم شالر، تر: إسماعيل العربي، ش. و. ن. ت، الجزائر، 1982.

## 2- المصادر الأجنبية:

- ❖ Dapper(O), Description de L'Afrique, Amsterdam, 1685.
- ❖ Defontaine (de Respercq), Alger et Les Cotes d'Afrique, T2, Baris, Bibliothèque instructive et Amusante, 1832.
- ❖ Devoulx (A), Les Archives de Consulat General de France à Alger, Alger, B. L. E, 1865.
- ❖ —————, Tachrifat Recueil de Notes Historiques sur l'Administration de L'ancienne Régence d'Alger, Alger, Imprimerie du Gouvernement, 1852.
- ❖ Haedo (F -de Diego), Topographie et Histoire Générale d'Alger Traduit de Le Espagnol, par :M .M.de Monnereau et. Berbrugger(A), Paris, Imprime à Valladolid, en1870.
- ❖ —————, Histoire des Rois d'Alger, Alger, tr par:de Grammont, aujourd'hui.
- ❖ Laugier (de Tassy), Histoire du Royaume d'Alger, Amsterdam, Chez Henri du Sauzet, 1725.
- ❖ Leynadier et Clausel, Histoire de L'Algérie Française, Paris, imp. Henry(A),1845.
- ❖ Pananti(F), Relation d'un séjour a Alger, paris,1820.
- ❖ Thomas (Shaw), Voyage dans la Régence d'Alger, Trad Par: J.Mac Carthy, Tunis, Editions Bous lama, 1980.

## ثانيا: المراجع العربية والأجنبية

### 1- المراجع العربية:

- ❖ ابن أشنهو عبد الرحمان، الدولة الجزائرية في 1830م مؤسساتها في عهد الأمير عبد القادر، تر: لعراجي نور الدين، موفم للنشر، وزارة الثقافة الجزائر، 2013.
- ❖ ابن شهرة المهدي، تاريخ وبرهان بمن حل بمدينة وهران، دار الريحانة للنشر والتوزيع، الجزائر، 2000.
- ❖ ابن صديق، " الأبواب المأذونية من بلاد مغراوة"، مازونة، وزارة الثقافة للنشر والتوزيع، وهران، 2000.

- ❖ ابن محمد الجليلي عبد الرحمان، تاريخ الجزائر العام، ج3، شركة الأمة، الجزائر، 2010.
- ❖ أرجمنت كوران، السياسة العثمانية تجاه الإحتلال الفرنسي للجزائر، تر: عبد الجليل التميمي، منشورات الجامعة التونسية، تونس، 1970م.
- ❖ أرزقي شويتام، المجتمع الجزائري وفعالياته في العهد العثماني (1519-1830)، ط1، دار الكتاب العربي، الجزائر، 2009.
- ❖ أغناطيوس يوليانونوفتش - كراتشكوفسكي، تاريخ الأدب الجغرافي، تر: صلاح الدين عثمان هاشم، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1987.
- ❖ البوعبدلي المهدي، رسائل في التراث والثقافة، ط2، تح: أبو القاسم سعد الله، منشورات المجلس الإسلامي، الجزائر، 2010.
- ❖ بريش عبد اللطيف، الموريسكيون في المغرب، مطبعة المعارف الجديدة، الرباط، 2001.
- ❖ بك آصاف يوسف، صفحات من تاريخ مصر تاريخ سلاطين بني عثمان من أول نشأتهم حتى الآن، ط1، تق: محمد زينهم عزب، مكتبة مدبولي، القاهرة، 1995م.
- ❖ بلحميسي مولاي، الجزائر خلال رحلات المغاربة في العهد العثماني، ط2، ش. و. ن. ت، الجزائر، 1981.
- ❖ بن أشنهو عبد الحميد ابن زيان، دخول الأتراك العثمانيين إلى الجزائر، شارع نورمندي، الجزائر، 1972.
- ❖ بن حموش مصطفى، مساجد مدينة الجزائر وزواياها وأضرحتها في العهد العثماني من خلال مخطوط ديفوليكس والوثائق العثمانية، دار الأمة، الجزائر، 2010.
- ❖ بوحوش عمار، التاريخ السياسي للجزائر من البداية ولغاية 1962، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1997.



- ❖ بوعزيز يحي، ثورة 1871 دور عائلتي المقراني والحداد، ش و ن ت، الجزائر، 1975.
- ❖ بومولة نبيل، صفحات من تاريخ بجاية في العهد العثماني إمارة المقرانيين في القرن 10هـ/16م، دار هومة للطباعة والنشر، الجزائر، 2013.
- ❖ التميمي عبد الجليل، بحوث ووثائق في التاريخ المغربي الجزائر وتونس وليبيا 1816-1871م، ط م، منشورات مركز الدراسات والبحوث عن الولايات العربية في العهد العثماني، تونس، 1885.
- ❖ \_\_\_\_\_، دراسات ووثائق في التاريخ المغاربي في العصر الحديث، مؤسسة التميمي للبحث العلمي، تونس 1999.
- ❖ توفيق المدني أحمد، حرب الثلاثمائة سنة بين الجزائر وإسبانيا 1492-1792، ط 1، دار البصائر للنشر، الجزائر، 2007.
- ❖ جون ب وولف، الجزائر وأوربا 1500-1830م، تر: أبو القاسم سعد الله، ط خ، عالم المعرفة، الجزائر، 2009.
- ❖ حلومي عبد القادر، مدينة الجزائر نشأتها وتطورها قبل 1830م، د م، 1972.
- ❖ خنوف علي، السلطة في الأرياف الشمالية لبابلك الشرق الجزائري نهاية العهد العثماني وبداية العهد الفرنسي، الجزائر، 1999.
- ❖ \_\_\_\_\_، تاريخ منطقة جيجل قديما وحديثا، ط 1، منشورات الأنيس، الجزائر، 2011.
- ❖ دحماني توفيق، دراسة في عهد الأمان" القانون الأساسي السياسي والعسكري للجزائر في العثماني"، ب ط، الدار العثمانية، الجزائر، 2009.
- ❖ زوزو عبد الحميد، نصوص ووثائق في تاريخ الجزائر المعاصر 1830-1900، ط م، موفم للنشر، 2010.

- ❖ سامح أثير عزيز، الأتراك العثمانيون في إفريقيا الشمالية، ط 1، تر: محمود علي عامر، دار النهضة العربية، بيروت، 1989.
- ❖ سعد الله أبو القاسم، أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر، ج2، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1986.
- ❖ \_\_\_\_\_، تاريخ الجزائر الثقافي 1500-1830م، ط1، ج4، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1998.
- ❖ \_\_\_\_\_، شيخ الإسلام عبد الكريم الفكون داعية سلفية، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1986.
- ❖ \_\_\_\_\_، محمد الشاذلي القسنطيني 1807-1877م دراسة من خلال رسائله وشعره، دط، المؤسسة الوطنية للنشر، الجزائر، 1974.
- ❖ \_\_\_\_\_، مؤرخو وكتاب الحوادث القرن السادس عشر ضمن ترجمته لكتاب جون وولف: الجزائر وأوربا المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1986م.
- ❖ سعودي محمد العربي، المؤسسات المركزية والمحلية في الجزائر الولاية- البلدية 1516-1962، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2006.
- ❖ سعيدوني ناصر الدين\_المهدي بوعبدلي، الجزائر في تاريخ العهد العثماني، وزارة الثقافة والسياحة، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984.
- ❖ \_\_\_\_\_، الحياة الريفية بإقليم مدينة الجزائر دار السلطان أواخر العهد العثماني (1791-1830م)، ط خ، البصائر للنشر والتوزيع، الجزائر، 2013.
- ❖ \_\_\_\_\_، الملكية والجباية في الجزائر أثناء العهد العثماني، البصائر للنشر، الجزائر، 2013.
- ❖ \_\_\_\_\_، النظام المالي للجزائر أواخر العهد العثماني 1792-1830م، ط3، البصائر للنشر، الجزائر، 2012.

- ❖ \_\_\_\_\_، دراسات تاريخية في الملكية والوقف والجباية-الفترة الحديثة، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 2001.
- ❖ \_\_\_\_\_، دراسات وأبحاث في تاريخ الجزائر العهد العثماني، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984.
- ❖ \_\_\_\_\_، دراسات وشهادات مهدات إلى الأستاذ الدكتور أبو القاسم سعد الله، ط 1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 2000.
- ❖ \_\_\_\_\_، عصر الأمير عبد القادر، مؤسسة جائزة عبد العزيز سعود البابطين للإبداع الشعري.
- ❖ \_\_\_\_\_، ورقات جزائرية دراسات وأبحاث في تاريخ الجزائر في العهد العثماني، ط 1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 2000.
- ❖ السليماني أحمد، النظام السياسي الجزائري في العهد العثماني، مطبعة دحلب، الجزائر، 1994.
- ❖ \_\_\_\_\_، تاريخ مدينة الجزائر، د. م. ج، الجزائر، 1989م.
- ❖ شارل أندري جوليان، تاريخ افريقيا الشمالية- تونس- الجزائر- المغرب الأقصى من الفتح الاسلامي الى سنة 1830م، ج 2، ط 3، تر: محمد مزالي- البشير بن سلامة، دار التونسية للنشر، تونس، 1978.
- ❖ شنوف الطيب، دراسات في تاريخ الجزائر خلال القرنين 18م و 19م، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2015.
- ❖ الطمار محمد، تاريخ الأدب الجزائري، د ط، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2006.
- ❖ طيان ساعد شريفة، الفنون التطبيقية الجزائرية في العهد العثماني، دار المعرفة، الجزائر، 2011.

- ❖ عباد صالح، الجزائر خلال الحكم التركي 1514-1830م، دار هومة، الجزائر، 2012.
- ❖ عبد الرحمان الجيلالي، تاريخ المدن الثلاث (الجزائر-لمدية-مليانة)، ط1، دار الأمة، الجزائر، 2007.
- ❖ العربي إسماعيل، المدن المغربية، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، دت.
- ❖ عطا الله الجمل شوقي، المغرب العربي الكبير في العصر الحديث (ليبيا- تونس- الجزائر- المغرب)، ط1، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، 1977.
- ❖ عميراي حميدة، جوانب من السياسة الفرنسية وردود الفعل الوطنية في قطاع الشرق الجزائري-بداية الاحتلال، دار البعث، الجزائر، 1984.
- ❖ غطاس عائشة وأخريات، الدولة الجزائرية الحديثة ومؤسساتها، ط خ، المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954، الجزائر، 2007.
- ❖ فكاير عبد القادر، الغزو الإسباني للسواحل الجزائرية وآثاره 1505-1792م، دار هومة، الجزائر، 2012م.
- ❖ فيلالي مختار الطاهر، نشأة المرابطين والطرق الصوفية وأثرهما في الجزائر خلال العهد العثماني، دار الفن، الجزائر، دت.
- ❖ قداش محفوظ، الجزائر في العهد العثماني، تر: أحمد بن البار، ط1، دار الأمة للطباعة، الجزائر، 2017.
- ❖ القشاعي فلة موساوي، النظام الضريبي بالريف القسنطيني أواخر العهد العثماني 1771-1837م، مجموعة دراسات تحت إشراف ناصر الدين سعيدوني، القافلة للنشر، وزارة الثقافة، الجزائر، 2016.

- ❖ قشي فاطمة الزهراء، قسنطينة في عهد صالح باي، دط، ميديا بلوس للطباعة، قسنطينة، 2005.
- ❖ محمود السامرائي عبد السلام، الإدارة العثمانية في الجزائر 1518-1830م، ط1، صفحات للدراسة والنشر، سوريا، 2017.
- ❖ المدني أحمد توفيق، كتاب الجزائر، ط2، دار الكتاب، الجزائر، 1963.
- ❖ مرتاض عبد المالك، أدب المقاومة الوطنية في الجزائر (1830-1962)، المركز الوطني للدراسات والبحث، الجزائر، 2003.
- ❖ معاشي جميلة، الأسر المحلية الحاكمة في بايلك الشرق الجزائري من القرن 10 هـ 16م الى 13 هـ 19م، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2015.
- ❖ منصور حكيمة، السلطان العثماني محمود الثاني ومسألة الإحتلال الفرنسي للجزائر (1808-1839)، ط1، منشورات ألفا، الجزائر، 2014.
- ❖ هلال عمار، أبحاث ودراسات في تاريخ الجزائر المعاصر (1500-1830م)، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1995.
- ❖ هلايلي حنيفي، أوراق في تاريخ الجزائر في العهد العثماني، ط1، دار الهدى، الجزائر، 2008.
- ❖ \_\_\_\_\_، بنية الجيش الجزائري خلال العهد العثماني، ط 1، دار الهدى، الجزائر، 2007.
- ❖ وليم سبنسر، الجزائر في عهد رياس البحر، تر: عبد القادر زيادية، الشركة الوطنية للنشر، الجزائر، 1980.

## 2- المراجع الأجنبية:

- ❖ Alain (Mahe), Histoire de La Grande Kabylie xix<sup>e</sup>-xx<sup>e</sup> Siècles, paris, Editions Bouchene, 2001.
- ❖ Andre (Chouraqui), La Saga Des Juifs en Afrique de Nord, France, Librairie Hachette, 1972.

- ❖ Boyer(P), L'évolution de L'Algérie Médiane (ancien département d'Alger) de 1830 à 1956, paris, PA, Maisonneuve, 1960.
- ❖ Brahimi (Denise), Opinions et Regards Dessues Sur Le Maghreb aux xvII<sup>eme</sup> et XVIIIème Siècles, Alger, S .N .E.D, 1978.
- ❖ Chenntouf (Tayeb), Etudes d'Histoire de L'Algérie 18<sup>e</sup>-19<sup>e</sup> Siècles, Alger, O. P. U, 2004.
- ❖ de Grammont (H.-D), Histoire d'Alger Sous la Domination Turque (1515-1830), Paris, Ernest le roux, Editeur, 1887.
- ❖ —————, Relations entre la France et la régence d'Alger au XVII siècle, Alger, 1880.
- ❖ de Paradis (V), Alger au xvIII Siècle, Alger, typographie Adolphe Jourdan, 1898.
- ❖ —————, Tunis et Alger au xvIII Siècle, paris, Sindbad, 1983.
- ❖ Feraud(ch), Histoire des Villes de Ctne, Alger, R.S.A.C, 1870.
- ❖ Gouvion(m), Ayan Elmaghariba, Territoires de Sud, Alger, Province de Constantine, 1919.
- ❖ Iucette(Valensi), Le Maghreb Avant La Prise d'Alger (1790-1830), France, Flammarion, 1969.
- ❖ Janine et Dominique(Sourdell), Dictionnaire historique de l'islam, Paris, P.U.F, 1996.
- ❖ Kaddache(M), Lalgerie durant La Periode Ottomane, Alger, pub Office des Publications Universitaires, 2003.
- ❖ Lemnouar (Merouche), Recherches Sur L'Algérie a L'époque Ottomane, Monnaies, prix et Revenus 1520-1830, paris, 2002.
- ❖ Louis (Rinn), Marabouts et Khouans, Alger, Jourdan, 1884.
- ❖ Mercier(E), Histoire de Constantine, Constantine (Alger), 1903.
- ❖ Moulay (Belhamissi), Alger L'Europe et La guerre Secrète (1518-1830), Alger, Editions Dahl ab.
- ❖ —————, Marine et Marins d'Alger (1518-1830), Alger, B.N.A, T3, 1996.
- ❖ Nacereddine (Saidouni), L'algerois Rural à La Fin de L'époque Ottomane (1791-1830), Liban, Dar Al-Gharb Al-Islami, 2001.
- ❖ Ouvrage (Collectif), L'Algérie Histoire Société et Culture, Sous La Coordination de: Hassan Remaoun, Alger, Casbah Editions, 2000.
- ❖ Robe(E), de l'impôt Foncier en Algérie, Alger, Bastide, 1871.
- ❖ Tinthoin (Robert), Colonisation et évolution de genres de vie dans la région ouest d'Oran de 1850-1885, Fouqué, 1947.

- ❖ Valensi (L), Le Maghreb Avant La Prise d'Alger (1790-1830), France, Flammarion, 1969.
- ❖ Vaysettes, Histoire de Constantine Sous La Domination Turque de 1517-1837, in Recueil des natices et Mémoires de Société Archéologiques de la province de Constantine, t11, 1867.

### ثالثا: المقالات العربية والأجنبية

#### 1- المقالات العربية:

- ❖ ابلالي أسماء، "ردود الفعل المحلية الجزائرية على قيام سلطة للأتراك العثمانيين في الجزائر"، المجلة التاريخية العربية للدراسات العثمانية، ع 55-56، مؤسسة التميمي للبحث العلمي والمعلومات، تونس، ديسمبر 2017م.
- ❖ آيت حبوش حميد، "مكانة المصادر الأوروبية في كتابة تاريخ الجزائر في العهد العثماني"، مجلة الحوار المتوسطي، ع2، دار الأصول، سيدي بلعباس، 2010.
- ❖ براهيم محمد الشيخ، "نماذج من مقاومات أولاد نايل للتوسع الفرنسي في الهضاب الوسطى (1849-1854)، مجلة قضايا تاريخية، ع9، جوان 2018.
- ❖ بلبروات بن عتو، "المهاجرون والمهجرون إلى الجزائر العثمانية بين الانعزال والاندماج الاجتماعي"، مجلة المواقف، ع04، الرشاد، معسكر، ديسمبر 2009.
- ❖ بلحميسي مولاي، "الثورة على الأتراك في الجزائر، شواهد مستقاة من وثائق إسبانية لم تنشر"، مجلة الثقافة، ع46، الجزائر، ديسمبر 1978.
- ❖ \_\_\_\_\_، "مدينة المدية عبر العصور في الجزائر"، مجلة الأصالة، ع2، وزارة شؤون الدينية، 1971.
- ❖ \_\_\_\_\_، "تحرير مدينة وهران سنة 1708م"، مجلة تاريخ وحضارة المغرب، دون عدد، كلية الادب، الجزائر، جويلية 1970.

- ❖ بليل محمد، " تجربة الأمير عبد القادر في التفاوض مع الفرنسيين، معاهدة التافنة لسنة 1837 نموذجا، المجلة المغربية للدراسات التاريخية والاجتماعية، ع 3، جامعة سيدي بلعباس، مارس 2012.
- ❖ بن عمر حمدادو، " مساهمة علماء بايلك الغرب في علم الكلام والتصوف مقارنة تاريخية"، مجلة عصور، ع 18-19، منشورات مخبر البحث التاريخي مصادر وتراجم، جامعة وهران، ديسمبر 2012.
- ❖ بوطيبة عبد الغني، " دور رجال التصوف في نشوء المدن مدينة الأبيض سيدي الشسخ أنموذجا"، مجلة آفاق فكرية، ع 6، جامعة سيدي بلعباس، 2017.
- ❖ التميمي عبد الجليل، " الحاج أحمد باي وبايلك قسنطينة (1830-1837)"، المجلة التاريخية المغربية، ع 15-16، مؤسسة التميمي للبحث العلمي والمعلومات، تونس، جويلية 1979.
- ❖ \_\_\_\_\_، " أول رسالة من أهالي مدينة الجزائر إلى السلطان سليم الأول سنة 1519"، المجلة التاريخية المغربية، ع 6، مطبعة الإتحاد العام التونسي للشغل، تونس، جويلية 1979.
- ❖ جعني زينب، "ثورة ابن الأحرش في بايلك الشرق (1800-1807م)"، مجلة عصور الجديدة، ع 18، جامعة وهران، أوت 2015.
- ❖ حصام صورية، " نكبات قسنطينة خلال القرن 18م وبداية القرن 19م"، مجلة عصور، ع 23-25، جامعة وهران، جوان 2015.
- ❖ حقي محمد صلاح، " أي دور للعثمانيين وللجغرافيا وللقبائل في رسم الحدود بين إيالتي تونس والجزائر عبر إتفاقيتي 1614-1628م"، المجلة التاريخية العربية للدراسات العثمانية، ع 53-54، منشورات مؤسسة التميمي للبحث العلمي والمعلومات، تونس، أكتوبر 2016.



- ❖ حماش خليفة، " تجنيد المتطوعين للجيش الجزائري في أقاليم الدولة العثمانية في أواخر العهد العثماني"، مجلة الآداب والعلوم الإنسانية، ع 2، جامعة الأمير عبد القادر، قسنطينة، 2003.
- ❖ خروبي فتحة، "بايلك الغرب الجزائري خلال العهد العثماني وتطوره فيما بين 1563-1792"، مجلة المرأة للدراسات المغاربية، ع1، جامعة وهران، جانفي 2014.
- ❖ دراج محمد، "تأسيس أيلة الجزائر"، مجلة عصور، ع16، مخبر البحث التاريخي مصادر وتراجم، وهران، ديسمبر 2011.
- ❖ دوالي خديجة، "العلاقات الاجتماعية بين الرعية والسلطة في بايلك التيطري أواخر العهد العثماني من خلال الوثائق"، مجلة الحوار المتوسطي، ع 3-4، مارس 2011-2012.
- ❖ رحموني عبد الجليل، "شخصية الإمام عبد الحميد ابن باديس هل الإنغلاق على الذات أم الإنفتاح وتقبل الآخر؟"، أعمال الملتقى الوطني البعد الثوري في نشاط الحركة الوطنية الجزائرية 1919 - 1954م المنعقد في 1مارس 2016م، جامعة المسيلة، منشورات مؤسسة الإمام الشيخ عبد الحميد بن باديس سلسلة البحوث والدراسات، دار الهدى، 2016م.
- ❖ \_\_\_\_\_، إهتمام المجلة الإفريقية بحملة الضابط أوريلي على مدينة الجزائر 1775م، المجلة المغاربية للدراسات التاريخية والاجتماعية، ع 11، جوان 2015.
- ❖ \_\_\_\_\_، "الشعر والشعراء الشعبيون في بايلك قسنطينة خلال العهد العثماني"، المجلة الجزائرية للبحوث والدراسات التاريخية المتوسطية، ع3، منشورات زين الحقوقية والأدبية، جوان 2016.

- ❖ رقاد سعدية، "الحواضر العلمية في بايلك الغرب الجزائري خلال العهد العثماني"، مجلة عصور الجديدة، ع 23، جامعة وهران، أوت 2016، ص 366.
- ❖ رموم محفوظ، "ملكية الأرض والمكوس ونمط التحصيل الضريبي في الجزائر خلال القرنين 17-18م"، المجلة التاريخية العربية للدراسات العثمانية، ع 55-56، منشورات مؤسسة التميمي للبحث العلمي والمعلومات، تونس، ديسمبر 2017م.
- ❖ سعد الله أبو القاسم، "دفتر محكمة المدينة، الجزائر أواخر العهد العثماني 1821-1839م"، مجلة الثقافة، ع 81، وزارة الثقافة والسياحة، الجزائر، ماي 1984.
- ❖ \_\_\_\_\_، "أربع رسائل بين باشوات الجزائر وعلماء عنابة"، مجلة الثقافة، ع 51، وزارة الإعلام والثقافة، الشركة الوطنية للنشر، الجزائر، جوان 1979.
- ❖ سعيدوني ناصر الدين، "ثورة ابن الأحرش بين التمرد المحلي والإنتفاضة الشعبية"، مجلة الثقافة، ع 78، الشركة الوطنية للتوزيع، الجزائر، 1983.
- ❖ \_\_\_\_\_، "ورقلة ومنطقتها في العهد العثماني"، مجلة الأصالة، ع 41، منشورات وزارة الشؤون الدينية، الجزائر، 2011.
- ❖ \_\_\_\_\_، موقف الأمير عبد القادر من بقايا السلطة التركية بالجزائر، جماعة الكراغلة وفرسان المخزن، مجلة التاريخ، عدد خاص بالذكرى المؤوية لوفاة الأمير، 1983.
- ❖ \_\_\_\_\_، "شبكة المواصلات بالجزائر أثناء العهد العثماني"، المجلة التاريخية العربية للدراسات العثمانية، ع 21، منشورات مؤسسة التميمي للبحث العلمي والمعلومات، تونس، سبتمبر 2000.
- ❖ \_\_\_\_\_، "شبكة المواصلات بالجزائر أثناء العهد"، أعمال المؤتمر العالمي الثامن للدراسات العثمانية حول البحرية والطرق التجارية العثمانية من

15 الى 18 أكتوبر 1998م، منشورات مؤسسة التميمي للبحث العلمي والمعلومات، تونس، 2000.

❖ \_\_\_\_\_، "فحص مدينة الجزائر (نوعية الحياة الاقتصادية والاجتماعية عشية الاحتلال)"، مجلة الدراسات التاريخية، ع1، معهد التاريخ، جامعة الجزائر، 1986.

❖ سي يوسف محمد، "من خصائص النظام الاداري في بايلك التيطري خلال العهد العثماني"، المجلة التاريخية العربية للدراسات العثمانية، ع 5-6، منشورات مركز الدراسات والبحوث العثمانية والموريسكية والتوثيق والمعلومات، زغوان، فيفري 1992.

❖ سيدهم فاطمة الزهرة، "مكانة التصوف في الحياة الاجتماعية والسياسية في العهد العثماني بالجزائر"، المجلة المغربية للدراسات التاريخية والاجتماعية، ع1، جامعة سيدي بلعباس، الجزائر، سبتمبر 2009.

❖ الشابي علي، "العلاقات بين الشابية والأترك العثمانيين بتونس بين أواخر القرن 16م، ونهاية القرن 17م، المجلة التاريخية المغربية، ع 17-18، نهج الحبيب ثامر خير الدين، تونس، جانفي 1980.

❖ شنتوح ليليا، "الشيخ أحمد بن يوسف الملياني الصوفي"، حوليات جامعة الجزائر 1، ع32، ج1، الجزائر، 2018.

❖ صحراوي عبد القادر "ثورة الطريقة الدرقاوية في الجزائر أواخر العهد العثماني"، مجلة الحوار المتوسطي، ع 15-16، مارس 2017.

❖ عزيزي محمد الحبيب، "شبكة العلاقات البيئية تونس وقسنطينة في العهد العثماني"، أعمال المؤتمر الرابع عشر للدراسات العثمانية تحت عنوان: الاقتصاد البيئي والتواصل البشري والاجتماعي بين الإيالات العربية خلال القرنين الثامن عشر

والتاسع عشر، منشورات مؤسسة التميمي للبحث العلمي والمعلومات، تونس، فيفري 2013.

❖ عقون محمد العربي، "الإثنوغرافيا الإستعمارية شارل فيرو نموذجاً"، مجلة إنسانيات، ع 28، مركز البحث في الأنثروبولوجية الاجتماعية والثقافة، وهران، جوان 2005.

❖ عميرايي أحميدة، "وثيقة نادرة عن المؤسسات الثقافية بمدينة قسنطينة في بداية الإحتلال الفرنسي"، المجلة التاريخية المغربية، ع ؟؟؟؟، مؤسسة التميمي للبحث، تونس، ماي 1997.

❖ غربي غالي، "ثورة ابن الشريف الدرقاوي في الغرب الجزائري إبان القرن 19م"، مجلة الدراسات التاريخية، ع 10، معهد التاريخ، الجزائر، 1997.

❖ فارس العيد، "التركيبة الاجتماعية في الغرب الجزائري قبيل الإحتلال الفرنسي"، مجلة عصور الجديدة، ع 3-4، 2011-2012.

❖ فيقيقي محمد الكبير، "حاضرة بوسمغون في المصادر المغربية أثناء العصر الحديث"، مجلة المواقف للبحوث والدراسات في المجتمع والتاريخ، ع 9، جامعة معسكر، ديسمبر 2014.

❖ فيلالي كمال، "البابليك نظام حكم في الجزائر العثمانية" مجلة الهجرة والرحلة، عدد خاص، مخبر الأبحاث والدراسات السوسيو تاريخية، جامعة قسنطينة 2، أبريل 2014.

❖ قيدياري قويدر، "الطرق الصوفية والسلطة العثمانية في الجزائر بين 1520-1830"، مجلة المواقف، ع 10، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة معسكر، ديسمبر 2015م.

❖ محمد الصغير غانم، "قسنطينة عبر تاريخها القديم"، مجلة العلوم الإنسانية، جامعة منتوري، قسنطينة، 1999.

- ❖ محمود عامر، "المصطلحات المتداولة في الدولة العثمانية، مجلة دراسات تاريخية، ع 117-118، جامعة دمشق، 2012.
- ❖ مضوي خالدية، "أضواء على العلاقات التجارية الجزائرية الأورومتوسطية خلال النصف الأول من القرن الثاني قبل الميلاد مدينة قسنطينة وضواحيها أنموذجا"، مجلة كان، ع13، دار ناشري، الكويت، سبتمبر 2011.
- ❖ المنوني محمد، "عبد الرحمان الجامعي حامل راية الأدب على مستوى المغرب الكبير"، مجلة الأصالة، ع 24، و.ت.أ.ش. د، الجزائر، 1975.
- ❖ ميسوم ميلود، "مدرسة مازونة مسيرة علمية تزيد عن أربعة قرون"، المجلة المغربية للدراسات التاريخية والاجتماعية، ع6، جامعة سدي بلعباس، جوان 2013.
- ❖ هلايلي حنيفي، "ثورة الدرقاوية في الغرب الجزائري خلال عهد الدايات"، المجلة التاريخية المغربية، ع 115، مؤسسة التميمي للبحث العلمي والمعلومات، تونس، ماي 2004.
- ❖ ———، "حركة الأسواق والجماعات الحرفية في مدينة الجزائر خلال العهد العثماني على ضوء المصادر المحلية"، المجلة التاريخية المغربية، ع 140، مؤسسة التميمي للبحث العلمي والمعلومات، تونس، جويلية 2010.

## 2- المقالات الأجنبية:

- ❖ Arnaud (L), « Histoire de Louali Sidi-Ahmed et –Tedjani », R.Af, n°5, Alger, 1861.
- ❖ Aucapitaine (H), « Notices Sur l'Histoire de l'Administration de Beylik de Titteri », R.Af, n°9, Alger, 1865.
- ❖ Ben Cheneb, « Un Acte de Vente Dresse a Alger en 1648 », R.Af, n°89, Alger, 1945.
- ❖ Berbrugger (A), « Conquête d'Oran », R.Af, n°10, Alger, 1866.
- ❖ ———, « Epoque de L'établissement des Turcs à Constaine », R.Af, n°1, Alger, 1856.
- ❖ ———, « de l'esclavage Musulman en France », R.Af, n°1, Alger, 1856.

- ❖ —————, « Des Frontières de l'Algérie », **R.Af**, n°4, Alger, 1860.
- ❖ —————, « El-Hadj Pacha », **R.Af**, n°8, Alger, 1864.
- ❖ —————, « L'affaire Bakri », **R.Af**, n°13, Alger, 1869.
- ❖ —————, « Reprise d'Oran par les Espagnols en 1732 », **R.Af**, n°8, Alger, 1864.
- ❖ —————, " Notes Relatives Alla Révolte de Ben Sakheri", **R.Af**, n°10, Alger.
- ❖ —————, " Un Cherif Kabyle en 1804", **R.Af**, n°3, Alger, 1858.
- ❖ —————, « Topographie et Histoire Générale d'Alger », par : Haedo (F -de Diego), **R.Af**, n°15, Alger, 1871.
- ❖ Chantreaux (G), « Le Tissage Sur Métier de Haute Lisse », **R.Af**, n°85, Alger, 1941.
- ❖ Colombe (M), « Contribution à L'étude du Recrutement de l'odjak d'Alger », **R.Af**, n°87, Alger, 1941.
- ❖ Colone (A), « le Mzab », **R.Af**, n°23, Alger, 1879.
- ❖ Cour (A), « Constantine En 1802 », **R.Af**, n°60, Alger, 1919.
- ❖ Darmon, « Origine et Constitution de La Communal Ute Israelite de Tlemcen », **R.Af**, n°14, Alger, 1870.
- ❖ de Motylinski (A), « Notes Historiques Sur le Mzab », **R.Af**, n°28, Alger, 1884.
- ❖ de Paradis(V), « Alger au 18 Siècle », **R.Af**, n°40, Alger, 1896.
- ❖ Desparmet (J), « L'entrée des Français à Alger Par Le Cheikh Abdelkader », **R.Af**, n°71, Alger, 1930.
- ❖ Devoulx(A), « Les Edifices Religieux de L'ancien Alger », **R.Af**, n°14, Alger, 1870.
- ❖ —————, « Alger », **R.Af**, n°20, Alger, 1876.
- ❖ —————, « La Marine de la Régence d'Alger », **R.Af**, n°13, Alger, 1869.
- ❖ —————, « Le Registre de Prises Maritimes », **R.Af**, n°16, Alger, 1872.
- ❖ —————, « Notes Historiques Sur Les Mosquées et Autres Edifices Religieux d'Alger », **R.Af**, n°5, Alger, 1861.
- ❖ —————, « Relevé des Princip Aux Français qui Ont Résidé à Alger de 1686 à 1830 », **R.Af**, n°16, Alger, 1872.
- ❖ —————, « Expédition d'Oreilly d'après Un Document Turc », **R.Af**, n°3, Alger, 1858.

- ❖ —————, « La Batterie des Andalous Alger », **R.Af**, n°16, Alger, 1872.
- ❖ —————, « Un médecin Condamne' à Mort Pour Avoir Laisse Mourir Son Malade », **R.Af**, n°16, Alger, 1872.
- ❖ —————, "Kitab Tarikh Qosantina par El-Hadj Ahmed El Mobarek", **R.Af**, n°57, Alger, 1913.
- ❖ Emerit (M), « Les Ventrués de Thedenat es Clave et Minis Tre Dun Bey d'Afrique », **R.Af**, n°92, Alger, 1948.
- ❖ —————, « Memoires d'ahmed Bey », **R.Af**, n°93, Alger, 1949.
- ❖ Ernest (Watbled), « Pachas- Pachas-Deys », **R.Af**, n°17, Alger, 1873.
- ❖ Federmann (H), « Notices Sur Histoire L'administration du Beylik de Titeri », **R.Af**, n°11, Alger, 1867.
- ❖ —————, « Notices Sur L'histoire et L'administration de Beylik de Titeri », **R.Af**, n°9, Alger, 1865.
- ❖ ————— et Aucapitaine « Notice Sur L'histoire et L'administration de Beylik de Titteri » **R.Af**, n°11, Alger, 1867.
- ❖ Féraud(L-Charles), « Epoque de L'établissement des Turcs à Constaine », **R.Af**, n°10, Alger, 1866.
- ❖ —————, « Les Corporations de Métiers à Constaine Avant La Conquête Française », **R.Af**, n°16, Alger, 1872.
- ❖ —————, « Un Vœu d'Hussin Bey Constantine 1807 », **R.Af**, n°7, Alger, 1863.
- ❖ —————, " Ain Beida province de Constantine" **R.Af**, n°16, Alger, 1872.
- ❖ —————, Exploitation des forêts de la KA rasta dans la Kabylie orientale sous la domination Turque , **R.Af**, n°13, Alger, 1869 .
- ❖ —————, "Les cherifs kabyles de 1804-1809 dens la province de Constantine" **R.Af** .n°13, Alger, 1869.
- ❖ —————, «Ferdjioua et Zou ara-Notes Historiques sur La province de Constantine», **R.Af**, n°22, Alger, 1878.
- ❖ —————, « Notes Historiques Sur La Province de Constantine », **R.Af**, n°24, Alger, 1880.
- ❖ Fernand(Braudel), " Les Espagnols et L'Afrique de Nord de 1492 a 1877 ", **R.Af**, n°69, Alger, 1928.
- ❖ Gorguos, «Notice Sur le Bey d'Oran Mohammed el kebir », **R.Af**, n°1, Alger, 1856.

- ❖ Guin, « Notes Sur le Bey Mohammed Dit El-Bey Derrah », **R.Af**, n°7, Alger, 1863.
- ❖ Henri(A), « Kano un de village de Thouret Ahokran », **R.Af**, n°7, Alger, 1863.
- ❖ Joleaud (L), « L'ancienneté de La Fabrication de Lhuile D'olive Dans L'Afrique de Nord », **R.Af**, n°70, Alger, 1929.
- ❖ julienne(M), " les Rir'a de la subdivision de Miliana", **R.Af**, n°1, Alger, 1856.
- ❖ Le baron (Henbi), « Notice Sur Bou Saada », **R.Af**, n°6, Alger, 1862.
- ❖ Mnci ... « Sidi Aissa », **R.Af**, n°7, Alger, 1863.
- ❖ Pharaon(F), "Notice sur les tribus de la subdivision de Medea", **R.Af**, n°2, Alger, 1857-1858.
- ❖ Rene (Lespes), « Quelques Documents Sur La Corporation des Mozabites Dans Les Premiers Temps de La Conquête 1830-1838 », **R.Af**, n°66, Alger, 1925.
- ❖ Rinn (L) ,« Le Royaume d'Alger Sous le Dernier Dey », **R.Af**, n°41, Alger, 1897.
- ❖ Robin(N), « Note Sur L'organisation Miliare et Administrative des Turcs », **R.Af**, n°17, Alger, 1873.
- ❖ Saad Eddine (Ben-Cheneb), « Un Acte de Vente dresse à Alger en 1648 », **R.Af**, n°89, Alger, 1945.
- ❖ Vallejo(Jose), " Contribution a Lhistoire de Vieil Oran",**R.Af**, n°66, Alger, 1925.
- ❖ Vyssettes (E), « Histoire des Derniers Beys de Constantine », **R.Af**, n°3, Alger, 1858.
- ❖ Watbld(E), "Constantine expéditions et prise de Constantine 1836-1837",**R.Af**, n°14, Alger, 1870.
- ❖ ———, « Aperçu Sur Les Premiers Consulats Français Dans Le Levant », **R.Af**, n°16, Alger, 1872.
- ❖ ———, « Etablissement de La domination Turque En Algérie », **R.Af**, n°11, Alger, 1870.
- ❖ Yacono (X), « L'Algérie depuis 1830 », **R.Af**, n°100, Alger, 1956.



## رابعاً: الأطروحات والرسائل الجامعية

### 1- الأطروحات الجامعية

- ❖ أوجرتي محمد، الفقهاء والسلطة في الجزائر خلال العهد العثماني، أطروحة دكتوراه، كلية الآداب والحضارة الإسلامية، جامعة الأمير عبد القادر، قسنطينة 2015-2016م.
- ❖ بلبروات بن عتو، المدينة والريف بالجزائر في أواخر العهد العثماني، أطروحة دكتوراه، كلية العلوم الإنسانية والحضارة الإسلامية، جامعة وهران، 2007-2008.
- ❖ بليل رحمونة، القناصل والقنصليات الأجنبية بالجزائر من 1564-1830، أطروحة الدكتوراه، كلية العلوم الإنسانية والحضارة الإسلامية، جامعة وهران، 2010-2011.
- ❖ بن صحراوي كمال، أوضاع الريف في بايلك الغرب الجزائري أواخر العهد العثماني، أطروحة دكتوراه، كلية العلوم الإنسانية والحضارة الإسلامية، جامعة وهران، 2012-2013.
- ❖ بوجلال قدور، مظاهر التقارب واليقظة بين العلماء والسلطة العثمانية في بايلك الغرب فترة الدايات 1671-1830م، أطروحة الدكتوراه، كلية العلوم الإنسانية والعلوم الإسلامية، جامعة وهران 1، 2016-2017م.
- ❖ دباب بومدين، بايلك الغرب الجزائري خلال القرن 18م -دراسة سياسية واقتصادية واجتماعية، أطروحة دكتوراه، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، أطروحة دكتوراه، جامعة سيدي بلعباس، 2016-2017م.
- ❖ دحدوح عبد القادر، عمران وعمارة مدينة قسنطينة خلال العهد العثماني، أطروحة دكتوراه، معهد الآثار، جامعة الجزائر 2، 2009-2010م.

- ❖ درياس لخضر، المدفعية الجزائرية في العهد العثماني، أطروحة دكتوراه، معهد التاريخ، جامعة الجزائر، 1989-1990.
- ❖ الزين محمد، الأوضاع الاجتماعية والصحية في الجزائر العثمانية (1518-1830)، أطروحة دكتوراه، كلية العلوم الإنسانية، جامعة سيدي بلعباس، 2010-2011.
- ❖ عبو إبراهيم، العلوم النقلية في الجزائر خلال العهد العثماني (16-19م)، أطروحة دكتوراه، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة سيدي بلعباس، 2017-2018.
- ❖ العزيزي محمد الحبيب، ظاهرة الحكم المتجول في بلاد المغرب العربي الحديث المحلة التونسية أنموذجا، أطروحة دكتوراه، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة الجزائر، 2006-2007.
- ❖ غطاس عائشة، الحرف والحرفيون بمدينة الجزائر 1700-1830م مقارنة اجتماعية-اقتصادية أطروحة دكتوراه، كلية العلوم الإنسانية، جامعة الجزائر، 2000-2001.
- ❖ قشي فاطمة الزهرة، قسنطينة المدينة والمجتمع في النصف الأول من القرن الثالث عشر الهجرة \_ من أواخر القرن 18م إلى منتصف القرن 19م، أطروحة دكتوراه، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة تونس الأولى، 1998.
- ❖ لعربي إسمهان، الحياة الاقتصادية في بايلك الشرق خلال العهد العثماني (1713-1792م)، أطروحة دكتوراه، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة سيدي بلعباس، 2012-2013م.
- ❖ مرتاض عبد الحكيم، الطرق الصوفية بالجزائر في العهد العثماني 1518-1830م تأثيراتها الثقافية والسياسية، دكتوراه، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة وهران، 2015-2016.

❖ معاشى جميلة، الإنكشارية والمجتمع ببائك قسنطينة في نهاية العهد العثماني، أطروحة الدكتوراة، كلية العلوم الإنسانية والعلوم الإجتماعية، جامعة منتوري، قسنطينة، 2007-2008.

## 2- الرسائل الجامعية

❖ آيت حبوش حميد، المجتمع الجزائري خلال العهد العثماني على ضوء المصادر الأوروبية 1519-1830م، مذكرة ماجستير، كلية العلوم الإنسانية، جامعة سيدي بلعباس، 2008-2009م.

❖ بلخوص الدراجي، جوانب من الحياة الاجتماعية والإقتصادية في بايلك قسنطينة من خلال نوازل ابن الفكون خلال القرنين 16-17م، مذكرة ماجستير، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة الجزائر، 2011-2012.

❖ بن الزاهد إبراهيم، العلاقات بين المجتمعات الواحية في الجنوب الغربي التونسي والجنوب الشرقي الجزائري خلال القرن 19م، رسالة ماجستير، كلية الآداب والفنون والإنانيات بمنوبة، تونس، 2006-2007م.

❖ بن ساعد عائشة، البعد الروحي لمقاومة الأمير عبد القادر الجزائري، مذكرة ماجستير، كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية، جامعة الجزائر، 2003-2004.

❖ بوخلوة حسين، عبد الكريم الفكون القسنطيني حياته وآثاره 1580-1663م، مذكرة ماجستير، كلية العلوم الإنسانية والحضارة الإسلامية، جامعة السانية وهران، 2008-2009.

❖ بوسعيد فاطمة الزهراء، دور زوايا الجزائر العثمانية في تعزيز الإسلام والحفاظ على اللغة العربية (الطريقة التيجانية والدرقاوية أنموذجان)، مذكرة ماجستير، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة سيدي بلعباس، 2010-2011.

- ❖ بوشيبة فايزة، بايلك التيطري من خلال الأرشيف العثماني المحلي 1662-1830، مذكرة ماجستير، كلية العلوم الإنسانية، جامعة الجزائر، 2005-2006.
- ❖ بوضرساية بوعزة، الحاج أحمد باي رجل دولة ومقاوم 1826-1848، رسالة ماجستير، معهد التاريخ، جامعة الجزائر، 1990-1991.
- ❖ بوعزيز جهيدة، الصراعات الداخلية وأثرها على المجتمع الريفي في بايلك الشرق الجزائري أواخر العهد العثماني (1771-1837م)، مذكرة الماجستير، كلية العلوم الإنسانية والعلوم الإجتماعية، جامعة قسنطينة (2)، 2011-2012.
- ❖ بولحبال رياض، أخبار بلد قسنطينة وحكامها لمؤلف مجهول - دراسة وتحقيق -، مذكرة ماجستير، كلية العلوم الإنسانية والإجتماعية، جامعة منتوري قسنطينة، 2009-2010.
- ❖ ثابت جميلة، دور الأعلاج في العلاقات بين الجزائر ودول جنوب غرب أوروبا خلال القرنين 16-17م، مذكرة ماجستير، معهد العلوم الإنسانية والإجتماعية، المركز الجامعي بغرداية، 2010-2011م.
- ❖ جبور ميلودية، ظاهرة الإغتيال السياسي في نظام الحكم العثماني بالجزائر، مذكرة ماجستير، كلية العلوم الإنسانية والعلوم الإسلامية، جامعة وهران، 2014-2015م.
- ❖ حرفوش عمر، الإدارة الجزائرية في العهد العثماني "الإدارة المركزية نموذجا"، مذكرة ماجستير، كلية العلوم الإنسانية والإجتماعية، جامعة الجزائر، 2008-2009م.
- ❖ حماش خليفة، العلاقات بين إيالة الجزائر والباب العالي من 1798-1830م، مذكرة ماجستير، كلية الآداب قسم التاريخ والآثار، جامعة اسكندرية، مصر، 1988.

- ❖ خروبي فتيحة، الحمامات ببايلك الغرب الجزائري خلال العهد العثماني (دراسة أثرية معمارية)، مذكرة ماجستير، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة الجزائر 2، 2011-2012.
- ❖ دحماني توفيق، النظام الضريبي ببايلك الغرب أواخر العهد العثماني 1779-1830م، مذكرة ماجستير، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة الجزائر، 2003-2004.
- ❖ درقاوي منصور، الموروث الثقافي العثماني بالجزائر ما بين القرنين 16-19م بين التأثير والتأثر، مذكرة ماجستير، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة وهران، 2014-2015.
- ❖ دغموش كاميلية، قبائل الغرب الجزائري بين الإحتلال الإسباني والسلطة العثمانية، مذكرة ماجستير، كلية العلوم الإنسانية والحضارة الإسلامية، جامعة وهران، 2013-2014..
- ❖ رحموني عبد الجليل، إهتمامات المجلة الإفريقية بتاريخ الجزائر العثمانية (1520-1830م)، مذكرة ماجستير، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة سيدي بلعباس، 2014-2015.
- ❖ سعودي يمينه، الحياة الأدبية في قسنطينة ( خلال الفترة العثمانية )، مذكرة ماجستير، كلية الأدب واللغات، جامعة منتوري، قسنطينة، 2005-2006.
- ❖ سلطاني أحمد، التجارة والتجار في مدينة الجزائر العثمانية على ضوء المصادر المحلية والأجنبية 1792-1830، مذكرة ماجستير، كلية الأدب والعلوم الإنسانية، جامعة سيدي بلعباس، 2011-2012.

- ❖ شاطو محمد، نظرة المصادر الجزائرية إلى السلطة العثمانية في الجزائر، مذكرة ماجستير في التاريخ الحديث، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة الجزائر، 2005 - 2006.
- ❖ شكري معمر رشيدة، العلماء والسلطة العثمانية في الجزائر فترة الدايات 1671-1830م، مذكرة ماجستير، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة الجزائر، 2005-2006.
- ❖ صغيري سفيان، العلاقات الجزائرية العثمانية خلال عهد الدايات في الجزائر 1671-1830، مذكرة ماجستير، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة الحاج لخضر، باتنة، 2011-2012.
- ❖ طالي معمر سميرة، القوى المحلية في بايلك الغرب الجزائري في أواخر العهد العثماني 1792-1831م، مذكرة ماجستير، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة الجزائر، 2009-2010م.
- ❖ عبد القادر بلغيث، الحياة السياسية والاجتماعية بمدينة وهران خلال العهد العثماني، مذكرة ماجستير، كلية العلوم الإنسانية والحضارة الإسلامية، جامعة وهران، 2013-2014.
- ❖ عقاد سعاد، الفلاحون الجزائريون والسلطة العثمانية في الجزائر 1519-1830م، دار السلطان أنموذجا، مذكرة ماجستير، كلية العلوم الإنسانية والحضارة الإسلامية، جامعة وهران، 2013-2014م.
- ❖ علوش سهيلة، حصن الباستيون الفرنسي والسلطات المحلية في الجزائر العثمانية، مذكرة ماجستير، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة الأمير عبد القادر، قسنطينة، 2005-2006.

❖ عمريوي فهيمة، الجيش الإنكشاري بمدينة الجزائر خلال القرن 12هـ-18م، دراسة إجتماعية-اقتصادية، مذكرة ماجستير، كلية العلوم الإنسانية والإجتماعية، جامعة الجزائر، 2008-2009.

❖ فيلاي السايح، العلاقات السياسية الجزائرية التونسية 1792-1837م، رسالة ماجستير، كلية الآداب، جامعة منتوري قسنطينة، 1998م.

❖ القشاعي فلة موساوي، النظام الضريبي بالريف القسنطيني أواخر العهد العثماني 1771-1837، رسالة ماجستير، معهد التاريخ، جامعة الجزائر، 1989-1990.

❖ قشوان عبد الرزاق، السلطة المحلية في بايلك قسنطينة (1592-1837م)، مذكرة ماجستير، كلية العلوم الإجتماعية والإنسانية، الجزائر (2)، 2009-2010.

❖ كشرود حسان، رواتب الجند وعامة الموظفين وأوضاعهم الإجتماعية والاقتصادية بالجزائر العثمانية من 1659-1830م، مذكرة ماجستير، كلية العلوم الإنسانية، جامعة منتوري قسنطينة، 2007-2008م.

❖ محمد مقصودة، الكراغلة والسلطة في الجزائر خلال العهد العثماني 1519-1830م، مذكرة ماجستير، كلية العلوم الإنسانية والحضارة الإسلامية، جامعة وهران، 2014.

❖ واليش فتيحة، الحياة الحضارية في بايلك الغرب الجزائري خلال القرن الثامن عشر، مذكرة ماجستير، معهد التاريخ، جامعة الجزائر، 1993-1994.

#### خامسا: المعاجم والموسوعات

❖ الخطيب مصطفى عبد الكريم، معجم المصطلحات والألقاب التاريخية، ط1، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر، بيروت، 1996.

❖ صابان سهيل، المعجم الموسوعي للمصطلحات العثمانية التاريخية، مكتبة الملك فهد الوطنية، الرياض، 2000.

❖ مهدي الشويحات أحمد، الموسوعة العربية العالمية، الألكترونية، 2004م.

سادسا: المواقع الإلكترونية

❖ الموسوعة العربية الحرة <http://www.wikiwand.com>

❖ الموسوعة الحرة، <https://ar.wikipedia.org/wiki>



# الفهارس العامة

فهرس الأعلام

فهرس القبائل والجماعات

فهرس الأماكن الجغرافية

فهرس الموضوعات

فهرس الأعلام

## فهرس الأعلام

(أ)

- |                                 |                                |
|---------------------------------|--------------------------------|
| إبراهيم آغا: 196.               | إبن سحنون: 305، 308، 334.      |
| إبراهيم باشا: 32.               | إبن شنب: 53.                   |
| إبراهيم بلكباشي: 265.           | إبن عثمان: 216.                |
| إبراهيم بن بوعزیز: 266.         | إبن مریم: 150.                 |
| إبراهيم بن نيقرو: 86، 300.      | إبن هطال التلمساني: 204،       |
| إبراهيم بورصالي: 187.           | أبو العباس: 350.               |
| إبن أبي دينار: 275.             | أبو القاسم الغربي: 176.        |
| إبن البشتاري: 129.              | أبو حموا الثالث: 31.           |
| إبن الخطيب: 106.                | أبو زكريا يحي: 129.            |
| إبن السايح: 216.                | أبو طالب: 131.                 |
| إبن العطار: 278.                | أبي القاسم الرحموني: 130.      |
| إبن الفكون: 129، 248، 285.      | أبي راس الناصري:               |
| إبن القاضي: 109، 139، 240، 265. | أحمد إبن سحنون: 305، 308، 334. |
| أحمد البزاغتي: 177.             | أحمد الشريف الزهار: 112، 156.  |
| إبن جلول: 129، 215، 298.        | إبن خوجة: 150، 299، 305، 307.. |
| إبن داود: 216.                  |                                |

أحمد الكبير : 340.	أحمد الكربوش : 243، 244.
أندري دوريا، 109.	أحمد المبارك : 280.
أورلان: 212.	أحمد بن محمد: 96
أوريلي: 186.	أحمد بن نصر: 245.
أوكابيتان: 179.	أحمد بن يعلى: 264.
إيزابيلا: 23.	أحمد بن يوسف: 93، 150، 316.
الأمير عبد القادر: 212، 254، 321.	ألسكندر السادس: 23.
(ب)	أحمد توفيق المدني: 29.
بابا عروج: 24، 26، 27، 28، 29،	أحمد ساسي: 249.
30، 35، 37، 40، 41، 42، 50،	إبن الأحرش: 250، 269، 280، 281،
65، 240.	282، 283، 284، 285، 286، 287،
الباي إبراهيم: 187، 189، 231.	288، 293، 365.
الباي أحمد القلي: 265، 266.	أحمد شاوش: 251.
الباي السايح: 329.	أقوادوبلاي: 331.
الباي إنكليز: 234.	آمنة بنت محمد: 265.
الباي جعفر: 188، 189.	الأمير عبد القادر: 178، 210، 211،
الباي حسن بوحنك: 215.	212، 254، 321، 355، 367، 368،
الباي رجب: 89، 184.	369. 368 ، 369.

الباي سعد: 329.	بكري: 56.
الباي سواق: 329.	بلاستروس: 330.
الباي شعبان الزناقي: 329.	بوزيد: 242، 265.
الباي صوفتا: 179.	بوشناق: 58.
الباي عبد الله: 286.	بوطريق: 53.
الباي عثمان: 179، 185.	بوعزيز بن ناصر: 262، 264.
الباي عصمان: 184، 286، 341.	بوعكاز: 243، 244، 247، 259،
الباي محمد الكبير: 132، 133، 138،	260، 264، 267.
201، 204، 296، 300، 307، 321،	بولينياك: 289.
331، 332، 333، 334، 343، 344،	بيار دان: 61.
353.	بيسونال: 114.
الباي محمد الكبير: 296، 300، 307،	(ت)
321، 331، 332، 333، 334، 343،	تواتي: 340.
344، 353.	توماس شو: 113، 117.
الباي محمد المقلش: 321، 360، 361.	(ج)
الباي مصطفى سليمان: 185.	جانتني دو بوسي: 157.
الباي يوسف المسراتي: 329.	
بربروجر: 281.	
برتزان: 210.	

(ح)

- الحاج أحمد باي: 120، 194، 222،  
231، 223، 235، 289، 290، 291،  
292.
- الحاج أحمد بن محمد: 96، 120، 156،  
176، 177، 194، 203.
- الحاج بن رقية: 103.
- الحاج بوزيد المقراني: 242.
- الحاج سعيد: 338.
- الحاج عبد القادر: 334.
- الحاج عثمان باشا: 256.
- الحاج علي بن عبد الله: 119.
- الحاج مصطفى: 352.
- حسن بن علي: 42، 53، 92، 102،  
161، 185.
- حسين: 42، 45، 92، 118، 150،  
265، 266، 333.
- حماد بن عبيد: 26.
- حمدان بن عثمان: 97، 190، 260،  
290، 308.
- (خ)

- خالد بن ناصر: 262.
- خليل باي: 277، 278.
- خير الدين: 24، 25، 26، 28، 32،  
34، 35، 36، 37، 40، 41، 42،  
55، 56، 86، 90، 108، 109،  
110، 133، 179، 201، 236،  
240، 243، 260، 263.
- حسن ابن خير الدين: 34، 37، 42، 44،  
86، 90، 110، 111، 133، 164،  
179، 261، 263، 265، 309، 333.
- حسن الباهي: 322.
- الحسن الوزان: 130.
- حسن بن باديس: 116.

(د)

- داود كابيذا: 363.
- دامريمونت: 367.

الداي محمد بكداش: 249، 250، 251،	سليمان القانوني: 32، 109.
330.	سليمان بن قانة: 265.
دو روفيكو: 289، 290.	السنوسي: 151.
دوفوليكس: 246.	سيدي أحمد التيجاني: 302، 262، 305،
دي بارادي: 65، 68، 70، 71، 101،	340.
136.	سيدي أحمد بن ناصر: 262، 264.
دي بورمون: 289.	سيدي المداني: 338.
دي غرامون: 62.	سيدي بوترفاس: 338.
دي ميشال: 211.	سيدي حامد: 365.
ديقودوفيرا: 27.	سيدي سعادة: 262.
(ر)	سيدي سليمان: 103.
رضوان خوجة: 85.	سيدي علي مبارك: 340.
رمضان باشا: 350.	سيدي محمد أمقران: 261.
روسو 221.	(ش)
(ز)	الشاذلي القسنطيني: 254.
الزياني: 324، 339.	الشارف ابن تكوك: 325.
(س)	شارل فيرو: 242.
سالم التومي: 28، 29، 30، 42.	شارل لكان الخامس: 64، 236.
سلطانة: 265.	

عبد الملك مرتاض: 328.	شارل: 55، 72، 84، 136، 148، 308،
عبد المؤمن: 116، 238، 239.	336.
العربي الدرقاوي: 281، 355، 359.	شلوصر: 115.
العطار: 278، 280.	الشيخ بن سديرة: 264.
العلج علي: 37، 52.	(ص)
علي قارة: 363، 365.	الصالح العنتري: 74، 108، 258،
علي مبارك: 340.	284، 288، 337.
عمر آغا: 362.	صالح باي: 118، 122، 128، 186،
(غ)	218، 230، 247، 251، 258، 266.
غاليسو: 45.	الصالح رايس 133، 350.
غراماي: 59.	(ع)
(ف)	عبد الرحمان الثعالبي: 340.
فاطمة بنت عثمان: 265.	عبد الرحمان الجامعي: 323.
فالي: 293.	عبد الرحمان الجيلالي: 288.
فتح الله: 251.	عبد الرحمان بن مسعود: 150.
فرانسوا: 41.	عبد العزيز: 22، 46، 190، 191، 211،
فرحات: 118.	213، 240، 241، 261، 263.
فرديناند: 23، 52.	عبد الله أبي مروان: 350.
فيدرمان: 179.	عبد الله أحمد: 234.



(ق)

قاسم بن يحي: 129.

قورصو: 133، 227.

قورقوز: 305.

(ل)

لالا عيشوش: 191.

لوجي دي تاسي: 117.

لويس رين: 90، 111.

(م)

مارتن داقوت: 27.

المارشال كلوزيل: 291.

محمد إبن عبد الله: 280.

محمد البوشيخي: 208.

محمد الزاوي: 251.

محمد الزرهوني: 119.

محمد الشريف: 265.

محمد الصغير غانم: 104، 306، 308.

محمد الغبريني: 321، 340.

محمد الفكون: 129.

محمد الكبير: 203، 205، 206، 207.

محمد المدفعي: 188.

محمد الهواري: 177.

محمد بن أحمد البصري: 117.

محمد بن الصخري: 244.

محمد بن سعيد قدورة: 251.

محمد بن عبد القادر: 355.

محمد بن عبد القوي: 88.

محمد بن عثمان بوكابوس: 256، 320،

131، 344، 359، 362، 363،

364، 365.

محمد بن عيسى: 189، 212.

محمد بن مصطفى:

محمد بن ميمون: 86.

محمد بن نيقرو: 86.

محمد تشاكر: 216.

محمد فريرة الذباح: 187، 194.

محمد ولد قدور: 207.

محمود الثاني: 292.	مولاي محمد: 351، 353.
مولاي يزيد: 194.	مولود: 261.
محي الدين: 322، 355، 366، 367، 370.	(ن)
المزاري ابن عودة: 206، 322، 358، 362، 364، 365.	نابليون: 281.
المشرفي: 358.	ناصر الدين سعيدوني: 280، 46، 287.
مصطفى ابن عبد الله: 334.	(هـ)
مصطفى الرماصي: 151.	هايدوا: 54، 56، 65، 108، 247.
مصطفى العجمي: 356.	الهواري: 177.
مصطفى بن الحاج عمر: 210.	(و)
مصطفى بن سماعيل: 359.	وارني: 98، 221.
مصطفى بوشلاغم: 133، 352.	(ي)
مولاي إسماعيل: 351، 352.	يحي الطيار: 44.
مولاي العربي: 281.	يحي بن سالم: 29.
مولاي بلحميسي: 56.	يحي بن سليمان: 234.
مولاي رشيد: 351.	يحي بن محمود الفكون: 129، 236.
مولاي زيدان: 351.	يحي بوعزيز: 108.
مولاي سليمان: 353.	

# فهرس القباثل والجماعات

## فهرس القبائل والجماعات

الأعراش: 160، 182، 194، 234،	(أ)
266، 267، 268.	إبراهيم بن دهاب : 47.
الأعلاج: 36، 51، 52، 117.	إبراهيم بن سعيد: 46.
الأعيان: 29، 30، 50، 111، 154،	اتأعانة: 48.
216، 233، 237، 242، 314، 357.	الأحباب: 48.
الإصبايحية: 196.	أحمد بن سايمان وعلي: 46.
أغروة: 48.	أحمد بن سعيد: 46.
الأغنياء: 118، 298.	أحمد بن ضيف الله: 46.
الأغواطيون: 65.	أحمد بن يوسف بن بني جليد: 47.
اقلاي بن خليل: 48.	الإسبان: 21، 23، 24، 27، 29، 30،
اقلاي بن صالح: 48.	31، 34، 40، 41، 42، 88، 110،
آل باديس: 116.	131، 132، 133، 134، 138، 145،
أولاد توك: 50.	240، 249، 263، 295، 321، 329،
الأمراء: 22، 28، 30، 128.	330، 331، 332، 333، 334.
امغار: 48.	الأسرى: 25، 58، 59، 60، 61، 62،
املة بن خليل: 48.	63، 68، 284.
	الإسكافيين: 77.

الأندلسيين: 23، 27، 52، 53، 54، 55،	أولاد بسام: 46، 47.
75، 79، 128.	أولاد بني فرحات: 49.
إنكشارية: 27، 35، 48، 64، 97، 166،	أولاد بويحي: 49.
197، 198، 199، 229، 230، 232،	أولاد تاقب: 47.
264، 278، 347، 369.	أولاد ثعالب: 49.
أوجاق: 37، 67، 69، 120.	أولاد جراد: 47.
أوخارس: 47.	أولاد حداج: 47.
الأوروبيين: 56، 58، 60، 61، 115،	أولاد خضرة: 318.
157، 219.	أولاد خويدم: 318، 345.
أوعليان: 49.	أولاد دايد: 91، 93، 102، 166.
أولاد ابراهيم بن جليد: 47، 92، 364.	أولاد دتيس: 50.
أولاد أحمد: 318، 345.	أولاد دراج: 286.
أولاد اسلام: 47.	أولاد دريس: 93.
أولاد اعميرة: 47.	أولاد دياب: 46، 50.
أولاد اكليل: 49.	أولاد زعيم: 49.
أولاد العباس: 318.	أولاد زيان: 49.
أولاد اوحدة: 49.	أولاد سلامة: 164، 165، 318.
أولاد أيوب: 47.	أولاد سلطان: 49.
أولاد بركة: 91، 93.	أولاد سمير: 46.

أولاد سیدی أحمد: 91، 93.	أولاد فرقان: 92.
أولاد سیدی الشیخ: 300، 315.	أولاد فريحة: 93.
أولاد سیدی عیسی: 91، 93.	أولاد فلیت: 47.
أولاد شبال: 49.	أولاد قویدر: 318.
أولاد شمال: 46.	أولاد لحك: 46.
أولاد طریف: 92.	أولاد محمد: 49.
أولاد عباد: 49.	أولاد معاراك: 49.
أولاد عبد الکریم: 49.	أولاد معیزة: 92.
أولاد عبد النور: 124، 231، 234.	أولاد مقران: 118، 259، 270.
أولاد عدي: 47.	أولاد ملال: 92.
أولاد عطية: 124.	أولاد منديل: 49.
أولاد علان: 91، 93، 161.	أولاد موسى: 46، 93، 233.
أولاد علوش: 91، 93.	أولاد نایل: 65، 91، 93، 143، 174،
أولاد علي: 93، 196.	185، 186، 187، 188، 189، 288.
أولاد عمارة: 49.	أولاد نهدي: 50.
أولاد عمران: 49.	أولاد هیم: 91.
أولاد عنتر: 89.	أولاد یعقوب: 243، 346.
أولاد غانم: 47.	الإیطالیین: 108.
أولاد فاطمة: 49.	

(ب)

البايات: 35، 36، 43، 61، 62، 70،	بن بغلال: 49.
102، 118، 140، 146، 154، 162،	بن بالعز: 49.
170، 171، 174، 179، 180، 185،	بن بواعرى: 48.
186، 193، 194، 195، 196، 215،	بن بوانصير: 48.
232، 233، 250، 251، 258، 259،	بن بوتامو: 48.
262، 264، 265، 267، 305، 315،	بن البحري: 47.
321، 322، 329، 335، 344، 354،	بن تادجت غيث: 49.
361، 369.	بن جدى: 47.
البدرنا: 49.	بن جفال: 46.
البرادعين: 126.	بن جنان: 46.
البرانية: 63، 65، 117، 119، 137.	بن حمامين: 48.
البربر: 39، 40.	بن دياب: 47.
البرج الأحمر: 48.	بن صالح سعودة: 48.
البرجية: 318، 345، 346، 359، 360.	بن صبيح: 47، 48.
البساكرة: 63، 64، 137.	بن عائشة: 47.
بعاس: 49.	بن عربة: 49.
بلقاسم بن بو جماعة بني ملال: 47.	بن عزة: 48.
بلقاسم بن علي بن تشفين: 47.	بن عقبة الشرفة: 46.

بن علي اغبير: 48.	بنو حنوس: 49.
بن علي بني زابر: 49.	بنو حسن: 93، 102، 185.
بن علي قليسي سوسنة: 48.	بنو ختير: 46.
بن فتيس: 47.	بنو خلفون: 46، 225.
بن فودة: 47.	بنو خيدم: 48.
بن كاكوش: 48.	بنو راشد: 46، 47.
بن مستنة: 47.	بنو ربيعة: 46.
بن مسعود الشراقة: 48.	بنو زمران: 49.
بن مسعود الغرابية: 48.	بنو زعيم: 50.
بن معمار: 48.	بنو زيان: 20، 22.
بن وزروال: 46.	بنو سرحان: 47.
بنو حسان: 91.	بنو سليم: 49.
بنو أحمد: 165.	بنو سليمان: 91، 158، 174، 225.
بنو بوبكر: 49.	بنو سوكة: 49.
بنو بوخاليفة: 49.	بنو شقران: 311، 318، 346، 359.
بنو بوعقوب: 165.	بنو شكرواح بن سوكار: 46.
بنو تامنت: 46.	بنو شيان: 48.
بنو تراتن: 49.	بنو صالح: 91، 340.
بنو جماعة: 50.	بنو صدقة: 187.



بني مناد: 46، 49.	بني ضدام: 46.
بني مناصر: 49.	بني عباس: 22، 125، 241.
بني موسي: 47.	بني عبد الواد: 21، 88.
بني مويمن: 50.	بني عديل: 125.
بني ميزاب: 137.	بني عزارية: 46.
بني ميمون: 50.	بني عزون: 165.
بني وثاس: 49.	بني عطية: 47.
بني ورثيلان: 125.	بني عقبة: 46.
بني يخلف: 50.	بني عمار: 124.
بني يعلا: 125.	بني عمر: 126.
بني يلمان: 49.	بني عوير: 47.
بهلي: 48.	بني قلال: 49.
بواسماعيل: 48.	بني لهف: 49.
بوجامعة بن حدو: 50.	بني مالك: 47.
بوجفنة: 48.	بني محسن: 50.
بوخنفرة: 47.	بني محمد: 47.
بودردون: 48.	بني مسعود: 91، 340.
بوراب باش: 46.	بني مسوس: 48.
البورجوازية: 29.	بني ملال: 48.

(ث)	بوعامر: 48.
الثعالبة: 22، 28.	بومنهاج: 48.
(ج)	بويرق الكبير: 46.
الجبائل: 47.	بويغلان: 48.
الجبان: 46.	(ت)
الجنوبين: 28.	تاغة: 50.
الجواب العقبة: 47.	تافت بن علي: 47.
الجواب راسوة: 47.	تاكلمات اولاد بن عبو: 49.
الجيليون: 65.	تالوكاة: 49.
(ح)	التجار: 29، 30، 57، 58، 66، 78،
الحاج خليفة: 48.	79، 80، 81، 82، 83، 146، 147،
الحبشة: 48.	157، 161، 169.
حجيل: 46.	تفاحة: 49.
حد أعنان: 48.	تلواقصان: 47.
حد الشريف: 48.	توبعة: 49.
الحدادين: 75، 77.	التونسيون: 81، 278.
حراوة: 47.	التيجانيون: 203.
حرسن: 47.	تيجعارين: 49.

الحرفيين: 75، 155.	خليفة بن عمار: 47.
الحسم أو اليهم: 48.	خوخدة: 49.
الحضر: 50، 137، 144، 146، 160، 304.	خياطين: 57، 99.
الحفال: 48.	(د)
الحفصيين: 20، 116، 236، 275.	دار الأوش: 49.
حمدوش: 47.	دبيات: 49.
الحواتين: 78.	دراعة: 49.
(خ)	دشيوة: 48.
خادم: 48.	الدعالة: 48.
خدامين الفاس: 97.	الدكاكنة: 48.
الخرابطة: 48.	دوار الغرابية: 48.
الخرازين: 126.	دوار بن سي يوسف: 46.
خرس: 47.	الدواودة: 48.
الخشاشنة: 47.	(ر)
الخضارين: 78.	ربوبرق الصغير: 46.
الخطاعة: 48.	ربيعة: 49.
خليفة بن سليمان: 47.	رجال الدين: 28، 63، 262، 339.
خليفة بن سولة: 46.	الرحالة: 39، 84، 89، 102، 107، 113، 347.

(س)	الرصاصين: 77.
السراجين: 75، 77، 126.	(ز)
سراين الكسيية: 49.	زاوية أحمد بن إبراهيم: 46.
السعديين: 349، 351.	زاوية بن سدي مجبر: 49.
السفراء: 67.	زاوية سالم بن مخلوف: 46.
سكلاواه: 49.	زاوية سدي عايد: 49.
سليمان بن أحمد تكبات: 47.	زاوية سي سليمان بن عروس: 46.
سليمان بن العزيز: 49.	زاوية سيدي عبد العزيز: 46.
سمامة: 49.	زروال: 49.
سنكوة: 49.	زروالة: 47.
السودانيون: 66.	الزعماء: 22، 25، 195، 243.
سوماتا: 49.	زغاية: 49.
سيدي يخلف: 49.	زغوة: 50.
(ش)	زماغة: 49.
الشاوية: 270، 353.	الزماله: 121، 139، 141، 266،
الشبارلية: 126.	271، 272، 317، 358.
الشبان: 84.	الزنوج: 50، 119، 169.
شدخني: 48.	الزوار: 35، 117.
الشرايعية: 47.	الزيانيين: 21، 132، 316.

(ض)	شرفات كرومة: 47.
ضباط: 25، 28، 67، 68، 69، 108.	شرفة صنهاجة: 49.
(ط)	الشعراء: 105، 130، 252، 255، 323، 324، 325، 327، 328، 334.
طالب علي أمالورس: 47.	شفاعة: 48.
الطرابلسيين: 80.	شلة: 48.
الطرازين: 75.	شناك: 46.
الطعانة: 46.	الشيخ وإلي داد: 47.
طفشهم: 49.	الشراقة: 48.
(ع)	الشيوخ: 104، 140، 171، 183، 195، 233، 257، 306.
عافر اوملال: 48.	(ص)
عبد الرحمان الشريف: 46.	الصباغين: 76، 78.
عبد الرحمان بن مريم: 46.	الصفارة: 50.
عبد الله بن خليفة: 48.	الصفارين: 77.
عبد الله بن عائذ الصمات: 47.	الصفصاف: 48.
عبد الله ملك: 48.	صناع: 36، 76، 126، 127، 145.
العبيد: 63، 66، 83، 93، 141، 169، 170، 190، 199، 300، 305، 308.	الصومعة: 48.
عثمان بن خليفة: 47.	

العثمانيين: 20، 24، 25، 26، 27، 28، 234، 244، 264، 265، 277، 365،	29، 30، 31، 33، 37، 39، 41، 43،
367.	50، 51، 52، 54، 56، 57، 58، 59،
عزرونة: 48.	61، 64، 68، 79، 84، 85، 86، 109،
عزيزة التوت: 48.	112، 116، 117، 132، 134، 136،
عزيزة الهيل: 48.	168، 170، 173، 176، 180، 181،
العسكر: 21، 108، 170.	185، 188، 193، 195، 198، 202،
عسكريين: 71، 200.	203، 205، 208، 236، 237، 238،
العطارين: 77.	239، 240، 241، 242، 243، 244،
العلماء: 28، 50، 85، 86، 119،	245، 246، 247، 248، 250، 252،
128، 129، 130، 150، 151،	255، 259، 261، 262، 263، 264،
176، 177، 178، 248، 250،	266، 267، 268، 277، 286، 289،
251، 276، 277.	315، 316، 321، 324، 326، 327،
العلويين: 350، 351.	328، 337، 338، 341، 350، 356،
علي بن بونوة: 46.	360، 361.
علي بن ثابت: 47.	عراوة: 48.
علي بن خاليفة: 46.	العرب: 35، 39، 43، 93، 111، 113،
علي بن رمضان: 47.	117، 118، 123، 167، 159، 160،
علي بن عمار بن تشفين: 47.	173، 180، 192، 193، 194، 207،
عمار اوهة: 48.	

الفلاحون: 156.	عمار بن العزائم: 49.
(ق)	عمار بن حشلاف: 49.
القبائل: 20، 21، 22، 28، 41، 42،	عمروسة: 48.
46، 64، 66، 79، 80، 89، 91،	عواس: 48.
93، 94، 98، 101، 102، 109، 112،	عياد: 48.
123، 124، 125، 127، 132، 134،	عيسى بن أمبارك: 46.
135، 136، 138، 140، 146،	عيسى بن زابر: 46.
154، 156، 159، 158، 160، 161،	عيسى بن زيان بن مزوز: 47.
162، 165، 166، 168، 169، 170،	عيلاشة: 50.
172، 173، 174، 182، 183، 186،	(غ)
187، 189، 190، 192، 193، 194،	الغرابية: 48.
195، 196، 197، 198، 199، 200،	غريب بن عزوز: 47.
201، 204، 212، 213، 216، 217،	(ف)
220، 221، 222، 225، 226، 230،	الفد: 48.
236، 237، 238، 244، 245، 257،	الفرسان: 27، 165، 202، 231، 271،
259، 260، 262، 263، 264، 266،	272، 304، 307، 317، 318، 346.
267، 268، 269، 270، 271، 272،	فركوة: 49.
273، 275، 281، 282، 283، 284،	فروخة: 48.
285، 286، 287، 288، 293، 295،	الفقراء: 85.

قياد العشور: 154.	296، 297، 298، 300، 301، 304،
(ك)	305، 306، 307، 314، 315، 316،
كتارنات: 49.	317، 318، 319، 320، 321، 334،
كتوة: 48.	355، 337، 339، 340، 341، 324،
الكيوس: 46.	343، 344، 345، 348، 353، 354،
كبابة: 50.	355، 356، 358، 360، 363، 364،
الكتاب: 105، 110، 121، 275،	366، 367، 369.
360، 280.	قبائل المخزن: 73، 134، 136، 142،
(م)	168، 170، 179، 199، 200، 201،
ماسومة: 48.	229، 285، 299، 300، 314، 319،
مالك يوسف بيك : 47.	320، 337، 343، 345، 346، 356،
محلة مليكشن: 47.	358.
محمد بن عبد الله عرويتي: 47.	قبائل بدوية: 22.
محمد بن مسعود بني ملال: 47.	قبائل رحمان: 91، 93، 102.
المدواعة: 48.	قبيلة كناسة: 281.
المرابطين: 160، 195، 259، 261،	القضاة: 70، 71، 119، 177، 248.
262، 267، 284، 289، 302، 315،	القناصل: 58، 59، 60، 84.
339، 340، 341، 354.	القوم: 221، 128، 140، 170، 200.
	قرواوه: 49.



المرابطة: 47.	ملك المحروم خيدر باش: 48.
مرزقلة: 49.	ملوه: 48.
مرهم: 49.	منصور بن لهول: 47.
مزكة: 48.	المهدي: 49.
مزهمر: 48.	الموحدين: 21.
مسعود بن معزوز: 48.	المؤرخون: 23، 52، 84، 284، 331،
المسلمين: 23، 24، 52، 60، 134،	343، 355.
156، 159، 254، 298، 334.	موزايا: 49.
مسلوغة: 48.	موسى بن زايد: 50.
مسمولثنة: 49.	موظفين: 58، 67، 69، 70، 71، 94،
مسيحيون: 52.	221، 160، 172، 175، 180،
مشكوكة: 48.	200، 219، 256، 257، 301، 304،
مصارورة: 47.	305، 308.
المعاملة: 48.	موعاوية: 46.
معامين: 49.	الميزابيون: 64، 161.
المغاربة: 106، 119، 147.	(ن)
مغراوة: 91، 93.	النحاسين: 77.
المفتيين: 71، 86، 176، 177.	
مكاحلية: 95، 140، 202، 318، 346.	

(هـ)

الهوامي: 50.

الهوده: 49.

(و)

وزراء: 306.

(ي)

يحي بن تافت: 48.

يحي بن موسى بن جليد: 48.

يحي معالوي: 49.

اليهود: 50، 55، 56، 61، 76، 83،

95، 101، 118، 128، 138، 146،

155، 157، 159، 160، 161، 363،

369.

يوسف بن امبارك: 48.

يوسف بن علي: 49.

يونسى: 49.

# فهرس الأمكن الجغرافية

فهرس الأماكن الجغرافية

الأناضول: 36.	(أ)
آفلوا: 204، 317.	الأبيار: 44، 45.
ألبانيا: 51.	أراغونة: 23.
إمارة كوكو: 22، 265.	آرزيو: 133، 135.
أمريكا: 60.	أزمير: 51.
إنجلترا: 82، 148، 363.	اسبانيا: 23، 24، 29، 31، 32، 52،
الأندلس: 23، 31، 40، 52، 53،	55، 76، 81، 145، 148، 240،
54، 86، 128، 149.	330، 333، 362، 363.
الأورس: 107، 114، 118، 233،	اسطنبول: 39، 75، 291.
234، 245، 267، 270.	الإسكندرية: 210.
أوروبا: 24، 56، 62، 81، 84،	آسيا: 51، 56، 117.
117، 138.	آسيا الصغرى: 51.
إيطاليا: 82.	الأغواط: 65، 89، 166، 173، 174،
إين قزام: 313.	183، 189، 204، 296، 300.
باب الزوار: 35.	إفريقيا: 20، 23، 24، 26، 31، 55،
	56، 57، 73، 83، 135.

(ب)

،236 ،231 ،230 ،227 ،226	باتنة: 227.
،249 ،248 ،247 ،244 ،243	بايلك التيطري: 35، 88، 89، 91، 92،
،257 ،256 ،252،255 ،251	،103 ،102 ،101 ،99 ،96 ،95 ،94
،282 ،273،277 ،268 ،259	،157 ،155 ،154 ،153 ،133 ،111
،293 ،291 ،289 ،286 ،285	،164 ،163 ،162 ،161 ،160 ،159
،128 ،111 ،89 ،88 :بايلك الغرب:	،170 ،169 ،168 ،167 ،166 ،165
،137 ،136 ،135 ،132 ،131	،178 ،177 ،176 ،175 ،174 ،173
،144 ،142 ،141 ،139 ،138	،184 ،183 ،182 ،181 ،180 ،179
،149 ،148 ،147 ،146 ،145	،192 ،190 ،188 ،187 ،186 ،185
،206 ،201 ،181 ،151 ،150	،202 ،201 ،200 ،199 ،198 ،193
،297 ،296 ،295 ،261 ،254	،215 ،212 ،211 ،210 ،209 ،203
،303 ،301 ،300 ،299 ،298	241.
،311 ،310 ،308 ،305 ،304	بايلك الشرق: 88، 104، 108، 111،
،317 ،315 ،314 ،313 ،312	،128 ،126 ،122 ،118 ،117 ،112
،330 ،329 ،323 ،321 ،320	،215 ،213 ،181 ،176 ،134 ،129
،337 ،335 ،334 ،332 ،331	،224 ،223 ،221 ،220 ،219 ،217

336، 239	338، 340، 341، 343، 344
البليلة: 35، 43، 45، 48، 73، 164،	345، 346، 347، 349، 351،
بني راشد: 46، 47، 134، 135، 137،	352، 354، 356، 357، 358،
144، 145، 316.	361، 362، 363، 365، 366،
بني صاف: 133.	369.
بوحلوان: 50، 164، 304، 310،	بني مسوس: 44، 48.
311، 312.	بجاية: 22، 23، 110، 113، 122،
بورصة: 51.	126، 127، 220، 226، 240،
بوزريعة: 44.	241، 250، 286.
بوسعادة: 174، 189، 271.	البحر المتوسط: 31.
بوفاريك: 306، 310، 312.	البرتغال: 21.
بئر الخادم: 44، 45.	برج الكيفان: 133.
بئر الدروج: 44.	برج بوعريريج: 122، 242.
بئر مراد رابيس: 210، 165، 45، 340،	البرواقية: 96، 101، 102، 163،
	165، 166، 169، 186، 190،
	198، 202.
	بسكرة: 64، 113، 114، 116، 227،

(ت)

تاجموت: 300، 342.	تمنطيط: 313.
تاهرت: 227.	التنس: 22، 24.
تبسة: 107، 114، 123، 127،	توات: 313.
233.	تونس: 26، 31، 33، 36، 59، 73،
تقرت: 114، 368.	75، 82، 108، 109، 112، 116،
تقصرين: 44.	130، 149، 223، 227، 230، 235،
التلاغمة: 124، 270.	236، 256، 273، 274، 275، 276،
تلمسان: 20، 21، 22، 24، 31،	277، 278، 279، 283، 291، 362،
36، 55، 128، 131، 134، 135،	364.
136، 137، 138، 139، 141،	تيارت: 143، 314، 317.
143، 144، 145، 146، 147،	تيمياوين: 313.
149، 150، 204، 212، 296،	تيميمون: 313.
300، 314، 316، 342، 349،	(ج)
350، 353، 356، 363، 365،	جبال الأطلس الشمالي: 107.
368.	جبال الأوراس: 107، 114، 245.
تمبكتوا: 83، 148، 313.	جبال الحضنة: 114.

جبال الزاب: 114.	289، 290، 292، 310، 316،
جبل عمور: 205، 300، 317.	324، 328، 332، 339، 340،
جرجرة: 66، 107، 113، 125،	347، 349، 350، 352، 355،
126، 261.	356، 361، 362، 366، 368.
الجريد: 89.	جزر إيجا: 51.
الجزائر: 20، 22، 24، 25، 27، 28،	الجلفة: 166، 174.
29، 30، 31، 33، 34، 35، 36، 37،	جمهورية البندقية: 21.
39، 40، 41، 42، 43، 44، 45، 51،	جندل: 91، 164، 188، 304،
52، 54، 55، 56، 57، 58، 59، 60،	305، 319.
61، 62، 63، 64، 65، 67، 72، 73،	جنوة: 21.
75، 76، 79، 80، 81، 82، 83، 84،	جيغل: 23، 27، 28، 42، 65،
85، 86، 88، 90، 94، 95، 107،	108، 126، 127، 262، 283،
108، 109، 112، 133، 135، 136،	284.
139، 148، 153، 164، 177، 181،	(ح)
186، 209، 210، 211، 227، 237،	الحامة: 44، 53، 216، 340.
244، 245، 254، 259، 274، 275،	حجوط: 49.
276، 277، 279، 282، 287، 288،	الحضنة: 114، 123، 246.



(س)	حلب: 32.
ساحل البابور: 220.	حلق الوادي: 108، 109.
الساقية الحمراء: 280.	حوض وادي سوف:
سبدو: 143، 314.	(د)
سطيف: 122، 225، 227، 230،	الدانمارك: 82.
285، 234، 241	دلس: 22، 23، 24، 26، 31، 35، 42،
سعيدة: 143، 314.	43، 113، 226.
سكيدة: 107، 270.	ديار بكر: 51.
السهول العليا: 107، 114.	(ر)
السودان: 66، 80، 148، 313، 349.	الرهاية: 226.
السودان الغربي: 66، 80، 83، 313.	رودس: 51.
سوق هراس: 114.	روما: 32.
السويد: 82، 320، 343.	الروبية: 226.
سيدي عيسى: 91، 93.	(ز)
سيدي فرج: 289.	الزاب: 89، 107، 114، 246.
	زمورة: 143، 241، 314.
	الزيان: 114، 234.

(ع)	(ش)
العفرون: 310، 312.	شرشال: 32، 34، 35، 42، 43،
عناية: 73، 107، 108، 112، 114،	45، 109، 226، 321، 340.
117، 119، 122، 127، 148، 228،	شعبة الرصاص: 215.
245، 249، 251، 283، 285، 290.	الشقة: 262.
عين البيضاء: 206، 270.	شلالة: 166.
عين الدفلى: 310، 312.	الشلف: 89، 134، 135، 289،
عين الربط: 44، 163، 166، 224،	311، 312، 317، 343، 351،
306.	358.
عين المشرف: 166.	شمال إفريقيا: 20، 24، 26، 31،
عين صالح: 79، 313.	55، 57، 73.
عين قجاو: 215.	(ص)
عيون حيدرة: 44.	الصومام: 107، 114، 125، 226.
(غ)	(ط)
غرداية: 313.	طرابلس الغرب: 33، 34، 59، 278.
غرناطة: 23، 52، 323.	(ظ)
	الظهرة: 144.

127، 128، 129، 130، 180، 183،	
186، 192، 215، 216، 217، 218،	(ف)
221، 224، 225، 226، 227، 228،	فاس: 21، 205، 280، 281، 350،
229، 230، 231، 233، 236، 237،	351.
240، 241، 243، 244، 245، 248،	فرنسة: 143، 314.
249، 251، 252، 254، 255، 256،	فرنسا: 41، 81، 148، 276، 289،
257، 258، 260، 264، 266، 269،	290، 291، 292، 366.
270، 274، 275، 277، 278، 279،	(ق)
280، 282، 283، 285، 286، 287،	القادوس: 44.
288، 289، 290، 291، 292، 293،	القالة: 34، 245، 274.
341، 364.	قالمة: 122.
(ق)	القبنة: 44، 45.
قشتالة: 23.	القرى: 22، 191، 314.
القليعة: 43، 45، 226، 250، 313،	قسنطينة: 21، 35، 63، 88، 104،
340.	105، 106، 107، 108، 109، 110،
قمة الثنية: 163.	111، 112، 113، 114، 115، 116،
القيروان: 227.	117، 118، 120، 122، 123، 125،

،146 ،141 ،139 ،137 ،136 ،127	القيطنة: 281 ،355 ،366.
،301 ،287 ،259 ،222 ،149 ،147	(ك)
،383 ،360 ،358 ،356 ،340 ،322	الكاف: 273.
370.	كريت: 51.
،92 ،90 ،89 ،88 ،34 ،26	(م)
،101 ،100 ،99 ،98 ،97 ،96	ليفورن: 56 ،82 ،138.
،164 ،163 ،160 ،157 ،102	
،180 ،179 ،174 ،166 ،165	مازونة: 88 ،131 ،134 ،135 ،137 ،
،186 ،185 ،184 ،183 ،181	،144 ،145 ،147 ،149 ،311 ،314 ،
،201 ،192 ،191 ،190 ،188	،322 ،329 ،330 ،356 ،363 ،365 .
212 ،211 ،210.	مالي: 83.
،28 ،27 ،25 ،20	متليي: 83.
،42 ،41 ،40 ،39 ،35 ،30 ،29	متيجة: 28 ،42 ،45 ،224 ،304 ،310 ،
،65 ،63 ،61 ،54 ،52 ،45 ،44	312.
،108 ،90 ،85 ،84 ،81 ،80 ،75	المدن: 22 ،27 ،39 ،41 ،45 ،50 ،57 ،
،292 ،290 ،289 ،210 ،170	،63 ،64 ،66 ،76 ،78 ،79 ،83 ،85 ،
368 ،340.	،108 ،109 ،113 ،117 ،119 ،120 ،

356، 348، 341، 330، 329	المرسى الكبير: 111، 131، 132،
368، 365، 360، 359، 357	133، 135، 311، 316، 330،
المغرب الإسلامي: 20، 21، 23.	332، 333، 334، 356، 369.
المغرب الأقصى: 20، 21، 116،	مستغانم: 23، 131، 133، 135،
280، 281، 313، 319، 334،	137، 141، 143، 144، 145،
349، 350، 352، 354، 362.	149، 147، 263، 300، 317،
المغرب الأوسط: 21، 113.	331، 348، 356، 363، 368.
المغرب العربي: 21.	مسيلة: 174، 227.
مليانة: 24، 45، 53، 72، 141،	
142، 181، 212، 304، 305،	المشور: 137، 369.
311، 319، 340، 337، 338،	مصر: 149، 281.
356، 358، 368.	المطمر: 332.
مملكة نابولي: 32.	معسكر: 88، 89، 121، 134،
ميلا: 127، 220، 271، 272،	135، 137، 138، 142، 143،
283، 286.	144، 145، 146، 147، 149،
	191، 204، 206، 212، 296،
	307، 310، 311، 317، 321،

(ن)	وادي التافنة: 314.
ندرومة: 131، 141، 143، 144، 145،	وادي الحراش: 41، 44، 45، 229.
147، 149، 351.	وادي الرمال: 106.
النمامشة: 114، 123، 124، 125،	وادي الزهور: 285.
221، 223، 259، 269.	وادي الصومام: 114.
النمسا: 24.	وادي الكرمة: 164.
نهر ملوية: 34.	وادي الهاشم: 226.
النيجر: 83.	وادي تليلات: 311.
نيجيريا: 83.	وادي سيراط:
(هـ)	وجدة: 147، 283، 350، 351، 353،
الهضاب العليا: 107، 142، 153، 191،	358.
229، 267.	ورقلة: 79، 114، 227، 246، 247.
هولندا: 82.	الونشريس: 22، 319.
(و)	وهران: 22، 23، 29، 31، 88،
واد المالح: 36.	111، 112، 131، 132، 133،
واد ريغ: 107.	135، 136، 137، 138، 141،
	142، 143، 145، 146، 148،

،180 ،173 ،164 ،150 ،149

،205 ،192 ،191 ،188 ،183

،312 ،311 ،310 ،296 ،207

،323 ،322 ،321 ،316 ،313

،332 ،331 ،330 ،329 ،326

،343 ،342 ،339 ،334 ،333

،359 ،358 ،357 ،356 ،348

،365 ،364 ،363 ،362 ،360

.369

(ي)

اليقوبية: 191 ،300 ،360.

# فهرس الموضوعات



فهرس الموضوعات

الموضوع	الصفحة
الإستهال:	
الإهداء:	
كلمة شكر:	
قائمة المختصرات:	
مقدمة:	أ-ش
مدخل: قيام الحكم المركزي العثماني في الجزائر ودوره في توحيد البلاد.....	20-37
أولاً: ظروف تأسيس الأيالة وقيام الحكم المركزي بالجزائر.....	20
ثانياً: موقف القوى المحلية من تأسيس الحكم المركزي "سالم التومي أنموذجاً".....	28
ثالثاً: نتائج وانعكاسات قيام الحكم المركزي العثماني في الجزائر.....	31
الفصل الأول: البعد التاريخي والحضاري لمقر الحكم المركزي بالجزائر العثمانية....	39-86
أولاً: الإطار التاريخي والجغرافي لمقر الحكم المركزي (دار السلطان).....	39
ثانياً: الطابع العمراني والبشري في مقر الحكم المركزي (دار السلطان).....	44
1- جماعة الحضر أو البلدية:.....	50
2- الأتراك العثمانيون والكراغلة والأعلاج:.....	51
3- جماعة الأندلسيين:.....	52
4- جماعة اليهود:.....	55
5- الأوروبيون:.....	58
6- فئة البرانية:.....	63
ثالثاً: الجهاز الإداري والتنظيم السياسي لمقر الحكم المركزي (دار السلطان).....	67
1- الداى:.....	67

68.....	2 - الديوان:
69.....	أ- الخزناجي:
69.....	ب- خوجة الخيل:
70.....	ج- وكيل الحرج:
70.....	د- بيت المالجي:
70.....	هـ- الآغا:
70.....	ح- الباش كاتب:
70.....	3-القضاء:
72.....	رابعا: الأوضاع الإقتصادية في مقر الحكم المركزي (دار السلطان)
72.....	1- المحاصيل الزراعية والثروة الحيوانية:
74.....	2- الحرف الصناعية:
79.....	3- النشاط التجاري:
80.....	مع الأقطار المغاربية:
81.....	مع أوروبا:
83.....	مع السودان الغربي:
84.....	خامسا: الوضع الثقافي في مقر الحكم المركزي (دار السلطان)
151-88.....	الفصل الثاني: بايلىكات الجزائر العثمانية وخصوصياتها الحضارية
88.....	أولا: بايلك التيطري (المدية)
88.....	1- الإطار التاريخي والجغرافي للبايلك:
92.....	2- الطابع العمراني والبشري للبايلك:
92.....	أ- قايدات تل الظهراوي:
93.....	ب- قايدات تل القبيلة:

- ج- قايدات الدير: 93.....
- د- قايدات الجنوب: 93.....
- 3- الجهاز الإداري والتنظيم السياسي للبايلك: 94.....
- أ-الحاكم(الباي): 94.....
- ب- الخليفة: 95.....
- ج- الخزناجي: 95.....
- د- شيخ البلد: 95.....
- هـ- الباش كاتب: 95.....
- و- الباش سيار: 95.....
- ح- الباش مكاحلية: 95.....
- ط- الحاكم: 95.....
- 4- الأوضاع الإقتصادية للبايلك: 96.....
- أ- النشاط الفلاحي: 96.....
- ب- النشاط الحرفي: 98.....
- ج- النشاط التجاري: 100.....
- 5- الوضع الثقافي للبايلك: 102.....
- ثانيا: بايلك الشرق (قسطنطينة) 104.....
- 1- الإطار التاريخي والجغرافي للبايلك: 104.....
- 2- الخصوصيات الطبيعية والبشرية للبايلك: 112.....
- أ- فئة البلدية: 116.....
- ب- فئة الأتراك العثمانيين والأعلاج والكراغلة: 117.....
- ج- فئة اليهود: 118.....

د- البرانية:	119.....
3- الجهاز الإداري والتنظيم السياسي للبايلك:	120.....
• ديوان الأوجاق:	120.....
أ- الخليفة:	120.....
ب- قائد الدار:	120.....
ج- النقاد أو الخزناجي:	121.....
د- آغا الدائرة أو قايد الدائرة:	121.....
هـ- باش كاتب:	121.....
و- باش سيار:	121.....
ز- الباش سايس:	121.....
ح- شاوش كرسي:	121.....
4- الأوضاع الإقتصادية للبايلك:	122.....
أ- المحاصيل الزراعية والثروة الحيوانية:	122.....
ب- الحرف والصناعات التقليدية بالبايلك:	125.....
• السراجين:	126.....
• البرادعين:	126.....
• الخرازين:	126.....
• الشبارلية:	126.....
ج- النشاط التجاري بالبايلك:	127.....
5- الوضع الثقافي للبايلك:	128.....
ثالثا: بايلك الغرب (مازونة- معسكر - وهران)	131.....
1- الإطار التاريخي والجغرافي للبايلك:	131.....

- 2- الخصوصيات الطبعية والبشرية للبايلك:.....135
- أ- الأتراك العثمانيون:.....136
- ب- الكراغلة: .....136
- ج- الحضر:.....137
- د- البرانية:.....137
- هـ- اليهود:.....138
- 3- الجهاز الإداري والتنظيم السياسي للبايلك:.....138
- أ- الباي: .....138
- ب- الخليفة: .....139
- ج- الخزندار: .....139
- د- آغا الدائرة وآغا الزمالة: .....139
- هـ- قايد المدينة: .....139
- و- الباش خزناسي:.....140
- ح- شيخ القبيلة: .....140
- ط- باش مكاحلية وباش كاتب وباش سيار: .....140
- 4- الأوضاع الإقتصادية للبايلك:.....141
- أ- المحاصيل الزراعية والثروة الحيوانية: .....141
- ب- النشاط الحرفي للبايلك: .....144
- ج- النشاط التجاري بالبايلك:.....146
- التجارة الداخلية: .....146
  - التجارة الخارجية: .....147
- 5- الوضع الثقافي للبايلك:.....148

الفصل الثالث: علاقة الحكم المركزي بالجزائر مع بايلك التيطري.....	213-153
أولا: العلاقات الإقتصادية والإجتماعية والثقافية بين البايك والسلطة المركزية.....	153
1- العلاقة الإقتصادية بين السلطة المركزية وبايلك التيطري:.....	153
1-1 الأداء الضريبي السنوي بين الواجب الشرعي والتعسف السلطوي.....	153
1-2 أهم الممرات والطرق التجارية بين البايك ومقر الحكم المركزي.....	163
2- العلاقة الإجتماعية بين السلطة المركزية وبايلك التيطري:.....	168
1-2 موقف القبائل والزعامات المحلية من السلطة العثمانية:.....	168
2-2 انفصال بعض القبائل عن سلطة البايك:.....	172
أ- إستقلال قيادة أولاد مختار:.....	172
ب- إستقلال قبيلة بني سليمان:.....	173
ج- إستقلال قبائل الديرة:.....	173
هـ - إستقلال قبائل أولاد نايل الجنوب:.....	174
3 - علاقة علماء وفقهاء البايك بالسلطة المركزية:.....	176
ثانيا: العلاقة السياسية والعسكرية بين البايك والسلطة المركزية.....	179
1- الإتصالات الإدارية والسياسية بين السلطة المركزية وبايلك التيطري:.....	179
1-1 حضور السلطة المركزية ببايك التيطري:.....	179
1-2 سياسة البايات تجاه القبائل والزعامات المحلية في بايلك التيطري:.....	193
أ- الأساليب الودية:.....	193
ب- سياسة التمييز وتشجيع الفتن بين القبائل:.....	194
ج- الأساليب القمعية والعسكرية:.....	196
1-3 السلطة المركزية ومراقبة مجال البايك - أجهزة وأنظمة الرقابة.....	197
أ- الجند الإنكشارية وفرقة الزينطوط:.....	197

- ب- قبائل المخزن:.....199
- ج- فرسان الأجواد وفرقة الصبايحية:.....201
- 2- العلاقة العسكرية بين السلطة المركزية مع بايلك التيطري:.....203
- 1-2 التيجانيون في مواجهة السلطة المركزية- مظاهر الضعف:.....203
- 2-2 نهاية حكم البايك وموقف السلطة المركزية من الحملة الفرنسية:..210
- الفصل الرابع: علاقة الحكم المركزي بالجزائر مع بايلك الشرق**.....215-294
- أولاً: العلاقات الإقتصادية والإجتماعية والثقافية بين البايك والسلطة المركزية.....215
- 1- العلاقة الإقتصادية بين الحكم المركزي مع بايلك الشرق:.....215
- 1-1 السلطة المركزية وإستغلال موارد البايك:.....215
- أ- العشور:.....218
- ب- الزكاة:.....219
- ج- الحكور: .....220
- اللزمة:.....220
- الغرامة:.....221
- الخطية والضرائب الخاصة:.....221
- 1-2 أهم الممرات والطرق التجارية بين البايك ومقر الحكم المركزي:.....224
- أ- الطريق السلطاني الشمالي: .....224
- ب- الطرق الفرعية:.....226
- 1-3 نشاط المحلة في البايك وإنعكاساته على علاقة السلطة بالرعية:..228
- 2- العلاقة الإجتماعية بين السلطة المركزية مع بايلك الشرق:.....236
- 1-2 موقف الرعايا والزعامات المحلية من السلطة العثمانية:.....236
- أ- موقف قبيلة أولاد عبد المومن:.....238

- ب- موقف أسرة المقراني: 239.....
- ج- موقف قبيلة بوعكاز الذواودة: 243.....
- هـ- موقف قبائل أحرار الحنانشة: 245.....
- ح- موقف قبيلة بني جلاب: 246.....
- 3- علاقة مثقفوا البايك بالسلطة المركزية: 248.....
- 1-3 علاقة علماء وفقهاء البايك مع الحكم المركزي: 248.....
- 2-3 موقف شعراء البايك من الحكم المركزي: 252.....
- ثانيا: العلاقات السياسية والعسكرية بين البايك والسلطة المركزية. 256.....
- 1- الإتصالات الإدارية والسياسية بين الحكم المركزي وبايك الشرق: 256.....
- 1-1 علاقة الإدارة الجهوية بإدارة السلطة المركزية: 256.....
- 1-2 سياسة البايات تجاه القبائل والزعامات المحلية ببايك الشرق: 259.....
- أ- سياسة التحالف والإستعانة بشيوخ القبائل والقوى الدينية: 259.....
- ب- سياسة المصاهرة: 263.....
- ج- سياسة التفرقة وتشجيع الفتن بين القبائل: 266.....
- 1-3 دعائم السلطة المركزية في مراقبة مجال البايك: 269.....
- أ- الخليفة: 269.....
- ب- قائد العواسي: 269.....
- ج- القياد والمشايخ: 270.....
- د- الدوائر: 271.....
- هـ- الزمالة: 271.....
- 2- العلاقة العسكرية بين السلطة المركزية مع بايك الشرق: 273.....
- 1-2 موقف الحكم المركزي من حدود البايك مع تونس 273.....



- 2-2 إحتلال مراد باي لبايك قسنطينة وموقف السلطة المركزية.....277
- 2-3 ابن الأحرش الدقاوي وتاريخ من الصراع مع السلطة المركزية....280
- 2-4 نهاية حكم البايك وموقف السلطة المركزية من الحملة الفرنسية...289
- الفصل الخامس: علاقة الحكم المركزي بالجزائر مع بايلك الغرب.....296-371**
- أولا: العلاقات الإقتصادية والإجتماعية والثقافية بين البايك والسلطة المركزية.....296
- 1- العلاقة الإقتصادية بين السلطة المركزية مع بايلك الغرب:.....296
- 1-1 الإستغلال الجبائي وإستنزاف ثروات البايك.....296
- أ- العشور:.....298
- ب- الزكاة:.....299
- ج- الخراج:.....300
- د- اللزمة:.....301
- هـ- الغرامة والمعونة:.....302
- 1-2-رحلة الدنوش من بايلك الغرب إلى مقر الحكم المركزي.....305
- 1-3 أهم الممرات والطرق التجارية بين البايك ومقر الحكم المركزي....311
- 2- العلاقة الإجتماعية بين السلطة المركزية مع بايلك الغرب:.....315
- 1-2 موقف القبائل المحلية من السلطة العثمانية ببايلك الغرب.....315
- أ- موقف القبائل الحليفة من السلطة المركزية:.....316
- ب- موقف القبائل المستقلة (الممتنعة) من السلطة المركزية:.....320
- 3- العلاقة الثقافية بين البايك والسلطة المركزية.....322
- 1-3 علاقة علماء وفقهاء البايك مع السلطة المركزية.....322
- 2-3 موقف شعراء البايك من الحكم المركزي:.....324
- ثانيا: العلاقات السياسية والعسكرية بين البايك والسلطة المركزية.....330

- 1- الإتصالات الإدارية والسياسية بين الحكم المركزي وبايلك الغرب:.....330
- 1-1 جهود السلطة المركزية في تثبيت الحكم العثماني ببائلك الغرب:....330
- 1-2 سياسة البايات تجاه القبائل والزعامات المحلية ببائلك الغرب.....336
- أ- سياسة العزلة- العداء والنفور:.....336
- ب- سياسة التهديد والترهيب:.....339
- ج- سياسة التفرقة بين القبائل:.....340
- د- أسلوب التفاوض دون إستخدام قوة البائلك:.....342
- هـ- سياسة القوة وتجريد الحملات العسكرية:.....344
- 1-3 السلطة المركزية ومراقبة مجال البائلك-الوسائل والأجهزة التنظيمية.346
- أ- مقدمة المحلة:.....346
- ب- قبائل المخزن:.....346
- ج- مفرزة قائد فليئة: .....347
- د- مفرزة خليفة الباي: .....347
- هـ- الجند الإنكشارية:.....348
- 2- العلاقة العسكرية بين السلطة المركزية مع بايلك الغرب:.....350
- 1-2 موقف السلطة المركزية من حدود البائلك مع المغرب الأقصى:....350
- 2-2 إنتفاض رجال الزوايا على السلطة "ابن الشريف الدرقاوي أنموذجا".356
- 2-3 تمرد الباي محمد بن عثمان بوكابوس على السلطة المركزية.....363
- 2-4 نهاية حكم البائلك وموقف السلطة المركزية من الحملة الفرنسية:....367
- خاتمة:.....372
- الملاحق:.....378
- قائمة المصادر والمراجع:.....411

444.....	الفهارس العامة:
445 .....	فهرس الأعلام:
454.....	فهرس القبائل والجماعات:
470.....	فهرس الأماكن الجغرافية:
483.....	فهرس الموضوعات:

## ملخص الدراسة بالعربية:

تُعالج هذه الأطروحة موضوع حول "علاقة السلطة المركزية مع البايلاكات في الجزائر العثمانية (1520-1830م)"، حيث حاولنا من خلاله تسليط الضوء على سياسة السلطة العثمانية تجاه البايلاك وموقف هذا الأخير من الحكم المركزي، وبالتالي فإن هذه الأطروحة تدرس فترة هامة من تاريخ الجزائر العثمانية.

ولمعالجة هذا الموضوع سعينا إلى التطرق للعديد من النقاط الأساسية بدءًا بالحديث عن كيفية قيام الحكم المركزي العثماني في الجزائر ودوره في توحيد البلاد، ثم إبراز البعد التاريخي والحضاري لمقر الحكم المركزي باعتباره الركيزة الأساسية للإدارة العثمانية في الجزائر، مع الإشارة إلى الخصوصيات الحضارية لكل بايلاك، ثم تحاول هذه الدراسة الوقوف على العوامل الأساسية والمحددات الرئيسية لطبيعة العلاقات الاقتصادية والاجتماعية والثقافية، وكذا السياسية والعسكرية التي كانت تربط مقر الحكم المركزي بالجزائر مع هذه البايلاكات الثلاثة كبايلاك التيطري في الجنوب وبايلاك قسنطينة في الشرق وبايلاك وهران في الغرب الجزائري.

وخلصت هذه الدراسة في الأخير إلى جملة من النتائج حول طبيعة علاقة السلطة العثمانية بالبايلاكات، والتي ارتكزت أساسا على خضوع البايلاك اقتصاديا وعسكريا، وبالتالي فإن أهم ما كان يربط القبائل بالسلطة المركزية هو الضرائب المفروضة عليها، بالرغم من تمكن العثمانيين من حفظ استقرار البلاد بداية حكمهم إلا أنهم لم يوفقوا في بناء علاقة متينة مع القبائل المحلية للوقوف أمام التحديات الخارجية المتمثلة في القوة الفرنسية المهددة بزوال نظام الحكم العثماني في الجزائر، وعليه فإن علاقة الطرفين في مطلع القرن 19م لم تكن موفقة، ولم تكن السلطة العثمانية على بصيرة بمخاطر السياسة الضريبية المرهقة لكاهل الرعية.

الكلمات المفتاحية: السلطة المركزية، البايلاك، الجزائر العثمانية، المقاطعات الإدارية، دار السلطان.

## **Résumé de la thèse en français:**

Cette thèse traite du sujet de "la Relation de l'autorité centrale avec les Districts administratifs en Algérie ottomane (1520-1830)". A travers cette étude, nous avons essayé de mettre en exergue la politique de l'autorité ottomane vis-à-vis du Beylik et la position de ce dernier envers le gouvernement central. Ainsi, cette thèse prend pour sujet d'étude une période significative de l'histoire de l'Algérie Ottomane.

Pour mener à bien notre recherche, Nous avons abordé un grand nombre de points principaux à commencer par l'instauration du pouvoir central Ottoman en Algérie et son rôle dans l'unification du pays, tout en exposant la dimension historique et culturelle du siège du gouvernement central en tant que pierre angulaire de l'administration Ottomane en Algérie. Et ce, en se référant aux spécificités de la civilisation de chacun des Beyliks. Notre étude a d'avantage essayé d'étudier les facteurs de base et les principaux déterminants de la nature des relations économiques, sociales et culturelles, ainsi que les forces politiques et militaires qui reliaient le siège du gouvernement central en Algérie aux trois districts administratifs, à savoir: le Beylik Titteri au sud , le Beylik Constantine à l'est et le Beylik Oran à l'ouest de l'Algérie.

Enfin, Cette étude a abouti à un certain nombre de conclusions sur la nature de la relation entre l'autorité Ottomane et les districts administratifs. Celle-ci reposait principalement sur l'assujettissement économique et la militarisation du Beylik, de sorte que le principal élément qui liait les Tribus à l'autorité centrale était les taxes qui leurs étaient imposées. Bien que les Ottomans aient Réussi à maintenir la stabilité du pays au début de leur règne, ces derniers n'ont pas réussi à établir une relation solide avec les tribus locales pour faire face aux défis extérieurs de la force française menaçant d'anéantir le régime Ottoman en Algérie. Ainsi, les relations entre les deux parties au début du XIX<sup>ème</sup> siècle n'étaient pas satisfaisantes au moment où les autorités Ottomanes étaient inconscientes des dangers d'une politique fiscale alourdissant les fardeaux du peuple.

**Les mots clés:** Autorité centrale, Beylik, L'empire ottoman, Districts administratifs, Maison du sultan.